ليبيا

جامعة طرابلس

كلية الآداب

شعبة الدراسات العليا

قسم اللغة العربية

قدمت هذه الدراسة لنيل درجة الإجازة الدقيقة (الدكتوراه) في الدراسات الأدبية

بعنوان :

شروح ديوان المتنبي

دراسة موازنة في المناهج والتطبيق

الطالب / **محمد علي محمد جودر**

إشراف الأستاذ الدكتور / **الزرقاني محمد عجاج**

السنة 2009 – 2010 ف



﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي
عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

صدق الله العظيم

الآية (76) من سورة يوسف

المـــقـــدمـــة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام علي خير الخلق و أشر ف المرســلين و علي آله و صحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين .

إن المتتبع لحركة شرح الشعر يتضح له أن ديوان المتنبــي قــد حظــي بأهمية بالغة بين الأوساط العلمية عند القدماء والمحدثين من العلماء ، فقد شرحوه ، وعلقوا عليه ونقدوه ، " فقد أُلفت الكتب في تفسيره ، وحلِّ مشــكلة عويصــة ، وكسِّرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه ، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبــين خصومه ، والإفصاح عن أبكار كلامه وعونه ، وتفرقوا في مدحه والقدح فيــه ، والنفح عنه ، والتعصب له وعليه ، وذلك أول دليل على وقوره وفضـــله، وتقــدم قدمه من أهل زمانه بملك رقاب القوافي ،ورقة المعاني"[1].

لقد كان شعر المتنبي ظاهرة فريدة في تاريخ الأدب العربي ، دفعــت غيــر عالم وأديب إلى شرحه ، مظهراً عيوبه ، أو مفسراً مشكلة أو متعصباً له ، دافعــاً عنه كل عيب ، حتى كثرت هذه الشروح واضطربت المصادر في تحديدها ، قال عنه ابن حلكان (631 هــ) : " واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه " ثــم يقــول : " وقال لي أحد المشايخ الذين أخذت عنهم وقفت له على أكثر من أربعين شــرحاً ، مابين مطولات ومختصرات ولم يفعل هذا بديوان غيره " [2] .

وذكر صلاح الدين الصفدي ت (764 هــ) " له اثنين وثلاثين شرحاً " [3] أما ابن كثير (774 هــ) فذكر " أن له أكثر من ستين شرحاً وجيزاً ومتوســطاً " [4] وذكر حاجي خليفة ت (1077 هــ) " أسماء اثنين وعشرين شرحاً " [5] .

أما العلماء المحدثون فقد اعتنوا بشعر المتنبي وكتبوا الأبحــاث والمقــالات والدراسات ، ومنهم من جمع كل ما كتب عن المتنبي ، ومن أهــم الكتــب التــي حاول أصحابها أن يستقصوا كل ما كتب استقصاءاً دقيقاً كتاب : " أبــو الطيــب المتنبي في تاريخ الأدب العربي ، للمستشرق بلاشير " ذكر فيه أكثر من خمســين

---

[1] - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق مفيدة قمحية ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1973 ، ص 41 .
[2] - وفيات الأعيان لابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ج 1 ، ص 121 بلا .
[3] - الوافي بالوفيات : تحقيق جماعة من المحققين ، طبع بمطابع دار صادر بيروت ، ج 6 / 344 .
[4] - البداية والنهاية : مطبعة السعادة ، القاهرة ، بلا ج 11 / 256 .
[5] - كشف الظنون ، حاجي خليفة ، وكالة المعارف ، مصر ، 1941 ، ج 809 .

شرحاً " 6[1] ، وكتاب " رائد الدراسة عن المتنبي للأخوين كوركيس ، وميخائيل عواد ذكرا فيه " ثلاثة وستين شرحاً لم يعرف أصحابها " 7[2] .

والذي يجب أن نشير إليه في هذا الصدد أن رواياته لم تقتصر على المشرق فحسب ، بل وصلت إلى مصر ، والمغرب والأندلس ، والشيء اللافت للانتباه في هذه الشروح أن جميعها لم تختلف في طريقة تناولها لشعر المتنبي ، ولم تختلف النظرة للمتنبي بينهم ، وتشابهت شروحهم وطريقة تناولهم ؛ لهذا ظهر التكرار جلياً بين هذه الشروح وظهر النقل الحرفي عند أغلبهم ، أما روايات الديوان فقد أكثر القدماء والمحدثون في الحديث عنها .

وقد كانت هذه الدراسات بعضها شاملاً لشعر المتنبي ، والبعض الآخر لم يف الديوان حقه في الدراسة والتحليل ، وأكثر أصحابها من النقولات الطويلة من الكتب التي تحدثوا حولها ، وقد اكتفوا ببعض المعلومات حول منهج الكتاب .

وقد لفت انتباهي كثرة الشروح التي تميز بها شعر المتنبي ، وكنت كلما أكثرت من البحث والإطلاع ازددت يقيناً أن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة وافية شاملة ، واستهواني البحث وعقدت العزم على أن أكتب عن هذا الشاعر، الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ، حيث دارت حوله حركة نقدية مريرة وطويلة ، كان يثيرها أحياناً هو في حياته ، وامتدت بعده سنوات طويلة ، وبعد استعراض طويل وتفتيش مضن عن هذه الشروح التي دارت حول شعر المتنبي ، وقفت على عدد من الشروح لديوان هذا الشاعر الفذ فاستقر بي المطاف أن أكتب هذه الدراسة بعنوان : (شروح ديوان المتنبي بين الواحدي ، والعكبري، واليازجي ، دراسة موازنة في المناهج والتطبيق) .

والموضوع في شموليته وتفصيله لم يتطرق إليه أحد من قبل ، ولكنني لابد أن أشير إلى كتاب : (المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث) لمحمد عبد الرحمن شعيب ، وقد أشار فيه شعيب إلى الشراح القدماء والمحدثين ، ثم كتاب : (ديوان

---

[1] - أبو الطيب المتنبي ، دراسة في تاريخ الأدب العبي ، بلاشير ، ترجمة إبراهيم الكيلاني ، صدر عن دار الفكر ، ط 2 ، 1985 ، ص 371 .

[2] - رائد الدراسة عن المتنبي ، للأخوين كوركيس وميخائيل عواد ، صدر عن دار الرشيد ، العراق ، 1979 ف .

المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين) للمستشرق رجيس بلاشير ، حيث تناول شروح ديوان المتنبي في المشرق والمغرب .

ولقد جاء اختياري لهذا الموضوع راجعاً للأسباب الآتية :

1- أهمية هذا الموضوع في الدراسات الأدبية .

2- بيان تفاوت القدرة الأدبية لدى الشراح .

3- الوصول إلى دقائق النقد الأدبي من خلال الدراسة .

4- التأكيد على أثر العاطفة الإنسانية والميل الوجداني لدى الشراح .

5- الإحاطة بالجهود التي بذلها الشراح على أكثر من مستوى سواء أكان على صعيد اللغة أم المعاني ، أم البلاغة ، أم الفكر .

إن هذه الدراسة ، قد استوجبت من الباحث أن يتجه وفق المنهج الوصفي المقارن ، القائم على استقصاء النصوص وتحليلها ، واستنتاج ما يمكن الوصول إليه من نتائج مع محاولة رصد القضايا النقدية ، وإصدار الأحكام عليها .

وعليه فإن الموضوع هو الذي حدد المنهج على الرغم من صعوبته ، وتطلبه جهداً كبيراً للإحاطة بجوانبه كافة ، حتى الوصول إلى النتائج المرجوة من عملية البحث أساساً ، والتي سنتطرق لذكرها لاحقاً .

ولكن قبل ذلك يجب أن أطلعكم على بعض المصادر والمراجع التي بنيت عليها هذه الدراسة ، فقد كانت هذه المصادر معتمدة ومحققة يمكن أن نصنفها في اتجاهين أساسيين :

1- مصادر أساسية معتمدة تمثل منهج الدراسة وتتمثل في شروح ديوان المتنبي ، وأشرت إليها في هذا البحث وخصصت لها الفصل الثاني من بعد التمهيد.

2- مصادر تضمنت جانباً من الدراسة ، وهي الشروح التي سنعرض لها في نقاط رئيسة .

1- شرح ديوان المتنبي لأبي الحسن الواحدي ، تحقيق عمر فاروق الطباع وهي طبعة حديثة صدرت عن دار الأرقم بن أبي الأرقم .

2- شرح ديوان المتنبي ، المسمى بالتبيان في شرح الديوان لأبي البقاء العكبري، تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، صدر عن دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.

3- شرح ديوان المتنبي ، المسمى بالعرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، لإبراهيم ناصيف اليازجي ، طبعة دار صادر ، بيروت ، لبنان .

أما الجانب الثاني فيتمثل في المصادر والمراجع المساعدة ، فهي متنوعة شملت كتب تاريخ النقد الأدبي ، والتراجم ، والنحو والتفسير ، والبلاغة وسوف نتطرق إليها بالذكر ضمن مصادر ومراجع الدراسة ، وقد اقتضى الموضوع أن يأتي التقسيم الذي أسس عليه البحث مقسماً إلى مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول ، ففي المقدمة تناولت قيمة الموضوع ، ودوافع الاختيار ، وتحدثت عن الأسباب ، ورصد الصعوبات المختلفة التي واجهتني ، وكذلك المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في إنجاز هذه الدراسة ، وضمنتها بالتصميم العام للمنهج الذي اتبعته وبنيت عليه هذا البحث .

ففي التمهيد ألقيت الضوء على مفهوم الموازنة في النقد العربي القديم والحديث ، ومفهوم الموازنة في اللغة ، ومفهومها في الاصطلاح ، ثم تطرقت إلى الكتب التي تناولت موضوع الموازنة ، وبعد ذلك تناولت مراحل تطور شرح الشعر في عصوره الأول ، الجاهلي ، والإسلامي ، والعباسي ، وأشرت إلى جهود العلماء الذين أسهموا في إرساء قواعد شرح الشعر ، حتى وصل إلى هذه الكيفية في عصر المتنبي .

أما الفصل الأول : فجاء بعنوان منهج الواحدي ، وموقفه من الشراح السابقين ، وتضمن مطلبين هما : الدوافع لهذا الشرح ، روايته ، منهجه ، مصادره ، أما المطلب الثاني فأوضحت فيه موقف الواحدي من الشراح السابقين ، مثل ابن حنبي ، وابن فورجة ، وأبو العلاء المعري ، وابن دوست ، والخوارزمي ، والعروضي .

ثم يأتي المبحث الثاني بعنوان : مكونات منهج الواحدي ، وقسم إلى عدة مطالب منها : اللغة ، الرواية ، المعاني ، البلاغة ، وقد تبين أن الواحدي تركز شرحه في علم البيان بفروعه الثلاث ، الاستعارة ، التشبيه ، الكناية .

وجاء المبحث الرابع بعنوان : الشواهد القرآنية والشعرية التي استخدمها الواحدي على شرح الشعر ، حيث كان الشارح يدعم شرحه بشواهد من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وأقوال العرب من شعر وحكمة ، وأمثال .

وجاء الفصل الثاني بعنوان : منهج العكبري في شرح الشعر ، حيث تضمن المبحث الأول مميزات شرح العكبري، مصادره ، الأعلام ، الكتب ، موقفه مما ينقل.

أما المبحث الثاني فقد تضمن عنصر اللغة في شرح العكبري ، وكيف تناولها الشارح ، ثم جاء المبحث الثالث لتوضيح عنصر النحو في شرح العكبري، وموقفه من بعض المسائل اللغوية والنحوية .

أما المبحث الرابع فكان عنوانه : مناسبات الشعر والأخبار التاريخية ، والمبحث الخامس وعنوانه : المعاني وكيفية تناول الشارح لها ، والاستشهاد على شرح الشعر بالقرآن ، والحديث الشريف ، والشعر العربي .

وجاء الفصل الثالث تحت عنوان : منهج اليازجي في شرح الشعر ، حيث ضمنته مباحث ومطالب منها :

التعريف بالشارح ، ثم الدوافع لهذا الشرح ، وطريقته في الشرح والمواضع .

وفي ختام هذه المقدمة نود أن نجمل ما توصلت إليه من نتائج من خلال عرض أهم ما اشتملت عليه:

1- إن فكرة الموازنة لم تتضح مكتملة واضحة في أذهان من حكموا بين الشعراء من البدايات الأولى للنقد الأدبي .

2- أن فكرة الموازنة في مراحلها الأولى كانت تقوم على الارتجال والميول الذاتية وغير مبررة .

3- إن الموازنة هي أداة حيوية من أدوات النقد التحليلي .

4- الموازنة تعطي النقد المنهجية والموضوعية .

5- تؤدي الموازنة دورها في تشكيل ملامح النظرية القديمة .

6- تستخدم الموازنة كأداة للبرهنة وإثبات وجهة النظر في القضايا النقدية المطروحة.

7- إن موضوعية الموازنة قد لا تأتي من التحليل والإحصاء وحدها وإنما تأتي من التزام الحيدة ونشدان العدالة .

8- تساعد الموازنة بين الأعمال الأدبية بوجه عام على فهم الأعمال والقدرة على إصدار الأحكام النقدية تجاهها .

9- لايمكن إدراك القيم الجمالية للنصوص الأدبية إلا من خلال الموازنات الأدبية أو المقارنة بينهم .

10- أسهمت الموازنة في إبراز القدرة على إصدار الأحكام المعللة .

ثم انتقلت بدراسة تضمنت مراحل حركة تطور شرح الشعر حتى بدأ عصر المتنبي ، صورة لما كان عليه شرح الشعر عصر ما قبل الإسلام وهو العصر الذي لم يكن الناس فيه في حاجة إلى شرح الشعر، لأن الشاعر في ذلك الزمن لم يكن معزولاً عن متلقي شعره بحاجز زمني أو مكاني إلا في حالات نادرة، حين يعتمد الشاعر إلى استخدام تركيب أو تصوير فني يتجاوز فيه الحد المألوف لديهم.

فيتولى توضيحه وتفسيره أو يتولى عنه رواة شعره، ولاحظنا أيضاً أنه لما جاء الإسلام كانت الحاجة إلى شرح الشعر مثل سابقتها في الجاهلية لم تتجاوز في مطلبها تفسير لفظة أو تركيباً غير مألوف أو خبراً متصلاً بالشعر ذاته أو قائله .

غير أنه لما بدأت عناية المسلمين بالقرآن الكريم وحاجتهم إلى فهم لغته ومعانيه، بدأت عناية خاصة بالشعر لحاجتهم إليه في تفسير القرآن والحديث الشريف، ولاحظنا كذلك أن هذه العناية قد صحبتها عناية أخرى من القبائل حين استقرت في الأمصار الإسلامية .

وبدأت مراجعة أشعارها في الجاهلية، ورواية هذه الأشعار بل تجاوزوا الأمر ذلك إلى تفسير بعض ألفاظه ومعانيه .

كذلك لاحظنا الاهتمام قد زاد على أيدي علماء متخصصين في رواية الشعر وتدوينه، وأكدنا أنه وإن كان الشرح غير مقصود لذاته في تلك الفترة التي بدأ فيها الجمع والتدوين فإنه قد خطا على يدي هؤلاء العلماء الرواة الأوائل، خطوات أدت إلى توسع في عناصره إذ تجاوز ما كانت عليه الحال في الجاهلية والإسلام إلى بحث في رواية الشعر وما فيها من اختلاف وذكر مناسباته وأخبار قائليه، بل امتد حتى شمل البحث في عيوبه والحكم على الشعراء والمفاضلة بينهم.

ثم وقفنا عند عمل طبقات العلماء المتوالية في شرح الشعر فلاحظنا أن الطبقة الثانية من العلماء قد اعتمدت على ما أخذته من الطبقة الأولى، ولم تقف عند نقله فحسب بل أضافوا إليه ما اعتبروه تصحيحاً لخطأ أو توجيهاً لرأي، أو سداً لنقص.

وكذلك كانت حال الطبقة الثالثة الأمر الذي أدى إلى إثراء حركة شرح الشعر بالفيض الغزير في عناصر شرح الشعر المختلفة .

كما لاحظنا أيضاً أنه قد بدأ بشيء من التخصص لدى هذه الطبقات الأولى من العلماء، فتخصص بعضهم في الغريب، وبعضهم في النحو وبعضهم في الأخبار، والأيام والأنساب، ثم رأينا توالي طبقات العلماء المهتمين بشرح الشعر، وبداية اتجاه مغاير للسابقين في عملية شرح الشعر، حيث نشأ لدى بعض الشراح ما يمكن أن نسميه بأدب الشروح الذي يعالج المعاني وقصائد الشعراء فيها، ويركز جلَّ همه في هذا المدار، لا يتجاوزه إلى اللغة، وما فيها من اشتقاقات أو النحو وما فيه من مشكلات .

ورأينا أيضاً أنه إذا كان شرح الشعر قد بدأ عند علماء الطبقة الأولى والثانية وتلاميذهم ذا مقصد تثقيفي فإنه قد تحول عند الطبقات التي تلت هؤلاء العلماء، ومع ظهور شروح المتنبي إلى غاية تعليمية، توسعت بسببه دائرة شرح الشعر فأصبحت على شيء غير قليل من التعمق، في دراسة اللغة وقضاياها والنحو ووسائله، والرواية واختلافها، والمعاني وتأويلاتها إلى غير ذلك من العلوم التي يقوم عليها شرح الشعر، كذلك أدركنا أن شروح المتنبي عندما ظهرت إلى حيز الوجود كانت متأثرة بجميع ماطرأ على شرح الشعر عامة ؛ لأن هؤلاء الشراح الذين تصدوا لشرح الشعر لم يكونوا بمعزل عن حركة شرح الشعر عامة .

ومن ثم لاحظنا أنهم قد شغلوا حيزاً غير قليل بآراء العلماء السابقين أمثال الأصمعي، والخليل، وأبي عبيدة،وابن الأعرابي والأخفش،كما لا حظنا فيهم شيئاً من التخصص في عنصر من العناصر التي يقوم عليها الشرح، إذ رأينا من كان يهتم بالغريب من اللغة،ومن كان يهتم بالنحو وما فيه من مسائل مثل،ابن جنى، ومن كان يهتم بالأخبار التاريخية ومناسبات الشعر، وما يتصل به من أيام وأنساب كالعكبري ومنهم من كان يهتم بالمعاني .

كذلك لاحظنا تطوراً آخر لحركة الشروح على أيدي علماء الطبقة السادسة حيث بلغ النقد مداه من التقدم، وفي بداية القرن الخامس، وعلى أيدي هؤلاء العلماء سجلنا تطورات فنية ومنهجية، انعكست على جهود العلماء في شرح الشعر، فاتسمت بنصيب وافر من الدقة والتعمق، واتضحت ظاهرة النقد أكثر حتى سادت أغلب الشروح .

كما اتسمت بكثرة الاستطراد في المسائل اللغوية والنحوية، والتبسط في شرح المعاني وسرد الأخبار التاريخية، وما ورد في الشعر من ذكر للحوادث ومناسبات القصائد .

وتوصلنا في نهاية هذه الوقفة إلى أن الشراح الذين تناولتهم هذه الدراسة كانوا قد استفادوا من جل هذه المناهج، التي سلكها العلماء في شروحهم، فكانوا ينقلون أقوالهم ورواياتهم للشعر، ولا يكتفون بالنقل بل ألفيناهم يناقشون هذه الآراء، فيساندون بعضها أو يرفضون بعضها، معتمدين في كل ذلك على اجتهادهم الشخصي وما تزودوا به من معارف وعلوم .

ولما انتهينا من تتبع الأطوار التي مرت بها حركة شرح الشعر حتى عصر المتنبي، وعرفنا أبرز اتجاهات الشراح التي سلكوها أثناء شرحهم للشعر، توصلنا إلى أن كلا من الشراح الذين تناولوا شرح شعر المتنبي قد وظفوا جانباً مهماً من ثقافاتهم المتنوعة والمتعددة، والتي تضم علم التفسير والحديث والقراءات وما تضمنته أفكارهم من دراية ودقة متناهية في معرفة مضامين الشعر .

ورأينا أن هذه الثقافات كان لها الأثر الكبير في طريقهم في شرحهم للشعر لما كان يطغي عليها من أسلوب الجدل والحوار وخلق المواقف والقضايا المنطقية.

كما وجدنا أن شروحهم تعتمد على ثقافة تاريخية تتصل بالأنساب وأيام العرب ووقائعهم والمشهورة .

ولعل أبرز ما توصلنا إليه في هذه الدراسة هو تلون الشروح بثقافة لغوية ونحوية كبيرة حيث رأينا أن شروحهم تحولت إلى متون لغوية،وميدان خصب لمعالجة القضايا النحوية .

بعد ذلك ذهبنا لاستنطاق مناهج هؤلاء الشراح لنضع أيدينا على حدود مناهجهم العلمية ونستخلص الإطار العام الذي رسمه هؤلاء الشراح في شرح الشعر .

ويسعدني في ختام هذه المقدمة أن أعبر عن عظيم شكري وخالص امتناني لأستاذي الفاضل: الدكتور الزرقاني محمد عجاج الذى تعهد هذا البحث بكل ما أوتي من كفاءة علمية واخلاص وما أسداه إليَّ من نصائح ثمينة وتوجهات علمية صائبة. كانت لي السراج المنير فى هذه الرحلة مع البحث والاطلاع كما أنه لايسعني الإ أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من أمدنى بالعون والمساعدة فى الحصول على المصادر والمراجع وأخص بالذكر الأخوة القائمين على الاشراف بمكتبة جامعة طرابلس ، وجامعة الزاوية ولا ننسى الفائدة التى الكبيرة من مكتبه كلية الدعوة الإسلامية حيث لم يبخل مشرفوها على تيسير سبل الحصول على كل مصدر أو مرجع يفيد البحث ويشرحه، وإذا كان ثمه من قصور فى هذا البحث شأن أعمال البشر ، فقد يرجع إلى ضعف امكانات الباحث بالقياس إلى مايتطلبه مثل هذا العمل من إحاطة واسعة بنتائج معارف إنسانية وعلوم متعددة.

الباحث . . .

الإهـــــداء

إلي أسرتي و روحيّ والديّ أقدم هذا العمل المتواضع
حباً و تقديراً و وفاءً

الباحث

التمهيد

1- مفهوم الموازنة في النقد العربي القديم والحديث

2- مراحل تطور شرح الشعر .

3- شرح الشعر حتي عصر المتنبي .

1- مفهوم الموازنة في النقد العربي القديم والحديث

الموازنات الأدبية هي: دراسة العلاقات والتشابه وأوجه الخلاف بين نصين من النصوص، أو أديبين من الأدباء أو عصرين من العصور، دراسة تستهدف بيان أصالة كل منهما وخصائصه الفنية والنفسية. طبقاً لمقاييس النقد الأدبي وقوانينه، وترمي في غايته البعيدة إلى بيان ميزة أحدهما وتقدمه على الآخر. حيث اشتمل على كل أو جل اعتبارات الجمال التي أقرتها الأذواق والبصيرة، والعقول المستنيرة، وبذا يحقق أكثر من غيره أهداف الأدب من إفادة ولذة وإثارة .

وقد فطر الناس على حب المفاضلة بين الوسائل التي ترمي إلى غرض واحد، وقد ظهرت هذه الفطرة واضحة جلية حين ظهر الشعر، وتباري في قرضه الشعراء.

أما من حيث تاريخ ظهورها فقد بدأت مبكرة في تاريخ الأدب العربي، وبقيت تسايره على مر العصور إلى يومنا هذا، وستبقي دائماً من وسائلة النقدية والتاريخية.

فإذا صح ما روى من قصة أم جندب، وموازنتها بين امرئ القيس، وعلقمة الفحل، في وصف الفرس ومن أن النابغة الذبياني كان الحكم الأدبي بين شعراء عكاظ. دلنا ذلك على أن الموازنة كانت أساساً للمفاضلة منذ الجاهلية، وكانت مدرسة الحطئية وكعب بن زهير مقابلة لمدرسة الشماخ وأخيه مزرد، وفي صدر الإسلام وكانت بين شعراء الرسول (صلي الله عليه وسلم)، وخطبائه من ناحية، وشعراء الوفود العربية وخطبائهم من ناحية أخرى.

وكان العصر الأموي زاخرا بالموازنة بين الفحول من الشعراء الغزليين والسياسيين من الشعراء وبين الخطباء والأدباء جميعاً فخلّف لنا ثروة نقدية قيمة على الرغم ما تأثرت بالعصبيات والأهواء والأمزجة.

أما في العصر العباسي فقد بدأ هذا الفن النقدي بين بشار بن برد، ومروان بن أبي حفصة، وبين مسلم بن الوليد وأبي العتاهية وأبي نواس، ثم بين أبي تمام والبحتري، وبين المتنبي وخصومه، وبين ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب، وبين الفلاسفة وعلماء الأدب، ورجال الدين والفن، وبين الشعر والنثر والخطابة،

والكتابة واللفظ والمعنى، والمنهج الذي سلكه العرب يقوم على أن الموازنة إنما تكون فيما اتفقا في الغرض وفي بعض المظاهر الأخرى، كالقافية وحركة الروي. وذلك باختيار نصين أو قصيدتين في موضوع واحد وروى واحد وقافية واحدة، إن تيسر ذلك، ثم بيان أوجه الشبه بينهما، وما اختلفا فيه ثم إصدار حكم على أيهما أجود وأيهما أكثر مسايرة لعمود الشعر، ومألوف العرب.

وقد أدرك الباحث مدى أهمية الموازنات الأدبية وقيمتها الفنية في الأدب العربي .

فرأى أن من واجب النقاد أن يحللوا الأدب إلى أركانه، فيبينوا أركانه ومعانيه، ويوازنوا بينها موازنة تستهدف بيان الصحة والعمق ، والدقة والوضوح، وغير ذلك من مقاييس نقد الأفكار والمعاني، ثم ينتقلوا إلى العاطفة فيبينوا صدقها، وحرارتها واستقرارها، وسموها وتنوعها، ثم ينتقلوا إلى الأساليب فيبينوا فصاحتها وموسيقاها، وجمال صوغها، وحسن نسقها، ومدى توفيق الأديب في اختيار الألفاظ اختيارا يدل على بصيرة نافذة، وحسن استعداد.

كما يجب على من تصدى للموازنة أن يكون على درجة عالية في فهم الأدب، وأن تصبح له حاسة فنية تنأى به عما يفسد حكمه عن الأهواء والأغراض التي تحمل القائمين من طلاب الأدب عن البعد عن جادة الصواب .

هذه في نظرنا هي الموازنة الدقيقة الهادفة والعميقة، التي نطمئن إليها في الحكم عن الأدباء والشعراء، ونثق في النتائج التي تنتهي بنا إلى ما نصبو إليه، ويرتقي به الأدب إلى مصاف الكمال.

الموازنة فى اللغة والاصطلاح :

فمن الملاحظ أن أغلب المعاجم أجمعت على أن مادة " وَزَنَ " تعنى المحاذاة أو وضع الشيء محاذاة الشيء الآخر فقد أورد صاحب اللسان " وازنت بين الشيئين موازنة ووزاناً وهذا يوازن هذا إذا كان على زنته أو كان محاذيه ". (1)

ويذكر صاحب المصباح المنير " هذا وازن ذاك وزنته أي معادله ". (2)

ونجد في المعجم الوسيط " وازن بين الشيئين موازنة ووزاناً ساوى وعادل".(3)

من ذلك يتضح أن " الموازنة تعني وضع عملين أدبيين بمحاذاة بعضهما تم القيام بتحليلها تحليلاً أدبياً قائماً على التعليل ، والإحصاء طبقاً لأسس جمالية موضوعية متفق عليها أو نتيجة لاستقراء التراث على ذوق سليم مدرب، ويمكن القول أنها تعني " المقابلة بين فكرتين أو أثرين أو مدرستين أو شخصية في مبحث طويل أو فصل من مبحث". (4)

ويلاحظ أن القيام بهذه الموازنة ليس بالأمر السهل، وإنما الأمر يحتاج إلى شرائط معينة يجب توافرها، لأنه لا يمكن أن تتم موازنة بصورة متكاملة، ولكن يمكن موازنة الأعمال الأدبية والمفاضلة بين الشعراء بصورة تقريبية " إن المفاضلة بين الشعراء الذين أحاطوا بقوانين الصناعة وعرفوا مذاهبها لا يمكن تحقيقها ولكن يفاضل بينهم على سبيل التقريب وترجيح الظنون ". (5)

وقد أدرك النقاد العرب القدامى الذين تناولوا فكرة الموازنة في مؤلفاتهم صعوبة الموازنة أيضاً، ولذا فإن البعض منهم كان يتوقف عن إصدار الحكم النهائي لشاعر على أخر، بل كان يترك للقارئ أن يحدد هو من يفضل يقول الأمدي مثلاً: " ولست أحب أن أطلق القول بأيهما أشعر عندي لتباين الناس في العلم واختلاف مذاهبهم في الشعر ولا أرى لأحد أن يفعل ذلك ". (6)

1- لسان العرب - ابن منظور- المطبعة الأميرية، ط 4. 1938 م، ج 17 ص 337. 339.

2- المصباح المنير، الرافعى - المطبعة الأميرية، ط 8، ج 2 - ص 906 1939 م .

3- المعجم الوسيط - مطبعة مصر ، 1961 م، ج2 ، ص 208.

4- معجم المصطلحات العربية في اللغة العربية والأدب، د. مجدى وهبه وكامل المهندس، مكتبة لبنان، ط2. 1984 م.

5- منهاج البلغاء وراج الأدباء، حازم القرطاجنى، تحقيق محمد الخوجة، مطبعة رئاسة الجمهورية، تونس(د.ت) - ص 374 .

6- الموازنة - الامدى - تحقيق السيد احمد صقر، ج 1، ط2، دار المعارف.197، ص5.

ويعني هذا ببساطة أن المساحة التي يتشابه فيها الشاعران قد تكون ضـــيقة إلى حد ما، كما أن اختلاف أذواق وثقافات وبيئات النقاد القـــائمين علـــى تقيـــيم الأعمال الفنية مختلفة كذلك.

ونجد في تراثنا النقدي ما يؤكد هذا الإحساس ، فيروي صاحب الأغـــاني "أخَبرني عمي قال :حدثنا جعفر بن محمد العاصمي قال : حدثني عيينة بن المنهال قال :كان على رضي الله عنه –يفطر الناس في شهر رمضان ، فإذا أفـــرغ مـــن العشاء، تكلم فأقلً وأوجز وأبلغ ، فأختصم الناس ليلة حتى ارتفعت أصواتهم فـــي أشعر الناس فقال على لأبي الأسود الدؤُلي : قل يا أبا الأسود :فقال أبو الأســـود : وكان يتعصب لأبي دؤاد : أشعرهم الذي يقول الدؤُلي :

ولقد اغتدى بدافع ركني   أحوذي ذو ميعة إضريج

فأقبل على رضي الله عنه فقال " كل شـــعرائكم محسن ، ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك، وكلهم قـــد أصاب الذي أراد وأحسن، فإن يكن أحد فضلهم فالذي لم يقل رغبة ولا رهبه امرؤ القيس بن حجر، فإنه كان أصحهم بادرة وأجودهم نادرة ".[1]

وبتأمل هذا النص نلاحظ أن اختلاف الأزمنة وتفـــاوت الغايـــات وتبـــاين المذاهب كلها عوائق تحول دون الوصول إلى أحكام نهائية وأخيرة في التفاضـــل بين الشعراء، ورغم روح التسامح التي تسري في عبارة " على بن أبي طالب" ــ رضي الله عنه ــ والتي ترضي كل شاعر لأنه يجيد التعبير في زاوية من الزوايا الخاصة بالموضوع الذي يشاركه فيه الآخرون، فإن الشاعر المتميز والـــذي لـــه طرائق تعبيرية خاصة، له مكانته المتفردة أيضاً، ولذا فلا يجب أن نغمض حـــق أحد على الإطلاق، ولا نطلق الأحكام في التفاضل بين الشـــعراء جزافـــا. إلا إذا تحققت شرائط معينة كالاشتراك في الزمن الواحد، والموضوع الواحد، ثم بعد ذلك ففضل الذي أبدع وتفرد عن الآخرين.

1- منهاج البلغاء، ص. 374 .

وترجع أهمية هذا النص لأنه من أقدم النصوص التـــي تنظـــر للموازنـــة بطريقة منهجية يتضح من خلالها الروح الإسلامي الذي طبع تفكيـــر ا لمســـلمين وصبغ بصبغة منهجية قائمة على العدل والمساواة " فعلي بن أبي طالب بما وضعه من أسس للموازنات الأدبية قد أرسى قاعدة هامة في النقد الأدبي ". [1]

ولم تتضج فكرة الموازنة مكتملة واضحة في أذهان من حكموا بين الشعراء منذ البداية الأولي للنقد الأدبي، وإنما كانت كغيرها من الأفكـــار لـــديها القابليـــة والتطور، فكانت في بدايتها ساذجة غير مبررة تقوم علـــى الارتجـــال والميـــول الذاتية، ثم نمت وارتقت بارتقاء الذوق والعقل العربي فالعلاقة قائمة وطيدة بـــين قوة الأدب ونضجه، وازدهار النقد والقدرة على تنظير الظواهر الأدبية .

كان الشاعر العربي يعبر عن انطباعه الأول في عفوية وســـماحة طبـــع، وكذلك كان الناقد العربي في البداية، وربما كانت الظروف التي أحاطت بالشعراء ومن قاموا بدور النقاد هي التي فرضت هذا النوع من العفوية والارتجـــال فـــي إصدار نظرات عُجلي لم يتأن أصحابها عـــن إصـــدارها وإنمـــا صـــدرت عـــن انطباعاتهم الأولي رغم ما يحيط به من محاذير.

" كان الشعراء الذين تصدوًّا لنقد الشعر والحكم بين الشعراء يبثـــون هـــذه الأفكار في الأسواق الأدبية التي كانت تقاوم في ذلك الوقت كعكاظ وغيـــره كمـــا رأينا من أخبار النابغة تحكيمه بين الشعراء ".

وكما حدث بعد ذلك في المربد وكناسة، ولكن من الممكن ملاحظة ما حدث للعقل والذوق العربي من ارتقاء وقدرة على التقييم بعد ظهور الإسلام، فـــالقرآن الكريم والسنة الشريفة كانا رافدين ثريين أمدا العقل والذوق العربيين بفيض مـــن المعاني والأفكار التي مكنت لفكرة الموازنة في ذهن وذوق الإنسان العربي .

فالقارئ للقرآن الكريم والحديـــث الشـــريف يعـــثر على كـــثير من الآيات التي تحتوى في مضمونها على ما يمـــكن إن نـــسميه فكـــرة التقابـــل المعنـــوي والتصويري أثناء الحث على فعل الخيرات والتـــنفير من المـــأتم والـــشرور، أو بـــين تصـــوير حال المؤمـــنين في الجنة، وحال الكافـــريـــن والمنافـــقـــين في

1- النقد الادبى في العصر الجاهلي وصدر الإسلام - د.محمد إبراهيم نصر، - دار الفكر العربي، ط 1، ص 107.

النار، تقدّم لنا الآيات القرآنية صوراً تحتوى على موازنات بين المعني، والمعنـــي الآخر يهتز لهـــا وجــدان القـــارئ،

فمثلاً يقول الحق ــ سبحانه وتعالي ــ متحدثا عن حالة الأبرار وحالة الفجار يوم القيامة :﴿ إِنّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ وإِنّ الْفُجّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [1] ويقول في أية أخرى متحدثنا عن نعيم الجنة وعذاب النار: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَّاصِـبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِـــن جُـــوعٍ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾[2]

هذه المعاني والصور القائمة على فكرة الموازنة فجرت في ذهن وخـــاطر الإنسان العربي المسلم كيف يوازن بين المعاني، وكيف يوازن بين عناصر الجمال وعناصر القبح خاصة بين الأعمال التي تشترك في التعبير عن موضوع واحد.

و تجمع بين النقد والموازنة علاقة قوية لا يمكن الفصل بينهما فـــإذا كانـــت وظيفة النقد تكمن في الكشف عن قيمة العمل الفني وبيان ما يحتويه من قيم جماليه فإن هذا الكشف لا يتأتى إلا إذا كنا على وعى بهذه القيمة، ويكون ذلك بالممارسة والتعامل مع النصوص الأدبية من خلال قراءات للتراث، وغير التراث.

ويمكن توظيف الموازنة في الكشف عن هذه القيم الجماليـــة الكامنـــة فـــي الأعمال الأدبية والمفاضلة بين أصحابها، فوظيفة النقد التمييز بين الأشياء، وهـــذا التمييز لا يكون إلاّ بمزية كما يقول العقاد: ((إن النقد هو التمييز والتمييز لا يكون إلاّ بمزية والطبيعة نفسها تعلمنا سننها في النقد والانتقاء حين تقضي على كل مـــا تشابه وتشرع إلى تخليد كل مزية تنجم في نوع من الأنواع))"[3].

وتساعدنا الموازنة بين الأعمال الأدبية بوجه عام والمتشابهة منها بوجه خـــاص على فهم هذه الأعمال، والقدرة على إصدار أحكام نقدية تجاهها إن أمكن، ويمكن إدراك القيم الجمالية التي يشترك فيها العملان موضوع المقارنة أو يخالف أحدهما الآخر عن طريق الموازنة، وهذا الأمر يدخل في صميم مهمة النقد والناقد.

1- سورة الانفطار. الآية، 13 - 14.

2- سورة الغاشية. الاية .1 -16.

3- ساعات بين الكتب، العقاد - دار المعارف، ط3. 1950 م ، ج1 ص 21 .

((ولكن الناقد لا يريد أن يعرف فيما يشترك فيه الشاعر المبدع مع سـواه بقدر ما هو معني بما ينفرد به هذا المبدع عمن سواه)). [1]

ولا تنتهي مهمة الناقد عند الكشف عن أوجه التلاقي فقط ولكن الأمر يتعدي ذلك إلى الكشف عن مظاهر الإبداع والتفرد، وهذا الأمر يحتاج من الناقد قدراً من الذكاء والحيدة والقدرة على تفهم النصوص، فتحليل النصوص يمكننا من الوصول إلى الدلالات المتعددة التي يمكن أن تفجرها الألفاظ والصور التعبيريـة، فـالنص الجيد يحتمل أكثر من تأويل شريطة أن يتمتع هذا التأويل بقدر كاف من التبريـر المقنع، والقدرة على إشباع النوازع الجمالية لدى المتلقي .

قد يعجب كل جيل من الأجيال بالعمل الخالد طبقاً للمفـاهيم التـي تسـود عصره، وهذا الأمر يكون له تأثيره على الموازنة بين الأعمال، بحيث يكون مـا فضل بالأمس ليس له الأفضلية اليوم، ولكن هذا الأمر لا يقلل من قيمة الموازنات بأي حال من الأحوال ((كذلك يبدو أننا توصلنا إلى خاصية تعدد المعاني والقـيم ومفادها أن الأعمال الفنية الخالدة تستهوى أجيالاً مختلفة وتقدم إعجابها لأسـباب مختلفة أو – لكي نربط النتيجتين معا فان الأعمال الرئيسـة (الروائـع) تحـتفظ بمكانتها لكنها تحتفظ بها بفضل سلسلة من الاستجابات المتغيرة)) [2].

ويقتضى الأمر الإيمان بأن النّص الجيد لديه القدرة على الاستمرار وإشباع الميول الجمالية لدى المتلقي بما يمتلكه من قدرة على العطاء الفني ؛ وبما يحققـه من إيحاءات ودلالات ؛ ويحدد محمد زكى العشماوي العوامـل الأساسـية التـي يتحقق بها هذا المنهج التحليلي الذي يساعدنا على فهـم الشـعر، والـذي تلعـب الموازنة فيه دورا مهما في النقد فيذكر منها ((القدرة على تحليل أحكامنـا وفـق منهج لا يسمح بطغيان العنصر الشخصي، أو تحكمه فنحن مع إيماننـا بالعنصـر الشخصي والذوق الأدبي لابد أن ندعم أحكامنا الخاصة بالمنطق والحجـة، حتـى يصبح حكمنا الشخصي حكما عاما مقبولا لدى الآخرين، ومقنعا لهم، وتحقيق هذا المهج يتوقف على طريقة الناقد في مناقشة العمل الأدبي الذي أمامه، وعلـى مـا

1- النقد الأدبي ، .سهير القلماوى- ط 2 – دار المعرفة. 1959 م، ص 15.

2- نظرية الأدب، رينيه ويلك، أوستن دارين – ترجمة .محي الدين صبحي و. د حسام الخطيب. (د.ت)، ص327.

يسوقه من مبررات لأحكامه متخذا الأسلوب العلمي الذي يقوم علـــى الإحصـــاء والاستقصاء، وعلى التدرج في الدراسة من المقدمات إلى النتائج، وعلى الاستشهاد والمقارنة والموازنة والتحليل التي هي أهم وسائل للنقد التحليلي)) [1]

ويمكن تحديد أهمية الموازنة القائمة على التحليل للنقد فيما يلي :

(أ). الموازنة تقوم بوظيفة التوضيح للأعمال الفنية : والنقد مـــن أهـــم وظائفـــه التوضيح أو الترجيح وكلاهما من الممكن أن يتحقق عن طريق الموازنة .

(ب). الموازنة أداة حيوية من أدوات النقد التحليلي : وهذه الوسيلة كانـــت مـــن أبرز أدوات الأمدي في موازنته بين الطائيين، فقد كان يقرن بين البيت من الشعر والأبيات الأخرى، التي تتشابه معه في المعني ((وكان أبرز العناصر في نقده التحليلي اعتماده على الموازنة بين بيت من الشعر الذي ينقده وبين الأبيات الأخرى التي تتشابه معه في المعني، أو التي تسير معه في اتجـــاه واحد، والمقصود بالموازنة هنا تلك الموازنة التي يستعين بها الناقـــد علـــى تبرير الأحكام وتقصيها، فمن الوسائل لتدعيم الحكم أن تضع الـــنص الـــذي تنقده جنباً إلى جنب مع غيره، حتى يكون ذلك وسيلة من وســـائل تفســـير النص وإلقاء الضوء عليه، وبيان ما فيه من خصائص عن طريق مقارنتـــه بغيره)).[2]

بل يؤكد العشماوي على أن الموازنة من أهم وسائل النقد التحليلي فيذكر أن ((الاعتماد على الموازنة التي هي إحدى أدوات النقد الأساسية والتـــي هـــي مـــن الوسائل كثيراً ما يلجأ إليها النقد التحليلي)).[3]

(ج). الموازنة تعطى النقد المنهجية والموضوعية: فمن الممكن أن يكون النقـــد منهجاً ومنتجا إذا استخدم الموازنات لإبراز قيم النص الجمالية "ثـــم يـــأتي دور الموازنة يبين طريقة أداء كل شاعر وما اعتمد عليه من وسائل لبلوغ الغاية التي يريدها وقيمة الموازنة في هذه الحالة أنها تربط الناقد وتشده إلى

1- قضايا النقد الأدبي بـــين القديم والحديث، د. محمد زكى العشماوى، منشأة المعارف. الإسكندرية. ط 3، 1978، ص 71 .72.

2- المصدر نفسه. ص 72.

3- المصدر نفسه. ص38 .

الأثر الذي يجيده، فيكون النقد نقداً موضوعياً بإثراء كل جزئية وكل مشكلة ومن ثم يكون نقداً منهجياً" [1].

(د). تؤدى الموازنة دورها في تشكيل ملامح النظرية النقدية، تساعد الموازنة بين الأعمال الفنية في وضع تصور نقدي، أو ما يمكن أن يسهم في تشكيل ملامح النظرية النقدية ((صحيح أنا إذا قارنا الأعمال الفنية فيما بينها ستتأكد الفروق بين هذه الأنماط، وسيغدو ممكنا التقدم نحو تصنيف للأعمال الفنية من هذه المماثلات فإنها بحسب أصناف الضوابط التي تجسدها هذه الأعمال. قد نصل في النهاية إلى نظريات في الأنواع وأخيرا إلى نظريات في الأدب بوجه عام)) .[2]

ومما يؤخذ على الناقد الذي يهتم بدراسة الأدب ومحاولة تقييمه الابتعاد عن النماذج التطبيقية والموازنة بينهما، وهذا ما أخذه بدوى طبانه على قدامه بن جعفر حيث قال عن كتاباته في الموازنات: ((ولو بحثنا في فصول نقد الشعر لم نجد إلا قليلاً من دراسة النص والتوقف على ما فيه من أسباب الجمال والاستعانة على ذلك بالمنهج التحليلي، الذي وجد عند بعض سابقيه ومعاصريه، ولم نجد إلا قليلاً من موازنة النص الشعري بنظائره في الغرض أو أشباهه في الأداء، وتلك الموازنة تهدى النقاد وتأخذ بأيديهم إلى استخلاص الأحكام الكثيرة، بكثرة الممارسة وبأدامه النظرة التي تقوى الملكات، وتعين على تلمس عناصر الجمال في النص الماثل أمامه بشيء ضئيل من الذوق وجهد يسير من التبصير)) [3].

ولا يعطى محمد غنيمي هلال. أهمية للموازنات وذلك أثناء حديثة عن الأدب المقارن وميادينه حيث يرى أن الموازنة في الأدب القومي الواحد لا قيمة لها، وأنها أقل خصباً وأضيق مجالاً، وأهون فائدة ((ومهما أعرنا من أهمية للموازنات الداخلية لأدب واحد فإنهما أقل خصباً وأضيق مجالاً واهون فائدة من الدراسات المقارنة، وذلك لأنها لا تشرح إلاّ نمو الاستعداد والمواهب للكاتب في

1- قضايا النقد الأدبي، ص382 .

2- نظرية الأدب. ص 165 .

3- قدامة بن جعفر والنقد الادبى، د. بدوى طبانة، مكتبة الانجلو المصرية 1954، ص 144.

علاقاته مع سابقيه من أبناء أمته، وكثيراً ما تسير على وثيرة واحدة وفي حدود ضيقة، كدراستنا للحريري وتأثره ببديع الزمان الهمداني، أو كدراستنا للشعراء اللاحقين وتقليدهم للشعراء الجاهليين في الأدب العربي، أين هذا مما لو وضعنا نصب أعيننا أن ندرس نوع المقاومات ونشأتها في الأدب العربي وتطورها منه ثم انتقالها للأدب الفارسي وحظه منه))[1].

ويبدو أن هذا الرأي على طرافته يحتاج إلى وقفه قصيرة، وخاصة فيما يتعلق بأهمية الموازنات الداخلية في الأدب الواحد، فالموازنات داخل الأدب القومي الواحد ربما ليست أقل خصباً وأضيق مجالاً وأهون فائدة. فمن يستطيع أن يحكم على موازنة الآمدي بين أبي تمام والبحتري بالضحالة وقلة الفائدة ؟ ثم أي ناقد يستطيع أن ينكر مدى إفادة النقد الأدبي العربي من هذه الدراسة القيمة؟

إنه يمكن القول إنها كانت تسير على وتيرة واحدة، وذلك محاولة منه التزاما للحيدة وحتى يكون المقياس واحداً، وقد تكشف عن مدى تميز فنان عن آخر ولكنها في نفس الوقت تكشف عن مدى أصالة الأفكار النقدية في تراثنا ومدى ما وصل إليه شعراؤنا الكبار في مشاركتهم في التراث الإنساني والتعبير عن قضايا الإنسان والكون .

(هـ). تستخدم الموازنة أداة للبرهنة وإثبات وجهة النظر في القضايا النقدية المطروحة فقد استخدم العقاد ((فكرة الموازنة في محاولة إثبات صحة الشعر الجاهلي والرد على فكرة انتحاله)).[2]

---

[1] - الأدب المقارن، د. محمد غنيمى هلال – دار نهضة مصر، الطبعة الثانية(د–ت) ص 119 .

[2] – اللغة الشاعرة – عباس العقاد – مكتبة الانجلو المصرية. 1960 م، ص 124 .125

الموازنة عند النقاد القدامى والمحدثين:

الموازنة عملية آلية تهتم بفحص النصوص، وتكشف عن تباين أساليبها وما تتميز به أبنيتها من نظم وعلاقات، كما أنها تبرز أوجه الاختلاف بين نصين من النصوص الأدبية، أو أديبين من الأدباء، أو عصر من العصور.

وإذا كانت الوسائل النقدية المحققة لعملية الموازنة قد أُرهفت في العصر الحديث. فإنَّ فعل الموازنة قديم قدم النص، ومع أن مبادئه ووسائله لم تكن قد اتضحت في الأدب العربي من قبل، لكنه كان قوة كامنة في نظر سالكيه، ظهرت آثارها في مظاهر متعددة لمختاراتهم من النصوص، وتفضيل بعضها على بعض.

وقد كان لفكرة الموازنة أثر كبير في النقد العربي، إذ أسهمت في بلورة نظرية نقدية في شعرنا العربي منذ البدايات الأولي لمحاولات تقييمه، حيث اختلفت وجهات النظر حول الشعراء وقصائدهم عندما كانوا ينشدون، ويستمع إليهم الناس، فكانوا يميلون إلى واحد دون الآخر ويفضلونه، وقد يبدون الأسباب لهذا التفضيل أو لا يُبدونها .

وقد يكون التعصب لشاعر دون آخر بمثابة الشرارة الأولي لهذه الموازنات التي اتسع نطاقها بعد ذلك لتمثل مساحة لا بأس بها في نقدنا العربي القديم.

وحينما يحاول الدارس أن يتتبع هذه الفكرة في نقدنا منذ البداية الأولي في العصر الجاهلي وحتى القرن الخامس الهجري. فإنه من المفيد الوقوف أمام الفكرة عند النقاد أصحاب المؤلفات المعروفة في نقدنا العربي، والتي تعد بمثابة مراجع أساسية لكل دارس لتراثنا النقدي "كالموازنة" للآمدي، والوساطة للقاضي الجرجاني على سبيل المثال لا الحصر .

أما قبل هذه المؤلفات فقد كان الكلام حول الموازنة وجهات نظر مختلفة، تخضع في الغالب للميول والهوى الشخصي .

ويمكن أن نشير إلى أهم هذه المؤلفات :

أوّلاً: الموازنة عند ابن سلام الجمحي (ت 231 هـــ) في كتابه طبقات فحول الشعراء.

فمن الممكن تتبع فكرة الموازنة لدى ابن سلام في إيجاز شديد، وذلك حينما نحاول فهم طريقته في بناء كتابه على فكرة الطبقات، فقد قسم ابن سلام الشعراء : جاهليين وإسلاميين إلى طبقات، واضعاً نصب عينيه معـــايير الجـــودة والكثـــرة، وكانت فكرة الموازنة بين الشعراء في الأغلب وراء هذا التقسيم يقول ابن سلام : ((ففضلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضـــرمين فنزلنـــا منـــازلهم، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة)) [1].

وكان ابن سلام يذكر رأيه ورأي العلماء في بعض الشعراء الذين تنـــاولهم، ويذكر فيما أجاد هذا الشاعر وفيما لم يجد، كما كانت تظهر فكرة الموازنـــة بـــين الشعراء لديه وخاصة الذين يشتركون في غرض واحد، أو يتميز شعرهم بـــبعض الخصائص الفنية المشتركة فيقول مثلاً : " كان لكثير في التشبيب نصيب وافـــر، وجميل مقدم عليه في التشبيب، والشماخ بن ضرار كان شديد متون الشـــعر أشـــد أسراً في الكلام من لبيد، وفيه كرازة ولبيد أسهل منه منطقاً "[2]، بـــل إن عنـــوان الكتاب نفسه ينبئ بذلك على أن الفكرة كان لها ظلال في ذهن ابن سلام وإن لـــم يعلن عنها صراحة ((ومن عنوان الكتاب نســـتنتج أن المفاضـــلة بـــين الشـــعراء واشتراك كل منهم في المنزلة التي تلائمـــه كـــان الأســـاس والدعايـــة الكبـــرى للكتاب)).[3]

ثانياً:- وعند ابن قتيبه (ت 276 هـــ) في كتابه الشعر والشعراء : فقد قســـم الشعراء في كتابه إلى طبقات تختلف عما كان عليه تقسيم الجمحـــي، فقـــد أنصف الشعراء المحدثين وساوى بينهم وبين القدماء، فلـــم يكـــن منهجـــه

---

1 – طبقات فحول الشعراء، ج1، – محمد بن سلام الجمحي– شرح وتحقيق محمود محمد شاكر – مطبعة المدني د–ت ص24.

2 – نفسه، ص367 .

3 – في النقد العربي القديم ، محمد الكر البارازي ، مؤسسة الرسالة ، ط1 1978. ص 198 .

تقديس القديم بل نظر بعين العدل والإنصاف فساوى بين الفريقين في نظرته النقدية يقول ابن قتيبة : " ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر، مختارا له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه[1]. وتبدو فكرة الموازنة لدى ابن قتيبة بوضوح في منهجه في الاختيار لكل شاعر، فقد اختار لكل شاعر ما رآه جيد أ ((وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب والذين تعلم الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو، وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله " صلى الله عليه وسلم"))[2]

كما أنه قسم الشعر: إلى أربعة أضرب، فجعل منه قسماً حسن لفظه وجاد معناه، وضرب منه حسن لفظه وجلا، فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، وضرب تأخر معناه وتأخر لفظه. [3]

من خلال هذا التوضيح يجب طرح مثل هذه الأسئلة فعلى أي أساس تم هذا التقسيم وتم اختيار النماذج الشعرية التي تمثله ؟ نقول إنه من المؤكد أنّ موازنات شعرية بين نماذج مختارة وغيرها قد وجدت وثم التفاضل بينها .

ويقسم ابن قتيبة الشعر إلى متكلف ومطبوع ((فالمتكلف هو الذي قوّم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر)).[4]

والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر .[5]"

1- انظر الشعر والشعراء، - لابن قتيبة ، دار الثقافة بيروت، ص10 .

2 - المصدر نفسه ج1 ص 7.

3 - المصدر نفسه - ج1. ص 15 - 16 .

4 - المصدر نفسه، ج1، ص22 .

5 - المصدر نفسه، ج1، ص 34 .

ثالثاً: وعند أبي بكر الصولي (ت335 هـــ) في كتابه ((أخبار أبـــي تمـــام)) نلاحظ أن أبا بكر الصولي قد أنصف المحـــدثين وســـاوى بـــين القـــدماء والمحدثين وعرف لكل منهما فضله في التجديد كما ضـــمن كتابـــه أمثلـــه للموازنة بين أبي تمام والبحتري، وإن كان أظهر ميله الشديد إلى أبي تمام مما أخل بإحكامه .[1]

ولو استعرضنا في تعريف الموازنة بين المؤلفات النقدية القديمة لطال بنـــا المقام ولكن سنعرض إلى هذه الكتب ونشير إليها في عجالة لأنها قد تناولت هـــذه الفكرة **ومن هذه الكتب :**

- " الأغاني " لأبى الفرج الأصفهاني (ت 356 هـــ).
- "الموازنة بين أبي تمام والبحتري" لأبى القاسم الحسن بن بشـــر الآمـــدى (376هـــ).
- الوساطة بين المتنبي وخصومه " للقاضي على بن عبد العزيز الجرجاني (392) .
- " العمدة في محاسن الشعر ونقده " لابن رشيق القيرواني (456 هـــ).
- " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " لحازم القرطاجنى (ت 608 هـــ).

هذه الكتب قد أشارت في طياتها إلى فكرة الموازنة في تراثنا النقدي القديم باعتبارها فكرة صاحبت الكثير من القضايا التي أثارها هؤلاء النقاد الكبـــار فـــي كتبهم، أما عن هذه الفكرة ومدى علاقتها ببعض الأحكام النقدية التي نقلتها لنا كتب التراث النقدي فإننا سنعرض لما روته عن تلك الموازنات باختصار حتى نـــدرك مدى مساهمة هذه الفكرة في تشكيل ملامح النظرة النقدية عند الإنسان العربي .

فلعل موازنة " أم جندب " التي نقلها صاحب " الموشح " على سبيل المثال حينما تحاكم إليها امرؤ القيس. وهو زوجها. والشاعر علقمة بن عبده الفحل فقالا

---

1 – ينظر اخبار ابي تمام، لابي بكر الصولي، تحقيق خليل محمود عساكر واخرين، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيـــروت، د ت. ص 66. 67

2 – راجع قصة هذه الحكومة في الموشح للمرزباني، ص 28. 31. وطبقات فحول اشعراء، ص 139، وديوان امرىء القـــيس. ص 40.

شعراً وصفا فيه فرسيهما ولكنها في النهاية فضلت شعر علقمة وحكمت له على امرئ القيس زوجها، ولكن آمرا القيس احتج على ذلك وشكك في موضوعية حكمها لأنها حكمت الهوى فهي عاشقة لعلقمة كما ادّعى .[1]

ورغم الشك الذي دار حول هذه الرواية فإنّها تكشف لنا عن هذه النظرة الجزئية التي لا تتوقف أمام القيمة الفنية للنص كله، وإنما تتوقف أمام جزئية واحدة وتحكم بها للشاعر أو عليه، وبالطبع فهذه النظرة قاصرة وغير موضوعية في حكمها، ولكن يبدو – فيما نرجح – أن سيادة فكرة البيت الواحد هو الذي أفرز مثل هذه الأحكام التي تسربت إلى ذهن بعض الذين تعرضوا لنقد الشعراء فيما بعد.

كذلك ما يروى حول تحكيم النابغة الذبياني بين الشعراء، وكيف أنه كانت تضرب له قبة حمراء من أدم ويأتيه الشعراء فيتحاكمون إليه، وقد فضل في إحدى المرات الأعشى على حسا ن بن ثابت مما أثار غضب حسان عليه.

من ذلك يتضح لنا أيضاً أن النقد في هذه الفترة التي سبقت فترة التدوين كان يعتمد على الفطرة والذوق، ولم تكن لديه القدرة على التحليل والتبرير للأحكام وهذا ما أشار إليه أحمد بدوي في دراسته أسس النقد الأدبي عند العرب فيقول : " اعتمد النقد في نشأته الأولى أيام العصر الجاهلي على السليقة والفطرة يستمد منها أحكامه ويصدر عن الذوق فيما يبديه من الآراء، ولذا لم يكن الناقد في العصر الجاهلي يبين علة ما يراه من أسباب الجمال أو القبح إذا لم يكن ثمة علوم قد دونت وظلت الحال على ذلك طوال العصر الجاهلي " .[2]

ويؤكد هذا الرأي أيضاً، أحمد أمين في أثناء دراسته لحالة النقد في هذا العصر فيقول : " وبهذا لم يكن النقد مبنياً على قواعد فنية ولا على ذوق منظم ناجح وإنما هو لمحة الخاطر والبديهة الحاضرة " .[3]

1- ينظر في الادب الجاهلي، طه حسين، دار المعارف. ط 12. 1977. ص207

2- اسس النقد الادبي عند العرب، احمد احمد بدوي، مكتبة نهضة مصر. 1958 . ص4.

3- النقد الادبي، احمد امين، مكتبة النهضة المصرية، ج2. ط4، 1972. ص 418

واستمرت هذه الاتجاهات النقدية قائمة حتى بعد ظهور الإسلام رغم ما زوّد به الإسلام العقل العربي من خبرات وقدرة على التأمل. و(المقارنة بين المعاني والأفكار) وتتجلى صورة الموازنة في محاولة البعض الموازنة بين النص القرآني والشعر، وخاصة من جانب كفار قريش، وذلك بعد إدعاء البعض منهم بأن القرآن الكريم شعر، أو يشبه الشعر، بعد أن صدمت البلاغة القرآنية وجدان وعقل مشركي قريش ". [1]

وقدا اعتمد المسلمون ولاسيما السلف الصالح. على كثير من القواعد الأصولية الفقهية كالقياس مثلا، الذي يمكن اعتباره ابتدء لأسلوب القرآن الكريم في العرض والمقارنة بين أنواع السلوك المختلفة ، والقضايا ذات الصلة الوثيقة بالجنة والنار، والثواب والعقاب، ومن هنا فقد بدأت الموازنات تتجه اتجاها موضعيا وهي تعالج النصوص.

كذلك ما دار حول آراء بعض كبار الصحابة في الشعر والشعراء كرأي سيدنا عمر (رضي الله عنه) في شعر زهير [2] ورأى الإمام علي (رضي الله عنه) في شروط الموازنة بين الشعراء [3]

وفي العصر الأموي نجد الكثير من الموازنات التي تطرح قضية الموازنة بين الشعراء فعلي سبيل ما نقله صاحب الموشح حينما تحاكم الزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، وعبدة بن الطيب، والمخيل السعدي، إلى ربيعة بن حذار، وما أبداه من رأى في أشعارهم[4]

كذلك ما كان بين الوليد بن عبد الملك، ومسلمة، حول شعر امرئ القيس والنابغة في وصف الليل. [5]

كذلك ما دار بين جرير والفرزدق في مجلس الحجاج بن يوسف الثقفي. [6]

1- السيرة النبوية لابن هشام، شرح وتعليق. طه عبد الرؤوف، مكتبة الازهر، ط1، ص243.

2 ينظر شعر والشعراء، ج1، ص 86. 88. .

3 – منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، مطبعة رئاسة الجمهورية. تونس، 1966. ص 377.

4- الموشح : للمرزباني، تحقيق على محمد البجاوي، دار نهضة مصر، 1965. ص 107. 108 .

5- المصدر نفسه. ص 32. 33. .

6- المصدر نفسه. ص 178. 179 .

ومع أن العصر العباسي قد شهد تدفق غير العرب، وإقبالهم على اللغة العربية درساً وتعلماً مما أوجد كثيراً من الظواهر التي قد تمس انضباط اللغة الفصيحة، كاستخدام بعض الألفاظ الأعجمية أحياناً في الشعر – وإن كان على سبيل التظرف – والتملح، وظهور لكنات ولهجات متعددة، مما جعل اللحن أمراً ملحوظاً، لكن اللغويين كانوا بالمرصاد وتصديا لكل هذه الظواهر، مما جعل الشعراء يحرصون على فصاحة لغتهم ونقائها. كما جمع اللغويون مادة شعرهم القديم، ووضعوها تحت أعين هؤلاء الشعراء مشروحة مفسرة إذن نقول : هل الموازنة كان لها هذا التأثير الكبير في الدراسات النقدية؟ وهل تمكنت الموازنة في إبراز القدرة على الحكم على الأعمال الأدبية ؟ وهل يمكن أن نسمي الموازنة أداة نقدية؟ أو أداة قياسية بمعنى آخر ؟

إن فكرة الموازنة من هذه الأفكار التي كان لها تأثير كبير في الدراسات النقدية التي أسهمت في بلورة النظرة النقدية لشعرنا العربي، منذ مراحله الأولي، فقد كان الشعراء يعقدون المناظرات فيستمع إليهم الناس فيفضلون أحدهم عن الآخر .

كذلك أسهمت الموازنة في إبراز القدرة على إصدار الأحكام على الأعمال الأدبية وبيان ما بها من جمال أو قبح، فالموازنة تسهم في إبراز هذا الجمال أو هذا القبح، إذ أمكن التفاضل بين الأعمال وتقديم عمل على آخر، فهي شئ مهم في النقد وأداة لها تأثيرها في الوصول للأحكام، واستبانه عناصر الجودة والرداءة في كلا العملين، كما أنها وسيلة من وسائل المعرفة، فهل نستطيع أن نصل إلى المعرفة بغير المقارنة؟

وأن نعرف إلا ما نجد له شبيهاً في أنفسنا أو خارجاً عنا ؟ ليس معنى ذلك أن النقد لابد أن يكون قائماً على الموازنة بين عملين فقط، فقد يقوم في أحيان كثيرة على تحليل وتقييم عمل واحد، ولكن الأمر المهم هو أن هذا الحكم أو التمييز بين العملين لابد أن يكون قائماً على أسس فنية متفق عليها، ومتى عرف ووصل الإنسان إلى هذه الأسس فمن الممكن أن يعممها على سائر الأعمال المناظرة، وإذا

اهتدى الناقد إلى سبب الجمال فليؤمن أنه مطرد في كل مكان من القول، لأنه من غير المعقول أن يكون الشيء له أثر في موضع وليس له أثر في موضع آخـــر، وإيمان بذلك يدعو إلى وضع القواعد التي تتخذ مقاييس للجمال.

ولا نعثر على فكرة الموازنة باعتبارها مصطلحات نقديـــة إلا فـــي فتـــرة متأخرة نسبياً إبان القرن الرابع الهجري، حين نلتقي مـــع أول مـــؤلفين نقـــديين موضوعيين وهما كتاب الوساطة للجرجاني (342 هـــــــ) والموازنـــة للآمـــدى (360 هـــــ) فقد جسدا الموازنة بين النصوص، كمنهج نقدي أساس، له مقوماتـــه ومبادئه وإجراءاته للكشف عن قيمة هذه النصوص، وإحلالها مكانها بين نظائرها بياناً لما بينها من تداخل، وإضاءة للغتها، وما توظفه من نظم وعلاقـــات تتصـــل بالبديع، ومن ثم تتجلى بنية النصوص وأصالة مبدعيها. وقـــد ألمـــح إلـــى ذلـــك مصطفى ناصف " احتفل النقد العربي بفكرة الموازنة بين المعاني ورد بعضها إلى بعض وتعقب أسرة المعنى عند السلف والخلف جميعاً، ولذلك من الممكن أن نقول إن أهم ظاهرتين في هذا النقد هما : تعقب المعاني والموازنة بينهما.

الموازنة وعلاقتها بالنقد الموضوعي :

للنقد الأدبي مناهجه المتعددة التي تختلف طبقاً للتيارات الثقافيـــة والفلســـفية المتباينة لكننا لن نتوقف عند مناهج النقد الأدبي ومدارسه إلاّ ما يلامس موضـــوع الدراسة، ولذا فإننا سنحاول أن نتبين علاقة الموازنة بالنقــد الموضـــوعي ممـــا يستدعي أن نشير **إلى** :

النقد ألتأثري أو الانطباعي أو الـــذاتي فإذا كان النقد في أدق معانيه هو"فن دراسة الأساليب [1] فإن هذا النقد إمّا أن يكون نقداً موضوعياً أو نقداً ذاتياً، فـــإذا أردنا أن نتعرف على المراد بالنقد الذاتي فإننا نجد أن النقد القائم على رد الفعـــل الفردي إزاء عمل من الأعمال دونما رجوع إلى قواعد ثابتة، أو هو النقـــد الـــذي يعبر فيه الناقد عن ذات نفسه، وعن انعكاس أثر العمـــل الأدبـــي علـــى فكـــره، ومشاعره والذاتيون يرون إن جمال التطور الأدبي إنما هو نتيجة لإحساس نـــابع من النفس، بمعني أن يكون راجعاً إلى الظروف النفســـية المحيطـــة بالشـــخص المتذوق، ولذا ينكر هؤلاء الذاتّيون أن تكون هناك أحوال فنية موضوعية مســـتقلة عن رد الفعل من جانب المتذوقين، ويمكن القول بأن النقد الذاتي طبقاً لهذا التصور أساسه الميول التي تسيطر على الناقد عند تصديه للعمل الأدبي "النقد الذاتي هـــو الذي يكون أساسه الميول والأحاسيس والإنفعالات الصادرة أو المعبرة عـــن ذات الناقد أو مستقبل النتاج لأنه لا يخضع في أحكامه لأصـــول مرســـومة أو قواعـــد معبره وإنما يصدر حكمه تبعا لتجاوب شعوره مع شعور صاحب الأثر".[2]

أما النقد الموضوعي فإنه ينبني على قواعد وأسس ونظريات لابد أن تطبق كما تطبق النظريات والقوانين في العلوم الطبيعية، ((أما الموضـــوعيون فـــإنهم يرون سر الجمال وفلسفته إنما يكمنان في روعة الشئ نفسه، وهـــذا بالضـــرورة يستلزم وضع القوانين المرتبطة بقيم الأشياء، والحكم علـــى أســـاس خصائصـــها الخارجية، وأبرز هذه الخصائص عندهم الاتساق، والانسجام الألوان، والأشـــكال والأساليب، أو النعمات سواءأكان ذلك الانسجام طبيعياً أم كان صناعياً، وأساس

1- في النقد والأدب – محمد مندور– لجنة التأليف والترجمة، 1952 .م، ص7.

2- القاضي الجرجاني وكتابه الوساطة– د. صلاح الدين عبد التواب – دار الطباعة المحمدية بالأزهر، 1975 .م، ص 90 .

هذا الانسجام هو الوحدة مع النقد أي اجتماع عناصر مختلفة بحيث يكون وحدة مترابطة الأجزاء متناسقة العناصر والجمال على هذا صفة خارجية يكمن تحقيقها في عالم المادة أو عالم المعنى)). [1]

ولا يمكن تطبيق هذه القواعد والأسس التي ندرسها في النقد الموضوعي تطبيقاً آلياً وإنما تظهر مهارة الناقد عند التطبيق.

ولكن قد يميل البعض إلى النقد الموضوعي، ليبعد تأثير العنصر الشخصي عن الأحكام لأن في التحليل والتبرير والمقارنة دعوة للإقناع والتعميم، وهذا يبعد النقد الموضوعي عن طغيان ا لعنصر الشخصي، ويجعله ملتزماً بالحيدة والحذر ثم يدفعه إلى تعليل الأحكام بالأسانيد والدراسة التحليلية، حتى تخرج من حيز الخصوص إلى حيز العموم وحتى يتقبلها الناس بقناعة ورضا.

ولا يمكن أن يكون النقد الذاتي بمفرده كافياً في الحكم على العمل الفني لاختلاف أهواء الناس وميولهم، فما يرضي إنسان ليس بالضرورة أن يرضي الأخر، كما أن الفن ليس فوضى تخضع للأهواء وإنما يكون في حاجة إلى ضوابط تقنيات " النقد الذاتي قائم على التأثير الشخصي ولذا فإنه لا يكفي للحكم على العمل الفني لأنه ليس في مقدور أي شخص أن يسمو بانطباعاته إلى درجة القوانين ". [2]

فسيولة العواطف، وتحكم الهوى يفسدان أي حكم، مما يؤثر على مصداقيته ولذا فمن الضروري استبعاد كافة هذه المؤثرات، حتى ينضبط الحكم ويكون مقنعاً "فالناقد الموضوعي يستبعد التأثيرات الاجتماعية والتاريخية أو التدقيق الانفعالي الذي لا يخضع لنظام وإنما يركز اهتمامه على ما هو كامن في العمل لا يخلط بين استجابته المباشرة وبين التقدير ". [3]

1- القاضي الجرجاني وكتابه الوساطة- د. صلاح الدين عبد التواب - دار الطباعة المحمدية بالأزهر، 1975 .م، ص 91 .

2-نظرية الأدب، ص 320

3-النقد الفني، ترجمة فؤاد زكريا، ط2، 1981، ص 741

وقد كان الإعجاب بالنتائج التي حققها المنهج الموضوعي في مجال العلوم الطبيعية سبباً وراء الاستعانة بالمنهج العلمي الموضوعي في نقد الأعمال الأدبية، حيث تصل القوانين أحياناً إلى رأي الثبات، كذلك رغبة هؤلاء النقاد في أن يحققوا للنقد وللأدب مثل ذلك بجانب الخوف من قبل الذوق الشخصي وانحرافه " ومن هذا الخوف الباطل نشأت محاولات خطيرة من النقاد تريد أن تخضع النقد للمذاهب العلمية التي تحاول وضع قوانين عامة للأدب، وترمي إلى تطبيق هذه القوانين على الآثار الفنية فما صلح من هذه القوانين كان جيداً، وما تعارض معها كان رديئاً مثل هذه المحاولات تتنافى أصلاً وموضوع الأدب ". [1]

يتضح من ذلك إن كل علم من العلوم يجب أن يستبعد قوانين من طبيعة هذا العلم، فموضوع الأدب غير محدد، أي ليس له دقة العلم وموضوعه، ولذا يجب أن يكون للأدب قوانينه الخاصة. التي لابد أن تكون مخالفة شيئاً ما، ولذا فإن الرجوع إلى الذوق أمر لا مفر منه في الحكم على الأثر الفني وتقديره، ولكن الذوق الذي نتحدث عنه ليس الأثر النفسي السريع الذي يتركه في نفوسنا بيت من الشعر أو تلك المتعة المؤقتة الخاطفة، وإنما هو الذوق المثقف المدرّب.

فلا يمكن لأي حال من الأحوال أن تحكم على الشعر باعتباره ظاهرة طبيعية تخضع خضوعاً صارما لحتمية القانون وجهامته، حيث إن الظاهرة الشعرية كثير ما تنفلت من القانون، وتضيق به لأن لها قانونها الخاص بها.

ويبدو الاختلاف واضحاً بين طبيعة التعبير في الأدب وطبيعة التعبير في الموضوعات العلمية، حتى في اللغة المستخدمة، فإذا كانت اللغة هي أداة التعبير والكلمة هي المادة التي تتشكل منها الأعمال الفنية، ويعبر بها عن العلوم المختلفة، نرى إن لغة العلم وألفاظه وطرائق تعبيره تختلف إلى حد ما عن لغة الشعر وألفاظه، حتى من ناحية التشكيل والصياغة على الأقل " الشعر إذاً

1- قضايا النقد الأدبي، ص 420.

يخالف العلم من جهة استخدامه للألفاظ، حقيقة أننا نجد فـــي القصـــيدة أفكـــاراً محددة ولكن التحديد هنا لا يرجع إلى أن الشاعر يختار ألفاظه منطقياً كما يفعل العالم قاصداً معنى واحدا حاجبا أي شبهه في إمكان قصد أي معنى آخر وإنما هو العكس ".[1]

ويستبعد البعض الموضوعية في الأدب والنقد تماماً " لا يمكن أن يوجد ما نسميه بالنقد الموضوعي، كما لا يمكن أن يكون الفن موضوعياً وإن كل من ينال منه الغرور بحيث يظن أنه في ما يكتب يكتب عن شئ آخر سوي نفســـه، فهـــو ضحية وهم باطل سافر، فالحقيقة إن الإنسان لا يستطيع أن يتعدى أو يسرح دائرة نفسه ولذا كان من الأفضل أن نتقبل هذا الوضع كما هو، وأن نعترف عنـــدما لا نستطيع السكوت أننا دائماً نتكلم عن أنفسنا ... ". [2]

وخلاصة القول انه لا يمكن الفصل بصورة قاطعة بين النقد الذاتي والنقـــد الموضوعي ، ويمكننا أن نضيف كذلك أن العلاقة بين الموازنة والنقد الموضوعي علاقة وثيقة وقوية، فالموازنة أداة من أدواته كما أسلفنا، كما أنها تسهم في تأكيـــد وإظهار موضوعيته، كما تسهم الموازنة في وضع القواعد وسن التقنيـــات التـــي تساعدنا في تقييم الأعمال الأدبية، والحكم عليها وتجنبنا إلى حد كبير النقد الـــذاتي ألتأثري.

أما النقد الأساسي أو النقد الخاص فخيّر له أنه يعتمد علـــى شـــيء أقـــوى وأمتن من مجرد أثر تحدثه في النفس ميول شخصية، أو طوارئ عاطفية، ولقـــد كان الشطر الأكبر من تاريخ النقد عبارة عن محاولات أريد بها سن أحكام للنقـــد، وكان أكثر ما يعتمد عليه هذا هو المقارنة بين المزايا التي امتازت بها عدة قطـــع أدبية متماثلة، والوسائل التي انتهجت في إنتاجها ... غير أن الأحكام المبنية على أمثلة خاصة في ناحية من نواحي الأدب لن تكون لها القوة المطلوبة التي يمكـــن الركون إليها فكثيراً ما ظهر قصور تلك الأحكام المرة بعد المرة ".

1- العلم والشعر، ترجمة مصطفى بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت)، ص 73
2- مختارات من النقد الأدبي، ص 39

إن موضوعية الموازنة قد لا تأتي من التحليل والإحصاء وحـــدها، وإنمـــا تأتي من التزام الحيدة ونشدان العدالة عند محاولة الحكم، ولكن رغم كل ذلك تبقى هناك مساحة ما توضع في الاعتبار تعبر من خلالها الذات عن نفسها في حريـــة وبلا قيود .

2- مراحل تطور الشعر وشرحه

من المفيد لدي المتتبع لحركة شرح الشعر في العصر الجاهلي أو ما يعرف بعصر ما قبل الاسلام أنْ يدرك أن العرب كانوا في تلك الفترة التي سبقت ظهور الاسلام تجمعهم بيئة واحدة، توحد بينهم علاقات وعادات اجتماعية مترابطة لاينفك أحدهما عن الآخر، فقد سادت بينهم اللغة الواحدة في حياتهم المعيشـــية والأدبيـــة تترجم أحاسيسهم وتجاربهم الوجدانية التي كانت تـــأتلف حـــول مشـــاعر واحـــدة ومتشابهة، فقد ظلوا على سليقتهم الأولى التي تساعدهم على فهم أدبهم وأشعارهم دون أن يكونوا في حاجة إلى تفسير معنى، أو شرح كلمة، لأنهـــم- دون شـــك – كانوا يتفهمون لغة شعرائهم، وطبيعتهم وأغراضهم، وتجاربهم الوجدانية، وميولهم ودوافعهم التي دعتهم إلى نظم أشعارهم (1) وإن استغلق معنى من المعـــاني علـــى المتلقين، أو كانت تلك الأشعار من المفردات أو الملابسات ما هـــو وليـــد حـــدث محلي، أو تجربة خاصة اقتصرت في بعض أجزاء النص إلى معالم توجه معانيها وتفتح مستغلقها وتوضح مارمى اليه الأديب (2) ومن ثم يحتاج الشاعر مـــنهم إلـــى شرح شعره، ومما يؤكد ما ذهبنا إليه ما روى عن العجاج أن عمة جده رأت امرأ القيس وهو يشرب طلاء له مع علقمة بن عبدة، فسألته عن معنى استغلق عليه في قوله " لاكركّ لأمين نابل "(3) من قوله : (من السريع)

نَطْعَنُهْم سُلْكَىَ ومَهْلوجَةً   كَرَّكَ لأْمَينِ على نَابِلِ

---

(1) ينظر شروح حماسة أبي تمام، ج1 : محمد عثمان على، دار الاوزاعي، بيروت لبنان " ج 1، ص 57.

(2) ينظر منهج ابي العلاء في شرح الشعر، الزرقاني عجاج، أطروحة دكتوراه ، ص 108 في الأدب العربي –جامعة محمد الخامس، الرباط، 95-96.

(3) الشعر الشعراء ط دار الثقافة بيروت ، 1- 181.

فأجاب : مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش لؤاما وظهاراً فما رأيت أسرع منه ولا أحسن فشبهت به " [1] ومن ذلك أيضاً ما رواه ابن قتيبة عن الرياشي عن رواته أن عبيدا راوية الأعشى سأل الأعشى: عن معنى استغلق عليه

في قصيدتة " رحلت سمية غدوة اجمالها " في قوله :

ومدامةُ مِمَّا تُعتّقُ بابلُ　　　كدمِ الذّبيحِ سلَبتهَا جرْيالها

فأجابه " شربتها حمراء وبلتها بيضاء "[2]

ذلك ما كان عليه شرح الشعر في عصر ما قبل الاسلام لايتعدى سواء أكان شرح كلمةٍ أم تفسير معنى أم صورة طريفة أبدع فيها الشاعر، فأتى بجديد غير مألوف، فلما جاء الاسلام لم تكن الحاجة إلى شرح الشعر ذات أهمية مثلها في ذلك ما كانت عليه في العصر الجاهلي، بل كانت تقتصر على تفسير كلمةأو وقوف على خبر يتصل بالشعر ذاته أو قائله، ومن ذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه سمع في يوم بدر على بن أبي الزغباء وهو يرتجز : (من الرجز)

أنا عديٌّ والسَّحلْ　　　أمشى بها مشيَ الفحلْ

فلما تجلت الغزوة بانتصار المسلمين ناداه النبي ﷺ وسأله :وما السحل؟ قال الدرع فقال النبي صلي الله عليه وآله وسلم : ((نعم العدي عدي بن أبي الزغباء))[3]

لكن الذي يجب أن نشير اليه في هذا الخصوص أنه عندما انتشر الإسلام واكتمل نزول القرآن ودخل الناس في دين الله أفواجا عرب وعجم تطلب الأمر إلى معرفة معاني القرآن الكريم، وتفهم ألفاظه، الأمر الذي جعل الإهتمام بالشعر والإفادة منه في تفسير القرآن الكريم ذا أهمية بالغة، ومما يدل على صحة هذا الرأي ما نلمسة في قول رأس المفسرين عبدالله بن عباس –رضي الله عنه – الذي جاء فيه " إذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب وكان

---

[1] التنبهيات على اغلاط الرواة، تحقيق : عبد العزيز الميمني، ص 89.

سكلى : طعنا مستوياً أو أمام الوجه : الكر : الرد اللامُ : السهم مخلوجة : معوجة .

[2] الشعر الشعراء ج18/1

[3] مغازي الواقدي، ص60.

–رضي الله عنه – عارفا بالشعر وما اتصل به من أخبار يفسره في دقة متناهية، وإحاطة تامة، سأله أعرابي ذات يوم عن ذي الحلم الوارد في قول المتلمس :

لذي الحلمَ اليومَ أنْ تُقْرَعَ العَصَا   وَمَا عَلِمَ الإنْسَانُ الاَّ ليعْلَمَا

فأجابه: " ذاك عمرو بن حممة الدوسي قضى على العرب ثلاثمائة سنة فكبر فألزموه السابع من ولده وكان معه، فكان الشيخ إذا غفل كانت بينه وبنيه أن تقرع العصا حتى يعاوده عقله وذلك قول المتلمس اليشكري من بكر بن وائل " لذِي الحلمِ اليومِ أنْ تُقْرَعَ العَصَا " (1)

واعتقد أنه من خلال هذه الأمثلة الموجزة نكون قد أوضحنا شيئا من المحاولات الأولى لشرح الشعر التي بذلها الشعراء والرواة لتفسيره منذ القدم، فوصل إلى أيدي الطبقة الأولى من الرواة والعلماء كاشفا عن بعض مفرداته، وعباراته ومعانية، وقد ذهب أحد الباحثين إلى القول في هذه المجال " إن الرواة الأول للشعر الجاهلي لم يرووا الشعر مجرداً، بل ألبسوه الكثير من الأخبار والملاحظات والعوامل المساعدة على فهم النص، فكانوا المصدر المهم والأساسي الذي استقى منه الرواة من العلماء فيما بعد الكثير من اللمحات التفسيرية، والأخبار التاريخية، التي تكشف وجه النصوص وتجلي قسماتها .

ومما لا شك فيه أَنه كان في هذه القبائل رجال عالمون بالشعر مدركون لمعانية ، حافظون لأحباره، والوقائع التي فيها، فهذا أبو عمرو بن العلاء يقول عن بيت امرىء القيس الذي يقول فيه : (من السريع)

نطعنهم سُلكى ومَهْلوُجةً   كَرّكَ لأمَيْنَ عَلَى نَابلِ (2)

كنت أسمع منذ ثلاثين عاما هذا البيت فلم أجد احداً يعلمه حتى رأيت أعرابيا بالبادية فسألته عنه ففسره لي " (3)

ومن ملامح شرح الشعر الأولى للشعر العربي ما روي في كتب التفسير والأمالي، والتاريخ، والأنساب من أشعار استخدمت في توضيح آي القرآن الكريم،

---

(1) في محاسن الشعر ونقده : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج1، ط5، دار الجيل –بيروت، 1981، ص 30.

(2) ديوان امرئ القيس " طبعة : دار صادر، د.ت، ص 148.

(3)المصدر السابق، ص 121

أو بسط موضوع، أو تأييد حادثة تاريخية، وكانت هذه المصادر تتعرض إلى شرح بعض المفردات أو العبارات التى ترد في الشعر من ذلك ما لاحظناه في هذه الأمثلة : قال أبو على القالي " أخبرني أبوبكر الأنبا ري عن أبيه قال "أتى أعرابي إلى ابن عباس فقال : (من الطويل)

تُخوفنَي مالي أخُ لي ظالمُ　　　　فلا تخذ لني اليوم ياخَيَر مَنْ بَقَى

فقال : تخوفك أي تنقصك ؟ قال نعم : قال الله أكبر " أو يأخذهم على تخوف : أي تنقص من خيارهم "

وقال أبو على أيضا " أنشدنا أبوبكر بن الأنباري قال " أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحي لرؤبة بن العجاج : (من الرجز)

وقد أرى واسع جيب الكُمِّ　　　　أسفر عن عمامة المعتم

عن قصب أسحم مدلهمّ

فقال أبو العباس : قوله : أرى واسع جيب الكم معناه وأرى شابا رخى البال يقال : فلان واسع الجيب إذا كان رخي البال قليل الأكترات وأسفر اكشف أي أبدى شعري لسواده وحسنه والقصب هاهنا الشعر والأسحم الأسود (1)

وفي السيرة النبوية ماروي أن رجلاً من حمير قال : (من الخفيف)

لاه عيْنًا الذي رأى مِثْلَ حسَّا　　　　ن قَتيلاً فِي سَالفِ الأحْقَابِ

قَتَلتهُ مَقاولُ خِشْية الجَيّـــــــ　　　　ـشِ غداةِ قالوا لبَابِ لبَـــــابِ

قال ابن اسحاق (لباب لبابِ) : لاباس لابأس، بلغة حمير " هذه الأمثلة التي عرضناها إن دلت على شي فإنما تدل على ما كان عليه شرح الشعر في العصر الجاهلي وفي العصر الاسلامي، أوردناها لنؤكد بها على صحة ما ذهبنا إليه .

3- شرح الشعر حتى عصر المتنبي :

لا يمكن الجزم بقولٍ على تسمية علماء ورواة الشعر في مراحله الأولى شراحا للشعر، لأن ما وصل الينا على أيديهم اقتصر على الرواية وهو ما كان يسعي إليه هؤلاء العلماء في شرحهم للشعر، إذ كان على شكل مصنفات مستقلة، أم على شكل نقولات وردت في مصنفات تلاميذهم، وجل مادلتنا عليه هذه

---

(1) ينظر الأمالي لأبي على القالي، ج2، المكتب التجاري بيروت، د ت، ص 112.

المؤلفات أن علماء الطبقة الأولى من الشراح كان هدفهم رواية الشعر وتدوينه للإفادة منه في تدوين اللغة، والاستشهاد به على مسائل النحو، وكان هذان العلمان يدرسان في بدء الأمر لأجل القرآن الكريم والحديث الشريف)) [1] إلا أنه من المؤكد أن رواية الشعر قد ارتبطت بشرحه، ذلك لأن شرح الشعر كان جزءاً من الرواية [2] إذ كان من هؤلاءِ العلماء من اشتغل في الشرح وتوضيحه، وإن كان الشرح غير مقصود لذاته، بل يأتي عرضا تأييدا للرواية، وكان ذلك في نطاق الرواية الأدبية الخالصة، وكان هذا الشرح من صميمها وجزءاً متمماً لها لا تستقيم إلا به[3] .

كما أن هذه الطبقة من الرواة العلماء لم تكن بمنأى عن الطريق الذي سلكه الرواة العلماء في شرح الشعر في القرن الأول[4] سوى ما نجده في التوسع في الرواية اللغوية والأخبار، مع بعض اللمحات من حيث الألفاظ والمعاني، إذ كان جل اهتمامهم [5]. ((منصباً على جمع الشعر القديم وما يصاحبه من أخبار وأنساب وتفسير لما صعب فهمه من غريبه ومعانيه، هذا وقد أخذ هذا منهم وقتا وجهداً شاقين وعملا دؤوبا من خلال رحلاتهم المنتظمة إلى البادية لجمع الشعر وأخباره من أفواه رجالها، وإن كان قد عاد عليهم بالأموال الوفيرة ونجد في صدارة هولاء العلماء أبا عمر بن العلاء ت(154هـ) فقد كان يجمع طوال حياته أشعار العرب القدماء، ملحقا بها شروحاً مع بعض الملاحظات اللغوية، إضافة إلى ذلك المفضل الضّبي ت(168هـ) وأبو الخطاب الأخفش ت (177هـ) وخلف الأحمر ت (180 هـ) ويونس بن حبيب ت (182هـ)، كما أن حماداً (156هـ) الراوية كان أحد رواة المدرسة البصرية))[6]

---

[1] ينظر : شروح الحماسة، محمد عثمان على، ج1، ص 57

(2) ينظر : شروح الحماسة، محمد عثمان على، ج1، ص 591

[3] ينظر : منهج أي العلافي شرح الشعر ، الزرقاني عجاج، أطروحة دكتوراه، ص 113

[4] شرح الشعر الجاهلي : جمال أحمد العمري : ج1، ص 257.

[5] تاريخ الأدب العربي : لبرو كلمان، ج1، ترجمة عبد الحليم النجار – دار المعارف بمصر، ط3، 1974، ص129

[6] ينظر : شروح الحماسة، محمد عثمان، ج1، ص 61.

ومن الأمثلة على ما أشرنا إليه سلفا نجد أبا عمرو بن العلاء يقول في شرحه لبيتي الحارث بن حلزة : (من الخفيف)

إن إخْوَانَنَاَ الأرَاقِمُ يَغْلُو نَ عَلَيْنَاَ فِي قَوْلِهَم أَخْفَاءُ

زَعَمُوا أَنَّ كلَّ مَنْ ضَرَبَ العِيْـ ـرَمُوالٍ لنَا وَأَنَّا الوَلاَءُ

فيشرح " إن إخواننا يضيفون إلينا أذنب من أذنب إليهم ممن نزل الصحراء وضرب عيراً ويجعلونهم موالي لنا كما نجد المفضل الضبي يقول في بيتي شداد بن معاوية العبسي " (من الوافر) :

قَتَلْتُ سَرَاتَكمُ وحَسَلْتُ مِنْهم حَسِيلاً مَثْلاً ما حُسِلَ الوَبَارُ

يقول : أفنيت شراركم وقتلت خياركم وأَبقيتُ أراذِلَكم " [1] أما في مناسبات الشعر وأخبار الشعراء المتصلة به نجد أمثلةً مختلفة في كتاب أمثال العرب للمفضل الضبي، فمن ذلك ما رواه من خبر أبيات لقيط بن زرارة الدالية قال : " كان بين لقيط بن زرارة وبين رجل من أهل بيته يقال له : زيد بن مالك ملاحاة فعيره زيد، بتركه النكاح، وقال إن أكفاء أهل بيتك يرغبون عنك، ومن غيرهم من العرب عنك أرغب فلما زوجه قيس قال (من الطويل) :

أَلَمْ يَأتِ زَيْداً حَيْثُ أُصْبحُ أننْيَ تَزَوْجَتها إحْدى النِّساءِ المَوَاجِدِ

عَقَيْلةُ شَيْخٍ لَمْ يَكُنْ لينَالهَا سِوىَ عُدسَيٌّ مِنْ زُرَارَةَ مَا جِدِ [2]

كما أنهم لم يقفوا عند حد الرواية، بل نجدهم يخوضون في تقديم الشعر ومحاولة تمييز جيده من رديئة وكانوا يفاضلون بين الشعراء وأحيانا بين القصائد، فابن سلام مثلا يشير إلى قول يونس بن حبيب أن ((عيوب الشعر أربعة : الزحاف، السناد، والأبطاء، والإكفاء، وهو الإقواء، والزحاف أهونها، وهو أن نيقص الجزء من سائر الأجزاء فينكره السامع ويثقل على اللسان))[3]

كما يذكر ابن قتيبه لنا قول أبي عمرو بن العلاء في نابغة بني ذبيان وبشر بن أبي خازم الأسدى، وقد جاء فيه " فحلان من الشعراء كانا يقويان، النابغة،

---

[1] أمثال العرب للمفضل الضبي، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي بيروت، ط 2، 1983. ص 191

[2] نفسه، ص 84

[3] الشعر الشعراء، ج1، ص 190.

وبشر بن أبي خازم فأما النابغة فدخل يثرب فغنى بشعره ففطن ولم يعد للإقــواء، وأما بشر فقال له أخوه سوادة، إنك تقوي، قال : وما الإقواء ؟ قال قولك "

أَلْم تَرى أَنْ طُولَ الدَّهرِ يُسلي ويُنْسي مِثْلَ مَا نُسيتْ حُذَامُ

ثم قلت :

وكَانوا قَوْمنَا فبَغوا علَيْنَا فُسقْناهُمُ إلى البَلدِ الشَأَمِ

فلم يعد للإقواء" [1]

وأما المفاضلة بين الشعراء فقد أشارت المصادر المختلفة إلى آرائهم فــي هذا الشأن، من ذلك قول أبي عمرو بن العلاء في شعر الأعشى العلو والانحدار : ((مثله مثل البازى يضرب كبير الطير وصغيره)) ويقول نظيــره فــي الإســلام جرير، ونظير النابغة الأخطل، ونظير زهير الفرزدق[2] كما نلاحظ أن المفضــل الضبي ينقل قول الفرزدق حيث يقول ((امرؤ القيس أشعر الناس)) أما ابن ســلام فإننا نجده ينقل رأي أبي عمرو بن العلاء في تفضيله خداش بن زهير على ((لبيد، وأبى الناس الاتقدمة لبيد))[3] وهكذا نرى أن هؤلاء العلماء الــرواة الأوائــل قــد أثمرت جهودهم وأتت أكلُها، وحققوا في اهتمامهم بجمع الشعر وروايته وتدونيــه عناصر مختلفة تتصل بشرح الشعر ونقده، الأمر الذى هيا لتلاميذهم إيجاد قاعــدة صلبه يرتكزون عليها في شرح الشعر، وفي وجود أفق أوسع ومجال رحب ممــا كانت عليه في زمن أولئك العلماء .

والحق أن علماء الطبقة الثانية من العلماء أمثال أبي عبيدة معمر بن المثني وعبد الملك بن قريب الأصمعي، وأبي زيد الأنصاري وابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني وكذلك الطبقة الثالثة، أمثال الرياشي، ومحمد بن حبيــب وأبــي حــاتم السجستاني وابن السكيت، والمازني قد خطت خطوات بعيدة فــي شــرح الشــعر تضمنت جميع عناصر الشعر من رواية ولغة، ونحو، ونقد، مثلمــا اعتمــد رواة الطبقة الثانية على أيدي أساتذتهم من علماء الطبقة الأولى، ويزيدون عليه ما أخذه

---

[1] الشعر والشعراء ، ابن سلام الجمحي ، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، د ، ت، ص 61.

[2] المصدر السابق، ص 190.

[3] طبقات الشعراء : ابن سلام الحممي، ص 61 .

هؤلاء الشيوخ من الطبقة الأولى فإن ابن السكيت السجستاني وغيرهم كـان جـل اعتمادهم على الأصمعي في تفسير اللغة، والشعر، والرواية لكنهم كانوا لا يقفون عند ذاك، بل يضيفون ويدلون بارآئهم، وأحيانا نجدهم يخالفون أساتذتهم فيما نقلوه عنهم[1].

لكن الذي تجدر الإشارة إليه في هذا الشأن أن هؤلاء العلمـاء لـم يتجهـوا اتجاها واحدا في شرح الشعر، بل كانت تخصصاتهم مختلفة، فمنهم من اتجه نحو قضايا اللغة ومعانيها، ومنهم من يميل إلى الغريب مثل الأصمعي، ومنهم من اهتم بالقضايا النحوية مثل الأخفش، وبعضهم استغرق جهده في الأخبـار والأَنسـاب والأيام مثل أبي عبيدة معمر بن المثنى .

من خلال استعراضنا لبعض النماذج من شروح هذه الطبعة مـن العلمـاء ندرك المنهج الذى سلكوه أثناء شرحهم للشعر ومن ذلك شرح محمد بـن حبيـب لبيت جرير :

إنَّ الزِّيارةَ لا تُرْجَى ودُونُهمُ   جَهْمَ المُحُيَاّوفي أَشْبَالِهِ غَضَفُ

يقول " المحيا، الوجه، والجهم : الكرية، شبه قيمها بالأسد، والغضف، شرخاً بالأذن [2]

أما علماء الطبقة الثالثة من شراح الشعر قد وجدوا رصـيدا ضـخماً مـن الدواوين أمامهم ومن أخبار العرب وأيامهم وأنسابهم، أضف إلى ذلك أقوال الرواة من تفسير لبعض الألفاظ وشرح لعدد من الأبيات التي سـبق وأن تعـرض لهـا الشراح السابقون من علماء الطبقة الأولى، الذين بذلوا جهداً في تصحيح وتنقيح ما تركه أسلافهم، متبعين خطاهم سالكين منهجهم الذي رسموه لهم، بذلك صارت هذه الطبقة من الشراح أوسع ثقافة، وأكثر دراية لجميع صنوف المعرفـة، فوضـعوا أيديهم على مصادر اللغة والشعر والأخبار [3].

---

[1] ينظر : شروح الحماسة ، محمد عثمان، ج 1، ص 65

[2] المصدر السابق، ص65 .

[3] ينظر : منهج أبي العلاء في شرح الشعر ، ص 118 .

ويمكن القول : إن هذه العوامل قد مهدت لإبراز مواهبهم في شتى ميـــادين المعرفة من لغة، ونحو، وشعر، وأخبار، وأنساب مما أدى إلى امتداد نشاط هـــذه الطبقة من العلماء إلى الأجيال السابقة من الرواة العلماء ودعماً لهم، ففاضت فـــي مصنفاتهم أصداء هذه الجوانب العلمية المتعددة فقد اتفقت كلمة الـــرواة علـــى أن أبرز علماء هذه الطبقة " أبو عبيده معمر بن المثنى (210 هــ) وابن الأعرابـــي (231هــ) وأبو عمر الشيباني (231هــ) وعبد الملـــك بـــن قريـــب الأصـــمعي (261هــ) هؤلاء جميعا رواة شعر ورواة لغة، وأخبار وأنساب ومن هنـــا كانـــت العناية باللغة الطابع السائد في شروحهم [1] ويلاحظ الباحث أن حركة شرح الشعر قد لمست نوعاً من التطور على أيدي هولاء العلماء، وهذا ما جعل أحد البـــاحثين يذهب إلى القول : " وبين رجال هاتين الطبقتين تطورت حركة شـــروح الشـــعر تطوراً ظاهراً في الاملاء والتصنيف، فقد كان أكثر مدوني المصـــنفات الأولـــى يثبتون القصيدة أو المقطوعة كاملة يناقشونها من حيث معاني كلما تها وألفاظهـــا فيتبعونها تعليقاتهم "[2]، فكانت محاولاتهم التأليفية هذه أوعى وأضخم المحـــاولات التي بذلت في صنعة الشروح لكثير من الأشعار[3].

" فالسكري مثلا اعتمد في شرحه للشعر على محفوظه اللغوي من مجمـــوع أقوال علماء عصره، وما رووه عن الأصمعي وأبي عبيدة وابن الاعرابي، ولعـــل من أبرز ملامح منهجه في شرح الشعر ما كان يوليه للأخبار من اهتمـــام كبيـــر باعتبارها عاملاً فاعلاً يساعد في فهم الشعر وتبين مقاصد الشاعر، فهو قبـــل أن يتعرض لشرح لامية بن معقل بن خويلد ((يورد رواية عن الحلواني : " تحاربت بنو لحيان وبنو قضاعة وكان بعضهم لايزال يغزو بعضا فإذا أصابت بنو لحيـــان من قضاعة أحداً باعوه، وإذا أصابت بنو قضاعة أحداً من بني لحيان قتلوه حتـــى أخذت بنو قضاعة ابني عجرة عمراً ومؤملاً فأ سروهما وأرادوا قتلهمـــا، فخـــرج معقل بن خويلد بن واشلة بن مسحل في نفر أشراف من قومـــه بنـــي ســـهم بـــن

---

(1) ينظر منهج التبريزي في شروحه، تحقيق د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب ، ط1 ، 1974، ص 47.

(2) منهج أبي جعفر النحاس، في شرح الشعر، تحقيق عبد الستار فراج، مكتبة دار العروبة، ط. (د. ت)، ص65 .

(3) ينظر شرح أشعار الهنذليين، صنعة السكري، تحقيق فخر الدين قباوة ، ج1 (د. ت)، ص373.

معاوية، فأتي بني قضاعة وكان سيداً مطاعاً فلم يزل يكلمهم فيهما حتى أطلقوهما وقال يابني لحيان أثيبوا إخوانكم وأحسنوا فإنهم قد أطلقوا لكم أخويكم فبينما معقل على ذلك يلتمس لبني قضاعة الثواب إذ قيل له إن بني لجيان يريدون أن يقتلــوك ومن معك من قومك من بني قضاعة الذين شفعوك ويغدروا بك فاحذرهم فقال في ذلك معقل بن خويلد : أَبلْغ أَبا عَمْرٍ كِلِيهُمِا وَجَلَّ ذَبنْي دَهمْانَ عَنيّ المُرَاسِلاَ)) [1].

والسكَّري في شروحه يحرص على إسناد الأقوال إلى ذويها متوخيــاً فــي ذلك دقة الراوية الأمين الذي يعزو كل رأي إلى صــاحبه حتــى وصــف بأنــه ((الراوية الثقة المكثر))[2].

فجاء عمله متسماً بالجودة والإتقان، ولنتأمل شرحه لبيت أبي ذويب الهذلي :

إذا ارتْدت واقُصدَ عُصبةٌ مِنْهَا وقَامَ شَريدها يَتضَوَعُ يقــول فــي شــرحه " ويروى " يتضوع"، ويروى "حتى إذا ما الثور اقصد " " ارتدت " الكلاب، رجعت " أقصد" الثور " عصبة منها" و"الاقصاء" أن يبلغ منها مــالا بنجــو بهــذه وقــال الأصمعي: "يتضوع " ويستجدى ويتضاءل ... وقال الأخفش:

" أقصد عصبة " أي قتل جماعة وقال الأصمعي أيضا " فأقصــد عصــبة " بالرفع أي كفّ وبصبص الشريد للثور وخضع في صوته [3].

وهكذا ندرك أن شراح هذه الطبقة من العلماء هم امتداد لجهــود الأجيــال السابقة من الشراح، فجاءت في صورة متطورة جديدة لاتثير خلافــاً أو تصــور تضارباً بين الآراء أو اختلاف في وجهات النظر، مادام الغرض شريفا فجمعــوا بين الشروح المتعددة وانتقوا منها أحسن مافيها[4] .

ومع نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابــع الهجــريين تجلــت الــرؤى واتضحت ، وأخذت العلوم منحنى آخر فأتجه النشاط العلمي إلى التطبيــق بــدل التنظير مما أدَّى ذلك إلى البحث والاستقصــاء، والتعمــق ووضــوح مشــاربهم

---

[1] ينظر : ارشاد الاديب 8-94 .

[2] المصدر السابق 8-94.

[3] شرح أشعار الهندلين 30/1

[4] ينظر منهج أبي العلاء ج 1، ص 132

وتخصصاتهم، وميولهم، واتجاهاتهم العلمية المختلفة، الأمر الذي جعل عدداً مـــن العلماء أصحاب الميول العلمية المختلفة يبرز كل في دائرة تخصصة، وبذلك نجد من هؤلاء العلماء أبا محمد الأنباري المتوفي (304هـــــ) يهـــتم فـــي شـــرحه للمفضليات بالقضايا اللغوية والأخبار، التاريخية، أما ابنه أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري ت (328 هــ) فقد أعطى في شرحه للقصائد السبع الطوال اهتماما بالغاً للغة والنحو، أما إلى أبو جعفر النحاس ت (338 هــ) نجده يتجه في شرحه إلـــى البيت النحوي كما أن أبا رياش ت (339 هــ) يسلك في شرحه الجانب التاريخي، أما أبوبكر الخوارزمي فإنه قد وجه اهتمامه في شرح ديوان أبي تمام إلى إيضاح المعاني والتاريخ .

وما نلحظه في شروح هؤلاء ظواهر لم تكن معهودة عند الشراح الســـابقين منها: الإهتمام بعرض الروايات المختلفة، أو الإشارات النقدية وعرض المعـــاني بأسلوب أدبي تبرز فيه شخصية الشارح ومدى إدراكه لمعاني الشعر [1]

وفي ذلك يذهب العمري إلى القول : ((إنه في هذه الفترة نشأ نوع من الأدب يمكن أن نطلق عليه أدب الشروح مقابلا لشرح الأدب))[2] ولعل هذا الأمر جعــل بلاشير يقول: ((إن الشروح الأدبية ظهرت في مطلع القرن الرابع)) [3] .

ومن التغيرات الجذرية التي طرأت على حركة شرح الشعر على أيدي هذه الطبقة أنه بعد اقتصاره على الجانب التثقيفي صار عند ها وماتلاه مـــن الأجيـــال اللاحقه ((إلى مقصد تعليمي وبذلك توسعت دائرته كثيراً، فأصبح يدل على شـــئ غير قليل من التعمق في دراسة اللغة وتحليلها تحليلا يشمل جميع أجزائهـــا، مـــع مناقشة معانيها المختلفة، وكذلك دراسة مستفيضة للنحو ومشكلاته، وطـــرح آراء العلماء فيه، ومناقشتها من خلال النظرة المذهبية التي تتحكم في مسار الشـــارح،

---

[1] ينظر : منهج أبي العلاء في شرح الشعر، ص 133 .

[2] شروح الشعر الجاهلي : ج 1 ص 69-70.

[3] ينظر : المتنبي شاعر القرن الرابع والخامس الهجريين، رجيس بلاشار- ترجمة إبراهيم الكيلاني- ط دار الفكر-، ص 15.

هذا فضلا عن شرحهم للمعاني وما فيها من تأويلات قال بها من سبقهم من العلماء أو تأويلات مبتدعة اجتهدوا فيها))[1]

وبذلك وضعوا أمام قارئ شروحهم وطالب علمهم مائدة دسمة تحتوي على أصنافٍ متعددة من المواد العلمية، والتي هي حصيلة الجمع والجهد، والاستيعاب، والتمحيص، ليختار منها ما يلائم عقله، ويشبع نهمه، ويناسب ذوقه ويرضي ميوله، ويلبي رغباته وسنعرض لبعض الأمثلة التي تدل على مدى الجهد الذي بذله هؤلاء العلماء وأهم الملامح للمنهج الذي ترسمه كل واحد منهم ولنلاحظ ذلك في شرح أبي محمد الأنباري في بيت تأبط شرا .(من البسيط)[2]

ياعِيدُ مَالَكَ مِنْ شوق وإيْراقِ   ومرَّ طَيْفُ على الأَهْوالِ طرّاَّقِ

يشرحه فيقول : العيد يريد أنها المعتاد ما اعتاد الناس من مرض أو حزن ومنه قول الشاعر : (من الخفيف)

عَادَ قَلْبي مِنْ الطَّويلةِ عِيدُ   واعْترَاني مِنْ حُبهَّا تسهيدُ

قوله ياعيد يريد إنه المعتاد مالك من شوق وإيراق كقول : مالك من فارس، " قاتلك الله وأنت تريد بذلك مدحه " لا الدعاء عليه قال أبو عكرمة ورواها أبو عمرو الشيباني ياهند مالك من شوق وإيراق .

" الطيف طيف الخيال : قال الأصمعي : يقال طاف الخيال يطيف طيفا..."[3]

ولذا نرى أبا جعفر النحاس يشرح بيت عنترة بن شداد العبسي: (من الكامل)

حَلّتْ بأَرْضِ الزَّائرينَ فَأصْحَبتْ   عِسّراً على طِلابُها ابنةُ مخرَمِ

فيقول " حلت " نزلت و"الزائرون" الأعداء كأنهم يزأرون كما تزار الأسد[4]..

وقوله عسراً على منصوب على أنه خبر أصبح و" طلابها " مرفوع به واسم أصبح مضمر فيه، يقول : وعلى رواية أبي عبيدة جاوزت ويقال شطت الدار تشط

---

(1) شروح الحماسة :محمد عثمان على، ج 1، ص134.

(2) ديوان تأبط شراً، تحقيق : سليمان داوود، ط، النجف الأشرف، 1973، ص 25

(3) ديوان المفضليات، شرح أبي محمد الانباري، ص32.

(4) شرح القصائد التسع : النحاس ، ج–21 تحقيق محمد خطاب، دار المعارف، بمصر، د. ت، ص21.

وتشط إذا تباعدت واشط إذا حاد قال يقال : " ولاتشطط " ويذهب أبو عبيدة إلـــى أنه رجع من الإخبار إلى المخاطبة والعرب ترجع من الإخبار إلى المخاطبة ومما رجع فيه من الإخبار إلى المخاطبة قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ (1) ثم قال جلا وعلا : " ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً ﴾" (2)

وبذلك ندرك أن النحاس كان يتصدي لشرح الغريب من الالفــاظ، ويمــيط اللثام عن إعراب الكلمات في سبيل تقريب معانيها للمتلقي، ويغلب على منهجــه الإتجاه اللغوي في شرح الشعر .

بعد ذلك شهدت شروح الشعر تطوراً جديداً على ســبيل النقــد والتوضــيح والتحليل على أيدي علماء مثل ابن خالويه، والآمــدي، وأبــو علــى الفارســي، والنمري، وابن جني، والعسكري وغيرهم، وقد كان لهذه الطائفة من العلماء فضل كبير في جمع حصيلة كبيرة في مختلف العلوم والأفكار، ناهيك عــن اهتمــامهم الكبير بعلوم اللغة والأدب، إضافة إلى رصيدهم الوفير من الشعر العربــي علــى مختلف عصوره، وقد كان لهذه الثقافة التي تميزوا بها أثرٌ كبير علــى مؤلفــاتهم وشروحهم التي كشفت عن مدى قدرتهم على التفكير والتركيز في التعبير والتحديد والموضوعية في شرح الشعر وتحليله، فيما أسهم ذلك في نشاة علم النقد وتطوره، وقد بلغ النقد أقصى مداه من التقدم والرقي، وتعددت المؤلفات النقدية التي تتميــز ببحث أسباب الحسن والقبح في النصوص الأدبية.

أما ابن جني فإن جانب النحو والإعراب قد طغى عنده على بقية عناصــر الشروح الأخرى ، وقد أوضح في شرحه لديوان الحماسة المــنهج الــذي ســلكه يقول:" إنه سيعمل على بيان ما فيه من إعراب، واشتقاق، وتصريف، متجنباً شرح الأخبار، وتفسير المعاني، إلاَّ ما ينعقد بالإعراب، وقد سلك المنهج نفسه في شرح ديوان المتنبي مع اهتمامه بالجانب اللغوي"(3).

---

(1) سورة الإنسان الآية 21.

(2) سورة الإنسان الآية 22.

(3) شرح مستغلق الحماسة، ص1

مما جعل الواحدي يتعرض له بالنقد والتعليق فيقول : " أما ابن جني فإنه من الكبار في صنعة الإعراب، والتصريف والمحسنين في كل واحد منهما بالتصنيف، غير أنه إذا تكلم في المعاني تبلد حماره ولج به عثاره "[1].

ففي شرحه لبيت المتنبي يقول :(من الكامل)

مُثِّلتُ عَيْنَكِ في حَشايَ جِراحةً فَتَشَابها كلْتماهُما نَجْلاءُ

فيقول " كلتاهما نجلاء " وفي موضع نصب على الحال كأنه قال " فتشـــابها نجلاون " وإن شئت لم يكن للجملة موضع من الإعراب كقوله تعالى : ﴿ سيقولون ثَلاَثَةُ رابِعُهُم كَلْبهُم ﴾ فرابعهم كلبهم جملة لا محل لها من الإعراب " فتشابها " ولم يقل "متشابها " حمله على المعنى كأنه قال فتشابه المذكوران أو الشـــيئان وذهـــب بالعين إلى العضو بالجراحه إلى الجرح كما قال زياد الأعجم[2] (من الطويل)

إنَّ السَمَاحَةَ والمْروْةَ ضُمُّنا قَبْراً بِمَروٍ على الطرَّيقِ الوْاضِحِ

قيل إنه ذهب بالسماحة إلى السخاء والمرؤة إلى الكرم، وهذا شي فاش فـــي كلامهم، أما أبو هلال العسكري، فإن شرحه للشعر اشتمل على جوانب متعددة فهو يعرض للمعاني واللغة النحو، ويعرِّف بالشعراء ولكنه له جانب يســـتأثربه علـــى شرحه وهو جانب النقد، الذي لايفارقه في كل عنصر من مكونات شرحه فتـــراه يشرح بيتي أبي محجن الثقفي : (من البسيط)

وَقَدْ تَقومُ على رَأْسِ مُغنْيـــــةٍ إذا رُفِعْتْ مِنْ صَوْتِهَا تَمْتُح

تَرْفَعُ الصَّوتَ أحْياناً وتَخْفِضَةُ كَمَا يَطنُّ ذُبابُ الرَّوْضَةِ الهَزِحُ

فيقول : الهزح الصوت شبه الغناء بطنين الذباب وهو ردي لكن الجيـــد أن يشبه طنين الذباب بالغناء[3] كما قال عنترة[4] (من الكامل)

وَخَلا الذُّبابُ بِهَا فَلْيسَ بِبِارَحٍ غِرَداً كَفعْلِ الشَّاربِ المُتَرَّنم

من خلال هذه الوقفات المؤجزة التي أضاءت لنا الطريق لمعرفة المراحـــل التي مربها شرح الشعر ندرك أن الشعر العربي كان في مراحلة الأولـــى التـــي

---

(1) شرح ديوان المتنبي للواحدي ج1، ص 4.

(2) الأغاني للاصفهاني، 38115 ومعجم الادباء 170/11.

(3) شرح ديوان أبي محجن الثقفي ، دار صادر بيروت، لبنان، ص42.

(4) شرح القصائد التسع المشهورات، ج2، ص 477.

سبقت الاسلام يفهم على السليقة فلم تكن الناس في حاجة إلى من يتولى شرحه أو إيضاحة وتفسير لما جبل عليه العرب، من إدراك لمعانيه وألفاظه، وعند بداية انطلاق الرواة العلماء في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة في جمع الشعر وتدوينه ألحقت به بعض الأخبار التاريخية، وتفسير الغريب من الألفاظ إلا أن الشرح كان غير مقصود لذاته، فقد كان الهدف جمع الشعر وتدوينه، وكان لعلماء الطبقة الثانية أثراً كبيراً في تطور الشرح واتساع أفاقه وتطور أساليبه الأمر اذلي جعل علماء هذه الطبقة يأخذون على أنفسهم غربلة ما لحق بالشعر من شوائب وأخطاء في الرواية والتفسير من السابقيين من الرواة. (1)

بعد ذلك علماء الطبقة الثالثة على الجمع والتأليف فاستطاعوا أن يؤلفوا شروحا أدبيه منظمة ومرتبة تفسر الغريب، وتعرض المعاني ، وتقوم الأشعار وتقتفي أثر الشراح السابقين ، فاتخذوه نبراساً يضيء لهم الطريق ويجنبهم العثرات، وفي نفس الوقت كانت لهم شخصيتهم العلمية من خلال ما تضمنته شروحهم من اضافات وأراء علمية .

أما علماء الطبقة الرابعة من الشراح فقد تلقت هذه الجهود بمزيد من الاهتمام والعناية، تقديراً لأساتذتهم الذين أوجدوا لهم هذه الشروح الأدبية الهائلة، فتكاتفت جهود هؤلاء الشراح وتضافرت ، مما أدى الى ايجاد شروحٍ مرتبة ومنظمة فجاءت شروحهم تجمع بين الأراء ، وتنسق بين عناصرها وتوحد بين اتجاهاتها ، لاتثير خلافاً ، أو تعكس تضارباً أو تبايناً، في الرواية والشرح ، وكانت عنايتهم في ذلك الجمع بين وجهات النظر ، والإتفاق في الآراء .

وبعد ذلك استحدثت ظواهر أخرى على أيدي علماء ورواة الطبقة الخامسة من الشّراح لم يكن للعلماء السابقين معرفة بتلك الظواهر ، والتي تتثمل في عرض الروايات المختلفة والاهتمام بها إضافة إلى بعض الإشارات النقدية ذات الصلة بالشرح، كما عرضوا للمعاني بأسلوب أدبي تظهر فيه شخصية الشارح .

وقد كان لهذه الطبقة من الشراح فضل في بروز ما يمكن تسميته بأدب الشروح ، والذي أخذ فيه تفسير الشعر طابع الذوق الأدبي، والذي يصدر عن

---

(1) ييظر، منهج أبي العلاء في شرح الشعر، ج1 ص 150.

معايير الأسلوب ، وهذا ما جعل أحد الباحثين يرى أن الشروح الأدبية ظهرت مع بداية القرن الرابع واتخدت غاية تعليمية [1].

كما شهدت شروح الشعر تطورا آخر على أيدى علماء الطبقة السادسة حيث أصبح النقد في مرحلة متطورة من التقدم والرقي ، حيث تطور النقد وبلغ أقصى مداه من السمو والعلو، فتنوعت المصنفات العلمية ، التي تهتم بالبحث في أسباب الحسن والقبح في النصوص الشعرية، ومن ثم إصدار الأحكام النقدية عليها، وفي أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري. وبفضل علماء الطبقات السابقة يلحظ الباحث تطورا جديدا لأدب الشروح، فقد بدأت الجوانب الفنية والمتخصصة الجديدة، فانعكس آثاره على العلماء في شرح الشعر، فحضيت بنصيب وافر من الدقة والعمق، وتجلت صورة النقد حتى سادت معظم الشروح، وبدأت حركة الشروح تتوسع في شرح المعاني والمسائل اللغوية والنحوية، والتبسط في شرح المعاني، وسرد الأخبار التاريخية، وما ورد في الشعر من ذكر للحوادث ومناسبات القصائد، وأعتقد أن شرح الواحدي للشعر كان متأثرا بما طرأ على حركة الشعر من تطور عبر هذه المراحل التي أسلفنا الحديث عنها، لأن الواحدي لم يكن بمعزل عن تطور حركة الشروح، فقد كان متأثرا بما كان يسمعه وينقله عن أساتذته في علم النحو واللغة، والرواية، والنقد، يشير إلى أقوالهم وأقوال سابقيهم أحيانا، وأحيانا يرفضها، ويثبت رأيه الشخصي الأمر الذي جعل شخصيته العلمية تبرز من خلال شرحه .

---

[1] ينظر : شروح حماسةأبي تمام ، محمد عثمان على، ج1، ص ، 140.

الخلاصة :

هذه هي حركة شرح الشعر وتطوره حتى ظهور شروح المتنبي حاولت أن نعرض لها في ايجاز وتركيز، ممهداً بذلك لما نقصده من فصول تمثل صلب هذا البحث وموضوعه، متوخياً في ذلك أن نؤكد أن شروح ديوان المتنبي تعد جــزءا من شرح الشعر عامة، فهي صورة منه وممثلة له، بل إن جل الذين تصدوا لشرح ديوان المتنبي لم يكتفوابما شرحوه منها، وإنما أسهموا إسهامات كبيرة في شـــرح كثير من الدواوين والمختارات، سواء أكان ذلك في ذلك دواوين شعراء الجاهليـــة والاسلام ومختاراتهما أم دواوين الشعر في العصور التي تلتهما[1]

ولما كان عملنا مقصوراً على شروح ديوان المتنبي حتى نهاية القرن الرابع منذ أن بدأت، فإن هذا يقتضي أن نعطي صورة عامة عن هذه الشروح منذ بدأت وإلي عصرنا هذا، وحتى نقف على الجهود التي بذلت من قبل العلماء في خدمـــة هذا التراث الأدبي الذي خلفه المتنبي، كما يقتضي أن نوضح ما يتصل بعملنا من هذه الشروح .[2]

فقد أثار شخص المتنبي، كما أثار شعره كثيرا من الاهتمام المقرون بالدهشة والاعجاب. وكان شراحه ونقاده على السواء فى مـــوقفهم منـــه إمـــا: معجبـــين بهشخصاً وشعراً مسوغين له كل مايفعله ويقوله ، وإما حاسدين مبغضين منكرين عليه كثيرا مما يفعله ويقوله، فلا عجب إذن أن يظفر شعره بهذا الاهتمام الشديد، وأن ينبري كثير من ذوى الباع فى ميدان الأدب واللغة والنحو لشرح ديوانه، وقد تلونت هذه الشروح بحسب إهتمام كل شارح منهم ، وبحســـب تكوينـــه الثقـــافي والفكري، فظهر لدى كل شارح منهم تغليب وجه من وجوه الاهتمام على الوجـــوه الأخرى، كبروزالجانب اللغوي عند ابن جنى، وبروز الجانب الذوقي والنقدي عند ابن فورّجة ، فى حين نرى أن الواحدى قد اهتم مثلا بقضية المعنى دون غيرهـــا من قضايا الشروح، فأكثر من تقليب الوجوه للمعنى الواحد، وناقش بعض من سبقه من الشراح وبخاصة ابن جني وابن فورجة .

---

[1] الأمالي لأبي على القالي، ج2، المكتب التجاري، بيروت، ص 72.

[2] ينظر : شروح حماسة أبي تمام، محمد عثمان على، ص 72.

وعلى الرُّغم من تداخل الشروح التي ندرسها في معظم العناصر التي اهتم بها الشراح وصدروا عنها، من عناية باللغة والنحووالصرف، والعروض والمعاني، والصوروالأخيلة، ووقوفهم عند بعض القضايا النقدية، كموضوع السرقات على وجه الخصوص ؛ على الرغم من ذلك فإننا نستطيع أن نتبين غلبة الاتجاه إلى الاهتمام بعنصرمن العناصردون غيرها عند شارح دون آخر.

صحيح أن معظم هذه الشروح لم تخل من الاهتمام – وإن كان بشكل جزئي – بعنصر من تلك العناصر– ومع ذلك فإننا نجد العكبري مثلا يهتم بالمعاني وتقليباتها، فالوجه الأدبي عنده أغلب، في حين نجد الواحدي يهتم بقضايا اللغة وما يتعلق بها، فالوجه اللغوي عنده أغلب وهكذا.

ولقد كان من نتائج ما أثاره شخص المتنبي وشعره من جدل عنيف كثرة الشروح وتعددها، وإن كثرة الشروح التي ظفربها ديوان المتنبي لتدل دلالة كافية على حجم الحركة الأدبية التي أثارها شعرهذا الشاعر، ولعل شاعراً آخرلم يظفرمن العناية بشعره كما ظفرالمتنبي .

وليس من أهداف هذا البحث تفصيل الكلام في شخصية المتنبي، على الرغم من أنه كان شخصية غريبة متميزة، تثيرالكثير من المشكلات وحبذا لو أننا في هذا العصر حاولنا دراسة هذه الشخصية دراسة جدية وجديدة، آخذين في التقديرمجموعة كبيرة من الحقائق والمعلومات التاريخية، لتكون هذه الدراسة شاملة وواسعة وموضوعية. بعيدة عن ظروف معاصريه وأغراضهم وأهوائهم، وعن مجموعة الآراء المتواترة التي أصبحت في حكم الحقيقة الثابته .

ويمكننا بصفة مبدئية أن نفسركثرة شروح المتنبي بأمرين اثنين :

أ- **الأمر الأول** : إن ما أثاره شعر المتنبي من مشكل سواء أكان إعراباً أو لغةً ، أو صور غريبة ، كان وراء الحملة التي يراد من خلالها تشويه صورة الشاعر ، مما زاد له العداء الشخصي ، فكان في بعض الأحيان وراء محاولة شرح ما قد يمكن أن يكون مشكلاً في شعره ، أم بعدا عن المألوف والذوق العام، وذلك للنفاد من خلال هذه المحاولة إلى تشويه صورة الشاعر الذي كان قد أصبح "إماما في الشعر" كما قال حازم في منهاج البلغاء [1]

---

[1] ينظر منهاج البلغاء وسراج الادباء : حازم القرطاجنى – تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة –، تونس 1966 ص 88.

ب- والأمر الثاني : أن الناقد خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين كان يتجــه أحياناً – مجاراة منه لما شاع في ذلك العصرمن الإقبــال علــى شــروح دواوين الشعراء – إلى ديوان المتنبي، بوصفه أبرز شعراء العصر، إثباتا منه لقدرته على تناول هذا الشعر، فإن ْ لم يخترهذا الاتجاه كان عليــه أن يرجع إلى المشكلات النقدية القديمة التى أثارها نقاد القرن الثالث، وأن يعيد صياغتها من جديد، كقضايا القديم والحديث، وقضــية الطبــع والصــنعة، واللفظ والمعنى، والسرقات وهكذا .

ولقد كانت كثرة هذه الشروح تعكس ما أثاره شعر المتنبي من نشاط نقــدي سواء أكان هذا النشاط يحمل روح الإبداع والإيجابية في حركة النقد، أم أنــه أدّى إلى آثارسلبية في هذه الحركة فيما بعد، فنحن نــرى أن النقــد لــم يســتطع أن يفسرتفوق شاعرمثل المتنبي وتميزه في ابداعه، فبقيــت المســافة كبيــرة بــين الشاعرمن جهة، والناقد من جهة آخرى .

يقول عباس في كتابه تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ((وقد يكون المتنبــي رسم فعلاً خطاً فاصلاً في الشعرالعربي، ووقف وحده وقفة شاهرة، ولكنــه فــي الوقت نفسه أثبت عجزالنقد ودورانه حول نفسه لا لأن الأدوات النقدية عجزت أن تفسرعنه تفوقه وحسب، بل لأن هذا النقد نفسه لم يستطع أن يقيم علاقة بينه وبين مختلف المستويات الشعرية بعد المتنبي قبولا أو رفضاً)).[1]

وقد أرجع كثير من الشراح اهتمام الناس بالمتنبي – كما قال الواحدي فــي مقدمته لشرح الديوان – إلى " حظ أدركه ولم يدركه سواه "[2] إلا أنــه يســتدرك قائلا: (على أنه كان صاحب معان مخترعة بديعة، ولطائف لم يسبقه إليها أحــد، ولطائف أبكار منها لم يسبق إليها دقيقة)[3]

---

[1] تاريخ النقد الادبي عند العرب، نقد الشعرمن القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري : احسان عبــاس – نشــردار الامانــه – مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى – بيروت 1971 م ص 23 .

[2] ديوان المتنبي – شرح أبي الحسن على بن أحمد الواحدي النيسابورى. طبع في مدينة بــرلين ســنة 1861 م أعــادت طبعــه بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد. ص 3

[3] المصدرنفسه ص 3

ولم يكن شراح المتنبي بصفة عامة يقنعون بمجرد الشرح بمعناه الضيق [*] ، بل كانوا يحملون روح الناقد، وكان واحدهم يشرح ويعقب ويـــدل علـــى الجيـــد والردىء من شعر الشاعر فشارح المتنبي كان ناقداً في ثوب شارح، فإن من ينقد المعنى واللفظ والصرف والنحو والعروض، ومـــن يتعقـــب الســـرقة والمبالغـــة المذمومة والمحمودة، ويحتكم الذوق العام، ويرصد الاخيلة والصور الشـــعرية – من يصنع ذلك كله، لا أستطيع إلا أن أسميه الشارح الناقد. ولقد وقع بين شـــراح المتنبي أنفسهم من الخلاف ماجعل الواحد منهم يتعقب في شرحه أحيانـــا أقـــوال الشراح السابقين، وبخاصة فيما يختلف فيه معهم. وعند ذلـــك يمكـــن أن يحمـــل الشرح الجديد وجهة نظر جديدة، تمثل قيمة نقدية، بمعنى من المعاني، وكان مـــن الممكن أن يسهم هذا الشرح الجديد في إغناء الحركة النقدية والشعرية معاً، فيما لو أتخذ الشارح موقفا علميا منصفا محايدا، لكن هذا الأمرلم يتحقق لـــدى كثيـــرمن الشراح كما سيتضح لنا فيما بعد .

هذا ولم يتفق الشراح فى ترتيبهم لديوان المتنبي ، فالبعض ــ كابن جنى ــ أخذ بالترتيب الهجائي للقصائد، وآخرون شرحوا قصائد الديوان بحسب روايـــات الديوان، أي وفقا للترتيب التاريخي لقصائد الديوان. ونلاحظ أن الشارح نفسه كان يعمد أحياناً إلى اختصار شرحه بشرح آخر صغير، كما فعل ابن جني ، فلقد ألف أولاً الفسر الكبير، ثم اعقبه بالفسر الصغير، وهو اختصار للشـــرح الأول. ومـــن صنوف الشروح ما اتجه الشارح فيه بصفة خاصة إلى المشكل والغريب من شعر المتنبي، كابن سيدة في كتابه (شرح مشكل شعر المتنبي) وليس فـــي وســـعنا أن نميز ونفصل بدقة بين الشارح بشكل عام لشعرالمتنبي ، والشارح الناقد، لأنهمـــا يتداخلان بصورة يصعب فيها أن نجرد الشارح من روح الناقد، كمـــا أن أغلـــب الذين تناولوا شعر المتنبي بالشرح كانوا مبرزين في حياتهم العلمية، ولكل مـــنهم خبرة وباع وتميز في اختصاصه، كابن جني في مجال اللغـــة، والواحـــدي فـــي التفسير، وأبي العلاء في شرح الشعرالقديم والعكبري في اللغة وغيرهم .

---

[*] كما صنع التبريزى في شرح المعلقات، وشرح الحماسة قديما، كما صنع اليازجي في شرحه لديوان المتنبي حديثاً

والسؤال الذي لابد أن يبرزالآن هو : هل تدل كثرة الشروح على اختلاف جوهري في المنهج ؟ الحقيقة أنني بعدما عدت إلى أغلب الشروح المتوافرة لديَّ. انتهيت إلى أن اختلاف شرح عن آخر كان ينبع من اتجاه الشارح نفسه، وتكوينه الثقافي فقد كان كل واحد منهم يأخذ من شعر المتنبي ما يتلاءم وتكوينه. فالشارح اللغوي ينظرإلى لغة المتنبي وصحتها، وغريبها أوشاذها، وما إلى ذلك من أمورتتصل باللغة. والنحوي ينظر إلى صنعة الإعراب والنحو في شعر المتنبي، والشاعر الشارح ينظر إلى الصورة الشعرية وما يتفرع عنها من تشبيهات واستعارات وكنايات ...الخ .

غير أننا نلاحظ أن من عاصرالمتنبي من الشَّراح، كابن جني مثلا، أو كان زمانه قريبا من زمانه، كالأصفهاني كانت نسبة اهتمامه بالغرابة أو الغموض في شعرالمتنبي أقل عنده بالقياس إلى غيره من الشراح. وهذا شيء طبيعي، فمقياس الحداثة والقدم يختلف من جيل إلى جيل، فما كان حديثا منذ زمن يعد فيما بعد قديما، وهكذا. وعلى هذا فإن ماكان يعد فيما بعد غريبا ومشكلا لغموضه، أو شاذا عند الشراح، لم يكن كذلك عند ابن جني.

وعلى سبيل المثال يقول المتنبي : (من المتقارب)

ورَدَنْا الرَّهيمةَ في جَوْزِهِ   وبَاقِيةُ أَكْثرُممَّا مَضَى

فيقول ابن جني في شرحه لهذا البيت : ((الرهيمة قرية بقرب الكوفة غربيها، وجوزالميل وسطه وكذلك جوزكل شيء وسطه، وعنى بالجوزها هنا صدرالليل)) [1] ولم يقف عند هذا البيت بأكثرمما قال. وأما الواحدي وابن فورجة فقد ناقشا البيت بشكل حسابي. فالواحدي في شرحه يقول : " قال ابن جني : أراد بالجوز ها هنا صدرالليل، وإنما قال ابن جنِّي هذا لقوله : وباقيه أكثرمما مضى. وإذا كان الباقي أكثرمن الماضي، كان الجوز صدرالليل، وصدرالليل لا يسمى جوزالليل. قال القاضي الجرجاني أخطأ أبوالطيب لما قال في جوزه، ثم قال وباقيه أكثرمما مضى. كيف يكون باقيه أكثروقد قال في جوزه ؟ وقال ابن فورجة : هذا تجن من القاضي، "والها " في جوزه لأعكش وهومكان واسع، والرهيمة ماء وسط

---

[1] الفسر، تحقيق صفاء خلوصى : ابن جني – المؤسسة العامة للصحافة والطباعة بغداد – 1970 م، ص 134

أعكش، والكلام صحيح والمعنى عند الواحدي هو : " وردنا هذا الماء وسط هـذا المكان وما بقى من الليل أكثرمما مضى "[1]

ويقول المتنبي أيضا : (من الطويل)

ومَنْ صَحَبَ الدنيا طَوِيًلا تقَلَبَتْ   عَلَى عَيْنِهِ حتَّى يَرىَ صدْقهَا كَذِباَ

لم يقف ابن جني عند هذا البيت ، لافي شرح معنى، ولا فى تفسـيرغريب، ظنا منه أن المعنى واضح معروف لا حاجة به إلى شرح، فـى حـين نـرى أن الواحدي وقف عنده وشرحه وربطه بما قبله.

وكما اهتم الشراح بشعر المتنبي ، كذلك تناوله النقاد بالنقد والتقويم، مختلفين فى ذلك قبولا ورفضا ، متباينين فى استيعابهم وتمثلهم لقضايا هذا الشعر. وكـان كل منهم يصدر فى نقده عن قدرة خاصة فى الفهم والتذوق، على نحو جعل معظم الكتب المؤلفة في نقد شعر المتنبي تحمل طابع الخصوصية ، وتتسم بسمات الذاتية ، لاسيما عندما يعرض أصحاب هذه الكتب لمناقشة قضية من قضايا هذا الشـعر، كقضية السرقة عند المتنبي. وفى دراستنا لنظرات الشراح إلى النص، ومعالجتهم لشرحه ونقده، سنحاول إبراز مواقفهم من النص ، وتبين أبعاد نظراتهم إليه:هـل كانت نظرات كلية إجمالية جعلتهم يربطون بين أجزائه، ويرد دون آخـره علـى أوله، ويجدون خيوطا متصلة تجمع بين فقراته ، وتلحظ وحدة مضـمونة ؟ هـل استشفوا روح الشاعر من خلاله وتبينوا طريقته الشعرية ؟؟. ونتساءل: هل اقتصر هؤلاء الشراح على معالجة النص بوصفه مجموعة أبيـات متلاحقـه ، فانصـب اهتمامهم على تلك الأبيات ، بشرح يطول أويقصر، وتبين جوانب اللغة والنحـو والصرف والعروض والمعنى ثم نقف عند ذلك ؟ .

ومن جهة اخرى : كيف سلك هؤلاء فى معالجة كل قصيدة ؟ هل وصـلوا قصائد الشاعر بعضها ببعضها الآخر؟ وهل درسوها بوصفها جزءا مـن نفـس الشاعر المستمر على مدى حياته فقرروا فيما سبق من شـعره ومـاتلاه، لعلهـم ينتهون إلى ملاحظات عن ظواهر كلية تميز الشاعر وتكتسب خصوصية لديه .؟ وهل كانت هذه الشروح تتبع فكر الشاعر فى خيوطه الممتدة ومعانيـه وطرائقـه

---

[1] الواحدي : ص 701

وأساليبه ؟ ذلك أن كل شاعر ــ بعد مدة من البداية التقليدية ــ تتبلور فــى شــعره خصائص يتميز بها .وطرائق فى التفكير والتعبير، تميزه عن غيره من الشعراء.

وأخيرا، هل ربط الشراح شعر المتنبي بما سبقه من حركة الشعرالعربى ؟

وفي دراستنا التفصيلية لما قدمه كل شارح على انفراد، ســوف نحــاول أن نجيب عن جملة الأسئلة والقضايا التى طرحناها، وأن نقوم مواقفهم مــن خــلال شرحهم لشعر المتنبي ، لعلنا بذلك نتمكن من الوصول إلى الكشف عن الطريقــة التي اتبعها كل شارح، وإماطة اللثام عن المعايير والموازين المتبعة فــي شــرح الشعر لكل شارح، وتوضيح مواقفهم المختلفة، ونكشف عن قيمــة ذلــك النشــاط النقدي الذى أثاره شعر المتنبي.

الفصل الاول

منهج الواحدي في شرح الشعر

- **المبحث الأول: الدوافع لهذا الشرح**
  - المطلب الأول: روايته_منهجه_مصادره
  - المطلب الثاني: موقف الواحدي من الشراح السابقين
    1. ابن جني
    2. الخوارزمي
    3. ابن دوست
    4. ابن فورجة، أبوالعلاء المعري، العروضي
- **المبحث الثاني: مكونات منهج الواحدي**
  - المطلب الأول: اللغة
- **المبحث الثالث: النحو**
  - المطلب الأول: بناء الجملة في شعر المتنبي
  - المطلب الثاني: التحليل الصرفي
  - المطلب الثالث: الرواية
- **المبحث الرابع: المعاني**
  - المطلب الأول: تناسق المعني الجزئي مع غرض الشاعر
  - المطلب الثاني: الإستعانة علي شرح الشعر بالقرآن الكريم والحديث الشريف والتراث

المبحث الأول

منـهج الواحدي وموقفه من الشراح السابقين

يُعد الامام الواحدي من أشهر أعلام اللغة الذين تنـــاولوا ديـــوان المتنبـــي بالشرح والتعليق ، وقد استهل كتابُه بالحديث عن الشعر وفضله ومكانته في فنون القول، ثم بين اتجاهه في تفضيله الشعر المحدث. والحداثة عنده تعني مـــا شـــهده العصر العباسي من تغيير كبير في اتجاهات الشعر العربي بخاصة والأدب بعامة، وقد أشار الواحدي إلى أن اهتمامه بشعر المتنبي يعود إلى أمرين: أحدهما:" مافي شعر المتنبي من معان مخترعة بديعة ، ولطائف أبكارمنها لم يسبق إليها دقيقـــة " وثانيهما أن الذين سبقوه من الشراح وسواهم ممن اعتنى بالمتنبي لم يدركوا هـــذه المعاني، ولهذا ((خفيت معانية على أكثر من روى شعره مـــن أكـــابر الفضـــلاء والأئمة العلماء حتى الفحول منهم والنجباء ، كالقاضي أبـــي الحســـن علـــى بـــن عبدالعزيز الجرجاني، وابن فورجة البروجردي رحمهم الله تعالي. وهؤلاء كـــانوا من فحول العلماء وتكلموا في معاني شعره مما اخترعه وانفرد بـــالإغراب فيـــه وأبدعه وأصابوا في كثير من ذلك وخفي عليهم بعضه، فلم يـــبن لهـــم غرضـــه المقصود، لبعد مرماه وامتداد مداه)) [1].

وأستطاع الواحدي أن يرسم منهجا لشرحه، وبني جزءا من ذلك المنهج على معارضة ما قد رآه خطأً أو نقصا، أو عيبا عند من سبقه من شرح الشراح ونفـــد النقاد فالجرجاني في رأي الواحدي... مع ما اد عاه من الوساطة، لم يصل الـــى ماقد رسمه لنفسه من الحياة والتوسط. وابن جني –مع تفرده، بفصاحة المتنبـــي– إلا أنَّه كان إذا تكلم ((في معاني صاحبه تبلد حماره، ولج به عثاره، ولقد استهدف في كتاب الفسر غرضا للمطاعن، ونهزه للغامز والطاعن ، إذ حشـــاه بالشـــواهد الكثيرة التي لاحاجه له إليها في ذلك الكتاب، والمسائل الدقيقة المستغنى عنها فـــي صنعة الإعراب، ومن حق المصنف أن يكون كلامه مقصـــورا علـــى المقصـــود بكتابه، والمسائل الدقيقة، وما يتعلق به من أسبابه، غير عابئ إلى ما لايحتاج إليه،

---

[1] شرح ديوان المتنبي: للو احدى ، ص3

ولا يعرج عليه ، ثم إذا انتهى به الكلام إلي بيان المعـاني عـاد طويـل كلامـه قصيرا، وأتي بالمحال هراء وتقصيرا))[1] أما ابن فورجة ، فإن الواحدي قد أثنى عليه بعامة، وإن لم يسلم من مطاعنه، فهو يقول عنه: ((لم يخل من ضعف البنيه البشرية ، والسهو الذي قلما يخلو منه أحد من البرية)) [2]

فإذا انتهى الواحدي إلى عمله في الشرح ، فإنه يبين أن مقصده هـو تـأليف كتاب يشتمل على البيان والايضاح ، ويغنى عن الكتب الأخـرى، ويسـلم مـن التطويل ويخلو من الأخطاء التي وقع فيها السابقون.

شرح الواحدي:

واعتقد أن شرح الواحدي من أعم شروح ديوان المتنبي نفعاً وأعمقها فائدة، قال عنه بلاشير: ((بيد أنه يجب الاعتراف للعالم بفضل إعطائنا أحسن شرح لفكر المتنبي آلا وهو الواحدي اللغوي))[3]

المطلب الاول: الدوافع لهذا الشرح:

بيَّن الواحدي في مقدمة شرحه الأسباب التي دفعته إلى تأليف كتابـه، فقـد أقبل الناس على تعلم ديوان المتنبي، وتعلقوا بفنه الشعري، ولم يقعوا على شـرح شاف يفتح الفلق، ويسيغ الشّرق، ولا بيان عن معانيه، كاشـف الأسـتار حتـى يوضحها للأسماع والأبصار [4]، وقد كانت للمآخذ التي أخذها على " فسـر" ابـن جنى، وكتابي ابن فورجة من الأسباب التي دفعته إلى أن يتوجه إلى شرح الديوان، فابن جنى – عنده – أكثر من الشواهد القرآنية والشعرية والأمثال، ووقـف عنـد قضايا لا داعي لذكرها في هذا الموضع من استطرادات لغوية وصرفية ونحوية، قال الواحدي عنه: ((إذ حشاه بالشواهد الكثيرة التي لا حاجة له إليهـا فـي ذلـك الكتاب، والمسائل الدقيقة المستغني عنها في صنعة الإعراب، ومن حق المصـنف أن يكون كلامه مقصوراً على المقصود بكتابه... ثم إذا انتهى به الكلام إلى بيـان

---

[1] شرح ديوان المتنبي:للو احدى، ص4

[2] المصدر نفسه ، ص4

[3] يلا شير دراسة في التاريخ الأدبي ص 291.

[4] شرح ديوان المتنبي: للو احدى: ديوان أبي الطيب مقدمة الشارح، ص 4.

المعاني عاد طويل كلامه قصيراً)) [1]، أما ابن فورجة فشرحاه " التجني على ابن جنى، والفتح على أبي الفتح لم يخل الواحد منهما، ((من ضعف البنيـــة البشـــرية والسهو الذي قل أن يخلو منه أحد من البرية، ولقد تصفحت كتابه وأعلمت علـــى مواضع الزلل "[2] واستطرد الواحدي بعد ذلك قائلاً ((فتصديت بمـــا رزقنـــي الله تعالى من العلم، ويسره لي من الفهم لإفادة من قصد تعلـــم هـــذا الـــديوان وأراد الوقوف على مودعه من المعاني))[3].

1- روايته:

أوضح الواحدي في أكثر من مناسبة أنه قرأ الـــديوان علـــى أبـــي الفضـــل العروضي، كان يقول: وأقرأني أبو الفضل العروضي[4]، وقد بين أيضـــاً أن أبـــا الفضل العروضي نقل روايته للمتنبي عن طريق الشعراني راوية المتنبي، وكـــان الواحدي يقول: ((سمعت العروضي يقول: سمعت الشعراني يقـــول: لـــم أســـمع المتنبي ينشد[5] كما اعتمد في رواياته للديوان وفي تفسير المعاني على أبي بكـــر الخوارزمي[6] كان يقول: " وكان الأستاذ أبو بكر يقول"))[7]

---

[1] شرح ديوان المتنبي: للو احدى، ج1، ص 4.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص 4.

[3] نفسه، ج1، ص 25-92.

[4] نفسه، ج1، ص 5: 22.

[5] نفسه، ج1، ص 25-92.

[6] هو محمد بن العباس بن أئمة الكتاب، كتب الشعر، له رسائل معروفة باسمه اتصل بالصاحب وكان بينه وبين بـــديع الزمان مساجلات أدبية ت (282) انظر ابن خلكان 522/1 ويتيمة الدهر 222/4.

[7] شرح ديوان المتنبي: للو احدى، ص 27، 41، 78، 79، 109، 122.

2- منهجه:

جاء في مقدمة الواحدي موجزاً مختصراً لمنهجه في الشرح فهــو يريــد أن يصنع كتاباً يسلم من التطويل، وذكر ما يستغنى عنه في الكثير بالقليــل، مشــتمل على البيان والإيضاح))[1] وقد نجح في الاختصار نجاحاً واضحاً، ونبه إلى: ((أنه كان يركز على الجانب الأدبي في كثير من الأحيان وعلى الجانــب النحــوي إذا اقتضت الضرورة ذلك.

فمن حيث الترتيب فقد جاء ترتيبه للشرح ترتيباً تاريخياً ، كما رتبها الشاعر نفسه، مخالفاً ابن جنى في ذلك وقد قسم الواحدي شرحه جزأين.

1- الجزء الأول:

أ- **القصائد العراقيات** : وعددها عند الواحدي تسعة نماذج بين مقطوعة وقصيدة، وهو لم يذكر لها تاريخاً محدداً، ولم يكترث كثيراً بالمناسبة، وإن جــاءت موجزة جداً، فمنها ما قالها في صباه[2]، ومنها ما قالها في هجاء رجل "[3] ومنها بمدح إنساناً.[4]

ب - **القصائد الشاميات** : وقد أشار الواحدي إلى بدايتها[5] وقد بلغ عددها ثلاثــة وخمسين ومائة نموذج بين قصيدة ومقطوعة، ومن بين مجمــوع النمــاذج السابقة لم يذكر مناسبة اثنى عشر نموذجاً بين قصيدة ومقطوعة [6]، أمــا القصائد الباقيات فقد ذكر مناسباتها لكنه لم يفصّل بل أوجز كثيراً.

2- الجزء الثاني:

القصائد السيفيات : وهي القصائد التي قيلت في سيف الدولة الحمداني قبــل إقامته عنده، وأثناءها، وبعد تلك الإقامة، وقد بلغت مجموع القصائد والمقطوعات التي قيلت فيه إحدى وثمانين[7] وبعد أن ينتهي الواحدي مــن الســيفيات يشــعرنا بقصائده التي قيلت في مصر وتسمى بالكافوريات وغيرها، التي اشتملت على تسع وعشرين قصيدة ومقطوعة، معظمها في كــافور مــدحاً وهجــاء[8]، ثــم فســر

---

[1] شرح ديوان المتنبي: للواحدى ، ص 4.

[2] نفسه ج1، ص 5، 6، 22، 23.

[3] نفسه ، ج1، ص 16.

[4] نفسه ، ج1، ص 6، 17.

[5] نفسه، ج1 ص 24.

[6] نفسه 29- 49- 52- 60- 87- 98- /25- 247.

[7] بدأت السيفيات من ص 373- 623.

[8] نفسه من ص 622- 716.

العراقيات[1] ثم العميديات[2] والعضديات [3] وكانت آخر قصيدة في ديوانه هي في وداع عضد الدولة مطلعها: (من الوافر)

فَدىً لَكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَداكَا ... فلامَلَكُ إِذَنْ إلاَّ فدَاكَا

وكان الواحدي في أغلب هذه القصائد يذكر المناسبة ويذكر أحياناً سنة نظم القصيدة، لكن بإيجاز بعيد عن المقدمات الطويلة.

ومما يلاحظ على منهج الواحدي في شرحه أنه كان يطري عمله كثيراً وقد عده من أفضل الشروح وأقواها، لأنه يكشف عن المعنى ويجلي غوامضه، كما يرى – وكان في بعض الأحيان يقلل من شأن الشروح الأخرى، لهذا وجدناه يكثر من القول: " وقد سعيت في علم هذا الشعر سعى المجد سالكاً للتجديد " وسبقت فيه غيري سبق الجواد إذا استولى على الأمر، حتى سهلت حزونه،... وذلت لي أبكاره وعونه[4] " وقد أكثر من القول: " ولم يفسر أحد... هذا البيت كما فسرته، وكان بكراً إلى هذا الوقت "[5] ومما قاله أيضاً: " لم يفسر أحد هذا البيت تفسيراً شافياً كما فسرته وبينته، ولو حكيت تخبط الناس في هذا البيت وأقوالهم المرذولة والروايات الفاسدة لطال الخطب.[6]

ويبدو من خلال شرح الواحدي أنه أطلع على معظم ما كتب حول شعر المتنبي، فلقد وقف عند شروحهم، وتعليقاتهم إما عارضاً لها أو مناقشاً، أو مؤيداً أو رافضاً أو مرجحاً وقد ركز على جانب المعنى لأنه امتلك الحس النقدي والذي ساعده على تفهم النص والشعور بما يحتويه من خلال إحساسه بما يتضمنه من حس الصياغة، وجمال الأداء ولطف المعاني [7]" ظهر في هذا الشرح ضعف في تفسير لبعض الأبيات حتى أن الشارح لا يقدم شيئاً جديداً في هذا التفسير، وأنه لا

---

[1] بدأت من ص 716-732.

[2] نفسه من ص 732-758.

[3] نفسه من ص 758-708.

[4] السابق مقدمة الشارح، ص 4.

[5] نفسه ج1، ص 191.

[6] نفسه ص 169 ص 199، 209.

[7] النظام في شرح ديوان المتنبي وأبي تمام 121/1.

يستطيع أن يوضح المعنى للقارئ، وما يقوم به هو تكرار لكلمات الشاعر من مثل قول المتنبي: (من المنسرح)

فَعُدْبها لا عَدمِتُها أبداً خير صلاتِ الكريمِ أعودُها

قال مفسراً: " أَعِدْ هذه المكرمات فإن خير ما وصل به الكريم أكثره عوداً[1]
ومثله يمدح إنساناً أراد أن يستكشفه عن مذهبه:- (من الكامل)

وخيال جسم لم يخل له الهوى لحماً فينحله السقام ولا دماً

قال: " لم يترك الهوى بجسمي محلاً للسقم من لحم ودم فيعمل به " [2].

ومثله: (من الكامل)

يُعْطيك مُبْتَدِراً فإن أعْجَلْتَه أعطاك مُعْتَذِراً كمن قد أجرما

قال: ((يبتدرك بالعطاء فإنه سبقته بالسؤال أعطاك واعتذر إليك من تـأخر عطائه عن سؤالك كاعتذار من أتى بجرم))[3].

ومثله: (من الطويل)

وخُضْرُةُ ثَوْبِ العَيْشَ فِي الخُضْرةِ التّي أَرتْكَ احْمِرارَ المَوْتِ في مَدْرجِ النَّملِ

قال: " طيب العيش في السيف: أي في استعمال السيف والضرب فيه "[4].

ظهر في شرحه أكثر من احتمال لتفسير البيت الواحد، وقد يرجح معنى على آخر، وكان يقول: " ويجوز أن يكون " أو " يحتمل أنه قـال" وقـد ينهـى هـذه الاحتمالات بقوله: " والأول أظهر في المعنى " [5].

وقد يقف الشارح عند تفسير الكلمات في البيت الواحد دون أن يتطرق إلـى المعنى من مثل الأبيات.[6] (من السريع)

على فَتَىً مُعْتَقِلٍ صَعْدَةٍ بَعلْهَا مِنْ كُلِّ وافي السِّبالِ

---

[1] شرح ديوان المتنبي: للو احدى، ج1، ص 15.

[2] نفسه، ج1، ص 17

[3] نفسه، ج1، ص 19.

[4] نفسه، ج1، ص 22.

[5] نفسه، ج1، ص 12- 13- 14- 21- 22- 226- 681.

[6] نفسه، ج1، ص 16.

ومثله:[1] (من الخفيف)

فأسقينها فدى لعينك نفسي   من غزال وطارقي وتليدي

ومثله:[2] (من الطويل)

غمامٌ علينا مُمْطِرُ لَيْسَ يَقْشَعُ   ولا البَرْقُ فيهِ خُلَّبَاحِينَ يَلْمَعُ

ومثله:[3] (من البسيط)

ما ضَاقَ مثِلْكَ خَلْخالُ على رَشَا   ولا سَمِعتُ بديباجٍ على كُنس

وقد يفسر الشارح لفظه واحدة في البيت ولا يتعرض للألفاظ الأخــرى[4] أو لمعنى هذا البيت من مثل:[5] (من الكامل)

وَرَدَ إذا وَرَدَ البحيرةَ شَارِباً   وَرَدَ الفُرَاتَ زَئِيرهُ والنَّيلاّ

فسر كلمة (ورد) فقط وتعني الأسد، فسر كلمة أعذرن ومعناها تركن مثــل غادرن.

ومثله:[6] (من البسيط)

الدَّهرُ يُعجِبُ من حَمْلي نَوَائبهُ   وصَبْرُ جَسْمي على أَحْداثِه الحُطمُ

قال: الحُطم جمع حطوم.

وظهر في هذا الشرح أبيات لم يفسرها إطلاقاً [7]هاجم الواحدي المتنبي منتقداً بعض المعاني التي أجاب فيها، قال عن معنى بعض أبياته وهذا بارد"[8] وقال عن بيت آخر " أساء أبو الطيب في هذا "[9] ولم تعجبه مبالغته في القول وإغراقه فـــي الوصف.[10]

---

[1] شرح ديوان المتنبي: للو احدى ، ج1، تحقيق عمر فاروق الطباع، ص 22.

[2] نفسه، ج1، ص 45.

[3] نفسه، ج1 ص 90.

[4] نفسه ، ج1، ص 227.

[5] نفسه، ج1، ص 90.

[6] نفسه، ج1، ص 579.

[7] نفسه ج1 ص 723.

[8] نفسه، ج1، ص 16-42-62-79-116-123-242-244-245-264-32-224-552-522-528-582.

[9] نفسه، ج1، ص 21.

[10] نفسه، ج1، ص 22-284.

ولا ننسى أن نذكر أن الواحدي قد أكثر من استخدام الشواهد الشعرية المختلفة الأغراض وأن كثيراً من هذه الشواهد قد تكررت في الفسر أو في الشرح المنسوب للمعري المسمى (معجز أحمد).

3- مصادره:

كان الواحدي أكثر أطلاعاً علي معظم الشروح السابقة ، راداً تفاسيرها أو موافقا عليها، أو عارضاً لها دون تعليق ومن أهم الشروح التي وقف عندها شرح ابن جنى مستفيداً من شرحه للمعاني أو ناقلاً عنه بعض الشواهد أو مستعيناً بمسائل اللغة والنحو[1] فكان تارة يرد تفسيره[2] وأخرى يتركه دون تعليق[3] وثالثه يوافقه[4] أو يرجحه ونقل أقوال ابن فورجة وناقشها أيضاً يقبل تفسيره حيناً ويرفضه حيناً آخر[5] مثلما نقل أقوال الصاحب بن عباد[6] والقاضي الجرجاني[7] وأبي الفضل العروضي[8] وأطال في النقل والمناقشة والقبول والرفض وكان – أحياناً – يعرض رأيه دون مناقشة أما ابن دوست[9] فيبدو أنه لم يذكره إلا ليهاجمه وبين أنه الوحيد القادر على تفسير شعر المتنبي أكثر من غيره، وقد اتهمه غير مرة أنه يخطئ في تفسير شعر المتنبي، وإنه لا يمكن السكوت عن هفواته لكثرتها وقلة الفائدة منها.[10]

ومن مصادر الواحدي التي أعانته على تفسير شعر المتنبي شرح الخوارزمي[11] وشرح علي ابن حمزة البصري [12]وشرح أبي العلاء المعري المسمى " اللامع العزيزي"[13].

---

[1] شرح ديوان المتنبي، ج1، تحقيق عمر فاروق الطباع ص 17-67-72-73-74-75-77-78-11-119-294-745-754.

[2] نفسه، ج1، ص 11-92-11-256-477-425-61-637.

[3] نفسه، ج1، ص 12-22-32-44-232-250.

[4] نفسه، ج1، ص 65-415.

[5] نفسه، ج1، ص 18.

[6] نفسه، ج1، ص 67-74-77-78-82-88-198-232-256-425-542-745.

[7] نفسه، ج1، ص 2-22-462-473-478-701-721.

[8] نفسه، ج1، ص 25-92-298-561.

[9] هو أبو السعيد عبد الرحمن بن محمد أحد أعيان الأئمة بخراسان العربية أقرأ الناس الأدب والنحو، أخذ اللغة عن الجوهري، وأخذ الواحدي عنه اللغة ت (421هـ) أنظر بقية الوعاة 89/2.

[10] شرح ديوان المتنبي: للو احدى ص 85-208.

[11] نفسه، ج1، ص 27-79-290..

[12] نفسه، ج1، ص 682.

[13] نفسه، ج1، ص 92-60.

ومن مصادره المهمة بالإضافة إلى شروح الديوان – القرآن الكريم – سواء أكان ذلك شاهداً على اللغة أم على النحو، أم على معنى أم على تفسير لفظةٍ.[1]

كما استشهد بالحديث الشريف لكن بقلةٍ [2]، ولا ننسى أن نذكر الشواهد الشعرية الكثيرة المتناثرة في الديوان، وقد تعددت استخداماتها من شاهد لغوي إلى شاهد على المعنى إلى شاهد على النحو، إلى شاهد على السرقة الشعرية، وإضافة إلى ما سبق نجده يضيف إلى مصادره الشعرية مصدراً آخر وهو الأقوال المأثورة والحكايات المختلفة يأتي بها لزيادة المعنى وضوحاً.[3]

أما علماء اللغة – الذين وقف عندهم واستفاد من ثروتهم اللغوية، فلم ينس أن يذكرهم في شرحه: مثل سيبويه وكتابه الكتاب) حيث استعان به الواحدي لتفسير بعض مسائل النحو واللغة في ديوان المتنبي.[4]

ونقل الواحدي عن عدد من النحاة واللغويين أمثال ابن دريد[5] وأبي عمرو بن العلاء [6]وابن الأعرابي وأبي يزيد [7] والأصمعي [8]، وقطرب[9] والفراء[10] والأخفش[11] وثعلب[12] وأبي بكر بن السراج.[13]

---

[1] شرح ديوان المتنبي: للو احدى ، ج1، تحقيق عمر فاروق الطباع، ص 5-6-7-11-27-266-420-580.
[2] نفسه، ج1 ص 29.
[3] نفسه، ج1، ص 19-195-476-726-727.
[4] نفسه، ج1، ص 294.
[5] نفسه، ج1، ص 233.
[6] نفسه، ج1، ص 241-391-477.
[7] نفسه، ج1، ص291-726.
[8] نفسه، ج1، ص 454.
[9] نفسه، ج1، ص 265.
[10] نفسه، ج1 ص 228-727.
[11] نفسه، ج1 ص 115-284.
[12] نفسه، ج1 ص 265-578.
[13] نفسه، ج1 ص 115.

المطلب الثاني: موقف الواحدي من الشراح السابقين:

أوضح الواحدي في مقدمة شرحه أنه اطلع على أغلب شروح ديوان المتنبي ، لذلك يمكن القول: إن شرح الواحدي لشعر المتنبي كان جامعا لأغلب الشروح السابقة، مضافا إليها نظرة الواحدي الذاتية للشعر وطريقته الخاصة به التي تراوحت بين نقل الشروح السابقة ومناقشتها، وبين وجهات النظر الخاصة به. وأهم الذين أخذ عنهم الواحدي في شرحه هم:

اولا –الخوارزمي (323هـ 383هـ):

وهو أبوبكر محمد بن العباس الخوارزمي ، أحد الكتاب والشعراء العلماء من رجال القرن الرابع كان ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب ، ويبدو أن الخوارزمي كان يحتل مكانة كبيرة في نفس الواحدي والعروضي، ومعظم ما أورده الواحدي عن الخوارزمي يتعلق بالروايات ومن أمثلة ذلك: (من الخفيف)

أينَفْعُ في الخيمَةِ العُذَّلُ   وتشملُ مَنْ دهْرِهَا يشَمْلُ

يقول: ((وروي الخوارزمي أيقدح في الخيمة العذل))[1] وأيضا

ولَوْ لَمْ أَخَفْ غَيرَ أَعْدائهِ   عَلَيهِ لبشْرَتهِ بالخلُوُدِ

ويقول: ((رواية الأستاذ أبي بكر عين أعدائة))[2]

ثانياً– ابن جني ت(392هـ):

وكان موقف الواحدي منه يتأرجح ما بين قبول ما شرحه والأخذ به، مع ذكره _ لآراء الشراح الآخرين ومناقشتهم على نحو مانرى في المثال التالي: (من المنسرح)

وأنَّ إعْطَاءَهُ الصَّوارِمَ والقَنَا والـ   خيلُ وسُمرُ الرِّمَاحِ والعَكِرِ

المراد بالاعطاء الاسم لا المصدر، يريد به العطاء قال ابن جني:يقول: قدرك أن يكون عطاؤك فوق هذا، فإذا فعلت هذا ، فكأنك معيب به ، لقلته بالاضافة إلى محلك.قال ابن فورجه:إن كان التفسير على ماذكر فهو هجو ، وكيف يهجى الكبار بأكثر من أن يقال:ماوهبت يسير بجنب قدرك ، فيجب أن تهب أكثر

---

[1] ديوان المتنبي للواحدى، ج1، تحقيق عمر الطباع، ، ص 445

[2] نفسه ، ج1، ص 81، وانظر أيضا، ص88–571–768–790

من ذلك..والذي ذكره ابن جني صحيح ، فقد يمدح الإنسان الكذير العطاء بأن قدره يقتضي أكثر مما أعطي قال أبوالطيب:يامن إذا وهب الدنيا فقد[1]

أو رفض هذا الشرح متناولاً إياه با لمناقشة والتعليق، متبعا إياه بمـــا يـــراه الشرح الأصوب: (من الخفيف)

فهم لاتقائه الدهر في يومِ نزالٍ وليس يومَ نزال

"قال ابن جني:أي فهم الدهر يتقونه لإعماله رأيه ومضـــائه فـــيهم، وان لـــم يباشرهم بحرب ولا لقاء ، هذا كلامه ، وليس لإعمال الرأي ومضائه ههنا معنى ، إنما يقول:هم أبدا يخافونه كأنهم في يوم حرب لشدة خوفهم ، وليس الوقـــت يـــوم حرب " [2]

ثالثاً- ابن دوست (431هـ):

هو عبدالرحمن محمد بن محمد بن عزيز، أبو سعيد الحاكم المعروف بـــابن دوست عالم بالعربية من أهل خراسان، أخذ اللغة عن الجـــوهري، وأخـــذ عنـــه الواحدي في اللغة إلا أنه رفض – بصورة عامة – معظم ما أورده ابن دوست في شرحه لبعض أبيات المتنبي.مثال ذلك:

أيكونُ الِهجاُن غيَر هِجَانِ أمْ يَكُونُ الصُراُح غَيَر صُّراحِ

" ذكر الحاكم أبو سعيد بن دوست في تفسير هذا البيت أن الهجان جمع هجن ولم يقل ذلك أحد من أهل اللغة، وإنما جمعوا هجنا وهجناء... ثم أخطأ أيضا

في معني البيت فقال: أي لا يكون الهجن إلا هجينا ولا يكون الصـــريح إلا صريحا، وإن انتسب إلى غير نسبه وليس في البيت ذكر الانتساب، ولَم ينتســـب الصريح إلى غير نسبه، وإنما يفعل ذلك الهجين، وكثيرا ما يخطئ في هذا الديوان وليس يمكن عد هفواته لكثرتها وقلة الفائدة في ذكرها. وإنما هذا تعجباً ودلالة على أمثاله...[3]

---

[1] شرح ديوان المتنبي: للو احدى ، ج1 ، ص415 ، وانظر ص83-741

[2] نفسه، ج1، ص 19

[3] نفسه، ج1، ص 85 وانظر 120-208-131-248-768-790-

رابعا- والعروضي ت (416هـ) أبو العلاء المعرى ت(449هـ)

اعتمد الواحدي على أبي العلاء في شرحه دون أن يعارضه في شرح لفظ أو معني. أما موقفة من العروضي فان مصدر معرفتنا بشرحه هو كتاب الواحـدي، وقد وقفنا على ذلك في حينه.

خامساً -ابن فورجه ت (455 هـ):

اعتمد الواحدي على أبي العلاء في شرحه دون أن يعارضه في شرح لفظ أو معني. أما موقفة من العروضي فان مصدر معرفتنا بشرحه هو كتاب الواحـدي، وقد وقفنا على ذلك في حينه.

الخلاصة:

وهكذا رأينا أن الظروف قد أتاحت للواحدى أن يكون بين يديه عدد لابأس به من الشروح التى سبقه بها طائفة من كبار الشراح كما كانت بين يديه أقوال نقاد المتنبي التى استفاضت في الأوساط الأدبية ، وسجلها أحيانا في عدد من الكتـب والرسائل ، كالوساطة للجرجانى ، والرسالة الموضحة للحاتمى ، والكشف عـن رسائل المتنبي للصاحب بن عباد، وغير ذلك.

وقد نبه الواحدى في مقدمة كتابه إلى أن يكون الجرجانى مع ما أدعاه لنفسه من الحيطة والحذِر ، لم يستطع أن يكون محايدا ، ولامنصفا وأمـا مواقفـه مـن الشراح الآخرين فقد كان يورد ماقالوه ، فيعلق عليها أحيانا أخرى يؤيد رأيهـا ، وقد كانت تلك الشروح مع ما تتضمنته آراء أصحابها مواقِـفَ كثيـرة ، أتاحـت للواحدى مجالا أوسع من الحركة في شعر المتنبي ، وبخاصة في مجال المعـانى، فقد كان بوسعه أن يختار أفضل ما توصل إليه السابقون من معانى وأبيات للمتنبي بخاصة المفضلة فيها ، أوأن يقرع في ضوء المعانى التى سبق اقتراحهـا معنـى جديدا يتراءى له ، مخالفا في قليل أوكثير تلك المعانى السابقة ، وقد كان يتوصل الى هذه المعانى الجديدة بمادة تراثية متنوعة ـــ من القـرآن الكـريم، والحـديث الشريف، وأشعار العرب، ومأثوركلامهم كما كان يعتمد على التوجيهات اللغويـة والنحوية والصرفية للعبارة للتوصل إلى تلك المعانى، هذا بالإضافة إلـى المامـه

الكامل بالروايات المختلفة لكثيرمن أبيات المتنبي ، تلك الروايات التى كـــان لهـــا تأثير كبير في استنباط الشراح أكثرمن معنى للبيت الواحد لعدد من الروايات.

طريقة الواحدي في الشرح :

وبعد أن استعرضنا موقف الواحدي من الشراح السابقين فإنه مـــن الجـــدير بالملاحظة أن طريقة الواحدي في الشرح كانت تتغير من بيت إلى بيـــت، تبعـــاً لنقوله من الشراح وأحيانا من النقاد السابقين له، ولما تتجه إليه مناقشته اياهم فيما أوردوه سلباً كان موقفه منهم أم إيجاباً، ونستطيع أن نجعل الحديث عن طريقته في الشرح في عدد من المباحث.

المبحث الثاني:

مكونات منهج الواحدي

المطلب الاول: اللغة:

من خلال الاطلاع والبحث في شرح ديوان المتنبي للواحدي اتضح أن: الواحدي، اعتمد في شرحه لشعر المتنبي وما تضمنه من غريب الألفاظ، وتوجيه ما حفل به من مسائل نحوية وصرفية، على كتب وأقوال علماء ورواة الأجيال السابقة، فقد كان يروي في شرحه آراء لكل من سيبويه، وابن جني، وأبي الفضل العروضي، ويحتج بما آثرعنهم في كل مسألة لغوية أونحوية، تعرض له، وهو بصدد شرح الشعر، وتوضيح مقاصده وتفضيله للنواحي التي أبدع فيها هذا الشاعرأوذاك وإمكانية تقويم لأساليبهم في التعبيرعن أحاسيسهم ومشاعرهم، وإيصال تجاربهم للقاري. ومما يدل على ماأسلفنا الحديت عنه نستقي هذه الأمثلة في شرحه لشعر المتنبي: (من البسيط)

سِرْبُ محاسنُهُ حُرِمتُ ذَوَاتِها   داني الصفاتِ بعيدُ موصوفاتِهَا

يقول:"هو أى سرب حرمت ذوات محاسنه، وذوات محاسن السرب هن السّرب ، وكأنه قال أى سربٌ حرمته، أى حيل بيني وبينه، وهو داني الصفات لأنّ الوصف قولٌ وهو قادرٌ عليه متى أراده، إلاّ أنّ الموصوف بهذه الصفة وهو السرب بعيدٌ فكأنّه يقول: ((هذا السرب بعيد منّي وذكرهُ حاضر، وأضاف ذوات إلى الضميرولا يجوز ذلك عند سيبويه البتّة، وأصحابه لا يُجيزون أن تقول هذا رجل ضربتُ ذاهُ أى صاحبه وأجاز ذلك أبو العباس المبرد))[1]

ونراه ينقل تأويلات العلماء حول شرح هذ البيت: (من الطويل)

أَقلُّ فعالي بَلْهَ أَكثَرُه مَجْدُ   وذا الجِدُّ فيه نلت أم لم أنلْ جدُّ

بله اسمٌ سمّى به الفعل ومعناه دَع كما قالوا صَهْ بمعنى أُسكت، ومَه بمعنى لا تفعل وبله أكثره أي دَع أكثره ويجوزالجّربه على أن يجعل بله مصدراً مضافاً إلى أكثركما قال الله تعالى: ﴿فضربَ الرقابِ﴾[2] ومعناه فاضْربوا الرقابَ والنصبُ

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1، ص406ــ 407

[2] سورة محمد، من آية: 4.

أقوى، لأنّ بله لوكان مصدراً لوجد فعله وليس يعرف له تصرّفٌ، وهوبمنزلة صه ومه وإيه على أنه قد وجد مصادرُ لا أفعال لها، نحو ويلٌ وويسٌ وويحٌ والأَنيُ بمعنى الإِعياءَ، والإِدُّ للعجب ولافعل له، وأجاز قُطرُبٌ فيما بعد بله الرفع على أنّه بمعنى كيف والمسموع فيما بله في غالب الأمر النصب.

ومعنى المصراع الأول من هذا البيت " أنّي لا أفعل إلاّ ومغزاى المجدُ وأيّاه أنحو، ولو صرّح بالأقل لقال نومي، وأكلي، وشربي للمجد، ولو صرّح بالأكثر لقال تغريري بنفسي وركوبي المهالك وشهودي الحرب كلُّه مجدٌ أي لأجل المجد وتحصيله. يقول: ((إذا عرفت كون الأقلّ مجداً أغناك ذلك عن أن تعرف الأكثر.وقوله وذا الجّد فيه نلت معناه أنّ الجدَّ في طلب المجد جدُّ معجَّل لأن استعمال الجدّ في الأمورجَدُّ؛ لأنّه يستمرُّ عادته باستعمال الجدّ في الأمور فيصيرعادة الجدّ كعادة الجَدّ. قال ابن جنّي: أي فلو لم يكن عندي غيرهذه الجدّ في أمري وترك التّواني لقد كان جَدّا لي ".[1]

وفي شرحه لهذا البيت مايرويه عن ابن جني: (من الكامل)

شِيمُ اللّيالي أنْ تُشكِكَ نَاقَتي صَدْري بِهَا أفضَى أمْ البَيداءُ

ــ قال ابن جنّي: ((من عادات الليالي أن توقع لناقتي الشكّ أصدري أوسع أم البيداءُ لما ترى من سعة وبُعد مطلبي؟. وهذا إنّما يصحّ لو لم يكن في البيت بها وإذا رددت الكناية في بها إلى الليالي بطل ما قال: " لأنّ المعنى صدري بالليالي وحوادثها وما تورد عليّ من مشقة الأسفار وقطع المفاوز أوسع أم البيداء ".[2]

وفي شرحه لبيت آخر: (من الطويل)

منَافِعهُا مَا ضَرَّفي نفْعِ غَيرِها تغذّى وترْوى أنْ تَجَوعَ وأن تظْما

قال ابن جني:" أى منافع الأحداث أن تجوع وأن تظمأ وهذا ضارٌ لغيرها ".

ومعنى جوعها أو ظمْئها أن تُهلك الناس فتُخلى منهم الدنيا. قال ابن فورجة: " الضميرفي منافعها للجدّة المرثيّة يعني أنّها قليلة الطعم تؤثربالطعام على نفسها فتجوع وتظمأ لتنفع غيرها ".

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1 ، ص432

[2] نفسه ج1، ص296

وتمّ الكلام ثمّ جعل المصراع الثاني تفسيراً للمصراع الأوّل فقال غذاؤُها وريّها في أن تجوع وتظمأ؛ لأنّ سرورها بإِطعام غيرها يقوم مقام تغذيها وترويّها. أما قول ابن جنّيّ فليس بالوجه، ولا وجه لجوع الأحداث وظمئها على ماذكرفأمّا قول ابن فورجة فيصحّ على تقديرمنافعها ما ضرّها في نفع غيرها، وهي الجوع والعطش بايثار غيرها بالطعام والشراب. وذلك ضرٌ ينفع غيرها. وهذا صحيحٌ من هذا الوجه غيرأن الأولى ردّ الكناية إلى الأحداث والليالى لا إلى الجدّة والمعنى منافع الليالى في مضرة غيرها من الناس، ثمّ ذكر ذلك وفسر فقال غذاؤُها وريُّها في أن تجوع أيها المخاطب وتظمأ لولوعها بالإساة بنا، كأن ريها وشبعها في جوعنا وظمئنا ويروي نجوع ونظمأ بالنون على ماذكرنا من التفسير ويجوز أن يكون تجوع وتظمأ بالتاء خبراً عن الليالى..."[1]

وكذلك مايرويه عن سيبويه في شرح هذا البيت: (من الكامل)

خَلَتْ البِلادُ مِن الغَزَالةِ لِيْلَها   فأعْاضهَاكَ اللهُ كيْ لا تَحْزَنَا

الغزالة اسم الشمس يقول جعلك الله عِوَضاً من الشمس للبلاد وأهلها عند فقد الشمس بالليل كي لا يحزنوا، وسيبويه لا يجيز تقديم ضمير الغائب المتّصل على الحاضرفي مثل قولك ما فعل الرجلُ الّذي أَعطاهوك زيدٌ على معنى الّذي أعطاهُ إِيّاك فتأتي بالضميرالمنفصل وتدع المتّصل وأبو العباس يجيزه والصواب عند سيبويه فأعاضها إيّاك والشعر موقف ضرورة فيجوز فيه ما لا يجوزفي غيره ويقال عاطه وأعاطه وعوّطه بمعنىّ.[2]

وفي المثال التالي يقول: (من المنسرح)

يجدبُها تحْتَ خصْرها عَجُزٌ   كَأنّهُ من فراقِها وَجِلُ

يريد أنّ عجزها ثقيل بكثرة اللحم وهو يجدبها إذا همّت بالنهوض هذا معنى قوله يجدبها تحت خصرها عجز وقوله كأنّه من فراقها وجل أخطأَ في تفسيرهذا المصراع ابن جنّيّ وابن دوست فقال ابن جنّيّ كأن عجزها وجل من فراقها فهو متساقط متجدّل قد ذهبت منّته وتماسكه هذا كلامه ولم يعرف وجه تشبيه العجز

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1 ، ص385

[2] نفسه:ج1، ص352

بالوجل من فراقها ففسّره بهذا التفسيروأنّما يصيرالعجز بالصفة التي وصفها عند الموت، وما دامت الحياة باقية لا يصيرالعجز متساقطاً ذاهب المُنّة، وقال ابن دوست عجزها يجدبها إلى القعود لأنه خائف من فراقها فيقعدها بالأرض وهذا أفسد ممّا قاله ابن جنّيّ: ومتى وُصف العجز بالخوف من فراق صاحبه وأي رأي ذلك، ولكنه أراد وصف عجزها بكثرة اللحم وتحرُّك اللحم عليه لكثرته فشبّهه بارتعاده واضطرابه بخائف من فراقها، والخائف يوصف بالارتعاد وكذلك العجز إذا كثرلحمه كما قال، إذا ماستْ رأيْتَ لها ارْتجاجاً، فهما يتشابهان من هذا الوجه والتقديركأنه إنسان وجل أوشيءٌ وجل من فراقها وأراد كأنّ العجز في اضطراب لحمه خائف من فراقها، فلذلك ارتعد والوجل على هذا هو العجزلا غيره وليس الجدب سبب الوجل كما ذكره ابن دوست، والمعنى أن عجزها بثقله وكثرة لحمه يجدبها إلى القعود كأنه خائف من فراقها فيقعدها بالأرض إذا همّت بالنهوض[1].

وفي شرحه لبيت آخر: (من الكامل)

أويرغبُوا بقُصُورهم عن حُفْرة　　　حيّاهُ فيها مُنُكرٌ ونكيرُ

ــ قال ابن جنّيّ: وأُعيذهم أن يتركوا زيارة قبره ويلزموا قصورهم. وقال العروضيّ: ما أبعد ما وقَعَ أراد أن لا يحسبوا أنّ قصورهم أَوفق له من الحُفرة الّتي صارت روضةً من رياض الجنّة حتى حيّاهُ فيها المكان.وشرح ابن فورجة هذا القول فقال ليس معنى البيت على ما ذكره أبو الفتح لكنه يقول أُعيذهم أن يظنّوا أنّ قصورهم كانت خيراً له من قبر حيّاه فيه الملكان يقال رغبت بك عن هذا الأمر أي رفعتُك عنه. والمعنى أُعيذهم أن يرفعوا قصورهم فيجعلوها في حكمهم خيراً له من قبره أي أن قبره خيرٌ له من تلك القصورومنزله في الآخرة أشرف من منازله التي كانت في الدنيا.[2]

---

[1] انظر شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1 ، ص 317 ، 318

[2] انظر المصدر نفسه، ج1، ص196

وفي بيت آخر: (من الكامل)

وَعَلمْتُ أنّكَ في المَكارم رَاغِبٌ   صَبٌ إليْها بُكْرةً وَأصيلا

فَجَعَلْتُ ما تُهْدى إليّ هَدِيّـــــةٌ   منّي إلَيْكَ وظَرْفَها التّأميلا

ــ قال ابن جنّيّ هذا البيت يحتمل معنيين:" أحدهما أن يكون أهدى إليه شيئاً كان أهداه إليه صديقه الممدوح، والآخرأن يكون أراد جعلت ما مـــن عادتـــك أن تهديه إليّ وتزوّدنيه وقت فراقك هديّةً منّى إليك. أي أسألك أن لا تتكلّفه لي. قـــال العروضيّ فيما أملاه عليّ مما استدركه على أبي الفتح: أراد أنّك تحبّ أن تعطي فجعلت قبولَ هديّتك إليّ هديّةً مني إليك لحبّك ذلك وقول العروضيّ أمدح وأليـــق بما قبله من رغبته في المكارم واشتياقه إليها:وقوله ظرفها التأميلا الظرف وعـــاءُ الشيء. يقول جعلت تأميلي مشتملاً على قبول هذه الهديّة كاشتمال الظرف على ما فيه والهديّةُ مختلفةٌ على ماذكرنا من الأقوال"[1]

وفي بيت آخر: (من الكامل)

برٌّ يخفّ على يديْك قَبُولُه   ويَكُونُ محملُه عليّ ثقيلا

قال ابن جني أي كلفة عليك به لأنّي لم أتكلف لك شيئاً من مالي، فإنّما هـــو مالك عاد إليك أو بقى بحاله عندك. ويكون تحمُّل شكرك على قبوله ثقـــيلاً علـــيّ لتكامُل صنيعتك به، وقال العروضيّ: "هذا البيت تأكيد لِما فسرته فتأملْه لأنه يقول هذه الهديّة برٌّ تحبّه كما وصفته فيخفّ عليك قبوله لأنّه إعطاءٌ وأنت تخـــفّ إلـــى الإعطاء ولا منَّةَ عليك فيه ، وإنّما المنّةُ لك ومحمله إنّما يثقل عليّ لا عليك، لأنّك إذا أعطيتني أثقلت رقبتي بالشكر ".[2]

وفي شرحه لبيت آخر: (من البسيط)

ولا وقفْتُ بجسْمٍ مُسْيَ ثالِثَةٍ   ذي أرْسُمٍ دُرُسٍ في الأرْسُمِ الدُّرُسِ

يقول:المسي المساء مثل الصبح والصباح، والدرس جمـــع دارس ودراســـة يعني بجسم بالٍ قد أبلاه الحزن في رسوم باليةٍ دارسةٍ قال ابن جنّيّ يقول: لـــو لا هذه الظبيةُ لما وقفت على رسومها ثلاثة بلياليها أسائلها وليس معناه أنّـــه وقـــف

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1 ، ص162 ، 163

[2] نفسه ، ج1، ص 163

عليها بعد ثلاثٍ لأنّ الداربعد ثلاثٍ لاتدرس وإنّما المعنى أنّه وقف عليها ثلاثاً. قال ابن فورجة دعَوى أبي الفتح أنّه وقف عليها ثلاثاً لاتُقبل ألاّ ببينة وليس في البيت مايدل على ماذكر، وقوله الدارلا تعفو لثلاثة أيّام ليس كما ذكر، إذ قد عُلم أنّ عفو ديارالعرب لأوّل ريح تهبّ فتسقي ترابها فتدرس آثارها وأبو الطّيب لم يرد ماذهب إليه وهمه وإنّما يريد مسي ثالثه فراقها أي أقف بربعها مع قرب العهد بلقائها متشفّياً بالنظرإلى آثارها وليس بواجب أن يكون رسمها هذا الّذي وقف به هوآخررسم عهدها به فقد يجوز أن يكون رسماً قديماً.[1]

ثم يقول في شرح البيت: (من الكامل)

أوْفى فكُنْتُ إذا رَمَيْتُ بمُقلَتي   بَشَراً رأيتُ أرَقَّ من عَبَراتِهَا

" أي أشرف السربُ على مكان عالٍ لمّا سِرْن ويجوز أن يريد علون في هوادجهنّ للمسير، والبشر جمع البشرة، وهي ظاهر الجلد أي إذا وقع بصري على بشرتها رأيت أرق وألطف من عبرات المقلة، ويجوز أن يكون الضمير للبشر وأراد بالعبرات عَرَقَهنّ الّذي يسيل منها، ويكون فيه إشارةٌ إلى أنّهنّ قد عرقن من الإعياء، وروى الخوارزميّ نَشْزاً، وهو ما ارتفع من الأرض يقول إذا نظرت إلى النشز الّذي أوفى عليه السرب رأيته لطول البعد في صورة السراب والسراب أرقّ من العبرات والضميرللمقلة ".[2]

وفي شرح بيت آخر يقول: (من الكامل)

وكأنها شجرٌ بدتْ لكنّها   شَجَرٌ جنيتُ الموْتَ من ثمراتهَا

يقول: العربُ تشبهّ الإبلَ المرحولة عليها هوادجُها بالنخل والشجروالسُفُن كلّ ذلك قد جاء في أشعارهم وروى ابن جنّيّ بَلَوْت المرّ من ثمراتها...، واراد أنّها سارت بالأحبّة وكانت سبب فراقهنّ وهو المرّ الّذي جناه منه ".[3]

ثم يكمل شرح البيت: (من الكامل)

لاسرْتِ مِن إبلٍ لَوأنّي فَوْقها   لمحتْ حرارةُ مَدمَعيّ سِماتِهَا

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1 ، ص159 ، 160

[2] نفسه:ج1، ص408

[3] نفسه:ج1، ص408

يريد حرارة عينيه في البكاء ودمع الحزن يكون سخيناً حارّا، ولهذا يقال في الدعاء على الإنسان أسخن الله عينيه أي أبكاه وجداً وحزنا حتّى تسخُن عينُه. وقال ابن جنّيّ: أراد حرارة ذي مدمعيّ يعني الدمع فحذف المضاف لأن المدمع مجرى الدمع من العين.دعا على تلك الإبل بأن لا تسيرثم ذكر أنه لو كان فوقها لمحـــت سماتها حرارة دموعه ومعنى لمحت ومحت واللام الذي فيه لمكان لو.[1]

ثم نراه في شرح هذا البيت ينقل آراء العلماء دون معارضتهم: (من الكامل)

إنّي على شَغفي بِما في خُمْرها   لأعفُّ عَمّا في سرَاوبلاتِهَا

قال ابن عبّاد: كانت الشعراء تصف المآزرتنزيها لألفاظها عما يستشنع ذكره حتى تخطا هذا الشاعرالمطبوع إلى التصريح وكثيرمن العهرأحسن من هذا العفاف وسمعت أبا الفضل العروضي يقول: سمعت أبا بكر الشعراني يقول هذا مما غيّر عليه الصاحب، وكان المتنبي قد قال لأعف عما في سراوبلاتها جمع سربال وهو القميص وكذا رواه الخوارزمي يقول أنا مع حبي لوجوههن أعف عن أبدانهن.[2]

وفي بيت آخر يستعين بآراء غيره من العلماء: (من الكامل)

حاولْن تفْدِيتي وخفْن مُراقبا   فوَضَعْن أيديهُنّ فوْق تَرائبَا

" حاولن طلبن أن يقُلن لي نفديك بأَنْفُسنا وخفن الرقيب فنقلن التفديـــة مـــن القول إلى الإشارة أي إنّ أنفسنا تَفديك. وهذا معنى قول ابن جنّيّ أشرن إليّ مـــن بعيد ولم يَجْهَرْن بالسلام والتحية خوفَ الوشاة والرُقباء جعل ابن جنّيّ هذه الإشارةَ تحيّةً وتسليماً والأولى أن يكون على ماذكرناه لذكر التفدية في البيـــت ولـــم يقـــل حاولْن تسليمي ولأنّ الإشارة بالسلام لاتكون بوضع اليد على الصدر. قـــال ابـــن فورجة وضع اليد على الصدر لايكون إشارة بالسلام وإنّما أراد وضـــعن أيـــديهنّ

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1 ، ص408

[2] نفسه:ج1، ص 409

فوق ترائبهنّ تسكيناً للقلوب من الوجيب وليس كما قال وصدرُ البيت يـــنقُض مـــا قاله". [1]

وفي شرح البيت: (من الطويل)

كفَى ثُعَلاً فَخْراً بأنّكَ مِنْهُمُ ودَهْرٌ لأنْ أمْسَيتَ من أهلِهِ أهْلُ

ثُعَلٌ بطنٌ من طيءٍ وهم رهط الممدوح يقول كفاهم من الفخرأنك منهم قـــال ابن جنّيّ وارتفع دهر مضمرٍ دلَّ عليه أول الكلام كأنه قال وليفخر دهرٌ أهـــلٌ لأن أمسَيْتَ من أهله، وأهل صفة للدهر وروى ابن فورجة ودهراً عطفاً على ثعلاً قال وأهلٌ رفع لأنّه خبر مبتدأ محذوف، أي هو أهلٌ لأن أمسيت من أهله قال وللرفـــع في ودهر وجهٌ آخرُ وهو العطف على فاعل كفى، كأنّه قال وكفى دهرٌ أهـــلٌ لأن أمسيت من أهله ثعلاً فخراً أي كفاهم دهرُك فخراً لهم وأهل الأخير في البيت معناه مستأهل لذلك مستحقٌ. [2]

ثم يستعين على شرح شعر غيره: (من البسيط)

إبْعَدْ بَعدْت بياضاً لا بياضَ لَهُ لأنْتَ أسْوَدُ في عَيني مِنَ الظُلَمِ

يقال بعِد يبعُد بَعَداً إذا ذلّ وهلك وعنى بالبياض الأوّل بياض الشيب وبالثاني الخصال الحميدة.يقول يا بياضاً ليس له بياضٌ يريد معنى قول أبي تمّـــام: (مـــن الطويل)

له مَنْظَرٌ في العين أَبْيَضُ ناصعُ ولكنَّهُ في القلْب أَسْودُ أَسْفَعُ [3]

وقد قال أبو الطيّب في بياض الثلج ما يشبه هذا وهو قوله ، فكأنّها ببياضِها سَوْداءُ. يقول بياض الشيب ليس ببياض فيه نورٌ وسرورٌ وهو أشدّ سواداً من الظلم لِما يورّى به من قطع الأجل وقطع الأمل وجميع من فسّر هذا الشعر قالوا في قوله لأنت أسود في عيني من الظلم إنّ هذا من الشاذّ الّذي أجازه الكوفيّون مـــن نحـــو قوله أبيضُ من أُخْت بني إباض وسمعت العروضيّ يقول أسود هاهنا واحد السود والظلم الليالي الثلاث في أواخر الشهرالتي يقال لها ثلاث ظُلَم.يقول لبياض شـــيبه

---

(1) شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1 ، ص 268

(2) نفسه:ج1، ص136

(3) ديوان أبي تمام تقديم وشرح محيي الدين صبحي، ج1، دار صادر بيروت، ص399.

أنت عندي واحدة من تلك الليالي الظلم على أن أبا الفتح قد قال مايقارب هذا فقال وقد يمكن أن يكون لأنت أسود في عيني كلاما تاما ثم ابتداء بصفةٍ فقال من الظلم كما تقول هو كريمٌ من أحرارٍ وهذا يقارب ما ذكره العروضيّ غير أنّه لم يجعل الظلم الليالي ".[1]

وفي بيت آخر: (من البسيط)

ترنو إلي بعين الظّبيِ مُجْهِشةً   وتَمْسَحُ الطّلَّ فوْقَ الورْدِ بالعَنَمِ

جعل عينها عين الظبي لسوادها ومجهشة متهيئة للبكاء ، ويريد بالطلّ دموعها وبالورد خدّها وبالعنم أطراف بنانها محمّرة بالخضب. والعنم شجرٌ له ثمر أسمريشبه العُنّاب قال الأزهريّ قد رأيته في عدة مواضع. ومعنى البيت من قول أبي نواس وهو ما قرأته على أبي الحسن محمّد بن الفضل فقلت أخبركم عن عبد المؤمن بن خلف قال أخبرنا محمد بن زكريّاء الغلابيّ قال سمعت الصَلْتَ بن مسعود الجحدَريّ يقول: كنت على الصفا وإلى جنبي سفين بن عُيَيْنَة فقال لي يا شابُّ من أين أنت ؟ فقلت أنا من ناحية العراق فقال ما فعل شاعركم ما فعل ظريفكم قلت من تعني قال الحسن بن هانئ. قلت وما الّذي استظْرفتَ من شعره قال قوله: (من السريع)

ياقَمراً أَبْصَرْتُ في مَأْتَمٍ   ينْدُبُ شَجْواً بين أَترابِ
يَبكي فيُلْقي الدُرَّ من نَرْجِس   ويَلْطُمُ الوَرْدَ بعنّابِ[2]

وفي شرحه لبيت آخر:

إذاً لَبَزّكِ ثَوبَ الحُسنِ أصغَرُهُ   وَصِرْتِ مثليَ في ثَوْبينِ من سَقَمِ

قال الزجاج تأويل إذاً إن كان الأمر كما جرى أو كما ذكرت يقول القائل زيد يصير إليك فتقول إذاً أُكرمه تأويله إن كان الأمر على ماتصف وقع إكرامه وتأويله ههنا أنّه ذكر أنّها لم تجنّ الألمِ كأنّه قال لو أجننتِ من الألم ما أجننتهُ إذاً لبزّك أي لسلبك ثوب الحسن أقلُّ جزءٍ من أجزاءِ الألم أي أذهب حسنك وظهر عليك من أثره ما يذهب نضره حسنك ويكسوك ثوب السقم وإنّما ذكرلفظ التثنية

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1 ، ص 113

[2] ديوان أبي نواس تحقيق عبدالحميد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 242.

لأنَّ العادة في اللباس ثوبان إزار ورداءْ للعرب ويسمّونهما الحُلّة، وللعجم قميص وسراويل فكأنّه قال وكساك حلّة السقم كما كساني ".[1]

وفي شرح هذا البيت يقول: (من الطويل)

أبحْرٌ يضُرُّ المُعْتفين وطعْمُهُ زُعاقٌ كبحرٍ لايَضُرّ وينْفَعُ

المعتفون السائلون يقال فلان عفاه واعتفاه إذا أتاه سائلاً والزعاق المرّ يريد أن يفضّل الممدوح على البحر والاستفهام في أوّل البيت معناه الإنكار يقول ليس بحر يضرّ مَنْ وَرَدَهُ بالغرق وهو الطعم لا يمكن شربه كبحر ينفع الواردين بالعطاء ولا يضرّهم. ولو قال ينفع ولا يضرّ كان أحسن حتّى لا يتوهّم نفي النفع والضرر جميعاً لكنّه قدّم لا يضرّ لإثبات القافية. قال ابن جنّيّ وهذا فيه قبح لأنّ المشهورعندهم أن ينسب الممدوح إلى المنفعة لأوليآئه والمضرّة لأعدائه كما قال الشاعر:

ولكنْ فتى الفتْيانِ منْ رَاَحَ واغْتدى لضرَّعَدُوٍّ أو لَنفْعِ صديق

وقال الآخر:

إذا أنت لم تَنْفعْ فَضُرَّ فَإنّما يرجّى الفتى كَيْما يضُرَّ وَيَنْفَعَا

قال ابن فورجة أبو الطيّب قال أبحريضرّ المعتفين فخصّص في المصراع الأوّل فعُلم من لفظه أنّه أراد كبحرلايضُرّ المعتفين لأنّه خصّص في ابتدآء الكلام ولا يكون آخرالكلام خارجاً عن أوّله وهذا على ما قال ".[2]

وفي شرح البيت التالي: (من الطويل)

فأرْحامُ شعْرٍ يتصِلْن لَدُنّهُ وأرْحامُ مالٍ ما تَني تتقطّعُ

ــ قال ابن جنّيّ قوله لدنّه فيه قبح وبشاعة لأنّ النون إنّما تشدّد إذا كانت بعدها نونٌ نحو لدنّى ولدُنّا وإذا لم يكن بعدها نون فهي خفيفة كقوله تعالى: ﴿من لَدُنْهُ﴾[3] وكقوله تعالى: ﴿من لدُنْ حكيم خبيرٍ﴾[4]، وأقربت ما ينصرف إليه هذا أن يقال إنّه شبّه بعض الضمير ببعضٍ ضرورة وإن لم يكن في الهاء ما في النون

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1 ، ص 115

[2] نفسه، ج1، ص 104، 105

[3] سورة النساء، من الآية: 40.

[4] سورة فصلت، من الآية: 1

من وجوب الإدغام كما قالوا يَعِدُ فحذفوا الواو لوقوعها بين ياء وكسرة ثــمّ قــالوا أَعِدُ ونَعِدُ وتَعِدُ فحذفوا الفآء أيضاً وإن لم يكن مايوجبه قال ويجوز أن يكون ثقَّــل النون كما قالوا في القُطْنِ القُطُنِّ "...[1]

كما نراه في شرح هذا البيت: (من الكامل)

أمّا بنُوأوْس بنِ مَعْن بن الرّضَى   فأعزُّ مَنْ تُحْدَى إليه الأيْنُقُ

ــ أمّا لا تستعمل مفردةً لأن ما بعدها يكون تفصيلاً فيقال أمّا كذا فكذا وأمــا كذا فكذا كقوله تعالى ﴿أما السفينةُ فكانت لمساكين ﴾[2] ثمّ قال ﴿ وأمّا الغلامُ ﴾[3] ﴿وأمّا الجِدارُ﴾[4]، وقد استعمله مفرداً وهو قليل وروى أبو بكرالرضا بضمّ الراء قال وهو اسم صنم وأراد ابن عبد الرضا كما قالوا ابن منافٍ في ابن عبد منــافٍ وروى غيره بكسر الراء وهو المعروف في أسماء الرجال والأنيق جمــع علــى غيرقياس وقياسه الأنوُق إلا أنهم أبدلوا الواو ياءً وقدموها على النون يقول هؤلاء أعز من يقصدهم الناس ".[5]

وفي ذكر المناسبة: (من الوافر)

فإنْ تَفُقِ الأنامُ وأنْتَ منهُمْ   فإنّ المِسكَ بَعضُ دَمِ الغزالِ

ــ يقول إن فضلت الناس وأنت من جملتهم فقد يفضل بعض الشيء جملتــه كالمسك وهو بعض دم الغزال وقد فضله فضلا كثيراً. قال أبو الحسن محمّد ابــن أحمد المعروف بالشاعر المغربيّ: كان سيف الدولة يسرٌ بمن يحفظ شعر المتنبــيّ وأنشدته يوماً، رأيتك في الذين أرى ملوكا، وكان أبو الطيب حاضرا فقلــت هــذا البيت والذي يتلوه لم يُسبق إليه فقال سيف الدولة كذا حدّثني ثقةٌ أنّ أبــا الفضــل محمد بن الحسين قال كما قلت فأُعجب المتنبي، واهتزّ فأردت أن أحركه فقلت إلا إن في أحدهما عيباً في الصنعة فالتفت المتنبي التفات حنق فقال ماهو فقلت قولــك مستقيم في محالٍ والمحال ليس ضدّاً للاستقامة وإنّمــا ضــدّها الاعوجــاج فقــال

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1 ص 102، 103

[2] سورة الكهف من الآية: 78.

[3] سورة الكهف من الآية: 79.

[4] سورة الكهف من الآية: 81.

[5] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1، ص97

الأميرهب القصيدة جيمية فكيف تعمل في تغييرقافية البيت الثاني فقلت عجلاً كردّة الطرف، فإنْ تفُق الأنام وأنت منهمْ ، فإنّ البيْض بعْضُ دم الدجاج فضحك وضرب بيده وقال حسنٌ مع هذه السرعة إلاّ أنّه يصلح أن يباع في سوق الطيرلا أنّه ممّا لا يُمدح به أمثالنا يا أبا الحسن ".[1]

وفي البيت التالي يفاضل بين آراء العلماء في شرحه للبيت: (من الوافر)

رواقُ العِزّ فَوْقكِ مُسبطرٌّ   ومُلْكُ عليٍّ ابنك في كَمالِ

ــ يقول كنت في عزّ طويل وكمال ملكٍ من ملك ابنك. قال الصاحب ذكــره الاسبطرار في مرْثية النساء من الخذلان المبين قال ابن فورجة ولا خذلان فيمــا صحّ واستُعمل كثيراً يريد أنّ الاسبطرار بمعنى الامتــداد يســتعمل كثيــراً قــال عمروبن معْدى كرب " جداولُ زرعٍ خُلِّيتْ واسْـبطرَّتْ ، ســمعت أبــا الفضــل العروضيّ يقول سمعت أبا بكر الشعْرانيّ خادم المتنبي ورد علينا فقرأنــا عليــه شعره فأنكر هذه اللفظة وقال: قرأنا على أبي الطيّب، رواقُ العزّ فوقك مُســتظلٌّ " قال العروضيّ وإنّما غيرّه عليه الصاحب ثمّ عابه به وعلى هذا فقد سقط ثقل اللفظ وكراهة المعنى ".[2]

وفي بيت آخر يستظهر على معنى البيت بالشعر الجاهلي: (من الوافر)

لساحية على الأجداثِ حَفْشٌ   كأيدي الخَيلِ أبصرت المَخالي

الساحي القاشر يقشر الأرض بشدّة انصبابه، والأجداثُ القبور قال أبوزيد يقــال: حفشت السَّماء تحفش حفشاً إذا جادت بالمطر وقال ابن الأعرابيّ حفشــت الأوديــة إذا سالت كلّها وقد بالغ في وصف المطر حيث جعله في إلحاحه علــى الأرض بالقشــر كأيدي الخيل إذا رأت مخالي الشعير فإنّها تنشط وتحفر الأرض بقوائمها. ولــيس هــذا من مختار الكلام، ولا من المستحسن أن يسأل السقيا لقبر بمطرٍ يحفــره حفــر أيــدي الخيل. قال ابن جنّيّ: الغرض في الدعاء للقبور بالغيث الإنبات وما يدعو الناس إلــى الحلول والإقامة به وهو مذهب العرب ألا ترى إلى قول النابغة. وزال قبْرٌ بيْن بُصرى

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج2 ، ص 580

[2] نفسه:ج2، ص 576

وجاسم، عليه من الوسْميّ سحٌ ووابلُ. فيُنْبِتَ حوْذاناً وعَوْفاً مُنوِّراً، سأُتْبِعُهُ من خَيْرِ مــا قال قائلُ. وكلّما اشتدّ المطرُ كان أجمّ لنباته وأمرع له ".[1]

وفي بيت آخر يختار رواية ابن جنى عن ابن فورجة: (من الوافر)

وهذا أوّلُ الناعين طُرًّا   لأوّل مِيْتهٍ في ذي الجلالِ

يقول هذا الناعي أوّل الناعين جميعاً لأوّل امرأةٍ كانت في هذا الجلال. يعني لم تمُت امرأة قبلها أجلّ منها، وروى ابن جنّيّ لأوّل مَيْتة بفتح الميم يريــد ميِّتــةً فخفّفت قال ابن فورجة الميتة كثر استعمالها بمعنى الجيفة كقوله تعالى ﴿حُرّمــت عليكم المَيْتَةُ﴾[2] ولايخاطب أبو الطيّب سيف الدولة بمثل هذا في أمــه والروايــة بكسر الميم يعني الحال التي ماتت عليها وهذا الّذي ذكره ابن فورجة غيرُ ظــاهر لأنّه أراد أوّل الأموات ولم يرد أوّل الأحوال ".[3]

وفي شرح البيت التالي يؤكد على صحة رأي ابن جنى: (من الطويل)

إذا ظَفِرتْ منك العُيونُ بنَظرةٍ   أثاب بها مُعيي المَطيّ ورازِمُهْ

الرازم والرازح الّذي قد قام من الإعياء فلا يبرح والمعنى أنّ الإبل الرازحة الّتي كلّت وعجزت عن المشْي، إذا نظرت إليك عاشت أنفسها وعادت قوّتها فكيف بنا، وهذا تأكيد للمعنى الأوّل في قوله:تغرم الأُولى البيت. ويقال أثــاب فــلانٌ إذا ثاب إليه جسمه وصلح بدنه ومعنى قوله العيون كلَّ عــين. يقــول: إذا ظهــرت للناظرين صلحت حال المطايا وهي لا تعقل بالنظر إليك فما الظنّ بنــا وحياتنــا برؤْيتك. وهذا كلّه معنى قول ابن جنّيّ إنّ الإبل الرازحة إذا نظرت إليك عاشــت أنفسها فكيف بنا، قال ابن فورجة: إنّما يعنى بالمطيّ أصحابها والإبل لا فائدة لها في النظر إلى هذه المحبوبة وإن فاقت حسناً وجمالاً وإنّما ركّابها يــرون بــذلك. والقول ما قاله أبو الفتح أنّ الإبل الّتي لا عقل لها يتأثر فيها النظر على مقتضــى المبالغة والتعمّق في المعنى لا على الحقيقة كعادة الشعراء فــي المبالغــة وذكــر المطيّ على اللفظ كتذكير النخل والسحاب وما أشبههما من الجمع.[4]

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج2 ، ص576

[2] سورة البقرة، من الآية: 172.

[3] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج2، ص575

[4] نفسه:ج2، ص 558

وفي بيت آخر يفضل رأي ابن فورجة: (من الطويل)

وغيرُ فُؤادي للغوَاني رَمِيّةٌ   وغَيرُ بَنَاني للزّجاج رِكَابُ

الرميّة الطّريدة التي تُرْمى.يقول: قلبي لا تصبيه النسوان بسهام الحاظهنّ لأنّي لا أميل إليهنّ فإنّي لست غَزِلا زيراً بل أنا عزُهاة عزوف النفس عنهنّ ولا أحبّ الخمر ومعاقرتها، فبناني لا تصيرمَرْكباً للزجاج، أي لا أحمل كأسَ الخمر بيدي. وروى ابن جنّيّ للرخاخ بالخاء المعجمة وقال إنّي لست ممّن يصبو إلى الغواني واللهو بالشطرنج، وقال ابن فورجة البنان ركابٌ للقدح وأمّا الرُخّ فالبنان راكبة له في حال حمله وأيضاً فإنّه كلمة أعجمية لم يستعملها العرب القدماء ولا الفصحاء وأيضاً فإن التنزّه عن شرب الخمر أليق بالتنزّه عن الغزل وعن لعب الشطرنج ".[1]

وفي هذا البيت يقارن بين آراء العلماء ويختارأفضلها: (من الطويل)

وَأكْثرُ مَا تَلْقَى أبَا المِسْكِ بِذَلّةٍ   إذا لم يَصُنْ إلا الحَديدَ ثِيَابُ

قال ابن جنّي: "يقول إذا تكفّرت الأبطال ولبست الثياب فوق الحديد خشيةً واستظهاراً فذاك الوقت أشدّ مايكون تبذّلا للضرب والطعن شجاعةً وإقداماً.هذا كلامه، وقد جعل الثياب تصون الحديد، قال أبو الفضل العروضي أحسبُ أبا الفتح أن يقول قبل أن يتفكّر ويرسل قلمَه قبل أن يتدبّر، والمتنبي جعل الصون للحديد لا للثياب بقوله: إذا لم يصُن ثياب إلا الحديد يعني الدرع وليس يريد صيانة الحديد، وإنما يريد صيانة الرجل نفسه واستظهاره بلبس الحديد ونصب الحديد مع النفي لأنّه تقدّم على المستثنىَ منه فصار كما قال الكميت: (من الكامل)

فَما لِيَ إلا آلَ أحْمَدَ شيعَةٌ   وما لِيَ إلا مذهب الحَقِ مُشعبُ

وهذا أظهر من أن يحتاج إلى بسط القول فيه.قال ابن فورجة ليس المصون الحديدَ على ما توهمه، بل مفعول يصن محذوف على تقدير إذا لم يصن الأبدان ثيابٌ إلاّ الحديد، فلمّا قدّم المستثنى نصبه انتهى كلامه..."[2]

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج2، ص 967

[2] نفسه:ج2، ص 968

وفي هذا البيت ينقل رواية الأصمعي دون مناقشتها: (من الكامل)

وإذا المَكارِمُ وَالصّوَارِمُ وَالقَنَا وَبَنَاتُ أعوَجَ كلُّ شيءٍ يجمَعُ

يقول: " إنّما يجمع في حياته المكارم والأسلحة والخيل لا الذهب والفضّة، وأعوج فحلٌ معروفٌ من فحول العرب إليه تُنسب الخيل الأعوجيةُ. وإنمّا سمّي أعوج لأن ليلاً وقعت فيه غارة على أصحاب هذا الفحل وكان مهراً ولضنّهم به حملوه في وعاء على الإبل حين هربوا من الغارة فأعوجّ ظهرُه وبقي فيه العوجُ فلُقّب بالأعوج وقال الأصمعي: سُئل ابنُ الهلاليّة فارسُ أعوج عن أعوج فقال ضللت في بعض مفاوز تميم فرأيت قطاةً تطير فقلت في نفسي والله ما تُريد إلاّ الماء فاتّبعتها ولم أزلْ أغضّ من عِنان أعوج حتى وردتُ والقطاةَ وهذا البيت من قول حاتم ، متى ما يجيءُ يوماً إلى المال وارِثي " [1]

وانظر إليه في شرح هذا البيت يدافع عن المتنبي: (من البسيط)

مَنِ اقتَضَى بسِوَى الهِنديّ حاجَتَهُ أجابَ كلَّ سُؤالٍ عَن هَلٍ بلَمِ

يقول: " من طلب حاجته بغيرالسيف أجاب سائله عن قوله هل أدركت حاجتك بلم أُدرك. قال القاضي أبوالحسن ابن الحاجب أن يقول عن هل بلا لأنّ الطالب بغيرالسيف يقول هل تتبرَّع لي بهذا المال؟ فيقول المسؤول: لا فأقام لم مقامَ لا حرفان للنفي وهذا ظُلم منه للمتنبي وقلة فهم من القاضي، ولو أراد ذلك الّذي ظنّه لقال أجيب عن كلّ سؤال بهل بلا لأنّه المُقتضى فيجاب وليس هو المجيبَ والّذي أراد أبو الطيّب أنّ الناس يسألونه هل أدركت حاجتك هل وصلت إلى بغيتك ؟ فيجيب ويقول في الجواب لم أدرك ولم أظفر ولم أصل ".[2]

ونراه في هذا البيت يخالف ماذهب إليه ابن جنّيّ: (من الطويل)

فولّت تُريغُ الغَيثَ والغَيثَ خَلّفَتْ وَتَطلُبُ ما قد كانَ في اليَدِ وبالرِّجْلِ

تريغ تطلب. قال ابن جنّيّ: أي لو ظفرت بالكوفة وماقصدت له لو صلت إلى تناوُل الغيث باليد عن قريب. قال أبوالفضل العروضيّ، فيما أملاه عليّ: هذا تفسيرُمن لم يخطرالبيت بباله لأنّه ظاهرعلى المتدبّر، إنّما يقول قد كانوا في أمن

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج2، ص1007

[2] نفسه:ج2، ص 1018

ونعمه، وشبّه ما كانوا فيه بالغيث فاستزادوا طلبَ الملك، وجاؤوا محاربين فهُزموا فلمّا تولّوا هاربين قصدوا بأرجلهم ماكان في أيديهم من مواطنهم ونعمــتهم فــذلك قوله: وتطلب ما قد كان في اليد بالرجل، وقال ابن فورجة يعني أنها كانــت فـــي غيث من إقطاع السلطان وإنعامه فلمّا عصوا وحاربوا ثمّ انهزموا وولوا هـــاربين يطلبون مأمناً، وقد خلّفت أمناً كان حاصلاً لها وتطلب بأرجلها ماكان في أيديها أي تطلب بهربها وإغذاذها على أرجلها ماكان حاصلاً في أيديها ".[1]

وفي هذا البيت يروى للكساني في شرح البيت: (من الكامل)

أرأيْتَ هِمّةَ نَاقتي في ناقَةٍ   نَقَلَتْ يداً سُرُحاً وَخُفاً مُجمَرَا

السرح السهلة السير، والمجمرمن صفة الخفّ الصلب. أنشد الكِسائيّ، أنْعَتُها إِنّيَ من نُعّاتِها، مُداراةُ الأخفاف مُجْمَراتُها ، ويقال أيضاً مجمرأي خفيف سريع من قولهم أجمرت الناقةُ إذا أسرعت. قال أبوبكر الخوارزميّ في قوله خفّاً مجمراً أراد خفّاً خفيفاً فلم يوافقه اللفظ ولو وافقه لكان تجنيساً ظاهراً وإذا لم يوافقه فهو تجنيسٌ مُعَمًّى " [2].

وأحياناً ينقل آراء العلماء ثمّ يفاضل بينهم: (من الطويل)

إذا ما استَجَبنَ الماءَ يَعرِضُ نَفْسَهُ   كَرِعْنَ بِسِبْتٍ في إنَاءٍ من الوَرْدِ

"روى ابن جنّيّ إذا ما استحَيْن الماءَ فرواه كرعن بسبتٍ وفسّــر أن الأبــل استحيت الماء لكثرة عرض نفسه عليها ثمّ قال وألبست مَشافرها للينها ونقائها. قال يقول إذا مرّت هذه الإبل بالمياه الّتي غادرتها السيول فلكثرتهـــا صـــارت كأنّهـــا تعرض أنفسَها على الأبل فتشرب منها كأنّها مستحِيِيةٌ منها لكثرة عرضها نفوسها عليها. وإن كان لا عرض هناك ولا استحياء في الحقيقة، ولكنـــه جـــرى مـــثلاً. وكرعن شربن وأصله من إدخال أكارع الشاربة في الماء للشرب وجعل الموضعَ المتضمِّن للماء لكثرة الزهر فيه كأنّه إناءٌ من ورد. هذا كلامُه ومعنى البيت على روايته وتفسيره أنّه يصف كثرة مياه الأمطارفي طريقه وأنّه أينَما ذهب رأى الماء

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج2، ص 1031، 1032

[2] نفسه:ج2، ص 1040

فكأنه يعرض نفسه على الإبل والإبل تستحي من وردّ الماء إذا كثُرعرضُه نفسه عليها فتكرع فيه بمشافر كأنّها البست والأرض قد أنبتت الأزهاروالأنوار، فكأنّها إناءٌ لذلك الماء من الورد، قال أبوالفضل العروضيّ ما أصنعُ برجلٍ ادّعى أنّه قرأ هذا الديوان على المتنبي ثمّ يروي هذه الرواية ويفسّر هذا التفسير وقد صحّت روايتنا عن جماعةٍ منهم محمّد بن العبّاس الخوارزميّ، وأبو محمّد بن أبي القاسم الحرضيّ، وأبوالحسن الرُخَّجيّ، وأبو بكرالشعرانيّ وعدّةٌ يطول ذكرهم رووا"[1]

وفي بيت آخر: (من الوافر)

إذا اشْتَبَهتْ دُموعٌ في خُدودٍ   تَبَيّنَ مَنْ بَكَى مِمّنْ تَباكَى

أذَمَّتْ مَكْرُماتُ أبي شُجاعٍ   لعَيْني مِنْ نَوَايَ على أولاكَا

روى ابن جنّيّ وابن فورجة نواي بالنون قال ابن جنّيّ أي منعت مكرُماته عيني أن تجري منها دموع كاذبةٌ واخْتارَ البُعدَ عنه والمقام دونه. وقال ابن فورجة يريد أنّ مكرمات أبي شجاع تذمّ لعيني على أهلي الّذين أقصدهم من نَوايَ عنك. أي أشتهي أبداً ملازمتك والبعد عن أولئك فيكون الذمام إذَن على أهله لعينه وهم الخائفون من نوى أبي الطيّب ".[2] (من الوافر)

وفي هذا البيت يحاور رواية ابن جنى ويقارن بما رواه ابن فورجة:

حَيِيٌّ منْ إلهي أنْ يَرَاني   وَقَد فارَقْتُ دارَكَ وَاصْطَفَاكاَ

روى ابن جنّيّ واصْطفاك بكسرالطاء.قال الاصطفاء ممدود فقصّره واحتجّ عليه بأحد عشربيتاً عنه لأنّ قصرالممدود في الشعرأشهرمن أن يُحتاج فيه إلى ذكرالشواهد وأنكرابن فورجة هذه الرواية ، ورواه مفتوح الطاء على الفعل، وقال لِمَ يستحيي من الله تعالى إذا فارق داره واختياره إيّاه أعني اختيارالممدوح للمتنبي، بل لا وجه لحيائه في فعله ذاك إذ ليس كلٌ من فارقه وزهد في اختياره إيّاه ارتكب حَوْباً، وإنّما يستحيي من الله تعالى إذا فارق دارالممدوح. والله تعالى قد اصطفاه

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج2، ص 1060

[2] نفسه:ج2، ص1126

واختاره على خلقه فكلّ من فارقه يجب أن يستحي من خالقه ، هذا لعمري موضعُ حياء على مذهب الشعراء ، وللشعراء في تعظيم الممـــدوح وإظهارالرغبـــة فيـــه مذهبٌ مشهورلا ينكر، وقال أيضاً لا معنى لحياء المتنبي مـــن الله إذا فـــارق دار عضد الدولة، واصطفاءه، بل يجب أن يتقرب إلى الله تعالى بتلك المفارقة والزهد في داره وإنما يقول إنا حيى من إلهي أن أفارقك وقد اصطفاك الله تعالى ووكـــل إليك الأرزاق والعباد. ألاتراه كيف بين وجه حيائه من الله تعالى إذ ذكراصطفاءه ولولم يذكرلكان لا تخلص له من الحياء من الله تعالى بمفارقة دارعضد الدولـــة. هذا كلامه على هذا البيت في كتابيه التجنّي والفتح وهو صحيح والمعنـــى علـــى ماقاله والرواية الصحيحة فتح الطاء والله سبحانه وتعالى أعلم بالصـــواب وإليـــه المرجع والمآب ".[1]

ويستظهر على شرحه برواية ابن فورجة: (من الخفيف)

لَكَ إلفُ يجُرّهُ وإذا مَا   كرُم الأصلُ كان للإلفِ أصْلا

ــ قال ابن جنّيّ تجرّه تصحبه وتحمل ثقله. وروى ابن فورجة يجرّه باليـــاء وهو الصواب.والمعنى لك ألف يجرّ هذا الحزن ويجنيه عليك ثمّ ذكر أنّ الألف من كرم الأصل وأنّ الكريم ألوفٌ إذا كان ألوفاً حزِن على فراق من أَلِفَهُ ".[2]

وفي شرح البيت التالي يستظهر على معنى برأي الأصمعي: (من البسيط)

ودُونَ السَّهام وَدُنَ القُرّ طَافِحَةٌ   عَلى نُفُوسِهِمْ المُقْوَرّةُ المُزُعُ

يقال لوهج الصيف وحرارته السَهامُ والسُهامُ وقوله طافحةٌ أي مسرعة يقـــال طفح يطفَح إذا ذهب يعدو. قال الأصمعيّ: الطافح الّذي يعـــدووالمقوّرة الضـــامرة والمُزُع جمع مزوع يقال مزع الفرس يمزع إذا مرّ خفيفاً. يقـــول قبـــل الصـــيف وحرارته وقبل الشتآء وبرده تأتيهم خيل سيف الدولة فتعدو على نفوسهم فتطـــأهم بحوافرها يعني أنّ له غزوتين في كلّ سنةٍ ، غزوة فـــي الربيـــع، وغـــزوة فـــي

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج2، ص1128

[2] نفسه:ج2، ص825

الخريف وروى ابن جنّيّ دون السِهام ودون الفَرّ والمعنى على هذه الرواية قبل أنّ تصل إليهم سِهام الرُماة وقبل أنّ يفرّوا تهجم عليهم هذه الخيل العاديةُ الضامرة".[1]

وفي شرحه لهذا البيت يستعين برأي سيبويه: (من الطويل)

مَضَى بَعدَ ما التَفتَّ الرِماحان ساعةً   كَما يَتَلَقَّى الهُدبُ في الرَقْدةِ الهُدْبا

" أراد رماح الفريقين فثنّى الجمعَيْن، كما قال أبو النجم، بين رِماحَيْ مالِــكٍ ونَهْشَلِ، وهذا كما حكاه سيبويه من قولهم لِقاحان سوداوان واللِقاح تكسير لِقْحـــةٍ، وقد ثُنّى وجَمْعُ الجمع المكسرأكثرفي اللغة من تثنية الجمع، يقول: انهزم الدمستق بعدما تشاجرت رماح الفريقين ساعةً كما تختلط الأهداب الأعالي والأسافل عنــد النوم "[2] أما في شرحه لهذا البيت ينقل رأي العروضي: (من الطويل)

فَدَتْكَ مُلُوكٌ لم تُسَمَّ مَوَاضِيـــــــاً   فإنّكَ ماضِي الشّفْرَتَينِ صَقِيلُ
إذا كانَ بَعضُ النّاس سّيفاً لدَوْلَةٍ   فَفي النّاس بُوقاتٌ لهَا وطُبُولُ

" البوق قد جاء في كلام العرب أنشد الأصمعيّ، زَمْرَالنَصارَى زَمَّرَتْ في البوق ، ومنه سمّيت الداهيةُ بائقة ويقال أباق عليهم الدهرأي هجــم علـــيهم كمـــا يخـــرج الصوت من البوق ويجمع على بوقات. وإن كان مذكراً وهو جائز كما قالوا حمام وحمامات وسُرادقات وجواب وجوابات وهوكثيرٌ والمعنى أنّــك إذا كنــت ســيفَ الدولة فغيرُك من الملوك بالاضافة إليك للدولة بمنزله البوق والطبل أي لا يغنون غناءَك ولا يقومون مقامك وعنى ببعض الناس سيف الدولة.هذا هــو الظـــاهرمن معنى البيت قال أبو الفضل العروضيّ أراد بالبوق والطبل الشعراء الذين يشيعون ذكرَه ويذكرون في أشعارهم غزواته فينتشربهم ذكره في الناس كـــالبوق والطبـــل اللَّذيْن هما لإعلام الناس بما يحدث ".[3]

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج2، ص 660

[2] نفسه:ج2، ص 687

[3] نفسه: ج2 ص 687

أ- استخدام الألفاظ المعربة.

كان للثقافة الدخيلة علي العربية أثر كبير في وجود عدد من الالفاظ الغريبة وقد استعملها العرب بعد تطويعها لمنهج العربية ، في أصواتها وبنيتها، وما شاكل ذلك، فأصابها تحريف عن أصلها عند أصحابها من غير العرب[1].

وقد جاءت ملاحظات الواحدي – في الغالب- تذكر لغتها الأصيلة والفئة التي تستخدمها كقول المتنبي: (من الكامل)

نورٌ تظاهرَ منك لا هُوتيّهُ فتكاد تعلمُ عِلْمَ ما لَنْ يُعْلَما

يقول الواحدي: " لا هُوتيّهُ: الهيئة وهذه لغة عبرانية يقولون لله تعالى لا هوت وناسوت " [2]ويقول ابن فورجة " اللاهوت والناسوت لفظتان مولدتان يتكلم بها الفلاسفة والمتكلمون يريدون الالاهي والإنساني من العلوم "[3] فتفيد ملاحظة الواحدي دلالة لغوية عامة، عليها مسحة من اهتماماته الدينية، أما تعليق ابن فورجة فيفيد بالإضافة إلى بيان دخولها على اللغة العربية دلالة خاصة على ثقافة المتنبي ومعرفته بألفاظ الطائفتين السابقتين، وإذا كان المتنبي قد اكتسب مثل اللفظة السابقة عن ثقافة؛ فربما اكتسب غيرها من رحلاته وتطوافه في أرجاء الدولة الإسلامية بين شعوب لهجات متعددة شعر بينها بغربة اللسان، انتقل إلى لغتة منها شئ وأعانته جسارته اللغوية التي شهد بها ابن جنّي [4] على استخدامها في شعره من ذلك قوله: (من الرجز)

كَقَشْرِكَ الحِبْرَ من المَهارِقِ أرودُهُ مِنْهُ بَكَا لشُوذَانِقِ

يذكر الواحدي " المهارق جمع مهرق وهو الصحيفة يكتب فيها وهو معرب مهره كرده والشوذانق معرب من سه ذانك أي نصف درهم[5] على أن

---

[1] انظر فصول في اللغة، دار الملح للطباعة والنشر، 1974، ص314.

[2] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1، ص20.

[3] الفتح على أبي الفتح: ابن فورجة ص301.

[4] انظر الفسر: ابن جنى (1).

[5] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1، 334.

القطع بمصدر محدد لاكتساب الشاعر لفظة ما، أمر يشوبه محاذير عديدة فربمـــا هذه الفظة اكتسبها من تطوافه واختلاطه بكتاب فارسيين أو غيرهم وقد تكـــــون مما شاع في البيئة مهما كان نوعها.

ويذكر الواحدي أنه أخذ مما تتحدث به العامة – وهذا مكـــروه لـــدى النقـــاد القدماء[1] ما يعود إلى أصل غير عربي كما استعمل منها ما يعـــود إلـــى أصـــل عربي، فمن النوع الأول كلمة "مخشلب" في قوله:

بَياضُ وجْهٍ يُريكُ الشَّمسَ حالِكةً   ودرُر لَفْظٍ يُريكَ الدَّر مخشلباً

يقول " والمخشلب هو الخرز المعروف، وليست عربية، ولكنه استعملها على ما جرت به العادة، ويروي مشخلباً وهما لغتان للنبط، فيما يشبه الدرر من حجارة البحر، وليس يدر العرب تقول له الخضض "[2]

ومن النوع الثاني الذي استعمله العامة مما يعود إلى أصل عربي قوله:

ألقى فريستَهُ وبَرْبرَ دُوْنَهَا   وَقَرّبَتْ قُرْبَاً خَالَهِ تَطْفيلا

يذكر الواحدي " قال الليث: التطفيل من كلام أهل العراق، ويقال هو يتطفـــل في الأعراس " [3] فعلى الرغم من أنها من شعره في بدر بن عمار بالشام إلا أنها تحمل أصداء بيئته اللغوية الأولى "العراق " ويشير ابن فورجة إلى متابعته العامة في تصغير بحر على بحيرة في قوله: (من المنسرح)

لوْلاَكَ لَمْ أَتْركَ البحَيرةَ وال   ـــغَورَ دَفِيء وماؤُها شَبِمُ

وهو خطأ لأن البحر مذكر يدل عليه قولـــه تعـــالى: ﴿والبحـــر يمـــده﴾ [4] والصواب بحير " [5] وإن كان الواحدي قد تقبلها دون تعليق [6]مما قد يشير إلـــى

---

[1] العمدة: أبن رشيق، ج1، ص76.

[2] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1، 156.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص228.

[4] سورة لقمان، من الآية: 26.

[5] الفسر :أبن جنى، ص 30.

[6] الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ج1، ص152.

تفاوت موقف الشراح من استخدام العامي من الشعر وتسامحهم مع مرور الوقت في قبول اللغة الجديدة المولدة وفكرة التطور اللغوي.

ب- استخدام لهجات البدو في شعره :

إذا كانت الظاهرة السابقة تمثل في كثير منها مظهراً لا إرادياً من مظاهر استخدام الشاعر للغة، تؤثر فيه بمجتمعه وبيئته، فإن هذه الظاهرة تمثل في كثير منها مظهراً إرادياً لاستخدام الشاعر للغة، يقصده في الغالب – حرصاً على إثبات فصاحته ومعرفته بلغة العرب، خاصة وقد كان يقصد بشعره العلماء يغيظ به من وجد منهم في الحواضر التي قصدها، ويعينه على هذا وقوعه على (بادية السماوة، حيث قضى في قبيلة بني كلب ما يزيد على سنتين وهو صبي من سنة 313 – 315 هـ[1] وقد حاول بعض الشرّاح تخريج ما في شعره من الغريب أو معرفة مصادره على الإجمال، فذكر أبو القاسم الأصفهاني " وكل ما في كلامه من الغريب مستقاة من الغريب المصنف [2] سوى حرف واحد هو في كتاب الجمهرة وهو قوله: وأطوي كما يطوي المجَلَّدةٌ العُقدٌ "[3]

ويثير تجاوز هذه الظواهر اللغوية مع سابقتها عدداً من القضايا الفنية منها مدى مناسبة هذه الألفاظ الغريبة للغة المحدثين يعبر عن هذا قول الصاحب ابن عباد عنه (إنه ربما أتى بالفقرة الغراء مشفوعة بالكلمة العوراء) [4] ويمثل هذا الجانب في قوله: (من الكامل)

وإذا الفتى طرحَ الكلامَ مُعرِّضاً في مجلسٍ أخذ الكلامَ اللّذعنى

قال أبو العلاء " وهذه الكلمة (اللذ) في كتاب العين ولم تأت في كتاب العين إلا أن تكون شاذة "[4] وعلى الرغم من هذا فالمتنبي يكررها في مثل قوله:

---

[1] الواضح في مشكلات شعر المتنبي :الأصفهاني، ص8.

[2] مثال ذلك: لفظة الكنهور في قول الشاعر: الشمس تشرق والسحاب كنهوراً انظر أبو القاسم الأصفهاني: الواضح، ص53.

[3] نفسه، ص28.

[4] اختصار تفسير أبيات المعاني: سليمان المعري، تحقيق مجاهد محمد الصراف، دار المأمون للتراث دمشق 1979، ص68.

(من الكامل)

لو لم تكن من ذا الورَى اللّذ مِنْكَ هُوْ   عقِمَتْ بمولدِ نسلِها حوَّاءُ

ويعلق ابن جنى " وقوله اللّذ بسكون الذال وكسرها لغة، يقال الذي اللذىّ بتشديد الباء[1] ويتابعه الواحدي في كونها لغة في الذي[2] وربما يكشف عما أومأ إليه شراح المتنبي هنا، ما صرح به المرزباني في تعليقه على استعمال أبي تمام لهذه اللفظة في قوله: (من البسيط)

أدنيت رحلي إلى مدنٍ مكارمهِ   إلى يهتبل اللَّذ جئت اهتبلُ

يقول: " ولم يغب من هذه الألفاظ شيئاً، غير أنها من الغريب المصدود عنه وليس يحسن من المحدثين استعمالها، لأنها لا تجاور بأمثالها ولا تتبع أشكالها فكأنها تشكو الغربة في كلامهم " [3] ومن اللغات الغريبة التي استعملها في شعره جمع أب على أبين في قوله: (من الطويل)

تسلَّ بفكر في أبيك فإنما   بكيت فكان الضحكُ بعد قريب

يذكر ابن جنى " أبيك يريد أبويك، هي لغة غير معروفة، تقول العرب أبُ وأبان وأبين وأبون، أنشد سيبويه: (من المتقارب)

فلَمْا تَبْيَن أصْوَاتَنَا   بَكَيْنَ وفدَّيْنَنَا بالأَبِينَا [4]

---

[1] الفسر:ابن جنى ص 13.

[2] الواحدي: شرح ديوان المتنبي، جـ1، ص201.

[3] االمرشح: للمرزباني، تحقيق علي البجاوي ط1، دار النهضة مصر، 1951، ص476.

[4] الفسر:ابن جنى ص 25، أيضاً الواحدي: شرح ديوان المتنبي، جـ1، ص471.

ومن خلال عرضنا للأمثلة لهذا المنهج يمكننا أن نقول إن الواحدي يتجه إلى العناصر التالية:

1- الاهتمام الشديد باللفظة وتقلباتها، من حيث الاشتقاق والترادف والبحث عن الغريب، وشرح المختار من الألفاظ، والاستظهار على ذلك بما نقله عن أئمة اللغة.

2- العناية بالعبارة " الجملة الشعرية " ومحاولة الكشف عن العلاقات التي تؤلفها الألفاظ عند ورودها في السياق اللغوي.

3- الالتفات إلى البيت بوصفه كلاً واحداً مستقلاً، جالباً غموضه، موضحاً معناه، مشيراً إلى مواطن الجمال فيه.

4- الإشارة إلى الأخطاء اللغوية التي وقع فيها المتنبي مع التمثيل لها من الشعر القديم، والاستشهاد بآراء العلماء وأئمة اللغة.

المبحث الثالث: النحو

وقف الواحدي في شرحه لديوان المتنبي عند الوظائف النحوية من أجل أغراضه السابقة في التوضيح الذي يعطي للتحليل النحوي دور الفاعلية في الكشف عن المعاني وتفسيرها، وتعبيراً عن طريقة تفكيره التي تعني سبق المعنى، والبحث عن تبرير لما هو أكثر عطاء، ومن ذلك عند تعليقه على شرح ابن فورجة لقول المتنبي: (من الطويل)

تدبر شَرْقَ الأرضَ والغربُ كفهُ وليس لها وقتاً عن الجود شاغلُ

قال أبو الفتح: نصب وقتاً لأنه ظرف لشاغل، أنه قال، وليس لها شاغل عن الجود وقتا فما فوقه.

ويقول ابن فورجة: والذي رويناه وقت بالرفع ووقت اسم ليس، وشاغل صفه له وليس يمنع ما رواه أبو الفتح، وفيما رويناه معنى لطيف ليس يؤديه السقط إذا نصب الوقت، ذلك أنه يريد لهذه الكف الشرق والغرب وما تحويانه مع عظمة وليس لها وقت يشغلها عن المجد مع صغرها لأن كفا تملك الأرض شرقاً وغرباً كانت بأن تملك ما هو أصغر منها، وإذا نصب وقتاً كان شاغل مؤدياً لما أشرت إليه، إلا أنه يبقى وقتاً كالفضلة التي لو سكن عنها لجاز، فأنعم النظر برفق يتضح لك ما ذكرت " [1]

ويعلق الواحدي: " تدبير ممالك الشرق والغرب بكفه فإنه بسيفه وقوة يده يدبرها ومع كل هذا الشغل العظيم ليس لها شيء يشغلها وقتاً عن الجود، أي لا يغفل عن الجود – وإن عظم شغله كما قال البحتري: (من الطويل)

تبيت على شغلٍ وليس بضائرِ لمجدكَ يوماً أن يبيت على شغلِ [2]

وتهوس ابن فورجة في هذا البيت فروى ليس لها وقتا رفعا وشاغل صفته قال وفيه معنى لطيف ليس يؤديه اللفظ إذا نصب الوقت وذلك أنه يريد لهذه الكف

---

[1] الفتح: ابن فورجة، ص231 – 232.

[2] ديوان البحتري، تحقيق بدر الدين الحاوي، دار مكتبة الهلال، بيروت – لبنان، د. ت، ص100.

الشرق والغرب... وهذا الذي قاله باطل محال لايقوله غير جاهل والوجه نصب وقتا لأنَّه ظرف الشاغل.

فالهدف من تغيير الرواية التي يترتب عليها تغير الوظيفة النحوية لكلمة (وقت) كأن بحثا عن معنى سابق يتضمن مدحاً أكثر من سابقه، وإن كانت رواية ابن جني تجعله لا يشغل عن المجد أبداً أما رواية ابن فورجة، وإن حاولت إعطاء دور لكل كلمة فلم تعد دلالة جديدة لكلمة وقت عندما جعلتها موصوفاً لكلمة شاغل وذلك ما لاحظناه عن الواحدي عند معارضته لهؤلاء الشرَّاح كما أسلفنا في بداية البحث.

ويصنع هذا أيضاً عندما يعترف برواية ابن جني لكنه يختار غيرها مما يترتب عليه تفسير لوظيفة نحوية في سياق قول المتنبي: (من الرجز)

وشامخ من الجبال أقود   زرناه للأمر الذي لم يعهد

للصيد والنزهة والتمرد

فإذا جعل ابن جنى الفعل (يعهد) مبنياً للمجهول إشارة إلى أن الأمر مشغول بالجد والتشمير عن اللهوّ واللعب، فابن فورجة يجعله مبنياً للمعلوم ليكون الضمير للشامخ من الجبال فيشير إلى أن غير هذا الأمر لا يقدر على وحشه بفعل هذا اعتقاد بأنه الأمدح والأجود.[1]

فيقول الواحدي:وروايتي بفتح الباء يعني أن الشامخ لم يعهد الصيد فيه لعلوه وارتفاعه ولم يقدر على وحشة إلا هذا الأمر ثم يقول ويجوز على رواية من ضم الباء أن الصيد لم يتعّهد بهذا الجبل فيكون المعنى كما ذكر ابن فورجة والتمرد طغيان النشاط. [2]

ويشير ابن جني أيضاً إلى أن وظيفة نحوية قد تفيد دلالات لا تفيدها وظيفة أخرى عند مناقشة قول المتنبي: (من الطويل)

فلما رآني مُقبلاً هز نفسه   إلى حسام كل صفح له حدٌّ

---

[1] انظر شرح ديوان المتنبي: للو احدى: ج2، ص 557.

[2] انظر الفسر: لابن جني، ص 109.

قال: " جعله هو كالحسام فرفعه وهو أمدح من أن ينصبه على الحال، فيقول حساماً لأن الحال تكون غير لازمة نحو قولك: جاء زيد راكباً أمدح منه أن يقول: جاء زيد الراكب، وإذا قال حسام صار أمدح "[1] فيشير إلى أن نصبه على الحال يفيد كون هذه الصفة عارضة، أما رفضه فيفيد ثباتها فيه وتوحدها به، وهذا يؤكد أن النظر النحوي، لديه هنا، كان لخدمة المعنى، وقد مر بنا في ما قبل إخضاعه للتحليل اللغوي والنحوي.

فإذا جئنا للواحدي في شرحه يقول: " هز نفسه حرك نفسه للقيام إليَّ حسامٌ كل وجه من وجهين حدٌّ ينفذ من أعدائه وجعله هو الحسام فرفعه وهو أمدح من أن ينصبه على الحال فيقول حساماً لأن الحال غير لازمة ونفس الشيء أشد مصاحبة له من حاله " [2]وفي هذا البيت لا يتعارض الواحدي مع ابن جنى في ما يتضمن البيت من معنى.

وقد يتحول البحث النحوي أحياناً إلى غاية في ذاته بمعنى أن يخدم مبدأ تصحيح التركيب اللغوي، لكنه في هذه الحالة أيضاً يخدم المعنى عن طريق غير مباشر بتوقيع العلاقات داخل البيت مما يسهل فهمه من ذلك تعليق ابن فورجة على قول المتنبي: (من البسيط)

دار المسلم لها طيف تهددني ليلاً فما صدقت عيني ولا كذبا

" وإنما أوردنا هذا البيت ومعناه ظاهر لأن من الناس من يظن أن عيني في قوله فما صدقت عيني:مفعول وفاعل صدقت الطيف أنثه لأنه يعني المرآة، وهذا كما تقول ، صدقت زيداً الحديث، فإن هذا التأويل لا يغير المعنى ولكنه رديء في الشعر أن يكون ضمير الشيء واحد مذكر أو مؤنثاً يؤتي به في بيت واحد "[3]

أما الواحدي فإنه لا يختلف عن ابن فورجة في هذا المعنى يقول:

" الربع الذي ذكرته دار المرأة التي زارني لها طيف أو عدتي ليلاً فما صدقت عيني فيما رأت لأنها أرتني ما لم يكن حقيقة لأنه كان رؤيا ولا كذب

---

[1] الفسر: لابن جنى ص 109.

[2] شرح ديوان المتنبي : للو احدى ، جـ1، ص435.

[3] الفتح علي أبي الفتح، ص55 – 57.

الطيف في تهدده إياي لأنه وفي بما أوعد به من القطيعة أي هجرني خيالهـا "[1]
كذلك وقف الواحدي في شرحه لشعر المتنبي عند دلالة الجملـة (وهـي أوسـع مستويات التحليل النحوي في التراث اللغوي العربي، ويشير أحياناً كثيـرة إلـى المعاني الثانية التي تلي بيان مكوناتها وفاعلية أدواتها في أداء وظيفتها النحويـة ففي شرحه قول المتنبي: (من الوافر)

تُطيَعَ الحاسِدِيَن وأنْتَ مْنِهُم   جعلت فداءه وهُمٌ فدائي

يذكر ابن جنى الفرق بين الخبر والإنشاء يقول " جعلت فـداه وهـم فـدائي "محمول على المعنى دون اللفظ.. وحق الوصف إذا كان جملة أن يكـون خبـراً يحتمل الصدق والكذب نحو قولك: مررت برجل أبوه منطلق فأبوه منطلق خبـر وقوله: جعلت فداءه دعاء لا خبر، لأنه ليس يخبر أنه قد جعل قراءه وإنما يسـأل أن يجعل فداءه[2] والدعاء لا يحتمل صدقاً ولا كذباً ولكنه محمول على المعنـى، فكأنه قال، وأنت مستحق لأنه تسأل الله أن يجعلني فداءه يحاول تبريـر إعـراب جملة (جعلت فداءه) وصفاً مع أنها دعائية وفي أثناء ذلك يشير إلى الفـرق بـين الخبر والإنشاء. "

ولا يختلف المعنى عند الواحدي فهو يقول: " جعلت فداءه في موضع الدعاء وجعله وصفاً للنكرة والوصف إذا كان جملة يجب أن يكون خبراً يتحمل الصـدق والكذب...إلا أنه يتمثل في معنى البيت بقول الراجز: مـا زلـت أسـعى معهـم وأتخبط، (حتى إذا جاء الظلام المختلط ، جاءوا بمدق هل رأيت الـذيب قـط)"[3] فالواحدي ينقل شرح البيت عن ابن جنى دون أن ينسب إليه القول.

ومنها كذلك استعماله للغة (أكلوني البراغيث) في قوله:[4] (من الكامل)

لا يستَحْيَ أَحَدُ يُقُالُ لَهُ   نَضلَوكَ آلٌ بويه أو فضلوا

---

[1] شرح ديوان المتنبي : للو احدى:، ج1، ص244.
[2] أبن جنى: الفسر 9.
[3] شرح ديوان المتنبي : للو احدى ، ج1، ص208.
[4] المصدر نفسه، ج2، ص775.

يقول الواحدي: " وأتى بعلامة الجمع في نضلوك، والفعل مقدم على الفاعل مع لغة من يقول أكلوني البراغيث[1] وهي لغة " بنو الحارث من كعب" كما نقل الصغّار في شرح الكتاب، التي تعني أن الفعل إذا أسند إلى ظاهر مثنى أو مجموع – أتى فيه بعلامة تدل على التثنيه أو الجمع.[2]

وكذلك استعماله لكلمة " حببت " " مكان أحببت " في قوله: (من الطويل)

حببتك قلبي قبل حُبّك مَنْ نأى وقد كان غداراً فكن أنت وافياً

يعلق الواحدي " حببت لغة في أحببت شاذ، ولا يستعمل منه إلا المحبوب "[3] وغير ذلك كثير[4]

---

[1] شرح ديوان المتنبي للواحدي ج2، ص1087.

[2] انظر لتفصيل هذه المسألة: شرح ابن عقيل على ألفيه أبن مالك ت محمد محي الدين عبد الحميد، ط17، ج2، ص80.

[3] شرح ديوان المتنبي للواحدي، ج2، ص888.

[4] تفسير: ج2، ص553.

المطلب الاول:

أ- بناء الجملة في شعر المتنبي:

أشـــار الو احدي إلى هذا الاتجاه من خلال بناء الجملة في شعر المتنبي عند إعادته ترتيب كلمات كل بيت لفهم معناه، ونظر إليه كذلك علـــى ضـــوء فكـــرة الصواب والخطـــأ المعيارية فابن فورجة يعده مـــن أســـباب غمـــوض المعنـــى وإبهامه[1].

ويعتبره دليلاً على التعقيد يظهر هنا في رده على " الصاحب بن عباد" اتهام قول المتنبي: والترك والإحسان خير لمحسن... بالتعقيد يقول:" أما زعمه إنه عقَّد، فوجه التعقيد ما لا نعلم، فإنه لم يقدم لفظه ولا أخرَّ أخرى عن موضعها ولا أغرب في المعنى ولا في اللفظ " ألا ترانا حين فككنا النظم وجعلناه نثراً أتينا بمثل لفظه سواء من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير فليت شعري أين التعقيد؟"[2]

ومن ذلك صنع الواحدي يقول المتنبي: (من الطويل)

فتىَ أَلْفُ جُزءٍ رَأيهُ في زَمِانهِ أَقلٌّ جُزئٍ بَعضْهُ الَرأيُ أَجْمعٌ

يقول الواحدي: " ترتيب الكلام، فتى رأيه في زمانه ألف أقل جزء من هـــذه الأجزاء الألف، بعضه أي بعض أقل جزئ من رأيه الرأي الذي في أيدي النـــاس كله فألف جزء مرفوع لأنه خبر مبتدأ قدم عليه وهو قوله رأيه، وأقـــل مرفـــوع بالابتداء، وبعضه مبتدأ ثان وهو مضاف إلى ضمير المبتدأ الأول والرأي خبر عن المبتدأ الثاني وأجمع توكيد للرأي وهذا كما يقال زيد أبوه قائم [3] فيعيـــد ترتيـــب أجزاء الكلام ليحصل على معنى مفيد، ثم يورد الإعراب خدمة لقضـــية توضـــح المعنى وكذلك قول المتنبي: (من الكامل)

فتبيت تَسيدُ مسَئداً في نَيتِها إسآدهَا في المَهمهِ الإنَضاءِ

---

[1] انظر الفتح علي أبي الفتح ابن فورجة، ص41.

[2] نفسه، ص85.

[3] شرح ديوان المتنبي للواحدي، ج1، ص45.

"الإنضاء "مصدر إنضاه ينضيه إذا هزله، ومبتدأ حال من الناقة وهو اسم فاعل وفاعله الانضاء، يقول أتيت ناقتي تسيرا سائراً في جسدها الهزال سيرها في المهمة وأقام الهزال مقام الهزال للقافية، والإنضاء فعل أبي الطيب بها لأنه ينضيها وكان الأولى أن يجعل مكان الإنضاء مصدر فعل لازم فتكون أقرب إلى الفهم وتقدير البيت هذه الناقة تسئد مسئدا الإنضاء في نيها أسآدا مثل أسادها في المهمة ومسئد فعل الانضاء، وجرى حالاً على الناقة لما تعلق به في ضميرها الذي في نيها كما تقول مررت بهند واقفا عندها عمرو" [1] فيتجسم الواحدي العناء مستعيناً بالتحليل الصرفي والنحوي من أجل استخراج معنى البيت بإعادة ترتيب أجزائه وإذا كان الواحدي قد عالج البيت السابق معالجه لغوية خالصة لا أثر فيها لظهور ذاتيته وحسه النقدي فإن أبا القاسم الأصفهاني يعيب نظمه ويرجعه إلى قول أبي تمام: (من الطويل)

رَعتَهُ الفَيافَي بَعْدمَا كَانَ حِقْبَةً   رَعَاهَا ومَاءُ الرَّوضِ يَنْهلٌّ سَاكِبهُ[2]

"إلا أن المتنبي عقد الألفاظ وعوصها وأظلم المعنى[3] وقد يصنع الواحدي صنيعه –أحياناً – فنجده ينتقد قول المتنبي: (من الكامل)

يشتاقُ مِنْ يَدهِ إلى سُبُلٍ   شَوقاً إليهِ ينَبْتٌ الأسلٌ

قائلاً " وتقدير اللفظ ينبت الأسل شوقاً إليه أي إلى الممدوح ولكنه قدم وأخر والبيت مختل النظم [4]

وكذلك يشير الواحدي كضرورة شعرية في تعليق على قول المتنبي: (من الوافر)

جَوَابُ سَائلي آلةُ نَظْيرِ   ولاَ لَكَ في سُؤالك إلاَّ ألا لا

---

[1] شرح ديوان المتنبي : للو احدى ، ج1، ص194.

[2] ديوان أبي تمام، تحقيق محي الدين صبحي، ج1، ص 154.

[3] الواضح، ص29– 30.

[4] شرح ديوان المتنبي : للو احدى ، ج1، ص777

الذي يشرحه " أي إذا سألني سائل فقال هل له نظير فجوابه: لا ولا لك أيضاً في سؤالك نظير لأن أحداً لا يحصل هذا غيرك فأنت في وجهك به بــلا نظيــر وأراد لا ولا لك وأخر المعطوف عليه لضرورة الشعر كما قال: (من الوافر)

ألا يا نخلَةَ مِنْ ذَاتِ عَرْقٍ   علَيكِ ورَحْمَةُ اللهِ السَّلاُم

وكرر النفي بقوله ألا لا إشارة إلى أن جهل هذا السائل يوجب إعادة الجواب عليه [1].

ب- الفصل بين أجزاء الجملة:

بين الواحدي كغيره من الشراح السابقين إلى كثير من هذه الصور للفصــل بين أجزاء الجملة التي تتفاوت أهميتها على حسب دورها فيها ، وتتوقــف علــى صورة الفصل إمكانية تصور معنى البيت وإدراكه.

ومن أكثرها تأثيراً الفصل بين ركني الجملة: المبتدأ والخبر لجملة كاملة مما يؤدي إلى تعسر فهم البيت والحاجة إلى إعادة ترتيبه كما في قول المتنبي: (مــن الكامل)

أنيّ يكَوُن أبا البَرَايا آدمُ   وأَبوُكَ والثِّقلانِ أنْتَ مُحَمدٌ

يقول ابن جنى: " في إعراب هذا البيت تعسف وتقديره كيف يكون أبا البرايا آدم، وأبوك محمد، وأنت الثقلان يفصل بين المبتدأ الذي هو أبوك وبين الخبر الذي هو محمد، بالجملة التي هي قوله، " الثقلان أنت " [2] كما يعلن الواحدي " وفصــل أبو الطيب في هذا البيت بين المبتدأ والخبر بجملة مــن مبتــدا أو خبــر، وهــذا تعسف"[3].

ومن صوره أيضاً ما كان موضع خلاف بين النحويين البصريين والكــوفيين ومدى استعمال المتنبي له متفقاً مع آراء الكوفيين كالفصل بين المضافين في قول المتنبي: (من الطويل)

حملت إليه من لساني حديقة   سقاها الحجا سقيَ الرياضَ السحائبِ

---

[1] شرح ديوان المتنبي : للو احدى ، ج1، ص 221

[2] الفسر ، ص9.

[3] شرح ديوان المتنبي : للو احدى ، ج1، ص79

يقول الواحدي أنه: " فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول كما قـــال: (من الطويل)

فزَجَجَتها متمكِّناً   زَجّ القُلوصِ أبي مَزادِه

فيقبله الواحدي معتمداً على وروده في الشعر ويستدل عليـــه بأحـــد شـــواهد الكوفيين مع تغير يسير في روايته[1] ومثل هذا الفصل لا يجيزه البصريون لأنهم لا يجيزون الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الجر ويجيزه الكوفيون لضرورة الشعر اعتمادا على وروده في الشعر كالبيت السابق.[2]

ومنه الفصل بين الموصول وصلته، الذي حاول ابن جنى تبريره عند شرحه لقول المتنبي: (من الطويل)

وأشْقَى بلادِ اللهِ مَا الرُّومُ أهْلُها   بِهذَا وَما فِيها لمجْدِكَ جَاحِدُ

يقول: " أراد أشقى بلاد الله بهذا ما الروم أهلها والوجه أن لا يقال أنه تصل بين الموصول وصلته بالخبر الذي هو ما الروم أهلها، لكنه علق الباء بمحـــذوف يدل على المبتدأ[3].

ويشير الواحدي إلى نوع من الفصل لا يعتذر عنه يتمثل في قول المتنبـــي: (من المنسرح)

يا حادي عيسها وأحسبني   أوجد ميتاً قبل أفقدها

يقول " دعا الحاديين ثم ترك ما دعا هماله حتى ذكره في البيت الذي بعده

قِفا قليلاً بها عليَّ فلا   أقلّ مِن نَظْرةٍ أزوَّدُها

وتسمى الرواة هذا الالتفات كأنه التفت إلى كلام آخر من شأنه فإن كان كلاماً أجنبياً رفضه ولم يصلح ومثله: (من الطويل)

وَقدْ أدْرَكَتنَي والحَوَادثُ جَمّةٌ   أَسنةُ قَوْمٍ لا ضِعافُ ولا عزلُ

---

(1) شرح ديوان المتنبي للواحدي ، ج1، ص333.

(2) الإنصاف في مسائل الحلاف: ج2، ص، 427، مسألة (60).

(3) الفسر: ص 85.

فصل بين الفعل والفاعل، بما سمى التفاتـا لأن إدراك الأسـنة مـن جملـة الحوادث كذلك قوله: واحسبني أوجد ميتاً ليس بأجبني عما هو فيه من الفصل.[1]

وهذا نوع جديد من الفصل يعده الواحدي مـن الوسـائل الفنيـة ويسـميه بالالتفات، وعلى الرغم من أن لا مشاحة في الاصطلاح كما يقولون، فالأولى بـه أن يتبع اصطلاحاً معروفاً حتى لا يوقع في الخلط خاصة، وإن الالتفات قد سـبق إلى تحديده بالتحول في الأسلوب من صيغة إلى أخرى بتحول المضمر المسـتخدم ولعل الأصمعى ت(217هـ) أول من أشار إليه في تعليقه على التفاتـات جريـر المشهورة [2] بالإضافة إلى أن ما أورده الواحدي أقرب إلى أن يكون ضرباً مـن الاستطراد أو نوعاً من الحشو المفيد.

ج- إعمال إلا عمل أدوات الأسماء والأفعال:

وهناك ظاهرة أخرى تتكرر في شعر المتنبي ، ونبه على وجودها الواحـدي وغيره من الشراح وإن لم يمتد إلى تحليلها، من ذلك أعمال إلاَّ عمل الفعل في قول المتنبي: (من المنسرح)

لَمْ تَرمَنْ نادمتٌ إلاَّ كا   لا لسِوى وُدَّك لي ذاكا

قال ابن جنى " وقوله (إلاكَّا) قبيح لا يجوز إلا في ضرورة الشعر والوجه إلاّ إياكا لأن (إلاَّ ليس لها قوة الفعل ولا هي عاملة عمل كان ونحوها وقد أنشدوا بيتاً وصلت فيه إلا بالكاف وهو: (من البسيط)

فَمَا نُبَالي إِذا مَا كُنْتِ جَارتَنا   أَلاَّ يُجاوِرَنَا إلاَّك ديارٌ

وهذا شاذ لا يقاس عليه"[3].

فنحن بإزاء موقفين الأول للمتنبي والآخر لابن جني، يشير الثاني إلى موقف البصريين وتمثل في إنكار إلا لأنه ليس لها قوة الفعل، خاصـة والبصـريون لا

---

[1] انظر شرح ديوان المتنبي للواحدي ، ج1، ص7..

[2] انظر علم المعاني، ص260.

[3] اختصار تفسير أبيات المعاني، ص163.

يرجعون إليها العمل في المستثنى ويجعلون العامل (هو الفعل أو معنى الفعل بتوسط إلا)[1] ويشير قوله:

" وقد أنشدوا بيتاً... وهذا شاذ لا يقاس عليه " إلى جريه على عادة البصريين في إهدار الشواذ وإنكار القياس عليها بالإضافة إلى التشكيك في الشاهد الذي غير البصريون روايته إلى سواك أو حا شاك[2].

كذلك يشير الواحدي وغيره من الشراح إلى استعمال المتنبي الظروف استعمال الأسماء كما في قوله: (من الطويل)

وَيمنْعَني مِمّا سِوى ابنَ مُحَمَّدٍ أيادٍ لَهُ عِنْدي يَضيقُ بِها عندٌ

يقول الواحدي ناقلاً عن ابن جني "رفع عند وهي من الظروف التي لا تستعمل الأظروفا، وذلك أنه حمل الكلام على المعنى"[3] مع أن الحمل على المعنى لا يسوغ دائماً عند البصريين [4]فربما كان ابن جنى يلتمس بتعليقه مخرجاً للشاعر يتمثل في الحمل على المعنى ويعلق الواحدي "عند اسم مبهم لا يستعمل إلا ظرفاً يجعله أسماً خاصاً للمكان كأنه قال يضيق بها المكان هذا كقول الطائي: (من الطويل)

ومازلتُ مَنْشوراً على نَوالهِ وَعنْدي حتّى بَقيتُ بِلا عندُ[5]

وقد يكون لربطه بين استخدام المتنبي واستخدام أبي تمام لهذه الظاهرة دلالاته على كونها استعمالاً لغوياً استحدثه المولدون أو على شيء من الموافقة على المذهب الفني يتمثل في مخالفة العرف في غير هذا.

كذلك يشير الواحدي إلى مثل استخدامه السابق في تعليق على قول المتنبي: (من الطويل)

ولستُ بدونَ يُرتجى الغَيثِ دونهُ ولا مُنْتهى الجودِ الذي خَلْفهُ خلفٌ

(... ورفع خلف لأنه جعله أسماً لا ظرفاً) [6].

وكذلك في قول المتنبي: (من الوافر)

---

(1) انظر الأنصاف في مسائل الحلاف، جـ1، ص261.

(2) شرح ألفية أبن مالك، جـ1، ص91.

(3) الفسر، ص 108.

(4) الفتح، ص124.

(5) ينظر شرح ديوان المتنبي للواحدي ، ج1، ص300.

(6) نفسه، ج1، ص171.

لأنّي كُلَمَا فَارَقْت طَرفَي   بَعيدٌ بَيْنَ جَفْنيَّ وَالصَّيَاحُ

يقول الواحدي "... وأخرج بين عن الظرفية ورفعه بفعله وهو معنى بعيد ومثله **قول الآخر**: (من الوافر)

كأنَّ رِمَاحهُم أَشْطانُ بئرٍ   بَعيدٍ بَيْنَ جَانِبَهَا جَرورْ [1]

وكانت حجة المتنبي في هذه الاستعمالات الحمل على المعنى، ويتفق مع هذا ما يلاحظه الشراح من أنه قد يعدى الفعل اللازم حملاً على المعنى، فيعمل اللازم عمل المتعدى كما في قوله: (من الكامل)

مَنْ يَهْتَديَ في الفَعلِ مَا لا يَهْتَدي   فِي القَولِ حَتَّى يَفْعلُ الشُّعراءُ

يقول الواحدي، " وكان من حقه أن يقول لما لا يهتدي وإلى ما لا يهتدي لأنه يقال: اهتديت إليه وله ولا يقال اهتد يته ولكن عداه المعنى، لأن الاهتداء إلى الشئ معرفة به فكأنه قال من يعرف في الفعل ما لا يهتدى [2] ويشير قوله " وكان من حقه.. " إلى المعيارية التي حكمت النظر إلى هذه الظاهرة كما يشير إليها الواحدي في قوله المتنبي: (من الطويل)

وفتانة العينين فتانة الهوى   إذا نفحت شيخاً روائحها شباّ

يقول "...وإنما عدى النفح لا على اللفظ كأنه قال:إذا أصابت شيخاً روائحها شباّ"[3] كذلك يشير الواحدي إلى أنه قد استعمل (ما) في موضع (من) في قوله: (من البسيط)

للسَبي مَا نَكَحَوا وَالقَتْلُ مَا ولَدَواَ   وَالنَّهبُ مَا جَمْعَواَ وَالنَّارُ مَا زرَعوا

قال الواحدي " أمَام (ما) مقام (من) في المصراع الأول ليوافق ما في المصراع الثاني، وذلك جائز كقوله تعالى: ﴿والسماء وما بناها﴾[4]، وحكاه أبو زيد ﴿سبَحَانَ مَا يُسبَحُ الرّعدُ بِحَمْدِه ﴾[5]

---

[1] شرح ديوان المتنبي للواحدي ، ج1، ص320.

[2] نفسه، ج1، ص320.

[3] نفسه، ج1، ص196.

[4] سورة الشمس، من الآية: 4.

[5] سورة الرعد ، من الآية: 25.

المطلب الثاني–التحليل الصرفي

التحليل الصرفي للكلمة وسيلة من وسائل الوصول للمعنى الشعري، ونتحدث هنا عن النتائج التي تميز الاستخدام اللغوي في شعر المتنبي، لذلك نهتم بـــه مـــن أجل الكشف عن سمات موقف الواحدي من المشكلة اللغوية لشعر المتنبـــي التـــي أشار إليها، وكما أسلفنا أن الواحدي قد اطَّلع على عدد كبير من الشروح منها مـــا كان يناقشها ويوافقها، ومنها ما كان يختلف معها، ويعارضـــها، أو يوافقهـــا دون التعليق عليها.

وبذلك نرى الواحدي لا يتفق مع الشراح السابقين في الوقوف على ما تحمله الكلمة من معان، أو تؤديه من صيغ صرفية، وقد يلاحظ عنه التعاطف مع الشاعر أحياناً، وأحياناً يعارضه في صحة تراكيب الحمل من الجوانب الصرفية واللغوية، وفي المثال التالي نراه لا يتفق مع ابن جنى في شرحه للبيت من قـــول المتنبـــي: (من الخفيف)

فَرؤوسُ الرِّماحِ أذْهبُ للغَيظِ   وَأَشْفَى لغلِ صَدْرِ الحَقودِ

فيعلق ابن جنى " كان الوجه أن يقول أشد إذهاباً للغيظ، لأنك تقول أذهبـــت الغيظ ولا تقول ذهبته، وإنما تقول ذهبت به ولكنه جائز على حذف الزيادة، ولـــو قال أذهبت بالغيظ لاستغنى عن هذا كله "[1] فيعترض على صياغته أفعل إلا فـــي ضرورة الشعر[2] لكنه يبحث عن وجه لجوازه وعن مخرج ليسهل عمل الشـــاعر وفقاً له، وكذلك يشير إلى نفس الخروج في اشتقاق اسم التفضيل من الرباعي فـــي قـــول: (من الطويل)

أَقلَّ بِلاَدِ الرَّزايَا مِنْ أَلْقَنَا   وأقدمُ بَيْنَ الجَحفْلينِ مِنْ النَّبلِ

قال ابن جنى " وأقدم بين الجحفلين: قلت إنما كان ينبغي أن تقول أشد إقداماً لأنه من أقدم يقدم، قال إنما أخذته من قدم يقدم وإنما هرب إلى هذا لأنه راجع إلى أقدم يقدم " وإذا بدأ ابن جنى غير مسلم باعتذار الشاعر، فـــإن الواحـــدي يبـــدو

---

[1] الفسر 96.

[2] شرح ديوان المتنبي للواحدي ، ج1ص33، ابن جنى: الفسر 209.

متسامحاً مع الشاعر يقول، وقوله أقدم من قدم يقدم، إذا تقدم، ويجـوز أن يكـون معناه أشد إقداماً، فاستعمال أفعل منه على حذف الزوائد كما قال ذو الرمة:

(من الطويل)

بأضْيعِ من عيشَكَ للرَّفعِ كَأَنَما تَوهَمتُ رَيْعَاً أو تَذكَرتُ مِنزِلاً [1]

فيلتمس الواحدي للشاعر مخرجاً بالحمل على المعنى أو الالتجاء إلى مروياته من الشعر القديم، ويتسامح فيقيس صنع المتنبي عملها، كذلك أشار الشـراح إلـى تكرار هذه الصنعة في شعر المتنبي، مما يجعل لها دلالات تبرر لجـوء الشـاعر إليها، وارتباط بتقدمه في صناعة الشعر من ذلك قوله: (من الكامل)

شِيمُ الليالَي أنْ تُشكَكِ نَاقَتي صَدَري بِهَا أَفْضَى أمِ البيداءُ[2]

وثمة ظاهرة أخرى كثر خروج المتنبي فيها على اللغة الفصحى المسـموعة عند العرب الذين يتحجج بكلامهم، ويشير موقف الشراح منها إلى تـرددهم فـي قبول التطور اللغوي عند ضعف العنصر العربي الأصيل وصياغة لغة الاقتبـاس المتعددة التي تضخم دورها في الدولة الإسلامية في القرن الرابع وعكسـته لغـة شعر المتنبي – كما عكسه شعره نتيجة لجوء الشاعر إلـى الحـوافز الإسـلامية واختلاطه بتلك العناصر المتعددة يشير الواحدي إلى جمعة كلمـة (أرض) علـى (أروض) في قوله: (من الوافر)

أَروضُ النَّاسِ مِنْ تُربٍ وخَوفٍ وَأَرْضُ أَبي شُجاعٍ مِنْ أَمانِ[3]

أروض جمع أرض قياس لا سماع، ونص سيبويه على أن العرب لا تجمـع الأرض جمع تكسير قال: واستغنوا عن تكسيرها بأرضات وأرضيين على أن أبـا زيد قد حكى في جمع أرض أروض " وقد كانت طريقـة الواحـدي فـي أقـدام المسموع عن العرب مهما كانت قلقة والقياس عليه في صالح استخدام المتنبـي، الذي ربما أفاده من بيئته، والذي يتعارض مع طريقة البصريين في إهدار القليـل

---

[1] شرح ديوان المتنبي للواحدي ، ج1، ص410.

[2] نفسه، ج1، ص193.

[3] نفسه ، ج2، 108.

والنادر عدم القياس عليه، وهذا الوصف يشير إلى تعاطف الواحدي ورغبته في تبرير استخداماته ومثله أيضاً من قول المتنبي: (من الكامل)

وَتكَرمتْ رُكَباتُها عَنْ مبركِ   تَقَعانِ فِيهِ وَلَيس مِسْكاً اِذَفرًا

والركبات جمع ركبة وهذا جمع أريد به الاثنان كقوله تعالى: ﴿فقد صغت قلوبكما ﴾[1] وكقول الشاعر: ظهراهما مثل ظهور الترسين وهو كثير ذلك أن أول الجمع اثنان فجاز أن يعبر عنها بلفظ الجمع لما كان جمعاً [2] استبدل على أنه أراد بلفظ الجمع الاثنين أنه لما أخبر – أخبر كما يشير عن الإثنين لقوله:

تقعان " [3]وإن كانت محاولة التبرير هذه غير مقبولة لدى يوهان فك، الذي يرى هذا الاستعمال لدى الشاعر تأثراً بالعربية المولدة، يقول: (وهذا لا يصح توجيهه كما ذهب إليه الواحدي بالإشارة إلى أية، (إن تتوبا...) ولا إلى البيت الذي يتكرر الاستشهاد به كثيراً، ظهراهما... إذ أن التثنية في هاتين الحالتين مفهومة من تثنية غير المضاف إليه، أو من الاسم المثنى المضاف إليه بل هو اتجاه إلى الظاهرة الملحوظة اليوم في كثير من اللهجات العربية وهي مطاردة الجمع للمثنى وتغلبه عليه[4] ويبقى موقف الواحدي من جموع المتنبي مشيراً إلى تسامحه عن غيره، فإذا نبه ابن جنى على مخالفة المتنبي للقياس في جمعه، جفن على أجفان في قوله: (من البسيط)

قد علَّم البينُ منا البين أجفاناً   تدمي وألف في ذا القلب أحزاناً [5]

لأن قياس الجمع أجفن، فالواحدي يقبله دون اعتراض [6]وقد يحدد خروجه على القياس المشهور في اشتقاق بعض الصيغ الصرفية مبرراً له في آراء الكوفيين دون البصريين ؛ فصياغة اسم التفضيل من الألوان مختلف فيها بين

---

[1] سورة التحريم، من الآية: 4

[2] شرح ديوان المتنبي للواحدي، ج2، ص1041.

[3] نفسه، ج2، ص738.

[4] يوهان تك، العربية، ص176– 177.

[5] الفسر ص340.

[6] شرح ديوان المتنبي للواحدي، ج1، ص271.

البصريين والكوفيين، يجيزها الكوفيون في البياض والسواد خاصة من بين سائر الألوان، ويمنعها البصريون مطلقاً[1] تتمثل هذا في قول المتنبي: (من البسيط)

أبعد بعَدَتْ بياضاً لا بياض له لأنت أسود في عيني من الظلم

يقول ابن جني " ولا يقال أنت أسود من هذا ولا أحمر منه لأن الألوان والعيوب لا يبنى منها أفضل التعجب ولا ما كان في معناه على أن بعض الكوفيين حكي عنهم ما أسود شعره وما أبيضه... وإن كان ذلك شيئاً يصح فإنه إنما جاز بكثرة استعمالهم هذين الحرفين، وأنشدوا: (من الرجز)

جارية في درعها الفضفاض تقطع الحديث بالإيماض

أبيض من أخت بنى أباض

فإن هذا عند من أفعل الذي مونثه فعلاً، وكقولك أبيض وبيضاء، وليس لأفعل الذي يصحبه من المفاضلة نحو أحسن منك وأكرم منك، وهو عندنا بمنزلة قولك: هو أحسن القوم وأكرمهم أبا، فكأنه قال أمن نبيضهم فلما أضافه انتصب ما بعده عن تمام الاسم، إلى هذا وجهة أصحابنا وهو أحسن من جملة على الشذوذ وقد يمكن أن يكون لأنت أسود في عيني كلاماُ تاماً، ثم ابتدأ بصفة من الظلم كما تقول: هو كريم من أحرار، وسرى من أشراف "[2].

وبلفت النظر غير موقف البصريين الكوفيين موقف ابن جني المتعاطف مع المتنبي فمع ثباته على مذهبه البصري يبحث عن مخرج لبيت المتنبي لتحقق له سلامة الاشتقاق على المذهبين، ويوجهه العروضي على أن أسود هاهنا واحد السود والظلم لليالي الثلاث أواخر الشهر التي يقال لها ثلاث ظلم [3] مما يؤكد نزعة التعاطف مع المتنبي بتبرير استعمالاته اللغوية المثيرة للجدال.

ومن الظواهر الصرفية التي خرج في استعمالها المتنبي على قياس البصريين الترخيم كما في قوله: (من الطويل)

أجدَّكَ مَا تنفكُّ عانٍ تَفكُّهُ عُمُ بنِ سُلَيمَانَ وَمَا لا تُقْسِّمُ

---

[1] الإنصاف في مسائل الخلاف، ج1، ص148 (مسألة 160).

[2] الفسر، 293.

[3] شرح ديوان المتنبي للواحدي، ج1، ص53.

يقول ابن جني: " وعم ترخيم عمر، هذا لحن لأن الترخيم إنما هو تقريب ما فوق الثلاثة منها تخفيفاً، فإذا كان الاسم ثلاثياً فهو أقل الأصول عـدداً [1]ويعلـق العكبري " الكوفيون يجيزون ترخيم الثلاث من الأسماء إذا كان متحـرك الوسـط كعمر، وزفر وهو عند البصريين لحن "[2] وكذلك ينبه ابن جني على خروجه على قياس البصريين في الترخيم بقوله: (من الكامل)

مَهْلاً ألا للهِ مَا صَنَعَ القَنَا   فِي عُمرِ حابٍ ومنة الأغْتَامِ

يقول " راد عمرو بن حابس فرخم المضاف إليه وهذا لا يجـوز عنـدنا لأن الترخيم هو حذف يلحق آخر الأسماء المضمومة في النداء والمضاف إليه معـرب في النداء مجرور بإضافة الأول إليه فلا يجوز ترخيمه فأما ما رواه الكوفيون من قول الشاعر:

أَبَا عُمْروُ لا تَبْعد وَكُلٌّ ابنُ حُرْةٍ   سَيدعوهُ دَاعَي مَوْتِه فَيُجيبُ

فمما لا يعرفه أصحابنا "[3] ويذكر الواحدي أن الكوفيين يجيزونه في غيـر النداء اعتماداً على الشاهد السابق مع أن البصـريين ينكـرون روايتـه السـابقة وينشدونه: أبا عمرو[4]

وفي ضوء ما تراءى لنا من خلال إمعان الواحدي في شرح شعر المتنبي نـدرك أن الواحدي كان يورد آراء العلماء، وأئمة اللغة، ولكنه لا يأخذها علـى علاتهـا ولا يرفضها لمجرد الرفض، ولكنه يقبل منها ويرفض، فيحذف منها مـا يناسـب فهمـه، وعقله بتراثٍ يزيد به مواقفه، وإمكاناته، ومن هنا استطاع أن يقدم إضافات جديدة إلـى آراء سابقيه من الشراح، **يمكننا أن نمثلها الآن إجمالاً على النحو التالي:**

1- تعقبه الغريب من اللغة، وتتبعه للقضايا الصرفية، والنحوية.

2- عنايته بالمعنى وتقلباته المختلفة.

3- النظر إلى البيت كوحدة معنوية قائمة بذاتها.

---

[1] الفسر، ص 307.

[2] العكبري: التبيان في شرح الديوان، جـ2، ص372 وأنظر أيضاً أبن الأنبا ري الإنصاف، جـ1، ص356.

[3] الفسر ، ص 268.

[4] شرح ديوان المتنبي للواحدي، ج1، ص592، أنظر التفضيل الخلاف في هذه المسألة أبن الانباري الإنصاف، جـ1، ص347، (مسألة 48).

المبحث الثالث

الرواية:

اهتم الواحدي في شرحه بروايات شعر المتنبي ، وكان مبعث اهتمامه هذا إما حرصه على تأكيد سلامة شرحه، وإما الرد على شرح غيره، وفى كل مرة اختلفت الرواية كان المعنى يختلف ، وقد كان الواحدي حريصا على استقصاء الروايات المختلفة، وما تؤدي إليه من معان مختلفة ، وقد كان يحرص على صحة رواية الشعر المشروح، فيحاول أن يغربله من كل مالحق به ، إلاَّ فى حالات نادرة وجدناه لايلتفت إلى هذا الجانب، بقدر ما يعطي اهتماماً للجوانب الأخرى من شرحه يقارن بين الروايات حتى يصل إلى أصح رواية، والمفاضلة بين رواية وأخرى ليس بالأمر السهل حتى على المتمرسين أحيانا[1].

كان الواحدي يسخر إمكاناته العلمية والثقافية وسعة اطلاعه فى معالجة الروايات ومناقشتها حتى يطمئن على صحة النص وسلامته ، وجاء هذا الاهتمام لادراك أن هذا الأمر يسهم فى الكشف عن المعنى الصحيح الذى يعبّر عنه الشاعر، وينتج عن ذلك أن شرحه لشعر المتنبى جاء حافلا بتتبع الروايات وتوثيقها وتفضليها وتظهر هذه الملامح أثناء شرحه .

لقول المتنبى: (من الطويل)

وريعُ لهُ جَيْشُ العدَّوِ وَمَاشَى   وَجَاشَتْ لَهُ الحَربُ الضَّروسُ ومَاتُغلي

يقول: "إن الاعداء خافوه وهو صبى لم يمش فكأن الحرب الطروس قامت عليهم وقوله وما تغلى يشير إلى أن الحرب قامت معنى لاصورة ، وذلك المعنى هو الخوف ، ومن روى يغلى بالياء أراد جاشت الحرب ولم يغل الطفل حنقا عليهم، ومن يروي يطلي بالطاء فهو من طليت رأسه بالسيف أي ضربته ، ويروى يقلي بالقاف أي لم يبلغ حد البغض لاعدائه "[2].

---

[1] الحركة النقدية حول المتنبي فى القرنيين الرابع والخامس الهجريين: ليلى الشايب (رسالة ماجستير جامعة عين شمس ــ كلية الآداب، 79ــ 1980 ف) ص 2

[2] شرح ديوان المتنبي، الواحدى ج1 ، ص 412 ــ أيضا، ص 561 ــ 567 ، 611

ويذكرالواحدى الروايات المختلفة للبيت مع ترجيحه لإحدى الروايات تبعا لمقتضيات السياق العام: (من الكامل)

جَمَدَ القطارُ ولَوْرأتهُ كَمَا تُرى　　　بُهِتَتْ فَلْم تَتَبجسُ الأَنواءُ

"القطار جمع قطر والأنواء منازل القمرلأنَّ العرب تنسب اليها الأمطار ويروى كما أرى، والصحيح كما ترى لأنَّ القطار مؤنثة[1].

وفي مثال آخر: (من البسيط)

وإنَّما عَرَّضُ الله الجنُودُ بِكُمْ　　　لِكي يَكُونوا بِلاخلٍ إذَا رَجعَوا

يقول:"كل الناس رووا لكم ، والصحيح رواية لكم باللام ، لأنّه يقال عرضت فلانا فتعرض له ، ويجوز أن يكون بكم من صلة معنى التعريض لامن لفظه"[2]

وكذلك قوله في هذا البيت: (من الوافر)

أَتى خبرُ الأَميرِ فَقيلَ كَرّوا　　　فَقُلتُ نَعم ولَولَحِقَوا بِشَاشِ

"روي خبر الأمير وأنه مع جيشه كروا على العدو، فقلت لهم نعم تصديقا لهذا الخبر ولولحق عدوه بالشاش ، فهو قول البحتري ، يضحي مطلا على الأعداء ولووقعوا بالصين فى بعدها مااستبعدا الصينا ، ويجوز أَن يكون المعنى لما أتى خبره بالانصراف بالظفر قال هؤلاء الذين حاولوا حين سمع كرّوا أي قال بعضهم كرّوا إِليه ، ومن يروي بفتح الكاف أي قيل أَنهم قد كروا فقلت نعم وإِن بعدوا عنه يكرّون ويرجعون إِليه"[3].

وقال ابن جني: إن أبا العشائر استطرد للخيل وولي بين أيديها هاربا ثم جاء خبره أنه كر عليهم راجعا فلو لحق بشاش لوثقت بعودته ، هذا كلامه وعمل هذا إِنما قال كروا ولحقوا والمذكور فى أول البيت الأمر؛ لأَنّه أراده معه من أَصحابه، وقال ابن فورجة الرواية بضم الكاف المعنى أتى خبرالأمير بظفره بالعدو قال ولم يرو بفتح الكاف إلاَّ ابن جني "[4]

---

[1] انظر شرح ديوان المتنبي: الواحدى ، ج1، ص 19

[2] نفسه: ج1، ص 456

[3] نفسه: ج1، ص 511

[4] الفتح على ابى الفتح: ابن فورجة، ص 16

ويشيرالى رأى الشراح السابقين دون أن يعارضهم: (من الكامل)

إنْ كَانَ أَغْنَاهَا السُّلوُ فإننى   أَمْسَيتُ مِنْ كَبدي وَمِنْها مُعدْماً

يقول:" إن السلو أغناها عنّي فليست تحتاج إلى وصـلي فـإنى قدعـدمتها وعمدت كبدى ، لأن هواها أحرقها فأنا معدم منها ومن الكبد.أي أنها سالية عنـي وأنا فقيرإليها.وروى ابن جني مُصرما ً قال وهو كالمعسر، والعرب تقـول كـلا ينجح منه كبد المصرم يقول إذا رآه المصرم وهو الذى لامال له حزن أن لا يكون له مال فيرعاه فأوجعته كبده".[1]

وفي شرحه لهذا البيت يقول: (من الكامل)

لَمْ تُجْمَعَ الأَضدادُ لِي مُتَشابهُ   إلا لتَجْعلني لغُرمي مَغْنَما

"يعنى بالاضداد ما ذكر من دقة قامتها وثقل رد فيها وبياض وجهها وسـواد شعرها وهي على تضادها مجموعة في شخص متشابه الحسن. يقول لم تجمع هذه الأوصاف المتضادة في شخص تمام حسنه إلا لتجعلني هذه الأضداد غنماً لغرمى أي لما لزمني من عشقها وهواها. والمعنى إلا لتستبنى وترتهن قلبي ويروى لـم تجمع الأضداد على إسناد الفعل إلى الحبيبة "[2] وأحيانا يتعرض لـذكر المناسـبة المتعلقة بالرواية: (من الكامل)

أنا مُبصرٌ وأظنُ أَنّى نَائمُ   مِنْ كَانَ يَحْلمُ بِالالهِ فَأَحْلمُا

يقول:" أنا أبصرك وأظن أنى أراك فى النوم وإنما قال هذا استعظاماً لرٌؤيته كما قال ، أحٌلماً نرى أم زماناً جديدا، وذلك أن الإنسان إذا رأى شيئاً يعجبه وأنكر رؤيته يقول أرى هذا حلماً أي أن مثل هذا لايرى فى اليقظة. وهذا كما قال الآخر، أبطحاءٌ مكة هذا الذي أراه عياناًوهذا أنا، أستفهم متعجبا مما رأى ثم حقق أنه يراه يقظان لا نائما بباقي البيت والمعنى لايحلم أحد برؤية الله تعالى ولايراه فى النـوم أحد حتى أرى أنا، أي كما لا يٌرى الله تعالى فى النوم كذلك لاترى أنـت وهـذه مبالغة مذمومة وإفراط وتجاوز حد. ثم هو غلط فى إنكار رؤية الله تعالى فى النوم فإن الأخبار قد تواترت بذلك وذكر المعبرون حكم تلك الرؤيا فى كتبهم. وروي أن

---

[1] الفتح على ابى الفتح: أبن فورجة: ج1، ص 70

[2] نفسه: ص70

ملكا من الملوك رأى في نومه أن الله تعالى قد مات وقص رؤياه على المعبــرين فلم ينطقوا فيها بشىء استعظاما لما رأى حتى قال من اعلمهم تأويــل رؤيــاك إن الحق قد مات فى بلدك لظلمك وجورك. وذلك أن الله تعالى هو الحق فعلم الملــك أنه كما قال فرجع عن ظلمه وتاب".[1]

وقد يلاحظ الباحث أن الشارح قد يقترح صيغ جديدة للبيت: (من الكامل)

يامَنْ لِجُودِ يَديهِ فِي أمْوالهِ نِقمُ تَعوُد عَلى اليتامى أنْعُما

يقول:" جودك يفرق مالك كأنه ينتقم منه كما ينتقم من العدو بأهلاكــه وتلــك النقم في أموالك نعم على الأَيتام لأن التفريق فيهم.ولو روى على البرايا كان أعم وأشمل لأن الأيتام مقصورعلى نوع من الناس".[2]

وقد يستعين على الرواية بما يماثله من أشعار العرب: (من الكامل)

حتىَّ يقُولُ النَّاسُ مَا ذا عاقِلا وَيقُولُ بَيْتُ المَالِ مَاذَا مُسْلِماً

يقول:" يفرط فى جوه حتى ينسبه الناس إلى الجنون. ويقول بيت المال ليس هذا مسلما لأنه فرق بيوت أموال المسلمين ولم يدع فيها شيئا.ومثلــه قــول أبــى نواس، جُدت بالأموال حتى، قيل ماهذا صحيح [3]، وقال أيضاً:

جاد بالأموال حتى حسبوه الناس حُمقا

وقول الطائي:

مازال يهدى بالمكارم والندى حتى ظننا أنه محموم

وهذا معنى بارد وقد زاده الطائي فسادا".[4]

وتتعدد أمثلة الشارح بخصوص الروايات: (من البسيط)

وَإننى غَيرُ مُحصِ فَضلَ وَالدِه وَنائلُ دُوَنَ نَيْلِى وَصفَه زُحلاَ

"ويروى فضل نائله وهو العطاء يقول: علمت يقيناً أنى لا أقدرعلى عدعطائــه لكثرته، وإني أنال وأدرك زحل، قيل: أن أقدر على وصف عطائه أو وصف فضــل والده، وإنما خص زحل من النجوم لأنه أبعد الكواكب السيارة من الأرض فيما يقال،

---

[1] الفتح على ابى الفتح: أبن فورجة:ج1 ص72

[2] المصدر نفسه ج1، ص 72

[3] ديوان أبي نواس، تحقيق عبدالحميد الغزالي، ص 434.

[4] ديوان أبي تمام، ج2، ص 153.

ولذلك سُمي زحل لأنه زحل بُعد وتنحى وهو معدول عن زاحل مثـــل عُمــر عامر "[1]

وقد يقارن بين الروايات ويختارأفضلها: (من الخفيف)

دَرَّ دَرُ الصباء أيامَ تجريــ ــرُ ذيولى بدار أثلة عودِ

يقال:"لمن دعي له در دره، أي كثر خيره، ولا در لمن دُعي عليـــه، والـــدر اللبن الذي يجعل مثلا للخير، لأن خصب العرب وسعة عيشهم فيه دُعاء للصـــبي. وقال ابن جني در دره أي اتصل مايُعهد منه، وهذا قولٌ فاسدٌ لـــيس بشـــئ، ثـــم خاطب أيام الصباء فقال أأيام تجرير ذيولي أي يا أيام الهوي وجر الذيول كنايـــة عن النشاط واللهو؛ لأن النشوان والنشيط يجر ذيوله ولايرفعها، ودار الأَثلة موضع بظهر الكوفة وعلى هذه تُحدف الهمزة وتُنقل حركتها إلى الساكن قبلها ومن روى بغير الألف واللام فهي كالأولى إلا أنها لم تعرف والأثلة شجرة من جنس الطرفاء يتمنى عود تلك الأيام ".[2]

ومثله أيضا: (من الخفيف)

شيب رأسي ودلتي ونحولي ودموعي على هواك شُهُودي

أي يوم سررتني بوصـــالٍ لم ترُعني ثلاثةً بصُـــــــدودِ

"الصحيح رواية من روى هواك بفتح الكاف؛ لأن الخطاب للمذكر فى قولـــه فاسقنيها يريد في أي يوم نصبه على الظرف.يقول لم تصلني يوما إلا وأعرضت عني ثلاثة أيام ".[3]

كما يستشهد على صحة روايته من واقع اللغة: (من الخفيف)

يسرى لباسه خشن القطــ ــن ومروي مرو لبس القرود

"السري الماجد الشريف يقال سرُو يسرو سروا فهو سري. يقول أبلغه بسرى يلبس ما ينسج من القطن الخشن، ومروي مرو أي أن الثوب المروي الـــذي نسج بها لباس اللئام والعرب تتمدح بخشونة الملبس والمطعم وتعيب الترفـــه

---

[1] الفتح على ابى الفتح: ابن فورجة:ج1 ص 79

[2] المصدر نفسه:ج1 ص74.

[3] نفسه: ص 76

والنعمة.   ويروى لسري باللام أراد به نفسه وهذه الرواية إنما تصح إذا كان البيت الذي قبله على القلب يقول، لعلي بالغ بعض ما أؤمله لسرييتقشف في لبسه واللبس مصدرُلبست الثوب، واللبس بكسر اللام ما يُلبس ".[1]

وقد لا يتفق مع الشراح السابقين فى صحة الرواية: (من الطويل)

إذَا ما استَحْينَ الماءَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ   كَرعَن بسبتِ في إناءٍ مِنْ الوَرْدِ

روى ابن جني:إذا ما استحين الماء فرواه كرعن بسبتٍ وفسر أن الإبل استحيت الماء لكثرة عرض نفسها عليه"[2]، ويعلق العروضى: ((مأصنع برجل أدعى أنه قرأهذا الديوان على المتنبى ثم يروى هذه الرواية... ثم يقول وقد وقد صحت روايتنا عن جماعة وعدة يطول ذكرهم رووا، إذا ما استجبن الماء يعرض نفسه ــ كرعن بشيب، والكرع بالشيب:أن تترشف الابل الماء وحكاية صوت الماء مشافرها شيب شيب))[3] ولهجته القاسية واضحة وكذلك تشكيكه في قراءة ابن جني علي المتنبي، ولم يفطن الي تأخر روايته في المرتبة عن رواية ابن جني ، فهو يروي بالنقل، وابن جني يروي – في الغالب – عن الشاعر مباشرة.كذلك لم ينتبه إلى اختلاف مصادر روايته عن مصادر ابن جني لابد أن يؤدِّي إلى اختلاف رواية كل منهم، ومن الطبيعى أن يؤدِّي تعدد تلاميد المتنبي وتعدد الحواضر التى قصدها الى تعدد روايات ديوانه، ثم يكون تدخل الواحدى – تلميد العروضى – في تفسير هذا البيت، انتصارا لرواية ابن جني، واعترافا ضمنيا بقراءته على المتنبى، يقول الواحدى:"وليس ما قاله ابن جني ببعيد عن الصواب والكرع في الماء بالسبت أحسن؛ لأن مشفر الإبل يشبه في صحته ولينه بالسبت، وهو جلود تدبغ بالقرط ، ومنه قول طرفة: (من الطويل)

وَخَدٍّ كقرْطاسِ الشَّامي ومِشْفَرهُ   كَسبتِ اليمانيِ قَدَّهُ لَمْ يُجَرَّدِ[4]

---

[1] الفتح على أبى الفتح: ابن فورجة:ج1 ص 88

[2] شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ص 1060.

[3] نفسه ، ص 1060.

[4] ديوان طرفة: سيف الدين الكاتب، أحمد همام الكاتب، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، ص 17.

يقول:"فتكرع فيه بمشافرها التي هي كالسبت.وشيب صحيح فى حكاية صوت المشافر عند الشرب ولكن لايقال كرعت الإبل في الماء بشيب ، وإذا شربته والسبت ها هنا أولى "[1]

وتشتد لهجته وتزداد خطورة نقده عندما يعرض لتفسيراته ، لأن لتفسيرات ابن جني مصدرين: الأول: مايرويه عن المتنبى ، والثانى: مايصل إليه وفق منهجها الخاص.

وعندما يشكك العروضي في نقله عن المتنبي ، يهدم القسم الأول من آرائه، ويتهم القسم الثانى بالفساد.ويتضح هذا من تعليقه على تفسير ابن جني لقول المتنبي: (من الكامل)

وعلى الدُّروبِ وفي الرُّجوعِ غضاضةٌ   والسيرُ ممتنعٌ من الإمكانِ

"نعود بالله من الخطل، لوكان سأله لأجابه بالصواب... " [2]

فيشيرإلى كذب روايته عن المتنبي، ثم الى فساد تفسيره. وتتعدد تعليقاته القاسية على تفسيرات ابن جني، ومنها (... هذا كلام من لم ينتبه بعد من نوم الغفلة "[3]، "ومنها أنه يظلم نفسه، ويغر غيره من فسَّر شعرالمتنبي بهذا"[4] ، ومنها" هذا كلام من لم ينظر في معانى الشعر، ولم يروي الكثيرمنه "[5] وينتقد العروضى تفسيرابن جني لقول المتنبي: (من الوافر)

وكانوا الأُسدَ ليس لها مَصَالٌ   على طيرٍوليس لها مطارُ

حين جعله ابن جني فى صفة المهزومين ، فجعله العروضي في صفة خيل سيف الدولة. ذلك على الرغم من أن التركيب اللغوى للبيت يحتمل المعنيين ثم يأتي الواحدي لينتصر لرأى ابن جني مستشهدا بسياق القصيدة الذى يقتصره على البيت التالى له مباشرة: (من الوافر)

إذا فاتوا الرِّماحَ تَنَاوَلَتهُمُ   بأرماحٍ من العَطَشِ القِفَارُ[6]

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ص 1060.

[2] نفسه، ص 850.

[3] نفسه ، ص 850.

[4] نفسه ، ص 850.

[5] نفسه ، ص 850.

[6] نفسه ، ص 817.

وكان تعصب العروضى على ابن جني في صالح شعر المتنبي ، فقد دفعته الرغبة في الاستدراك إلى البحث عن جوانب متعددة تثرى المعنى في شعر المتنبى ، وتثبت عمقه.فإذا تردد ابن جني فى الدفاع عن قول المتنبي في مديح طاهر بن الحسين العلوى: (من الطويل)

وأبهرُ آيات التهامى أنه أبوك وأجدى مالكم مِنْ مناقبِ[1]

وبدأ مسلما برداء ته، وجدنا العروضى يدافع عنه قائلا "لو قلت أنه أمدح بيت في شعره لم أبعد عن الصواب، ولاذنب له إذا جهل الناس غرضه واشتبه عليهم.أما معناه أن قريشا وأعداء النبي (ﷺ) كانوا يقولون أن محمداً صنبورأى منفرد أبترلاعقب له، فإذا مات استرحنا منه. فأنزل الله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾[2] أى العدد الكثير، ولست بالابتر الذى قالوه ﴿ إِن شانئك هو الأبتر﴾[3].

فقال المتنبي: أنتم من معجزات النبى (ﷺ) وآيات لتصديقه وتحقيق قوله تعالى، وذلك أجدى مالكم من مناقب... وأما ذكر التهامي ، فإن الله تعالى كان قد أنزل فى التواراة أنه باعث نبيا من تهامة من أولاد اسماعيل في آخر الزمان، وأمر موسى أمته أن يؤمنوا به إذا بعث، ودل عليه بعلامات أخر، فأنكر اليهود نبوته، فقال النبي (ﷺ): أنا النبى التهامى الأ بطحي الأمي، فلا أدرى كيف نقموا عن المتنبي لفظه افتخر بها النبي (ﷺ) وتشنيع أبى الفتح وغيره باطل "[4]، وندرك أن تعصبه للمتنبي يعادل تعصبه على ابن جني، ومرجع هذه الحالة ذاتيته الواضحة التى تشعر ببعد معانى المتنبي حتى لايفهمها غيره ، فيضع ذاه العالمة بازاء جهل الناس، ولهذه الذاتية تأثيرها فى أحكامه (أمدح بيت فى الشعر) وماتنطوى عليه من انفعال واطلاق. وربما كان تحرج النقاد[5] والشراح من هذا البيت مرده إلى مافيه من قلب للصورة المدحية، فبدلا من أن يشرف هؤلاء بانتسابهم

---

(1) شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ص 480.

(2) سورة الكوثر، الآية: 1.

(3) سورة الكوثر، الآية: 3.

(4) شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ص 480.

(5) نفسه ، ص 480.

للنبي(ﷺ)، جعله الشاعر حائزا للشرف لانتسابه إليهم، خاصة إذا كانت روايته وإحدى بدلا من (وأجدى).ثم يدافع عن ورود كلمة التهامي مع أن أحداً لم ينكر وجودها.وقال ابن فورجة وروي بعضهم وأكبر آيات التهامي أنه أبوك قال يعني به علي بن أبي طالب رضي الله عنه – وكان آية من آيات رسول الله (ﷺ).

كذلك يكون بالتباين في إدراك المعنى وفي الاحساس بما تثيره الألفاظ من ظلال وإيحاءات سببا في الاختلاف حول رواية بعض شعر المتنبى ومن ثمَّ تفسيره لقول المتنبي:

وهذا أولُ النَّاعينَ طُراً لأَوّلَ مَيْتَةٍ فِي ذَي الجَلاَل

فيذكر الواحدى " يقول هذا الناعى أول الناعين جميعا لأول أمراة كانت في هذا الجلال، يعني لم تمت أمراة مثلها في حسنها، وروي ابن جني ميتة بفتح الميم يريد ميتة فخففت، قال ابن فورجة:الرواية الصحيحة (ميتة) بكسر الميم لأن (الميتة) بفتح الميم كثر استعمالها يعني الجيفة، لقوله تعالى ﴿ حُرِمَتْ عَلَيْكُمْ الْمِيتَةَ﴾ [1]، ولا يخاطب أبو الطيب سيف الدولة بمثل هذا في آية، والرواية بكسر الميم يعني الحالة التي كانت عليها، وهذا الذىذكره ابن فورجة غير ظاهر؛ لأنه أراد أول الأموات ولم يرد أول الأحياء[2]، فيدفع ابن فورجة وقوفه على المعنى الحماسي لكلمة ميتة الى تعديل الرواية، ونقل اللفظة إلى ميتة طرفه تفيد معنى جديداً، أما ابن جني والواحدى فيبقيان على الرواية الأولى من أجل ما يعتقدون من معنى دون التأثيربما اكتسته اللفظة من ظلال، نتيجة استخدامها في سياق ذي نفود قوي له قداسة القرآن.

وهكذا نجد الواحدى في شرحه يستعين أحيانا بآراء العلماء وأئمة اللغة فمنهم من يخالفه في المعنى ، ومنهم من يجاريه في شرحه للبيت أوروايته ، ومنهم من يناقشه ويعارضه ، وأحيانا يقدم هذه الروايات لهؤلاءِ العلماء ثم يرجح أصحها وأفضلها.[3]

---

[1] سورة المائدة، من الآية:3.

[2] انظر شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ج1، ص 385.

[3] الحركة النقدية حول المتنبي: ليلى الشايب ، ص 79- 80

ومن الأمثلة على ذلك قول المتنبي: (من الطويل)

تَذكَّرتُ مَابَيْنَ العُذْيبِ وبَارقُ   مَجَرَّ عَوَالينا وَمَجْرَى السَّوابقِ

فيذكر الواحدى: " العذيب وبارق موضعان معروفان ويجوز أنّ بينهما ظرفا للتذكر، والظاهر أنه ظرف للمجر والجرى، ولحمل الكلام على أن يجعل مـــابين العذيب مفعول تذكرت وجعل مجر عوالينا بدلا منه..." [1]

وبعد نقله لهذه الروايات نراه يدقق ويتفحص فيها ثم يقف عند أصح روايـــة فيقول:الرواية الصحيحة في هذا البيت:

أهلاً بِدارٍ سَباكَ أغْيدهَا   أبعدُ مَابَانَ عَنْكَ خُردَها[2]

"أبعد مايقول أبعد شيء فارقك جوراي هذه الدار، وروى قوم أبعد على أنـــه حال من الأغيد، والعامل في الحال سباك يقول سباك أبعد ماكان منك..."[3]

وكذلك مانراه في هذا البيت أنه يعتمد رواية خاصة ويجعلها الأجدى ، لأنـــه كان يأتى بروايات عدة فينظر في شرحها لغويا، ويذكر كل مايتعلق بها من معان أخرى على سبيل التوسع والاستطراد، كما نراه يستند على بعض الآراء والأدلـــة العلمية التى يرويها عن العلماء ، ثم يورد بعض الشواهد الشعرية من الشعر القديم ليماثل به المعنى.

ومن ذلك شرحه لقول المتنبي:

لَهُ آيادٍ إلّيَّ سَابِقةٌ   أُعدّ مِنْهَا وَلا أُعْددُهَا[4]

يقول:"له أمان عليَّ ونعم سابقة متقدمة ماضية ويروى سالفه،... ويقول ومن روى أعد منها كان المعنى أنه يعد بعض أياديه..."[5]

وإذا كانت الروايات متشابهة فى المعنى نجد الواحدى يشير إلى هذا التشابه، ودون أن يقارن بين الروايات، أو دون استحسان لرواية على أخرى، ومن ذلـــك شرحه فى هذا البيت:

---

[1] التفكير النقدي في شروح المتنبي: عمر محمد عبد الواحد، ص 560.

[2] نفسه:ج 1 ص 57

[3] نفسه ، ج1 ص 57

[4] الحركة النقدية حول المتنبي: ليلى الشايب ، ص 90- 91

[5] ينظر: المتنبي بين ناقديه، عبد الرحمن شعيب ، ص 133

إذا احتلَّ الهُمامُ مُهَجَتهُ   يَوماً فَاطْرافُهنَّ مُنْشِدهَا

فيقول الواحدى:" معنى امتلاك الهمام المهجة ، أن يُقتل ولايدري قاتله إنما تتطلب من أطراف سيوفه لأنَّها قواتل، والمنشد موضع الطلب تنشدها أي تتطلب ثائر الملوك.ويروي تنشدها والإنشاد تعريف الضالة، أي أن أطرافهن تعرفها وتقول عندي مهجة فمن صاحبها، ويروى فأطرافهن بالنصب وينشدها بالياء يعني الهمام يطلب مهجة في أطرافهن ونصب أطرافهن بينشد موخراً كما تقول زيد ضربته. "[1]

وأحيانا يؤكد على صحة الرواية بمزيد لغوي كشرحه لهذا البيت: (من الطويل)

يتيهُ الدَّقيقُ الْفِكْرِ فِى بُعدِ غَورِهِ   وَيَغْرقُ فِي تَّيارِهِ وَهْوَ مُصْقَعُ

فيقول:" التيار ، الموج، المسقع:الفصيح البليغ ، لأنَّه يأخذ في سقعا من القول، والدقيق الفكر، الفهم الفطن ، الذي يدق فكره وخاطره إذا تفكر، وهذه الرواية الصحيحة بالألف واللام فى الدقيق مع الإضافة إلى الفكر وهو جائز في أسماء الفاعلين كالطويل الذيل، والحسن الوجه ، ومن روى دقيق الفكر جعل الدقة نعتا للفكر..."[2]

أما تفضليه الرواية لعامل الفصاحة فانظر لشرحه بيت المتنبى الذى يقول فيه: (من البسيط)

من كُلِّ أَحْوَرٍفِي أنْيَابهُ شَنَبٌ   خَمْرٌ يُخَامِرها مِسْكٌ تُخَامِرهُ

فيقول في رواية البيت:" ويروى مخامرها من كل ظبى أحور ، وهو شديد سواد العين. والشنب صفاء الأسنان، ورقة مائها ، وسُئل ذو الرمة عن الشنب فأخذ حبة رمان، فقال هذاهوالشنب أشار إلى صفائها ورقة مائها..ثم يقول على رواية ويخامرها مسكُ، هذه الجملة صفة للنكرة التي هي خمروخبره قوله تخامره."[3]

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ج1، ص 64

[2] ينظر:الحركة النقدية حول المتنبي: ليلى الشايب ، ص 95ــ97

[3] شرح ديوان المتنبى: الواحدي ، ج1 ، ص 125

ومن الروايات مايرجحها بمزيد اللغوى أيضا قول المتنبي: (من الكامل)

المَوْتُ أقْربُ مَخْلَباً مِنْ بَيْنُكمْ   وَالعينُ أَبعدُ مِنْكُمْ لاتَبعدُوا

فيقول: "... المخلب يكون للمفترسة من الجوارح والسباع فاستعارها للموت لأنه بإهلاكه للحيوان كأنه يفترسه، يقول: مخلب الموت أقرب إلى الذي يقع غدا... ثم يورد رواية أخرى فيقول:" ويروى مطلعا والمعنى اطلب الموت قبل فراقكم، ثم يورد رواية من الجانب اللغوي فيقول:من روى بفتح العين فهومن البعد بمعنى الهلاك "[1]

وفي المفاضلة بين الروايات نلحظ هذا في شرحه لقول المتنبي: (من الوافر)

وَقْد لَبِستْ دِماؤهُمُ عَلْيُهْم   حِداداً لم تشقُّ لها جُيُوبا

فيقول:" والرواية الصحيحة دماءهم بالنصب، والمعنى لبست هذا الطير دماء القتلى التي عليهم أى تلطخت بها وجفت عليها فأسودت ، ثم يقول " ومن روى دماءهم رفعا أراد أن الدماء أسودت على القتل فكأنها لبست ثوبا غير ماكانت تلبس من الحمرة..."[2]

وأحيانا نراه يقرر صحة الرواية باستبدال حرف في الكلمة مثل قول الشاعر: (من الطويل)

وفي صُورةِ الرّومي ذي الّتاجِ ذِلَة   لأبلجُ لا تِيجانِ إلاَّ عَمائمُه[3]

صُور ملك الروم على هذا الثوب ساجداً لسيف الدولة ولذلك قال ذلة وعني بالأبلج سيف الدولة، ويروى بالجيم وهو المتقطع شعر الحاجبين "[4]

وفي مثال آخر من قول المتنبي: (من الوافر)

رُوْيدكَ أيُّهاالمَلكُ الجَليلُ   فإنَّ وَعدهُ مِمَّا تَنيلُ

يقول:"فإن تنيل ويروى تأي ومعناه تحبسي يقول أمهل سيرك وأخره وأجعل ذلك من جملة ما تعطيه"[5]

---

(1) شرح ديوان المتنبى: الواحدي ، ج1، ص 134

(2) نفسه: ،ج1 ص 139

(3) نفسه: ج2، ص561

(4) نفسه: ج2، ص561

(5) نفسه: ج2، ص 569

ومانلحظه في شرح الواحدى قبوله لروايات القصص والتصورات الشعبية وكان ابن خلكان أول من أشار إليها في شرح الواحدي بقوله في ترجمة شرح الواحدي:"وشرح ديوان المتنبى شرحا مستوفي وليس فى شروحه مع كثرتها " وذكرفيها أشياء غريبة "، منها أنه شرح هذا البيت:

وأذا المكارمُ الصَّوارمُ والقنا   وَبَناتُ أَعْوجُ كُلُّ شَىء يَجْمعُ[1]

وقد تكلم في معنى هذا البيت ثم قال في أعوج:"أنه فحل كريم لبنى هلال بن عامر وأنه قيل لصاحبه:مارأيت من شدة عدوه ؟فقال: ضللت في بادية وأنا راكبه فرأيت سرب قطا يقصد الماء فتبعته وأنا أغض من لجامه. حتي توافينا على الماء دفعة واحدة !!وهذا أغرب شىء يكون فإن القطا شديد الطيران ، وإذا قصد الماء اشتد طيرانه أكثر من قصد غير الماء، ثم انكفى حتى قال:كنت أغض من لجامه ولولا ذلك كان يسبق القطا وهذه مبالغة عظيمة وإنما أعوجَّ؛ لأنه كان صغيرا، وقد جاءتهم غارة فهربوا وطرحوه وحملوه لعدم قدرته على متابعتهم لصغره ، فأعوجَّ ظهره من ذلك فقيل له أعوج !! وهذا البيت من جملة القصيدة التي رثى بها فاتكا المجنون "[2].

ومن ذلك مايرويه دون تمحيص فى شرحه لقول المتنبي: (من المتقارب)

وكُلُّ نَجَاةٍ بجاويةٌ   ضُنوفُ وَمَابى حُسْنُ الثَّناءِ

"نجاة:الناقة السريعة ، والبجاوية منسوبة الى بجاوة وهى قبيلة من البربر توصف نوقها بالسرعة... يرمي الرجل منهم بالحربة، فإذا وقعت فى الرمية طار الجمل اليها حتى يأخذها صاحبها "[3].

ومن هذه الروايات والتصورات الأسطورية ماله علاقة بالقصيدة مثل تعليقه على قول المتنبي: (من البسيط)

الرَّاجعَ الخَيلَ مُحْفاةً مقوّدةً   مِنْ كُلِّ مثلِ وَبارِ أهْلُها إرمُ

---

[1] وفيات الاعيان: ابن خلكان، ج2 ، ص

[2] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج2 ، ص 712 ــ713

[3] نفسه: ج2 ، ص 699

يقول في شرح هذا البيت:" وبار مدينة قديمـــة، يقـــال أنهـــا مـــن مســـاكن الجن...[1]، فمثل هذا التفسير يدل على أن منهج الواحدى الراغب فـــي الايجـــاز وتصنيف (كتاب يسلم من التطويل وذكرمايستغنى عنه الكثير بالقليل)[2] تأثيره في مدى عنايته بهذا القصص الذي يقل في شرحه.

وهكذا رأينا الواحدي يهتم بالكشف عن المعنى الخفي فـــي شـــعر المتنبـــي، مستعينا على ذلك بثقافته الأدبية، ومعرفته الواسعة بالشعر العربـــي ، والمعـــاني المتدوالة فيه ، ومستفيدا من خبرته بالروايات المختلفة لشعر المتنبي فـــي توجيـــه معانييه واختيار أفضلها ، ولكنه أحيانا يذكرالروايات دون تحقيقهـــا أو تنقيحهـــا، لايقف عند الرواية التي لا تتفق مع العقل والمنطق أو لا تتناسب مع هذا الشـــرح المستوفي، حيذ يورد فيه روايات تحتاج أحيانا إلى الخيال وإلى الأسطورة تـــارة أخرى ، والأمثلة التى تم الاستدلال بها أقوى دليل على صحة هذه الملاحظة.

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي:ج2، ص 601

[2] نفسه: ج1، ص 4

المبحث الرابع

المعاني:

أتفق شراح ديوان المتنبي على أنه كان " صاحب معـان مخترعـه بديعـة ولطائف ابكار لم يسبق إليها دقيقة "[1] "ولا يصدر فيها عن فكر مدخول"[2]

وفي هذا المجال نجدهم يعترفون لأبي الطيب بالبراعة، ولعل بحثهم في ذلك يعود إلى عدم استفاء المتنبي لمعانيه من الشعراء السابقين، أو بالمعنى الصحيح أنه لـم يأخذ عن غيره ممن سبقوه ويقتبس منهم، بل كانت جل معانيـه مـن ابتكاراتـه وإبداعاته، ولو اتضح خلاف ذلك فإن هذا لا يعد عيبـاً مـن عيـوب الشـاعر، واضطراره إليها بحكم تأخر عصره فقد عدَّها ابن طباطبا(ت 322 هـ) خروجـاً من أزمة الشاعر المحدث، التي يصورها بقوله " والمحنة على شعراء زماننا فـي أشعارهم أشد منها على من كان قبلهم لأنهم سبقوا إلى كل معنى بديع ولفظ فصيح وصلة لطيفة وخلابة ساحرة، فإن أتوا بما يقصر عن معاني أولئك ولا يرى عليها لم يتلق بالقبول " [3] وتابعة في هذا القول عدد من النقاد[4] وجعل ابن جني الاعتقاد بهذه المحنة المتوهمة وسيلة للدفاع عن المتنبي يقول: " ومالهذا الرجـل الفاضـل عيب عند هؤلاء السقطة الجهال، وذوي النذالة السفال إلا أنه متأخر محدث وهـل هذا لو عقلوا إلا فضيلة منبهة عليه، لأنه جاء في زمان يعقم الخواطر ويصـدىء الأذهان، فلم يزل فيه وحده بلا مضاء يساميه ولا نظير يعاليه[5] وإذا كان الاتهام بالسرقة قد اتخذ وسيلة للهجوم على الشعراء في الخصـومات الأدبيـة لتزييـف ابتكاراتهم التي سبقوا إليها فإن الشراح باستثناء الأصفهاني قد كان يعجب بصناعة المتنبي، والاعتراف بابتكاراته؛ لذا أخذ أكثرهم موقف الدفاع عن أصالة معانيـه ضد من اتهموه بالسرقة.

---

[1] شرح ديوان المتنبي، جـ1، ص3.

[2] الفسر، ص 1.

[3] عيار الشعر: لابن طباطبا ص (9).

[4] الوساطة، ص214 – 215.

[5] الفسر، ص 2.

وإذا اعترف الشراح بسرقة المتنبي، فإنهم يثبتون له فضلاً في سرقته، وفــق مفهوم النقد القديم للسرقة المستحسنة، التي تزيد على القول الأمثل بجودة الصياغة وإيجازها، وإخفاء السرقة بنقل المعنى من غرض إلى آخر أو من نثر إلى شعر[1]

فإذا اعترف ابن فورجة بأن بيت المتنبي: (من المتقارب)

أحُلمًا نَرَى أمْ زَماناً جَديداً   أمْ الخَلقُ في شَخْصٍ حيٍ أُعيدا

إنما هو من قول أبي نواس: (من السريع)

لَيْسَ على الله بِمسْتَنْكرٍ   أنْ يَجْمعُ الَعَالمَ في وَاحَدِ[2]

ذكر " إلا أنه أراد الزيادة في هذا المعنى، يعني أن الخلق الهالكين أعيدوا في شخص حي، يريد بحي رجلاً واحداً ودعته الضرورة إلى ذلك "[3]

ويشير الواحدي إلى أن المتنبي يقوله:

هَا فانْظُري أو فُظُنْي بِي تَرىَ حُرقا   مَنْ لَمْ يَذقْ طَرفَا مِنْها فَقْد والاَ

قد أجمل ما فصله البحتري في بيتين: (من الوافر)

أَعيَدي في نَظْرةِ مَسْتثيب   تَوفِيّ الأَجُر أو كَره الآثامَا

تَرىَ كبداً مُحرَّقَةً وَعَيناً   مُؤرقةً وَقلباً مُستَهاما [4]

فالمتنبي فضل إيجاز المعنى في بيت بعد أن كان في بيتــين، كــذلك يشــير الواحدي إلى توضيح المتنبي للمعنى دون الزيادة في صياغته عن بيــت، فقــول المتنبي: (من الطويل)

أسيرُ إلى أَقطْاعِه في ثيابِه   عَلىَ طَرَفهِ مِنْ دَارَهِ بُحسامهِ

يريد أن جميع ما يتصرف فيه من ضروب ممتلكاته، إنما هــو مــن جهتــه وأنعامه، وكان هذا تفصيل ما أجمله النابغة في قوله: (من الوافر)

---

[1] راجع عيار الشعر، ص9.

[2] ديوان أبي نواس حققه أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان، د.ت ص 454..

[3] الفتح علي ابي الفتح، ص316.

[4] شرح ديوان المتنبي، جــ1، ص25.

وما أغَفْلتُ شُكْرِكَ فَانتْصحنَى   فَكَيفَ ومِنْ عَطائِكَ جُلَّ مَالي[1]

كذلك يشيرون إلى إخفائه المعاني التي يأخذها، وفي هذا إشارة إلـــى فضـــل الشاعر ومجهوده، وتدليل على علم الشارح وجودة حفظه وذكائه فيذكر ابن جنـــي كيف خفي قول المتنبي: (من البسيط)

أزَورهُمْ وسَوادُ اللَيلِ يشَفْعُ لي   وأنثَني وَبياَضُ الصُّبح يغُري بِي

وقد كان المتنبي متهما من أعدائه بالإغارة على شعر الطائيين أبـــي تمـــام، والبحتري، ويتزيد هؤلاء في القول فيزعمون " أن المتنبي كـــان يحفـــظ ديـــواني الطائيين، ويستصحبهما في أسفاره، فلما قتل توزعت دفاتره، فوقع ديوان البحتري إلى بعض من درس عليّ، وذكر أنه رأى خط المتنبي وتصحيحه فيه "[2] وإذا كان هذا موقف أبي القاسم الأصفهاني منه فإن موقف ابن جني يقابله فيذكر أنه كـــان قليل النظر في شعر المحدثين "[3] وربما ليثبت بكارة معانيه وأصالة لغته واستقاءه من المصادر الأولى للغة الفصيحة يقوي هذا الزعم لدينا كونه لغوياً، وكذلك لينفي عنه قصة السرقة من الشعراء المحدثين، ويؤكد سبقه لهم، ولكـــن ســـائر شـــراح المتنبي يعترفون بإفادته من الطائيين ويثبتون له مع ذلك الزيادة على معانيهم يثبت له الواحدي الزيادة بقوله: (من الكامل)

ولديه ملعقان والأدب المفا   د وملحياة ومملمات مناهلُ[4]

على أبي تمام في قوله: (من المنسرح)

تَرْمي بأشباحنا إلى ملك   تَأْخُذُ من ماله ومن أدبه[5]

لأنه ذكر الموت والحياة.

وقد نجدهم – أحيانا – يجنحون إلى أحكام عامة، تثبت تعصبهم للمتنبـــي عنـــدما يثبتون له زيادة في شعره على سائر الشعراء، يعلق ابن فورجة على قوله: (من الكامل)

---

[1] شرح ديوان المتنبي، الواحدي، جـــ2، ص577.

[2] الواضح في مشكلات شعر المتنبي، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، الدار القومية للنشر، تونس، 1968، ص10.

[3] شرح ديوان المتنبي، الواحدي، جـــ1، ص267.

[4] الفسر، ص 63.

[5] ديوان أبي تمام، ج1، دار صادر بيروت، د.ت، ص 171.

فَلقُ المليحةِ وهى مِسْكُ هَتْكهُا   وَمَسيرَها في الليلِ وهى ذِكاءُ

" ومثل هذا كثير في أشعار القدماء والمحدثين إلا أن قوله: وهى مسك زيادة على كثير من الشعراء ممن تقدمه ' اذ كان لم يجعل هتكها من قبل الطيب الــذى استعملته[1] ويفعل الواحدي مثله عندما يفضل المتنبي على سائر الشعراء في قوله: (من الكامل)

سَفْكُ الدّماءِ بِجُودهِ لا بأَسهِ   كَرماً لأً الطيرُ بَعضُ عيالهِ

يقول الواحدي "هذا كقوله: مابه قتل أعاديه..البيت. زاد بذكر الجود والعيال على ما قاله الشعراء من إطعام الطير لحوم الأعداء "[2] وعندما يعلق على قــو ل المتنبي: (من الطويل)

شُجاعً كأَنَّ الحربَّ عَاشَقةُ لَهُ   إذا زَارَها فَدَتهُ بالخيلِ والرِّجلِ

"وهذا من بدائع أبي الطيب ومما لم يسبق اليه "[3]"ومثل هذه الأحكام

لاشك تخرج عن الموضوعية الى التعصب للمتنبــي، وتفتقــد الدقــه التــى نرتضيها والتى يلزم لها – الآن –الإحصاء "كذلك عني الشــراح بالاشــارة إلــى سرقات الشعراء من المتنبي، لرغبتهم فى بيان فضله على معاصريه وتاليه، ممــا يكمل صورة علاقة شعره بالشعر، بالاضافة إلى عنايتهم أيضا بالمعــاني وتتبــع أصولها وتطورها لدى الشعراء كجزء من عملهم وطريقة تفكيرهم الفني. وفى هذا دفاع ضمني عن المتنبي بايراد سرقات الشعراء منه فى مقابل سرقاته.

ولذلك كثرت تنبيهات الشــراح علــى ســرقات الرفــاء[4] ، والــواء واء، الدمشقى،[5] وأبي الفضل الهمذاني[6]، وأبي الحســن التهــامى[7] ، والصــاحب،

---

[1] الفتح ص 44- 45

[2] شرح ديوان المتنبي، الواحدي، ص 240

[3] نفسه:ص 731

[4] نفسه ح1 ص 301 ، 376، 465 ، 472

[5] نفسه ص5

[6] نفسه ج1 ص484

[7] نفسه ج1 ص461

ابن عباد[1]، والصابي [2]. وعني ابن فورجة على وجه الخصوص بالتنبيه علـــى إفادة استاذة المعري من معاني المتنبي [3].

ونلحظ أيضا إرجاعهم _ أحيانا _بعض أبيات المتنبي الى تغيرات نثريه مما يمثل تسوية بين المعنى في الشعر والمعنى خارجه. ويشير الى عقد التشابه بـــين الشكلين لتشابه الألفاظ أحيانا فالواحدي يرجع قول المتنبي: (من الخفيف)

إنَّ بَعْضَا مِنَ القَرِيضِ هَذاءُ   ليَسَ شَيئاً وبَعْضُه أَحكامُ

الى حديث للنبي (ﷺ) (إن من الشعر لحكما)[4] أى حكمةً وأحكام جمع حكم بمعنى حكمة ً كما يرجع قول المتنبي: (من المنسرح)

لَهُ آيادٍ إليَّ سابقـــــةً   أَعدُّ مِنْها ولا أعْدُدها

إلى قوله تعالى:﴿وإِن تعدوا نعمة الله لاتحصوها﴾[5]، ويرجع قول المتنبـــي: (من البسيط)

لازلت تضرب من عاداك عن عوض بعاجل النصر فى مستأخر الأجل

إلى قول بعض الأشداء وقيل له: في أي عدة تحب أن تلقى عدوك قال فـــي أجل مستأخر " [6]

ويلاحظ كذلك وجود نزعة شكلية لـــدى الواحـــدي تتمثـــل فـــي اســـتخدام اصطلاحات متعددة توهم بالدقة فى التميز التى عدها الجرجاني ســـمة (جهابـــذة الكلام ونقاد الشعر)[7] كألفاظ الاحتذاء[8]، والنظر[9] والأخذ [10] مع إِن (كلها قريب من قريب قد استعمل بعضها فى مكان بعض)[11]

---

(1) شرح ديوان المتنبي، الواحدي ح1 ص 217

(2) نفسه ج2 ص762

(3) الفتح على أبي الفتح ص 228

(4) مستند الإمام أحمد بن حنبل، 3/ 456.

(5) سورة إبراهيم، الآية: 34.

(6) شرح ديوان المتنبي، الواحدي ح1 ص 490

(7) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص 183

(8) شرح ديوان المتنبي، الواحدي ح1 ص 639، 681

(9) نفسه ، ج1ص 682

(10) نفسه، ج1 ص 250، 459 ، 765

(11) العمدة في شرح الشعر ونقده، ط الخانجي، ج 2، ص 265

المطلب الاول :

أ- توافق المعنى الجزئي مع غرض الشاعر:

تضمن عمل شراح المتنبي كشفا عن بعض الطرق التى سلكها في التعبيــر عن أغراضه الشعرية، كما تضمن إشارات إلى علاقة بعض معانيــه بــاغراض قصائده. فابن فورجة يشير إلى:حذقه بالمدح وجودة تصرفه فى المعانى"[1] وابتكار لطرق جديدة فيه كالمدح بصحة النسب يعلق على قول المتنبي: (من الطويل)

وأنتْ أبو الهَيَجا ابنِ حمدانِ وابنه   تَشابَه مَولوُد كَريمُ وَوَالدُ

فكأنه علم الشعراء أن شبه الابن بالأب مما يمدح به، ويراد به صحة النسب وطيب المولد "[2]ولا تتناقص هذه النظرة الفنية التى كشف عنها موقف الدفاع عن المتنبي فى هذا المعنى الذي عابه الصاحب بن عباد _ كما سنوضح، مع ما يلاحظ الواحدي من اعتماد المتنبي فى المديح _ بالنسب _ على تفضــيل الفــرع علــى الأصل، كقوله: (من الطويل)

فإنْ يَكُ سَيْارُ بنِ مُكرمِ انْقضَى   فإنَّكَ مَاءُ الَورْدِ إنْ ذَهَبَ الــــوَرْدُ

وقوله: (من البسيط)

فإنْ تَكُنْ تَغْلبُ الغَلبَاء عنُصرْهَا   فإنَّ فى الخَمْرِ مَعنىً لَيْسَ فى العِنَبِ

وقوله: (من الوافر)

فإنْ تَفُقْ الأَنَامُ وأنْتَ مِنْهُم   فإنَّ المسكَ بَعْضُ دَمِ الغَـــزَالِ[3]

ولا يمتد الواحدي إلى تعليل هذه الظاهرة بحكم وقوفه الجزئي، فلا يستقصى سائر ما يمثلها، على النشأة النفسية لهذة الظاهرة الفنية _ وهذا فوق طاقته وأبعــد من امكانات عصره _كموقف الشاعر من نسبه، الذى يعبر عنه قوله:(من الخفيف)

لا بِقَومي شَرفتُ بَلْ شَرَفوا بي   وبِنَفْسى فَخرتُ لابِجَدودي[4]

---

[1] شرح ديوان المتنبي، الواحدي ج1 ص 301

[2] نفسه ص 104

[3] نفسه ص 301

[4] نفسه ص 34

وكذلك قوله: (من المنسرح)

أنا ابنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أبَا البـــا   حِثُ وَالنَّجلُ بَعضُ مَنْ نَجَلَه[1]

مما أدى بالإضافة الى عوامل أخرى _ الى تركيـز الشـاعر علـى نفسـه واهتمامه بأنايته، والبحث عن تفوقه فى صفاته وأخلاقه ومطامحـه وشـجاعته، وكذلك البحت عن انتماء أشمل فى العروبة.

وهذه الأناء التي تحاول الدفاع عن وجودها، وتبحث عن تمسكها على الرغم مما يجتمع عليها من ظروف مناوئه، ويتعاورها من نقص كانت وراء مالاحظـه الواحدى كظاهرة فنيه تسم مدحه للملوك عندما يعلق على قول المتنبي:

(من الخفيف)

وأنا مِنكَ لاُيهْنئُ عُضْوٌ   بالمسرَّاتِ سائرَ الأَعْضَاءِ

وهذا طريق المتنبي يدعي لنفسه المساهمة والكفاءة مع الممدوحين فى كثيـر من المواضع[2] ".

ويذكر أنه (لم يتواضع فى شعره لأحد كما تواضع لابن العميد)[3]

ولعلها أيضاً كانت وراء مارصده ابن فورجة من وجوه فنيـه مـن طريقـة المتنبي الخاصة فى الجرأة على الملوك أثناء مدحه لهم. يعلق على قولـه: (مـن الطويل)

وجَنبَني قُرْبُ السَّلاطينِ مَقْتَهَا   وَما يَقْتَضيني مِنْ جَمَاجِمَها النِّسرُ

"ولقيت بعض المتكلفين الذين يزعمون أنهم لقوا أبا الطيب وقرؤا عليه شعره، يزعم أنه حبس على هذا البيت، وقال له علي بن محمد الأنطاكي ما هذه الجـرأة على مواجهتك إياى بهذا المقال فى السلاطين وأنا منهم. فاعتذر بأن قـال: إنمـا عنيت مقتهم إياي لامقتي لهم، وعنيت بالنسر الإختطاف، وعنيت بالجماحم الأكابر والسادات فقلت فما صنع بقوله: (من الطويل)

ولا تَحْسبنَّ المْجدَ زقاً وقَينَـــةً   فَمَا المُجدُ إلاِّ السَّيفُ والفتّكهُ البْكرُ

---

(1) شرح ديوان المتنبي، الواحدي ح1 ص 364

(2) نفسه، ج1 ص631

(3) نفسه، ج1 ص 747

وتَضْرِيبُ أَعْناقِ المُلَوكِ وأَنْ تَرى لَكَ الهَبواَتِ السُّودُ والعَسَكرُ المَجرُ

ولم يحرجوا أبا الطيب. وهذا من الكذب الذى لابارك الله فيه، إذ الرجل لـــه في ذاك عادة وهو يعده جرأة وقلة احتفال. ألا تراه يقول: (من البسيط)

مَدَحَتُ قَوْماً وإِنْ عِشْنَا نَظمُتُ لَهُمْ قَصَائداً مِنْ إناثِ الخيلِ والحصنِ

تَحتَ العَجاجِ قوافيها مُضْمِـــرةُ إذا تُنوَشِدَنَّ لَمْ يَدْخلَّـــن فى أُذنِ

وقوله: (من البسيط)

ميعادُ كُلُّ رَقيقِ الشَّفرَتينِ غَداً ومَنْ عَصَى مِنْ مُلوكِ العُربِ والعَجمِ[1]

فيحول جَمعَهُ بين الوقوف الجزئي والنظرة الفنية للظاهرة دون رؤية جانبها النفسئ وكشف سائر علاقة المتنبي بالملوك وسر كراهيته لهم. وكان موقف النقاد من هذه الطريقة لدى المتنبي يمثل فى اللاإنكار؛ لأنه كما أشار الواحدي _ يفعـــل ماليس للشعراء فكأنه بهذا _ فى زعمي _ يحاول زحزحـــة أوضـــاع اجتماعيـــة مستقرة تتعلق نظام المجتمع وطبقاته الساكنه وعلاقة الشاعر بالحكام، وهذا بالطبع ليلغى كونها من ناحية أخرى ظاهرة نفسيه تتجسد فى مظهر فني.

وتصبح علاقة المعنى الجزئي بالغرض أساسا لنقد معياري يقضي بـــالجودة والرداءة على معانيه بناء على مدى وفائها بالغرض الشـــعري. ولـــذلك يســـتجيد الواحدي قول المتنبي: (من الطويل)

نَهبتَ مِنْ الأَعمارِ مَالوحَيَيتُه لَهِنِّئت الدُّنيا بأَنَّكَ خَالِدُ

لأنه يجمع ضروبا من المدح يحقق بها هدفه.فيقول:" هذا أحسن ما مدح بـــه ملك وهو مديح موجه ذو وجهين، وذلك أنه مدحه في المصراع الأول بالشـــجاعة وكثرة قتل الأعداء فقال " نهبت من أعمار الأعداء مالوعشته لكانت الدنيا مهنـــأة ببقائك فيها خالد، وهذا هو الوجه الثاني من المدح أنه جعله جمالا للدنيا تهنأ الدنيا ببقائه فيها، ولو قال مالوعشته لبقيت خالدا لم يكن المدح موجها[2]

ويترتب على هذا البحث عن فائدة معنوية لكل ما يتضمنه البيت والاعتقاد بما يسمى بالحشو وكراهيته، من هذا تعليق الواحدي على قول المتنبي:

---

[1] الفتح على أبي الفتح ص 152

[2] شرح ديوان المتنبي، الواحدي ح1 ص 466

(من الخفيف)

يابني الحارث بن لقمان لاتعـــ د مكم في الوغى متون العتاق[1]

ومجمل القول في هذا الجانب أن الواحدي كان يهتم بالمعاني أهتماماً يسخر فيه كل إمكانته وجهوده، في الوصول إلى تحليل المعاني تحليلاً دقيقاً، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على سعة ثقافته المتعددة، وكثرة إطلاعه على معظم الشروح التي أسلفنا الحديث عنها، وبذلك أثمرت تلك الجهود وأتت أكلها في إيجاد معاني ذات قيمة لغوية وضعت بين يدي المتلقي بكل سهولة ويسر وما تحمله من مضامين فنية وما يعبر عنه الشاعر من روى وتجارب وجدانية تكمن في عالمه الباطني.

ب – البلاغة:

إن المتبع لعنصر البلاغة في شرح الواحدي لديوان المتنبي يدرك بجلاء وضوح أنه لا يتضمن إلا ومضات قليلة من جهده في علم البيان بفروعه، الاستعارة، والتشبيه، والكناية، ويمكن أن أرجح السبب الذي جعله لا يهتم بعنصر البلاغة في شرحه، إن اهتمامه كان منصباً على الجوانب اللغوية، والنحوية، والرواية، والمعاني، لهذا كانت نظراته في هذا الجانب نظرات عفوية، وإشارات سريعة دون تحليل عميق، للوصول إلى الجوانب الإبداعية والجمالية في النص المشروح، وحتى نؤكد ما ذهبنا إليه نستعرض بعض الأمثلة على كل فرع من فروع علم البيان.

أولاً– الاستعارة:

أشار الواحدي في شرحه لديوان المتنبي إلى الاستعارة ولم يخرج في حديثه عنها عن القواعد التي وضعها أهل البلاغة في تلك الفترة، ولم يختلف مع غيره من الشراح السابقين، أو من جاء بعده، في النظرة إلى الاستعارة في البيت الواحد، وبالتالي قصَّر عما جاء به المتنبي، وعد الاستعارة مجرد استبدال للكلمات، ولم

---

[1] شرح ديوان المتنبي، الواحدي ح1 ص 350.

يتعدى في تفاعله مع أبيات المتنبي تحديد الاستعارة في البيت وهذه بعض الأمثلة التي تدل على ما أوردناه من تحليل في شعر المتنبي: (من الخفيف)

ومُكرماتُ مشدُ على قَدم   البروإلى منزلي تُرددها

قال ابن جنى: " وقوله على قدم البر استعارة في غاية الظرف "[1]

ومثله: (من الكامل)

مُتَكشِفاً لِعدَاتِه عَنْ سَطوةٍ   لَوْ حَكَّ مَنكَبها السَّماءِ لَزَعْزَها

قال الواحدي: " فاستعار لسطواته منكباً لما جعلها تزاحم السماء لأن الزحـــام يكون بالمناكب "[2]

ومثله: (من الخفيف)

والطَعْنُ شَزَرُ والأرض ُواجِفةُ   كأَنَّما في فِؤادَها وهلُ

قال الواحدي: " ولما وصف الأرض بالحركة من الخوف استعار لها قلباً "[3]

ومثله: (من البسيط)

وَرُبَّما فَارقَ الإنْسانُ مهُجْتَه   يَومَ الوَغَى غَير قالٍ خشيةَ العارِ

قال الواحدي: " شبه فراقه الممدوح بفراق الإنسان روحه "[4]

ومثله: (من البسيط)

تَهدي البوَارقُ أخَلاقَ المَياهِ لَكُمْ   وللمُحبِّ مِنْ التِّذكارِ نيَراناً

---

(1) الفسر: 402/2.

(2) شرح ديوان المتنبي، الواحدي ح1، ص 180.

(3) نفسه، ج1، ص 213.

(4) نفسه، ج1، ص 215.

قال الواحدي: " استعار للمياه أخلاقاً، لأنها تغزو النبات كما تغزو بالإرضاع المولد "[1]

ومثله: (من الكامل)

أعيْا زَوالِكَ مِن مَحلٍ نِلْتهُ لا تَخْرجُ الأَقْمارُ عَنْ هَالاَتها

قال الواحدي: " شبهه في علو محله بالقمر، لذلك ضرب المثل في أنه لا يزال عن شرف محله بالقمر الذي لا يخرج عن هالته "[2]

ومثله: (من الطويل)

أَديبُ رَسَتْ للْعلمِ في أَرضْ صَدْرِهِ جِبَال جُبَالُ الأَرضِ في جَنبها قَفُّ

بقول الواحدي: " القفُّ: الغليظ من الأرض لا يبلغ أن يكون جبلا واستعار لعلمه اسم الجيال لكثرة علمه وزيادته على علم الناس ولما استعار على علم الناس ولما استعار له الجيال استعار لصدره الأرض..."[3]

ومثله: (من الطويل)

أماتَ رِياحَ اللؤمِ وَهْيَ عواصِفُ ومَغنى العُلى يودي وَرسْمُ النَّوى يَعْفوْ

يقول الواحدي: " سكن رياح اللؤم بعد شدة هبوبها، ولما استعار للؤم رياحاً استعار العلى مغنى وللندى رسما حيث كانت الرياح تعفو الرسوم...."[4]

---

[1] شرح ديوان المتنبي، الواحدي ح1، ص 272.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص 282.

[3] نفسه: ، ج1، ص 262.

[4] وانظر المصدر نفسه، 281- 288.

ثانياً: التشبيه:

تناول الواحدي في شرحه التشبيه عند المتنبي، ملتزماً بوحدة البيت التي جعلته يقتصر في تناوله للتشبيه على البيت الواحد، ولم يخرج عنه.

فوقف عند الصورة الجزئية، ولم يربطه بالصورة العامة، أو التجربة الفردية المتكاملة للقصيدة، وهذه بعض الأمثلة التي أشار فيها إلى التشبيه في قول المتنبي. (من الوافر)

كأنَّ الفْجَرَ حَبٌّ مُسْتزارُ　　　يُراعي في دَجْنتهِ رَقِيباً

قال الواحدي: " شبه الفجر بالحبيب، والظلام بالرقيب، وكأن أداة التشبيه "[1]

ومثله أيضاً: (من الكامل)

يَطْأُ الثَّرى مُتَرفِقاً مِنْ تَيهِهِ　　　فَكَأنَّه آسٍ يَجْسُ عَليلاً

قال الواحدي: " شبهه في لين مشيه بالطبيب الذي يمس العليل فإنه يرفق به ولا يعجل ". [2]

ومثله: (من المنسرح)

قَدْ صبَغتْ خَدّها الدِّماُء كَمَا　　　يَصبْغُ خَدّ الخَرَيدةِ الخَجلُ

قال الواحدي: " شبه وجه الأرض ملطخاً بالدماء، بخد الجارية الحبيبة إذا خجلت فأحمر لونها ".[3]

ومثله: (من الوافر)

يَهَزُّ الجَيشُ حَوْلكَ جَانبِيهِ　　　كَما نَفَضتْ جَنَاحيها الغُرابُ

قال الشارح: " شبهه وهو في قلب الجيش، والجيش حوله يضطرب للسير بعقاب تهز جناحيها ".[4]

وفي مثال آخر: (من الخفيف)

صَفْها الَّسيرُ في العَراءِ فَكانَتْ　　　فَوْقَ مِثْلِ المَلاءَ مِثَل الطِّرازِ

---

[1] شرح ديوان المتنبي، الواحدي ح1، ص 292.

[2] نفسه، ج1، ص 227.

[3] نفسه: ، ج1، ص 213.

[4] نفسه: ، ج1، ص 216.

قال الواحدي: " شبه استواء الإبل في العراء بطراز على مــلاءة وذلــك أن الإبل الكرام لا تتقدم أحدها على الأخرى، بل تصف على استواء واحد في المكان الواسع ".[1]

ومثله أيضاً: (من البسيط)

لا يعجبن مضيما حسنُ بزَّتهُ وهل تروق دفينا جودةُ الكفن

قال الشارح: " شبه المظلوم الذي لا يدفع الظلم عن نفسه بالميت، وشبه ثوبه بالكفن ".[2]

ومن هذه الأمثلة كذلك: (من الوافر)

بدت قمراً ومالت خوط بانٍ وفاحت عنبراً ورنت غزالاً

قال الشارح: " بدت هذه المحبوبة قمراً في حسنها، ومالت مشبهة غصناً في تثنيها، وهذا أحسن التشبيه لأنه جمع أربع تشبيهات في بيت واحد ".[3]

ومثله أيضاً: (من الطويل)

ضنى في الهوى كالسم في الشهد كامناً لذذت به جهلاً وفي اللذة الحتف

قال الشارح:

" الضنى شبه الهزال من المرض بقول في الهوى ضن مستتر كما يكمن السم في الشهد إذا مزج به واستلذذت الهوى جهلاً بذلك الضــنى وحتفــي فــي تلــك الشدة".[4]

---

[1] شرح ديوان المتنبي، الواحدي ح1، ص 213.

[2] نفسه: ، ج1، ص 255.

[3] نفسه: ، ج1، ص 217.

[4] نفسه: ، ج1، ص 265.

ثالثاً: الكناية:

لم يهمل الوحداي في شرحه لديوان المتنبي عنصر الكنايــة ، وهــو فــي إشارته إليها لم يخرج عما قرره البلاغيون القدماء، من معنى الكناية فقــد كانــت تعني عنده سوى ستر المعنى وإخفاءه، بمعنى أنه لم يخرج عن المعنــى اللغــوي للعبارة، وهو في شرحه يكتفي بالإشارة إلى الكناية دون أن يحــاول أن يربطهــا بالمعنى العام للنص الشعري، وظل في نظرته لمعنى الكناية خاضعاً لعرف لغوي رسمه البلاغيون وكانت هذه الكنايات عنده مجرد ألفاظ جاءت لتحل محل ألفــاظ أخرى من مكان لم يصرح الشاعر فيه بما يريد مباشرة وهذه بعض الأمثلة التــي أشار الشارح فيها إلى وجود الكناية في شعر المتنبي: (من الخفيف)

َدرَّدرٌّ الصِّبا أيامِ تجر   يرِ ذيُولي بِدَارِ أَثلةَّ عُودي

قال الواحدي: " وجرُّ الذيول أرتك احمرار الموت في مدرج النمل كناية عن النشاط واللهو، لأن النشوان والنشيط يجر ذبوله ولا يرفعها ".[1]

ومثله: (من الطويل)

وخُضرُةَ ثْوبٍ العَيْشِ في الخُضرُةِ التَّي بـــ(رَبْرَبِهِمْ) أَرتَك احْمِرَار المَوْتِ في مَدْرجِ النَّمل.

قال الواحدي:" احمرار الموت كناية عن شدته "[2]

ومثله: (من البسيط)

لَولاَ ضَبَاَء عَديّ ما شَقِيتُ بِهُمْ   ولا بَرِبْر بِهِمْ لوَلاَ جَاذرهُ

قال الواحدي: " كنى بالظباء عن النساء، وكنى بالربرب الذي هو قطيع مـــن البقر عن النساء أيضاً – وكنى عن الجاذر بالنساء المليحات الجميلات "[3]

ومثله: (من الطويل)

وماَ هيَ إلا لحظةٌ بعد لحظةٍ   إذا نَزَلَتْ في قَلبِه رَحَل العَقْلُ

---

[1] شرح ديوان المتنبي، الواحدي ح1، ص 20.

[2] نفسه: ج1، ص 22.

[3] نفسه:، ج1، ص 61.

قال الواحدي: " هي كناية عن لحظات العاشق بقول: ما هي إلا أن يلحظ مرة أخرى فإذا تمكنت النظرة من قلبه، زال عقله لأن الهوى والعقل لا يجتمعان "[1]

ومثله: (من الوافر)

وَلْو لَمْ يرَعَ إلاَّ مُسْتحقَّ   لِرُتْبتِهِ أسامُهم اَلمُسامُ

فقال الواحدي: " سامت الماشية إذا رعت وهي سائمة وسامها صاحبها.

قال تعالى ﴿فيه تسيمون﴾ ويريد بالمسام ههنا الرعية والكناية فـــي أســـامهم تعود إلى قوله ملوك..."[2]

وهكذا ندرك أن الواحدي قد أعطى الجانب البلاغي جهداً كبيراً لا يقل أهمية عن الذي خصه ببقية العناصر الأخرى من الشرح – لكنه لم يكـــن يتنـــاول هـــذا العنصر بدقة متناهية، وذلك بتحديد عناصره وصوره المختلفة في مجال التشـــبيه والاستعارة والكناية.

ففي مجال الاستعارة لم يتطرق الواحدي إلى أنواعها وأشكالها ويغوص فـــي أعمال هذا الفن، بل كان يشير إلى أنواع الصورة الفنية فحسب، أما فـــي مجـــال التشبيه فإنه لم يعتمد إلى تحليل عناصر التشبيه ولا بالحديث عن أركانه، بل كان يشير إلى مواطن التشبيه في البيت الشعري، أما في مجال الكناية فكان يشير إلى مواطن الكناية في البيت دون التعرض إلى تحليل، وغوص في معـــاني الكنايـــة الجمالية.

---

[1] شرح ديوان المتنبي، الواحدي ج1، ص 67.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص 254.

المطلب الثاني: الاستعانة على شرح الشعر بالقرآن الكريم والحـــديث الشـــريف وبالتراث من اقوال العرب:

أ- القرآن الكريم:

وقد استعان الواحدى في توثيق شرحه بشواهد من القرآن الكـــريم، والحديث الشريف، وأشعار العرب وأقوالهم وأيضا فإنه قد يستعين بشعر للمتنبـــي نفسه ، كما سيتضح على التوالى من الأمثلة التالية: (من الطويل)

وماتنقمُ الأيامُ مِمن وحِوُها   لأخمصه في كلَّ نَائبةٍ فعلٌ

يقال:"نعمت الشيء إذا كرهته ومن قوله تعـــالى: ﴿ ومـــانقموا مـــنهم إلا أن يؤمنوا﴾[1] أى ماكرهوا وماعابوا إلاإيمانهم " [2]، ومن استشهاده بأشعار العـــرب وبشعر المتنبي نفسه: (من الكامل)

قَرُبَ المَزَارُ ولاَمَزارُ دايماً   يقَدرِ الجنَانِ نلتقي وَيُروحُ

كما قال ابن المعتز: (من الرجز)

إناَ على البعادِ والتَّفَـــرقِ   لَنلتَقِي بالذِّكرإنْ لَمْ نَلتَقِ

ومثله لأبى الطيب: (من الوافر)

لنا ولأهلهِ أبداً قُلـــــوُب   تَلاقِى في جَومِ ماتلاقى

ومن أستشهاده بكلام العرب: (من البسيط)

تُرابُه فى كِلابِ كُحل أعينها   وسَبْقهُ في جِنابِ يسَبْقُ العذَلا

"... وهذا مثل ، يقال:سبق السيف العذل "[3].

ومنه قوله: (من الخفيف)

هَذِه مُهْجتي لَديَكِ لِحيني   فأَنقصي مِنْ عَذابِها أوْ فَزيدي

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1 ، ص71

[2] سورة البروج، من الآية: 7.

[3] جمرة الأمثال، ج1، ص 304.

يقول الشارح: هذا القول مأخوذ من قوله تعالى ﴿ إن تُعذبهم فإنهم عبادَكُ﴾[1]
ولقد تشابه المعنيان ظاهراً فالمتنبي وضع روحه بين يدي محبوبته، وتــرك لها الخيار في تصرفها فيه، فلها أن تزيد عذابه، ولها أن تنقصه.

أما الآية الكريمة فمعناها: إن تعذبهم فأنت مالكهم، تتصرف بهم كيف شئت، لا يجرؤ أحد أن يعترض على فعلك.

ومثله قوله: (من المنسرح)

يُعطي فلا مَطلهُ يكُدرها   بها، ولا منّةُ يَنكَدها.

يقول: قال الواحدي[2] وكأنه مأخوذ من قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّها الذَّيَن أَمنوا لا تُبْطِلُوا صَدقَاتِكمْ بالمَنِّ وَالأَذَى ﴾[3]

فلقد تشابه المعنيان فممدوح المتنبي يعطي، وعطاؤه بعيد عن المــن والأذى، وإفساد العطية، أما الآية القرآنية ففيها أمر بألاَّ ينغصّ صاحب الصــدقة صــدقته بالمن والمطل والأذى [4]، والتشابه في المعنى يدل على أن المتنبي يأخذ معــاني القرآن فيضعها في شعره.

ومثل قوله: (من الخفيف)

بَسَط العربُ في اليَميَنِ يَميناً   فَتولُّوا وفي الشِّمالِ شِمالا

يقول الشارح: " أن الخوف قد شاع في قلوب أعداء الممدوح، حتــى كــأن الخوف بسط عينيه في يمينه جيشهم، وبسط شماله في مسيرته فولوا هاربين.[5]

يقول: قال ابن جنى: " وهذا من قــول الله تعــالى ﴿ يَــروْنَهمْ مثلِــيهمْ رأي العَيْنِ﴾[6] ومعنى الآية الكريمة: إن الكافرين يرون المؤمنين ضعفيهم في العدد

---

[1] سورة المائدة: من الآية: 118.

[2] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1 ص 11، نقله صاحب التبيان: 305/1.

[3] سورة البقرة: من الآية: 264.

[4] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1، ص 11.

[5] التبيان في شرح الديوان لأبي البقاء العكبري: ج3 142.

[6] سورة الأنفال من الآية: 25.

وذلك أن الله أكثر المؤمنين في أعين الكافرين ليرهبوهم ويجنبوا قتالهم.

ومن ذلك قول المتنبي: (من الوافر)

وجَرُمُ جرَّهُ سُفهاُء قَوْمٍ   وَحلَّ بِغيرِ جَارِمهِ العذَابُ

ومعناه: كم ذنب يجنيه السفية، فيعاقب به البري: قال الشارح: هو من قول الله تعالى ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبنَّ الَّذين ظلمُوا مِنْكُمُ خَاصَةً ﴾[1]

ومثله قوله: (من الطويل) وتلقى وما تدري البنان سلاحها

وتَلْقَىَ وَمَا تَدْري البنانِ سِلاَحُها   بكَثْرة إيماءِ إليهِ إذَا يبَدْو.

يقول الشارح: " أنه إذا رآه الناس انشغلوا بالرؤية إليه، والإيماء نحوه، فيلقون ما بأيديهم من السلاح وهم لا يشعرون.[2]

قال الواحدي: ونقله صاحب التبيان[3]، وكان هذا مقتبس من قوله تعالى ﴿فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهم ﴾ [4] وتعني أنهن إذا رأين يوسف عليه السلام بهتن وقطعن أيديهن أي جرحن أيديهن بالسكاكين لفرط الدهشة المفاجئة.[5]

ومثله قوله: (من البسيط)

جَزَتْ مِنْ الحَسَن الحُسنْىَ فإنَّهُمْ   في قَوْمِهِم مَثِلْهمُ في العزِّ عَدنْانِ

ومعناه كانت الحسنى جزاء لأهل الممدوح، فإنهم في قومهم مثل قومهم في عدنان يعني أنهم خير قومهم وقومهم خير عدنان[6].

---

[1] سورة الأنفال: من الآية: 25.

[2] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1، ص 261.

[3] التبيان في شرح الديوان للعكبري: 5/2.

[4] سورة يوسف: من الآية: 21.

[5] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1، ص275.

[6] تقسر، ص275.

قال ابن جنى: " كان الممدوح من ولد الحسن بن علي عليهما السلام والممدوح هو أبو سهل سعيد بن عبد الله الأنطاكي".[1]

قال الواحدي[2]: وهذا من قوله تعالى ﴿ فله جزاء الحسنى ﴾ وأرى أنه يوجد تشابه في بعض اللفظ جزء الآية المستشهد به وبين المتنبي، أما من ناحية المعنى فهناك بون شاسع بين المعنيين ففي بيت المتنبي دعاء لأهل الممدوح بأن يدخلوا الجنة لأنهم ذؤابة قومهم وأصحاب عز وجاه أما في الآية الكريمة التي بترها الواحدي فالمعنى مختلف تماماً، يقول تعالى ﴿ وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى ﴾ فأين تشابه المعنى ؟ ومثله قوله [3]: (من المنسرح)

فأَغْتَطتُ إذْ رَأيتُ تَزيُنَها بِمثلهِ والجِرْاحُ تَحْسدَها

ومعناه: أن الضربة فرحت بحصولها في جسمه، وحلولها فيه، وقد حسدت سائر الجراح هذه الضربة لأنها لم تصادف شرف محلها [4]، قال الواحدي[5]: وهذا من قوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وأرى أن معنى البيت جديد يخالف معنى الآية الكريمة التي تقول: ﴿ فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام يذروكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ﴾ بينما المتنبي لا يتحدث عن تفرد الممدوح ولا عن أسباب هذا التفرد حتى بعد متشابهاً للآية الكريمة، ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[6] وقد بترها عما سبقها وعما لحقها مما يوضح معناها ومثل قوله: (من المنسرح)

له أَيَادٍ عليَّ سابقةٌ أعدُّ منْها ولا أُعَّددُهاَ

ومعناها: أنا ربيب إحسانه، ونعمه على كثيرة، فنفسي من جملة نعمه وأعد منها [7]، قال الواحدي "[8] كأن هذا من قوله تعالى: ﴿ وأن تعدوا نعمة الله لا

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ج1 ص 275.

[2] نفسه: ج1، ص 275.

[3] نفسه ،ج1، ص 275.

[4] نفسه،ج1 ،ص 12.

[5] نفسه ، ج1 ،ص 12.

[6] سورة الشورى: الآية: 11.

[7] التبيان: 204/1.

[8] شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ج1، ص 11، وأنظر التبيان 204/1.

تحصوها ﴾[1] أي لا تبدوها وأرى أنه لا يجوز أن نعد حالة الممدوح في نعمه على الشاعر بمقدار نعم الله على الإنسان، فهذه من المبالغة التي تجاوز فيها الحد، ومثله قوله: (من الوافر)

فَقَلتُ: لِكُلِّ حيٍّ يَومِ مَوْتٍ   وإنْ حَرِصُ النُّفوُسِ علَى الفَلاَحِ

ومعناها: أن كل إنسان لا بد أن يموت ولو صارع في سبيل البقاء، قال صاحب التبيان: وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ كلُّ شيءٍ هالكٍ إلا وَجْهُهُ ﴾[2] ومن الآية ﴿ كلُّ نفسٍ ذائقةُ المَوْتِ ﴾[3] ومن الآية ﴿ كلُّ مَنْ عليها فانٍ﴾ [4]

ومثله قوله: (من الخفيف) [5]

واستَعار الجَديَد لَوناً وألقْى   لوَنهُ في ذَوَائبِ الأَطْفالِ

ومعنى البيت: لقد ألقت السيوف ألوانها وهي البياض على ذوائب الأطفال لشدة ما نالهم من الفزع، فغزا الشيبُ رؤوسهم وهم في مقتبل العمر[6]، قال صاحب التبيان [7]: وهو مأخوذ من قوله تعالى ﴿ فكيفَ تتقون إنْ كَفرتم يوماً يَجْعَلُ الوالدَانَ شيِباً ﴾[8] وشتان ما بين يوم القيامة الذي يترك الأطفال شيبا حقيقة ومبالغات المتنبي في المدح.

---

(1) سورة إبراهيم: الآية: 34.

(2) سورة القصص: الآية: 88.

(3) سورة آل عمران: الآية: 185، الأنبياء: الآية: 25.

(4) سورة الرحمن: الآية: 24.

(5) التبيان: 206/3.

(6) نفسه: 200/3.

(7) نفسه: 200/3.

(8) سورة المزمل: الآية: 17.

ب -الحديث النبوي الشريف:

وقد جاء استخدام الواحدي للحديث الشريف في شرح لفظـــة ، أو لتوضـــيح معنى ، أو لتعزيز حكاية ، أو قضية لغوية ، وسنعرض لبعض الأمثلة.

من ذلك قوله[1]: (من الخفيف)

إِنَّ بَعْضاً من القَرِيضِ هُذاًء لَيْسَ شَيْئاً وبَعْضهُ أَحْكامُ

معناه: إن بعض الشعر هذيان، وكلام لا معنى له، وبعضه حكمة وصـــواب، قال الواحدي[2] وهذا مأخوذ من قول الرسول "إن من الشعر لحكما "[3] أي حكمـــة ولا يعد بيت المتنبي مأخوذ من حديث رسول الله ﷺ لأنه من العام المنتشر ودور الشعر والشاعر معروف قبل الإسلام فحكم زهير بن أبي سلمى وطرفـــة قرأهـــا وعرفها وسمع بها القاصي والداني ومثله قوله: (من الطويل)

إن كَانَ ذَنْبي كُلُ ذَنْبِ فإنَّه مَحا الذَنَبَ كَلُ المَحوِ مَنْ جاء تَائبا

ومعناه: يتحدث المتنبي عن نفسه، مخاطباً سيف الدولة قائلاً: (من البسيط)

إن كَانَ ذَنْبي يُوازي ذَنوَبَ النِّاس كلُّهم فإنَّ تَوْبَتي تَمْحوهُ

فإن من جاء تائباً استوجب العفو.

قال الواحدي[4] يريد قول الرسول ﷺ: " التائب من ذنبه كمن لا ذنب لـــه " وقال صاحب التبيان [5]: ينظر إلى قوله ﷺ " التائب من الذنب كمن لا ذنب له"[6] ومثله قوله: (من الكامل)

وفي الأَمَيرِ هَوىَ العُيونُ فإنَّه مَا لا يزَاَلُ بِباسهِ وسَخائهِ

يَسْتأسُر البَطَلُ الكميُّ بِنَظرةٍ وَيحُولُ بَيْن فَؤادِه وَعزَائهِ

ومعناه: يتحدث الشاعر عن مدى تعلق الناس بالممدوح، وهو لا يستطيع أن يدفعه بشجاعته وماله، لأن الرجل الشجاع لا يقدر أن يدفع هوى الآخـــرين عـــن

---

(1) التبيان: 101/4.

(2) شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ج1، ص 250.

(3) الحديث في سند الإمام أحمد بن حنبل 456/3.

(4) شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ج1

(5) التبيان: 71/1.

(6) انظر الحديث في سند ابن ماجه 418/2.

نفسه، بل يأسرهم بنظرة واحدة منهم، ويحول بين قلبه وصبره، فوقى الله الأمير ذلك.[1]

قال ابن جنى[2] ومعنى البيتين من قوله ﷺ: "حبك الشيء يعمي ويصم "[3] ورأى أن هناك تشابهاً في المعنى بين بيتي المتنبي والحديث الشريف، لكنني لا أؤيد ما قاله من أن معنى بيت المتنبي مأخوذ من قول الرسول ﷺ لعمومية المعنى وانتشاره.

ومثله قوله:[4] (من الطويل)

إذا علوى لم يكن مثل طاهر　　　فما هو إلا حجةٌ للنواصبِ

ومعناه: أن العلوى إذا لم يكن ورعاً تقياً مثل ممدوحه طاهر بن الحسين العلوي، فسيكون حجة للأعداء على علي عليه السلام، فيقولون هذا مثل أبيه، إن كان ناقصاً فناقص، قال صاحب التبيان[5] وهذا من قوله عليه الصلاة والسلام " الولد سر أبيه "[6] ومثله قوله [7]: (من الخفيف)

كم قَتَيلٍ كَما قُتِلتُ شهيدُ　　　ببياضِ الطُّلا وُورُد الخَدودِ

ومعناه: أن غير واحد قد قتل ومات شهيداً بسبب بياض الأعناق وحمرة الخدود قال الواحدي[8]، وجعل قتيل الحب شهيداً لما روى في الحديث: أن من عشق فعف، وكف وكتم فمات. مات شهيداً "[9]

---

(1) التبيان في شرح الديوان للعكبري، ج1، 7/1.

(2) شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ج1، ص 51.

(3) الفسر: 59/1، الحديث في سند أحمد بن حنبل 194/5.

(4) التبيان: 156/1 العلوي من ولد علي بن أبي طالب: النواصب: الخوارج الذين نصبوا العداوة لعلي رضى الله عنه.

(5) المصدر نفسه: 156/1.

(6) هذا الحديث لا أصل له في كتب الحديث: أنظر السخاوي، والمقاصد الحسنة ص 453، وأنظر: السيوطي: الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة ص 412 وانظر الشيخ إسماعيل العجلوني: كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهره من الأحاديث على السنة الناس 338/2.

(7) التبيان: 313.

(8) شرح ديوان المتنبي الواحدي: ج1، ص 29.

(9) لم يذكر هذا الحديث البخاري، وأبو داوود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد بن حنبل، ولكنني وجدت ابن قيم الجوزية يذكر أن الحديث ضعيف الإسناد موضوع المتن على الرسول صلى الله عليه وسلم، أنظر زاد المعاد في هدي خير العباد 306/2.

ومثله قوله:[1] (من الخفيف)

َملكَ ألّناس والبلاَدَ   وما يسُرعُ بين الَغبْراءِ والخَضْراءِ

ومعناه: يخاطب المتنبي ممدوحه بأن له كل ما بين السماء والأرض، قال صاحب التبيان [2]: ومنه الحديث: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر "[3] وأرى أن بيت المتنبي ليس مثل الحديث الشريف في المعنى، وإن تشابها ببعض اللفظ، فبيت المتنبي يتحدث عن ممدوحه بأنه يملك البلاد كلها والناس جميعاً، أما الحديث الشريف فيتحدث عن صدق أبي ذر الغفاري، وهو عند الرسول، أصدق الناس جميعاً.

ومثله قوله:[4] (من الطويل)

ومازلت حتى قادني الشوقُ نحوهُ   يُسايرني في كلِّ رَكْبٍ له ذكرُ

ومعناه: أنني كنت أسمع الكثير عن الممدوح، وكنت استعظم ما اسمعه حتى خبرته، فوجدته أعظم مما كنت أسمع من الوصف، قال صاحب التبيان[5] وهذا من قوله عليه الصلاة والسلام لزيد الخيل الطائي[6] وقد وفد عليه: ما وُصِف لي أحد إلاّ رأيته دون الوصف سواك، فإنك فوق ما وُصِفت لي "[7]

الأمثال:

ومما عده الواحدى أنه مأخوذ من الأمثال قول المتنبي:[8] (من الطويل)

رَمَاني خَسَاسُ الّناسِ مِنْ صَائبِ أسْتهُ   وآخرُ قُطنِ بين يدَيهِ الجَنَادلُ

يقول صاحب التبيان: إن أرذل الناس قد عابوني، فمنهم من رماني بعيب هو فيه، فانقلب قوله عليه، وآخر لم يؤثر في كلامه لحقارته، فهو كمن يرمي بقطعة قطن لعدم التأثير.

---

[1] التبيان: 33/1.

[2] نفسه: 33/1.

[3] انظر أحمد بن حنبل 63/2-165-123-197/5-442/6.

[4] التبيان: 155/2.

[5] نفسه: 155/2.

[6] هو أبو مكثف زيد بن مهلهل الطائي يسمى زيد الخيل لكثرة ما عنده من الخيل كان فارساً في الجاهلية أسلم سنة 9هـ وبدل اسمه النبى صلى الله عليه وسلم من زيد الخيل إلى زيد الخير أنظر الشعر والشعراء 205/1.

[7] السيرة لابن هشام 254/4.

[8] التبيان: 174/3.

قال أبوعلي الصقلي المغربي[1]، وكأنه نظم قولهم في المثل: " لو ذات سوار لطمتني "[2] ومعناها: إن يظلم اللئيم الكريم، وأصله أن امرأة لطمت رجلاً، فنظر إليها فإذا هي رثة الهيئة فقال: " لو ذات سوار لطمتني " أي كانت ذات غني وهيئة لكانت بليتي أخف.[3]

وكذلك قوله: (من الطويل)

إذاَ لمْ تَجْرهُمْ دَارُ قَوْمٍ مَودَةً   أَجارَ القَنَا والَخْوفُ خيرُ مِنْ الَودِّ

يقول: أن جيوش الممدوح إذا وصلت منازل قوم لا تكون بينه وبينهم مودة، فإن رماحهم تجيزهم وتجعلهم يطمئنون، حيث يخافهم الآخرون لقوتهم ثم قال: الخوف عند الأعداء خير من الحب، لأن طاعتهم تكون أكثر بلاغة في هذه الحالة"[4]

قال الواحدي: " وهو من قول العرب: " رهبوت خير من رحموت "[5] أي لأن ترهب خير من أن ترحم، ومثل قوله:[6] (من البسيط)

تَرابُه في كلابِ كَحْلُ أعْينُها   وسيفهُ في جنابِ يَسْبقُ العَذَلا

يقول الشارح: أن كلابا وهم قبيلة الممدوح، لشدة حَبهمَ إياه يكتحلون بالتراب الذي يمشي عليه، كناية عن أغتباطهم بولائه، وسيفه في " جناب" وهم قبيلة عدوه يسبق ملامة من يلومه في قتلهم، كناية عن شقائهم بعدواته "[7]

قال صاحب التبيان: " وقوله يسبق العذلا " وهو مثل يقال: سبق السيف العذل"[8] وأصله أن أحدهم – في الجاهلية – قتل قاتل ابنة في الحرم، فقال له الناس – بعد أن لاموه: قتلت في الشهر الحرام فقال: " سبق السيف العدل " فأرسلها مثلاً ومعناه " قد فرط من الفعل ما لا سبيل إلى رده "[9]

---

(1) التكملة وشرح الأبيات المشكلة من ديوان أبي الطيب، ج1، تحقيق أنور أبو سليم، دار عمان، بلا: 90/1.

(2) أبو الفضل الميداني: مجمع الأمثال 81/3، أنظر أبي هلال العسكري: جمهرة الأمثال:160/2.

(3) المصدر بين السابقين 81/3، 160/2 على التوالي.

(4) التبيان: 62/2.

(5) مجمع الأمثال: 304/1.

(6) التبيان: 167/3.

(7) نفسه: 167/3.

(8) جمهرة الأمثال: 304/1.

(9) مجمع المثال: 176/2.

ما عده الواحدى من كلام أرسطو وقد نقله المتنبي من أقوال الحكمة:

وقد عد صاحب التبيان بعض حكم المتنبي: أنها من كلام أرسطو معتمداً في ذلك الكتاب الذي ألفه الحاتمي في سرقات المتنبي الذي ربط فيه بين ما جاء في شعره موافقاً لقول أرسطو في الحكمة، ومما ذكره صاحب التبيان موافقاً لحكم أرسطو قوله: (من الطويل)

إذا استقبلتْ نَفْسُ الكَريمِ مصَابَها بخبثِ ثنْتَ فاسْتَدبَرتهُ بِطيبِ

والمعنى الذي أراده: إذا لم يتحمل الكريم أول نزول المصيبة فإنه يصعب عليه تحملها عند وقوعها قال صاحب التبيان: " وهذا البيت من الحكيم، وقال الحكيم:، من علم أن الكون والفساد يتعاقبان الأشياء لم يحزن لورود الفجائع، لعلمه أنه من كونها فهان عليه ذلك لعجز الكل عن رده[1] وقد يكون المعنى مختلف بين أرسطو والمتنبي فالمعنى الذي أراده المتنبي أن الإنسان قد يتحمل المصيبة التي تقع عليه ولابد أن يستسلم للقدر، ويصبر، ولا يدل على أن المتنبي قد أطلع على ما نسب لأرسطو من حكم، فهو يعزي سيف الدولة في غلامه، ومثله قوله:[2] (من الطويل)

ومّنْ صَحِبَ الدُّنيا طويلاً تَقَلبتْ على عَيْنهِ حتَّى يَرى صدقَها كذباً

والمعنى هو: من أحب الدنيا بكل ما فيها، بحيث لم يخف عليه منها شيء عرف بالتالي أن صدقها كذب، وقد بنى المتنبي حُكمُه هذا عندما وقف على ديار المحبوبة ورأى ربعها قد تغير، يقول صاحب التبيان: " وهو من قول الحكيم: ليس تزداد حركات الفلك ألا تحيل الكائنات عن حقائقها "[3] ولماذا رأى صاحب التبيان أن يوافق الحاتمي في أرجاع المعنى إلى أرسطو، ولم يرجعه إلى قول أبي نواس مثلاً: وهو أقرب ثقافة وزمناً إلى المتنبي حيث يقول: (من الطويل)

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق[4]

---

[1] مجمع الأمثال: 97/2.

[2] التبيان: 55/1 أنظر الرسالة الحاتمية، ص 28 رقم (9)

[3] نفسه: 57/1.

[4] ديوان أبي نواس، ص 621.

وصاحب التبيان نفسه عندما يقرر أن معنى البيت من قـول الحكـيم يعـود ويقرر بعدها مباشرة: أن المتنبي نظر إلى قول أبي نواس السالف الذكر.[1]

ومثله قوله:[2] (من الخفيف)

وإذا كانتْ النفُوسُ كِباراً تَعِبتْ في مَرادَها الأَجْسامُ

والمعنى: إذا عظمت الهمة، وكبرت النفس، تعب الجسم في طلب المعالي من الأمور، ولا يرضى بالمنزلة الدنيئة، فيطلب الرتبة الشريفة.

قال صاحب التبيان: وبيت المتنبي من كلام أرسطو طاليس: إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة[3] وقد رفض ابن وكيع ما قـرره الحاتمي أن هذا البيت مأخوذ من الحكم وقال " لم يأخذه من الحكم، وإنما أخذ مـن أهل صناعته[4] ويضرب لذلك غير مثال يوضح رأيه من مثل:

قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:[5] (من الطويل)

فَقالَوا ألا تلهُو فتُدرِكَ لَذَةً فقُلتُ وكَيف اللهو والهم حاجزُ

ونفسي تعاني أن تقيم مرؤتي على غايتي في المجد والجهد عاجزُ

ومنه قول الحصني[6]: (من البسيط)

نَفسْي مَوكَلةُ بالمَجدِ تَطْلُبهُ ومَطْلبُ المَجْدِ مَقْرونُ بهِ التَّلفُ

ومنه قول حبيب:[7] (من الخفيف)

فَعلَمِنْا أَنْ لَيْسَ إلا بَشَقِّ الَّنفسِ صَاَر الكَريُمَ يَرْعَى كَريماً

طَلَبُ الَمجْدِ يُورثُ الَّنفسَ خُيلا وهُموماً تُقضَقضَ الحيزوما

ولماذا يدعى صاحب التبيان أن بيت أبي الطيب من كلام أرسطو وينقل فـي الوقت نفسه رأى ابن وكيع وما جاء من اثباتات دامغة إن الشعراء قبل المتنبي قد طرقوا هذه المعاني.

---

(1) التبيان: 65/1.

(2) نفسه: 345/3.

(3) نفسه: 354/3 ونقله عن رسالة الحاتمي ص 24 مثال رقم (2)

(4) نفسه: 354/3.

(5) هو رأس أسرته تولى شرطة بغداد، من تصانيفه – الإشارة في أخبار الشعراء ت 300هـ وفيات الأعيان 121/3.

(6) شاعر مكثر هجا عبد الله بن طاهر، مدح المأمون – معجم المرزباني، ص 355.

(7) ديوان أبي تمام: 277/3.

ج- الشعر وأقوال العرب:

تطرق الواحدى إلى شعر المتنبي حيث أشار إلى ما أخذه من أقوال العــرب وما أثر عنهم من ذلك قول المتنبي:[1] (من الطويل)

وأَتعبُ خَلْقَ اللَّهِ مَنْ زَادَ هَمَّهُ   وقَصّر عَّما تَشْتهي الّنفسُ وَجدَّهُ

والمعنى: أنا اتعب خلق الله لعلو همتي، وقصور طاقتي من الغنى عن مبلــغ ما أهِمَ به.

قال الواحدي: وهذا مأخوذ من قول بعض العقلاء وقد سُئل عن أسوأ النــاس حالاً فقال: " من قويت شهوته، وبعدت همته، واتسعت معرفته، وضاقت مقدرته"[2]

ومثله قول المتنبي:[3] (من الطويل)

تَملَّكها الآتي تَملُّك سَالبٍ   وفَارَقَهَا المَاضي فِراقِ سليبِ

ومعنى البيت: إن من ورث الأرض كأنه سلبها من صاحبها، والموروث هو المسلوب، قال الشارح: " وهو مأخوذ من قولهم في الموعظة إن في أيديكم أسلاب السالكين، وسيتركها الباقون، كما تركها الأولون "[4]

وقال: وهو من نهج البلاغة، وما قاله العكبري غير موجود بنصه في نهــج البلاغة، وإنما موجود في معناه.[5]

وكذلك قوله: (من الوافر)

وَهَبنْي قُلتُ هذا الصُّبحُ لَيْلُ   أَيعْمىَ العَالِمُونَ عَنِ الضِّياءِ

ومعناه: كيف أقول فيك الهجاء، والناس يعرفون فضلك فــإنني إذا هجوتــك كمن يقول في النهار، هذا ليل، فهل يقدر على ذلك أحد، قال الشارح هذا مــأخوذ من قول العامة: " من يقدر أن يغطي عين الشمس " [6]

---

(1) التبيان: 22/2.

(2) شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ج2 642، التبيان: 22/2

(3) التبيان: ج1 /51.

(4) نفسه: 50/1.

(5) نهج البلاغة، ص 84-145-166.

(6) التبيان: 10/1.

ومثله قوله: (من الوافر)

وكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحيحاً   وآفتهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقِيمِ

قال الواحدي: أخذه من قول أبي تمام حين قيل له " لم لا تقول مـا يفَهـم " فقال: "لم لا تفهم ما يقال " [1]

إن ما ذكره الشارح من أن المتنبي قد أخذ معانيه عن غيـره ونقلهـا ممـن سبقوه، ومن أقوال الحكماء فهذا مما يدل على أنه كان صاحب معان متبكره فهـي تحسب له لا عليه فقد بينوا بذلك مقدرته الثقافية دون أن يعلموا أنهم بذلك قد أفادوه بدون علمهم، وقد استطاع أن يوظف ثقافته في خدمة تجربته الشـعرية فأجـادوا وأبدع.

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ج2، 329.

د – مناسبات القصائد:

أهتم شراح ديوان المتنبي– فى الغالب – بمناسبات قصائده ، وجــاء تقــديم القصيدة لسبق النظر إلى مكوناتها ، ويشير إلى وضعها فــي الســياق التــاريخى لشعره ، وفق طريقته في التأريخ للشعر والأدب، فكما يكشف في الوقت نفسه عن وظيفة القصيدة وهدفها أومايسمى بالغرض الشعري ، تعددت أسباب غايته بهــذا التقديم ، فبالاضافة إلى فائدته العامة لأغراض التعليم – قد يرجع هــذا – لــدى الواحدى ــ إلى اهتمامه بمعرفة مناسبات قصائد المتنبــي ، وقــد يؤكــد مكانــة الواحدي وقدرته على شرح شعر المتنبي ، وقد يكون لدى الواحدي امتداداً لعنايته بأَسباب النزول في تفسير القرآن ، التى ألف فيها كتاباً ، وكما يرجع ذلــك إلــى حرصه على تقديم شرح ديوان المتنبي في السياق التــاريخى لحاجتــه واتصــاله بالملوك.ويظهر هذا من تقديم الواحدى لقصيدة المتنبي: (من البسيط)

بم التّعلُلِ لأأهلُ ولاوطَنُ　　　ولانديَمُ ولا كأسُ ولا سَكنُ[1]

يقوله:"وبلغ أبا الطيب أن قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة بحلب فقال فــي سنة (348) هــ" وإن كانت دلالاتها تتعدى هذه المناسبة ففيها يصرح قائلا:(مــن البسيط)

أُريدُ مِنْ زَمن ذَا أنْ يبُلغِنَــي　　　مَاليَسَ يَبلْغهُ مِنْ نَفسهِ الزَّمــنُ
لاتَلقْ دَهركَ إلاَّ غَيَر مُكترِثٍ　　　مادَامَ يصحب فيه روَحك البدنُ
فَمَا يَدومُ سرورُماسُررْتَ بــه　　　ولايُردُّ عَليْكَ الفائتَ الحَــزَنُ[2]

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ج2، ص 944

[2] نفسه ج2، ص 944

كما يشيرإلى أبعاد قضيته من بدئها لختامها ، ويؤكد ماتقدم أيضا ، تقديمــه لقصيدة المتنبي: (من الخفيف)

صَحِبَ الُّناسُ قَبْلناَ ذَا الزَّمانَ وعَناَهُمْ مِنَ أَمْرنَا مَاعَنَانا

يقول:"ومما قاله بمصر ولم ينشدها الأسود ولم يذكر فيها " الذى يركز فيــه كما هوواضح على علاقتها بالملك الذى يعيش الشاعر في كنفه ذلك على الــرغم من طبيعتها التأملية الواضحة ، كذلك تتفاوت العناية بمناسبات قصائده من شارح لأخر ، ومن ذلك ذكر الواحدى لمناسبة هذه القصيدة: (من البسيط)

أَعلْى المَمالَكِ مايُبنْى على الأسَلِ والطَّعنُ عِنْدَ مُحِبيهُنْ كالقَبلِ[1]

فهو يورد أن "... سيف الدولة سار الى الموصل لنصرة أخيه الحسن، لمــا قصده معز الدولة بن الحسين الديلمى إلى الموصل ، ليبلغه على أرض الموصل ، فلما أحس الديلمي باقبال سيف الدولة... قال أبوالطيب في ذلك وأنشدها فــي ذي القعدة سبع وثلاثين وثلاثمائة "[2]

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي، ، ج2، ص 589

[2] نفسه: ، ج2، ص 589

وعلى الرغم من فائدة المناسبة في إلقاء ضوء يساعد على تنسيق المستوى الأول من معطيات المعنى في الشعر، المتمثل في كونه صادرا في ظـروف تاريخيـه خاصه، وعن مواقف يعيشـها ، فـإن اعتبارهـا فيصـلاً أمرغيـرمن رؤيـة سائرالمستويات الأخرى ، ويقصرالشعرعلى عصره وبيئته ويحوله من تعبيـرعن قضايا الانسان جميعا إلى نتائج محدودة بزمان ومكان معنين ،.كذلك يعني الوقوف عندها الحكم على الشعر بما لايتفق مع طبيعته الفنية ، فالمناسبة تنتمى إلى عـالم الواقع الذى له منطقه ، ويعنى السماح بها إفساح المجـال لـدخول جزئيـا تـه وتفصيلاته ومايتعلق بها من معارف وأخبار، إلى مهمة الشعر وتجعلها من وادي الأخبار،.والعمل الأدبي خلق خيال متصل باللغة ، لاتنتج عن هذه الظروف نتوجاً مباشرا وإنما عن طريق حلقة وصل نفسية تربط بـين البيئـة والفـن ، يخضـع الشاعرـ بعد فترة ـ لبيئة أخرى مغايرة تتمثل في التقاليد الفنية وطبيعـة اللغـة ولذلك فالناتج في الشعر لايتساوى بحال مع الدوافع أوالظروف أوالمناسبة[1]

---

[1] نفسه: ج2 ، ص 589

وتنشا بين الشراح من استخدام المناسبة في التفسيرولعل ابـن جنـي كـان أكثرهم احلالا للمناسبة في الشرح.اعتزازاً بما يرويه عن المتنبـي مـن سـياق تاريخى لقصائده من ذلك تعليقه عن قول المتنبي: (من الطويل)

وأضعفن ما كَلفْتهُ من قبابِب   فأضحى كأنَّ الماءَ فيه عَليلُ[1]

قال أبو الفتح:" سألته عن هذا البيت فقال المتنبي ، إن الخيل لما عبرت قبابب وهو نهرجارهناك كادت تسكر بقوائمها ماءه أن يجرى فصار كأنـه عليـل لضـعفه عـن الجريان[2] فتقوم المناسبة بتحديد الدلالات المتقدمة للفعل (أضـعفن) وتقليـل الصـورة الخيالية (الماء فيه عليل) سبب واقعي وفى هذا البيت تسوية بين الفن والواقـع لا تفـي بدلالة المبالغة في التصويرالتى يكملها ما بعدهذا البيت: (من الطويل)

وَرُعْنَ بناَ قَلبَ الفُراتِ كأنَّما   تخِرُّعليه بالرجالِ سُيولُ

يُطارِدُ فيهِ موَجهُ كلُ سَابَـحٍ   سواءُ عليه غمرةُ وسيلُ

تملُّ الحصونُ الشمُّ طولَ نزالنا   فَتُلي إليْنا أهْلَها وتزولُ[3]

كذلك يعتمد الواحدي أحيانا المناسبة بدلاً من الشرح للنسيج اللغوى مـن ذلـك تعليقه على قول المتنبي: (من الوافر)

بغَيركَ رَاعياً عبَتَ الذئابُ   وغيرَكَ صَارماً الضِرابُ[4]

يقول الواحدي:"قرأت في جمع ابن خالويه لديوان أبى فراس:أن طائفة من بنـى كلاب اجتازت بقرب حلب على مرحلة منها فحمل بعضهم حملا من قطيـع قيمتـه خمسة دراهم ، فنهض سيف الدولة بنفسه وجيشه إلى بنى كلاب ومن ضـامهم مـن نساء القبائل حتى أوقع بهم وطهر منهم تلك البلاد بأسرها ، وأنفق عليها خمسين ألف دينار... فقال فيه شاعره المتنبي.بغيرك راعيا... "[5]

---

[1] انظر دراسة ألادب العربى:مصطفى ناصف، الدار القوميه للطباعة والنشر، القاهرة.د.ت ص 95_97

[2] شرح ديوان المتنبى: الواحدي ، ج2، ص744

[3] نفسه : ج2، ص667

[4] نفسه : ج2، ص777

[5] نفسه : ج2، ص777

وبناء على ماذكريجعل سيف الدولة راعيا على الحقيقة.لا ملكا يحـوط رعيتـه بحمايته ولا سيقدم مع هذه القصة مايقدمه الشاعر أثناء القصيدة:(من الوافر)

وتمِلكُ أنْفُسَ الثِّقلين طُراً فَكَيفَ تَحوزُأَنْفسَهاَ كـِـلابُ

ومَا تَركُوكَ معَصْيةً ولكَنْ يُعافُ الوردُ والموتُ الشرابُ

فقَاتَل عَنْ حريمهم وفرُّوا ندى كَفْيكَ والنَسَبُ القُـراب

فَعدُت كَما أَخْذِن مَكرِّمات عَليهنَّ القلائدُ والمُـلابُ

ويظهر هذا التباين بين صورة سيف الدولة في الخبرالذى يقدمه الواحدى وصورته في شعر المتنبي، الذى ترسم معالمها سطوة الامير وقهره بالاضافة إلى رعايتـه للقربى وصيانته للرحم ، ويكمل المتنبي صورة الموقف بذكر بسالة قبيلة كـلاب العربية التى لا يقدرعليها سوى أميرعربى (سيف الدولة). مما يؤكد مانعتقده مـن التباين بين الواقع والفن ومن وقوف المناسبة عند دورالمبدع للقصيدة مـن حيـت إبداعها الفنى الذى يحد مايحرضه على صياغة عالم قصيدته بوسائله الفنية التـى يستطيعها، ويستخدم الواحدى المناسبة في التفسير استخداما إيجابيا عندما يجمـع بين العطـاء العـام للبيـت وماتقدمـه مـن خصوصـية، مـن ذلـك تعليقـه على قول المتنبي: (من البسيط)

ليْتَ الملُوكُ على الأَقْدارِمعطيهُ فلم يَكُنْ لدنى عندهاَ طَمعُ[1]

ثم قال:"ليت الملوك فى أعطائها جازية على قدرمن تعطيه وحقيقة من توثروتدينه ، فلم يكن للانبياء طمع في فضلهم ولالأهل الجبن والخور تصيب، وأشار بهذا إلى من جبن عن سيف الدولة من فرسانه الذين كان يؤثرهم بأحسانه ويحضهم بانعامه [2]"

وكذلك عندما يربط المثل بالمناسبة ، فيفيد تحريك المثل مـن حالتـه السـكونية ليناسب امتداد الحركة في القصيدة من ذلك تعليق على قول المتنبي: (من الطويل)

بذا قضتِ الأيام مابَيْنَ أهلِها مصَائبُ قَوْمٍ عنَد قَوْمٍ فَوائدُ[3]

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج2 ، ص 662

[2] نفسه ج2، ص 662

[3] نفسه ج2، ص 662

ثم قال مخبرا عما وصفه من أحوال الروم: هكذا قضت عدة الأيام ســرور قــوم مصائب آخرين وما حدث في الدنيا حدث إلا سربه قوم وسيء به أخرون وقد قال أبو تمام: ما إن ترى شيئا لشيء مجيبا ، حتى تلاقيه لآخر قائلا ، ومضت علــى من صحبها بتصرفها أن يكون سرور الغالبين في حزن المغلوبين ومصائب قــوم عند قوم فوائد وهذا مثل سائر وبذا فقضت الأيام...[1]، وثمت إشارة وحيدة إلــى ذكر المناسبة لايعادل شرح البيت نجدها لدى الواحدى في تعليق على ابن جنــي لقول المتنبي:

(من المتقارب)

وَلَوْ كنُتَ في أسرِ غَير الهَوى ضَمَنْتَ ضَمانَ أبى وائلِ[2]

يقول: قال أبو الفتح "كان أبو وائل لما أُسرالخارجى ضمن مالا وخيلا فــأقوا على انتظاره واستنجد سيف الدولة فأتاهم وهم لايشعرون فأبادهم وقتل الخــارجى في شعبان سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة ، هذه مناسبة القصيدة..."[3]، وفي مناسبة أخرى قال المتنبي يمدح سيف الدولة عند نزوله أنطاكيه ومنصرفه مــن الظفــر بحصن برزويه في شهر جمادى الآخر سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة.

(من الطويل)

وفَاؤ كُمَا كالرَّبعِ أَشجاهُ طاَسِمهُ بأَنْ تسعُداَ والدَّمعُ أشفاهُ ساجِمهُ[4]

---

[1] نفسه ج2 ، ص673

[2] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ج2 ، ص 580

[3] نفسه ، ج2 ، ص 580

[4] نفسه ج2 ، ص 553

وقد أمر سيف الدولة غلمانه أن يلبسوا وقصد فارقين في خمسة ألاف من الجند وألفين من غلمانه ليزور قبر والدته وذلك في شوال سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، فقال: (من الطويل)

إذا كَانَ مَدْحُ فالنّسيبُ المُقَّدم   أَكلٌّ فَصبِح قَالَ شعْراً مُتيمُ[1]

وقيل في سبب هذه القصيدة أنه ورد عليه كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها، فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك فانحدر إلى بغداد.وكانت جدته قد يسئت منه فكتب إليها كتابا يسألها المسير إليه فقبلت كتابه ، وحمت لوقتها سروراً به وغلب الفرح على قلبها فقتلها !! فقال يرثيها: (من الطويل)

ألاْ لاَ أرىَ الأحْداثَ مَدْحاً ولا ذَمّاً   فما بَطْشهاَ جَهْلاً ولا كَفْها حُلمَا

وفى مناسبة أخرى يروى الواحدى:"خرج بدر بن عمار إلى أسد فهرب الأسد منه وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر فهاجمه عن بقره وحشية اقتربها بعد أن شبع وثقل فوتب إلى كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه فضربه بالسوط ودار به الجيش فقال أبو الطيب: (من الكامل)

في الخْذَ إنْ عَزمَ الخَليطَ رحيلا   مَطْرُ تزيد بهِ الخُدودُ مَحُولا

---

[1] نفسه ج2 ، ص 638

الخلاصة :

وهكذا أتضح لنا أن الواحدى كان حريصا على إيراد المناسبات التى تسهم في تفسيرما تؤدى إليه من معان مختلفة وهذا أن دل على شىء فإنما يدل على سعة علمه وإطلاعه وإلمامه الكامل بجميع أصناف العلوم ، وذلك ليكون شرحه مستوفيا لكل مايساعده في الكشف عن أسرار اللغة وسبر أغوارها والغوص في معانيها ليقدم للفارى لوحة من الفسيفسا تضم ألواناً مختلفة من صنوف العلم والمعرفة.

الفصل الثاني

منهج العكبري في شرح الشعر

- **المبحث الأول : منهجه**
  - المطلب الأول : مميزات منهجه
- **المبحث الثاني : اللغة**
  - المطلب الأول : التبسط في الشرح
- **المبحث الثالث : النحو**
  - المطلب الأول : موقف العكبري من بعض الظواهر اللغوية
  - المطلب الثاني : موقفه من الظواهر النحوية
  - المطلب الثالث : الغموض والتعقيد في شعر المتنبي
  - المطلب الرابع : مناسبات الشعروالاخبارالتاريخية والمواضع
  - المطلب الخامس : المعاني
  - المطلب السادس : البلاغة
- **المبحث الرابع : الاستشهاد علي شرح الشعر بالقرآن الكريم والحديث الشريف والتراث**

المبحث الاول

منـهج العكبري* في شرح الشعر:

المطلب الاول : مميزات منهجه :

أهتم العلماء القدامى والمحدثون بشعر المتنبي أهتماماً بالغـاً ، حيـث حظَي ديوانه بعناية لم يحظَى بها ديوان شاعرٍ من قبل ، إذ انبـرى علمـاء العربية لديوانه بين شارح وناقدٍ ومادح وقادح "وقد أُلّفت الكتبُ في تفسـيره، وحلِّ مشكله وعويصه، وكُسِّرت الدّفاتر على ذكر جيِّـده ورديئـه، وتكلَّـمَ الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه، والإفصاح عـن أَبكـار كلامـه وعُونِهِ، وتفرَّقوا فِرقاً في مدحه والقدحِ فيه، والنضح عنـه، والتّعصُّـب لـه وعليه. وذلك أَوّل دليلٍ دلَّ على وفور فضله، وتقدُّمِ قدمِهِ، وتفردهِ عند أهـل زمانه، بملك رقاب القوافي، ورقّ المعاني"[1].

واختلفت الأقوال في عدد شروح ديوان المتنبّي، فقد ذكر ابنُ عسـاكر (ت 571هـ) أنَّ عددها اثنان وأربعون شرحاً[2]. ولم يُحدِّد ابن خَلكـان (ت 681هـ) عددها بدقة، واكتفى بالقول إنَّها: " أكثرُ من أربعينَ شرحاً " [3].في حين ذكر ابن كثير (ت 774هـ) أنَّها نحو من" ستين شرحاً وجيزاً وبسيطاً " [4]. واكتفى حاجي خليفة (ت 1067هـ) على ذكر اثنين وعشرين شرحاً[5]. ولعل الاسباب التي أدت إلي كثرة الشروح ، أهمُّها : جودةُ شـعر المتنبّـي، وثقافته العالية ، وتمكنه من اللغةِ، وتفنّنه فـي اسـتعمالها لتأديـة المعـاني

---

* هو أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الأصل، البغدادي المولد والدار، عالم باللغة والأدب، والحساب، وعكبرا : بلدة على نهر دجلة قريبة من بغداد، ولد سنة (538هـ) وكان ضريراً منذ طفولته بسبب الجذري، وقد اهتم بعلوم القرآن والحديث وإعرابها، ومال إلى مسائل الأدب والشعر، توفي سنة (616هـ) انظر انباة الرواة 216/2، وبغية الوعاة 38/2-39، والبلغة ص 108.

[1] يتيمة الدهر 127/1.

[2] ينظر: تاريخ دمشق 314/2-315.

[3] وفيات الأعيان 121/1.

[4] البداية والنهاية 259/11.

[5] ينظر : كشف الظنون 809/1-812.

المختلفة، وتعمُّده استعمال الألفاظ الغريبة، والأساليب الغامضة، وكثرة حُسّاده ومُتتبعي هفواته.ويقف في مقدمة تلك الأسباب قدرته الفائقة على التفنن بأساليب التعبير عن المعاني، وقد أشار ابن القطّاع (ت 515هـ) إلى هذه المسألة بقوله: " إنَّ مذهبَه أنه يُغمضُ معانيه، حتى لا يفهمَها إلاّ العلماءُ " [1]. مِمَّا أوقع خلافاً حادّاً بين الشُّراح وصل إلى حد تجريح أحدهم الآخر واستعمال ألفاظ لا تلائم مكانتهم العلمية، فهذا ابن فُورَّجة (ت 455هـ) يعجب من تفسير ابن جنيّ (ت 392هـ) أحد أبيات المتنبّي فيقول:

" فلقد تعجبَّتُ من مثل فضله، إذ سقط على مثل هذه الرذيلة " [2]. ويُعلّق على شرح الواحدي (ت 468هـ) أحد الأبيات بقوله: "هذا مسخٌ للشعر لا شرح له" [3]. ولا تقلُّ ألفاظ العروضيّ (ت 416هـ) قسوة عن ألفاظ ابن فُورَّجة، فقد وصف كلام ابن جني في شرحه أحد الأبيات بأنَّه:" كلام من لم ينتبه بعد من نومِ الغفلة"[4]، ويقول في موضع آخر مُتعجباً من رواية ابن جنّي "ما أصنع برجل ادّعى أنَّه قرأ هذا الديوان على المتنبّي ثم يروي هذهِ الرواية ويُفسِّر هذا التفسير"[5] وكذّبَ ابنَ جنّي في ادّعائه أنَّه سأل المتنبّي في تفسير أحد الأبيات وقال: "ونعوذ بالله من الخطل لو كان سأله لأجابه بالصواب" [6].

واتّهمَ الصاحبَ بن عباد (ت 386هـ) بتعمدّه التصحيف قائلاً: "إنَّما غيَّرهَ عليه الصاحب ثمَّ عابه به"[7].

---

[1] التبيان في شرح الديوان: لأبي البقاء العكبري، ضبطه وصحح فهارسه، مصطفى السقا وابرهيم الابياري : دارالمعرفة بيروت ص 43/4.

[2] نفسه 10/2.

[3] نفسه 257/4.

[4] الواحدي 745/2، وينظر التبيان في شرح الديوان 52/2.

[5] نفسه، ينظر نفسه 63/2.

[6] نفسه 597/2، ينظر نفسه 180/4.

[7] نفسه 391/2، ينظر نفسه 13/3.

وتابع الواحدي منهج سابقيه في استعمال تلك الألفاظ، فقد سَـخِرَ مـن تفسير ابن جنيّ أحد الأبيات قائلاً: "من يفسر هذا البيت مثل هذا التفسير فقـد فضح نفسه وغرَّ غيره" [1]، وقال في موضع آخر مُعلِّقاً على كلام ابن جنـيّ "هذا هذيان المبرسم والنائم وكلام من لم يعرف المعنى" [2]، وفي آخـر"هـذا هوس لا يساوي الحكاية" [3] ووصف كلام ابن فورَّجه بأَنَّه "هوس ليس بشيء" [4].

وكان لابن دوست (ت 431هـ) نصيبٌ من كلام الواحديّ، قال رادّاً كلامه " وغلط ابن دوست...وكنت أربأ به عن مثل هذا الغلط مع تصدّره في هذا الشأن، ونعوذ بالله من الفضيحة" [5].

وقال راداً تفسيره أحد الأبيات: "هذا تفسير باطل، ورواية باطلة، وهو من كلام من لم يقرأ هذا الديوان"[6].

أمّا ابن الشجريّ (ت 542هـ) فقد كانت ألفاظه أقلَّ حِدةً من سابقيه؛ إذ ردّ كلام الخطيب التبريزي[7] (ت 502هـ) الذي أنكر على المتنبّي كثرة تكرار لفظة (العَلَم) في قوله: (من البسيط)

إذا مضى عَلَمٌ منها بدا عَلَمٌ   وإن مضى عَلَمٌ منه بدا علمٌ

بقولهِ: (أمّا كراهيته لتكرار العلم، فقول من جَهِل ما في التكـرار مـن التَّوكيد والتبيين إذا تعلق التكرار بعضه ببعض بحرف عطف، أو شـرط، أو غيرهما من المُعلّقات)[8].

---

[1] نفسه 514/2، ينظر نفسه 96/3.

[2] الواحدي 131/1، وينظر التبيان في شرح الديوان 53/4.

[3] نفسه 133/1، ينظر نفسه 55/4.

[4] نفسه 745/2، ينظر نفسه 52/2.

[5] نفسه 208/1، ينظر نفسه 370/1.

[6] نفسه 207/1، ينظر نفسه 368/1.

[7] لم أعثر على كلام الخطيب في المُوضح.

[8] لم اعثر على كلام ابن الشجريّ، وينظر التبيان في شرح الديوان 19/4.

وكان الواحديّ يتَّهم من سبقه بالقصور في تفسير البيت ويدّعي لنفسه الفضلَ في الكشف عن معناه، ومن ذلك قوله: " ولم يشرح أحدٌ هذا البيت كما شرحته" [1].

وقوله: " لم يُفسّرْ أحدٌ هذا البيت كما فسَّرتُهُ " [2]، وقوله بعد أنْ عرض كلام سابقيه: " وهؤلاء الذين حكينا كلامهم كانوا أئمة عصرهم، ولم يكشفوا عن معنى البيت، ولا بيَّنوه بياناً يقف عليه المتأمل، ويقضي بالصواب" [3]، وقال: "لم يقل أحدٌ في تفسير هذا البيت ما يُعتمدُ أو يساوي الحكاية " [4].

في خِضَمِّ ازدحام الشراح، وكثرة خلافاتهم، وشدة قسوتهم، وتنوُّع اتجاهاتهم، جاء الشّارح ليقتحمَ ميدانهم ويقدِّمَ لنا شرحاً يتضمَّنَ خُلاصَةَ ما قيل في تفسير البيت الواحد تاركا الحكم للقارئ في كثير من الاحيان مُظهِراً شخصيته في أحايين أُخرى.

ثانياً : و أهم ما يميز شرح العكبري ما يلي :

الأولى: أكد الشارح أنَّ من سبقوه من الشرَّاح قد صبَّ كلٌّ منهم اهتمامه على جانب واحد من شعر المتنبّي من دون الجوانب الأُخرى ولم يأتِ أيُّ منهم بما هو شافٍ، لذلك قرّر أنْ يكونَ منهجهُ في الشرح. جمعَ أقوال الشَّراح السابقين وترتيبها وتنظيمها وزيادة ما يمكن زيادته إليها، ومن ثَمَّ تقديمُ شرحٍ يجمع مزايا الشروح السابقة جميعها ويغني عنها.

وقد بين ذلك في مُقدِّمة شرحه إذْ قال: "ورأيتُ النَّاسَ قد أكثروا من شرح الديوان، واهتمُّوا بمعانيه، فأعربوا فيه بكل فن واغربوا. فمنهم من قصد المعاني دون الغريب؛ ومنهم من قصد الإعراب باللفظ القريب، ومنهم من أطال فيه وأسهب غاية التَّسهيب، ومنهم من قصد التَّعصب عليه، ونسبه

---

[1] الواحدي 194/1، وينظر التبيان في شرح الديوان 16/1.

[2] نفسه 199/1، وينظر نفسه 27/1.

[3] الواحدي 745/2، وينظر التبيان في شرح الديوان 52/2.

[4] نفسه 316/1، وينظر نفسه 112/4.

إلى غير ما كان قد قُصد إليه، وما فيهم مَن أتى فيه بشيءٍ شافٍ ولا بعوضٍ هو للطالب كافٍ، فاستخرت الله تعالى وجمعت كتابي هذا من أقاويل شُراحه الأعلام" [1].

وذكر الشارح أنَّه أحاط بكل ما ذكره الشراح المتقدمون بل أَنَّه تتبع أقوالهم ومصادرهم الأصلية بأمانة علمية بعيداً من التَّعصب إذ قال: "ولم أتركْ شيئا ذكره المتقدمون من الشراح، إلاّ أتيت به في غاية الإيضاح، وذكرت المآخذ من أين أخذها، ومن أين أخذها مَن قبلَه، ومن أين ابتدعها، ولم أمل إلى تعصُّب، بل إلى كُلِّ غريب من الأقوال تُطُلِّب، وذكرتُ قولَ كُلِّ قائل بالواو والفاء، ولم أختصرهُ بأنْ أتيتُ به على الاستيفاء " [2].

وقد التزم الشارح إلى حدّ كبير المنهجَ الذي ذكره.

والثانية: جاء ترتَّيب الشارح لقصائد المتنبّي ترتيباً هجائياً مُبتدئاً بالهمزة ومنتهياً بالياء. وكان يشير إلى البحرِ الذي نُظِمت فيه القصيدة، وإلى نوع قافيتها، وإلى مناسبتها. مقتدياً في الترتيب بفعل ابن جنّي والخطيب مشيراً إلى فضلهما في السبق إلى هذا الترتيب " وإنَّما اقتدينا بالإمامين الفاضلين صاحبي الشعر والقوافي والعروض، العالمين بالآداب وكلام الأعراب، اللذين يُقتدى بقولهما في الآفاق، وهما عمدةُ أهل الشام والحجاز والعراق: أبي الفتح ابنِ جنيّ، والإمام أبي زكريا يحيى بن عليّ التبريزيّ...وقد رتَّبتُ كتابي هذا على ما رتَّبه الإمامان، واتبعت فعلَهما في كُلِّ مكان، وجعلته على حروف الكتابة، ليعينَ من أراد القصيدة أو البيتَ فيقصد بابه، وذكرت في أوَّلِ كُلِّ قصيدة من أيّ بحر هي وأيّ قافية، ليعرف من أيّ البحور والقافية " [3].

---

[1] التبيان في شرح الديوان: المقدمة ج

[2] التبيان في شرح الديوان 9/1.

[3] نفسه 8/1-9.

والثالثة: سلك الشارح منهجًا جديدا مُنظما في شرح البيت الشعريّ يقوم على تقسيم الشرح على ثلاثة أقسام، الأوّل: "الإعراب" يتناول فيه ما يشكل إعرابه في البيت وما فيه من تقديم وتأخير، ويُبيّن عود الضمائر، ويوضِّح العواملَ الإعرابية وما في المسألة المذكورة من خلاف بين النحويين. ثم ينتقل إلى القسم الثاني:

"الغريب" فيتناول الألفاظ الغريبة ويُبيّن دلالاتها ونوعَ بنيتها واشتقاقها، ويشير إلى مشتركها ومترادفها وما هو مجازيّ منها وإلى اللغات المختلفة وما اعترى اللفظة من تحوّل دلاليّ مستشهداً بالقرآن الكريم والحديث الشريف وكلامِ العرب الفصحاء شعرا ونثرا والأمثال والمواعظ والحكم. وكلٌّ ذلك تمهيدٌ للقسم الثالث.

والثالث: "المعنى"، إذ يشرح فيه مضمون البيت ومعناه العام.

هذا هو المنهج المطّرد في شرح الأبيات وقد يستغني عن "الإعراب" أو عن "الغريب"، أو عن كليهما عندما لا تكون هناك حاجة إلى ذلك فيلج إلى شرح البيت مباشرةً. [1]

وبعد استيفائه شرح البيت يذكر المعنى المرادف له في القرآن الكريم أو في الحديث النبوي الشريف أو في الشعر العربيّ أو في المواعظ والحكم.

وكثيراً ما يعرضُ تتابع المعنى على ألسن الشعراء عبر العصور المتوالية، وربَّما يورد ثمانية أبيات تحمل المضمون نفسه. وقد يُجزِّئ البيتَ الواحد ويبحث لكلّ شطر منه على نظير له في المعنى، وقد يكتفي بشرح الأبيات التي يستشهد بها ويفاضل بينها مُعلِّلاً[2].

---

[1] ينظر: التبيان في شرح الديوان 4/1، 6، 9، 11، 12، 13

[2] ينظر: نفسه 343/1، 0370، 110/2، 371/3.

وقد يذكر أفضل ما قيل عن العرب في هذا المعنى ممَّا أكسب شــرحه أهميّة كبيرة عند دارسي النقد الأدبيّ ولا سيَّما مَن عنــي مــنهم بموضــوع السرقات الشعرية والموازنات. [1]

والرابعة: اتَّبع الشارح في شرحه أُسلوبا عاما وشاملا عُــرف عنــد بعــض الباحثين بــ" الإتجاه التكامليّ " ، الذي لا يقتصر على شــرح البيــت الشعريّ حسب بل يتعداه إلى بسط مختلف العلوم والمعارف العامــة، ممَّا يجعل الشرحَ موسوعةً ثقافيَّة ذات فوائد جَمّة. وقد ساعده على ذلك سعة ثقافته وغزارةُ عِلمه وتنوع اتجاهاته المعرفيّه فقدَّمَ لنــا شــرحاً غزيرَ المادة متنوع الفائدة تضمن جهداً لغويًــا كبيرا وجهــدا نحويــا أكبر منه. ومن أبرز سماته العرض التفصيليّ المُسهب لمسائل الخلاف بين المدرستين الكبيرتين، البصرة والكوفة. ولا يخلو الشّرح من مادة صرفيّة مفيدة. وهو عظيم الفائدة لدارسي الأدب العربيّ والنقد الأدبي والبلاغة[2] ولاسيما في موضوع السرقات الشعرية. وتضمن الشــرح حديثاً مسهباً عن القوافي وأنواعها وعيوبها وعن الضرورات الشعرية وما هو مستحسن منها وما هو مستقبح، وتضــمن قصصا ووقـــائع تأريخية وتفصـــيلا عــن المذاهب والملل ومعتقداتهم، وحــديثاً عــن قبائل العرب وأيامهم وأنسابهم وعاداتهم وتقاليدهم وحيــاتهم العامــة، وقصصاً وحكايات عن الرسول الكريم (ﷺ) وعن شخصياتٍ إسلامية أخرى[3].

---

[1] ينظر: نفسه 58/1– 59، 327.

[2] ينظر: نفسه 57/3، 224

[3] ينظر: نفسه 168/2، 64/3، 196.

وتضمن أيضاً أحكاما فقهية مختلفة وحديثاً عن آيـات قرآنيـة مكيِّـة ومدنيِّة وعن أسباب نزولها وأقوال أهل التفسير فيها. وقدَّمَ حديثاً عـن علـم الحديث والسند ورجالاته[1].

وعن الافلاك والبروج والأنجم السيارة وعن الطيور وأنواعها وأشكالها وألوانها وعن التمور وأنواعها وعن المواقع الجغرافية من بحار وغيرها.

ومثال ذلك ما ذكره من تفصيل مسهب في أنواع القطا في أثناء شرح بيت المتنبِّي: (من البسيط)

فالعُرْبُ مِنهُ مع الكُدريّ طائرةٌ   والرُّومُ طائرة مِنهُ مع الحَجَلِ

قال: "الكُدريّ: جنس من القطا، وهو على ثلاثـة أضـرب: كُـدريّ، وجونيّ، وغَطاط. فالكُدري: الغبر الألوان، الرُّقش الظهور والبطون، الصُّفر الحلوق، القصار الأذناب، وهو ألطفَ من الجوني.والجوني: سُود البطـون، سود الأجنحة والقوادم، قِصار الأدناب. والغطاط: غُبر الظهـور والبطـون والأبدان، سود بطون الأجنحة، طوال الأرجل والأعناق، لِطـاف لا تجتمـع أسرابا ، أكثر ما تكون ثلاثا واثنين "[2].

والخامسة:اهتمامه بالروايات المختلفة وحرصه الشديد على إيرادها كلِّها، قال واصفاً احدى الروايات: "وليست برواية جيّدة ...، وإنَّما ذكرناهـا حتى لا نخلَّ برواية صالحة كانت أو فاسدة "[3].

وقال في رواية أخرى: "وليس بشئ، إلا أني وجدتها في بعض النسخ فذكرتها، حتى لا أُخلَّ بشيءٍ، على حسب الطاقة "[4].

ومن المُلاحظ أيضاً أنَّه يحاول توجيه الروايات المختلفة قال في بيـت المتنبّي: (من الكامل)

---

[1] ينظر: نفسه 201/2.

[2] نفسه 82/3.

[3] نفسه 374/3.

[4] نفسه 12/4.

نِقَمٌ على نِقِمِ الزَّمان يَصبُّها   نِعَمٌ على النِّعمِ التي لا تُجحدُ

" نقمُ: خبر ابتداء محذوف، ومن روى نَصبها جاز أن تكونَ خِطابا، ويكون (نعم) على هذا خبر ابتداء محذوف، أيْ هي. وإن جعلتها للتأنيث كانت (نِعمٌ) فاعلة لها، ومن روى بالياء المثناة تحتها فالضمير للممدوح، و(نعم) خبر ابتداء محذوف أيضا)[1].

ونجده يوازن بين الروايات المختلفة ويفاضل بينها. قال في بيت المتنبي: (من الكامل)

عذْلُ العَواذلِ حولَ قلبِ التَّائهِ   وَهَوى الأحِبَّةِ مِنهُ في سَوْدائِهِ

"وروي: "قلبي" بالإضافة، ويكون "التائه" صفةً له، وليس بجيِّد، لأنَّه لا يُقال: تاه القلبُ، والرواية الجيِّدة: "قلبُ التائهِ" بالإضافة إلى "التائه" [2].

والسادسة: بروز ظاهرة التكرار في الشرح، فقد يُكرّر الحديثَ عن المسألة الواحدة غير مرة من غير أنْ يشير إلى ورودها فيما مضى. ومن ذلك تكرار عبارة "السُّقم والسَّقم لغتان فصيحتان"[3] أربع مرات، وتكرار الحديث عن لفظة "الحُلي" ولغاتها الثلاث، بكسرِ الحاء واللام والتشديد، وبفتح الحاءِ وسكون الّلام، وبضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء ست مرات[4] وكرَّرَ عبارة " سقى وأسقى لغتان فصيحتان نطق بها القرآن " تسع مرات[5].

ونجده في أحيانٍ قليلة يجتنب التكرار ويشير إلى ورود المسألة فيما مضى من الشرح، ومن ذلك اجتنابه تكرار الحديث عن الخلاف البصريّ

---

[1] التبيان في شرح الديوان 333/1.

[2] نفسه 2/1

[3] نفسه 181/3، 191، 83/4، 192.

[4] نفسه: 282/2، 325، 32/3، 202، 324، 253/4.

[5] نفسه: 258/1، 5/2، 147، 208، 296، 307، 322، 351، 74/4.

الكوفيّ في أصل (كمْ) وإحالته إلى موضع سابق من الشرح إذْ قال: " وقد تقدَّمَ الكلامُ على اختلاف المذهبين فيما تقدَّمَ من هذا الكتاب "[1].

والسابعة: التزام الشارح موقفا منصفا من المتنبِّي، فمن المعروف أنَّ شراح ديوان المتنبِّي قد اختلفوا فيه بين محبٍّ مادح يصل إلى حد المغالاة، ومبغض قادح يتتبَّع عيوبه ويتحامل عليه، ولعمري كَمْ غالى أبو العلاء المعريّ (ت 449هـ) وابن فُورّجه وهُما يدعيان كمال شعره وعجز المرء عن استبدال كلمة منه بخير منها، قال ابنُ فورّجه: " وقرأت على أبي العلاء المعريّ ومنزلته في الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب، فقلت له يوماً في كلمة: ما ضر أبا الطيّب لو كان قال مكان هذه الكلمة كلمة أُخرى أوردتها، فأبان لي عوار الكلمة التي ظننتها، ثم قال: لا تظنّن أنَّك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها، فجرِّب إنْ كنت مُرتاباً، وهاأنا أُجرّب هذا العهد فلم أقدر، وليجرب من لم يصدّق يجد الأمر كما قلت "[2] ومن الشُّراح من غيّر كلامَه وعابه عليه.

فأين يقف شارحنا من الفريقين؟

ذكر الشارح أنَّ من الشرَّاح من قصد التعصُّبَ على شعر أبي الطيب وأنَّ من أهدافه أنْ يقدِّم شرحا لا يميل فيه إلى التعصب. ومن يتتَّبع شرحه يجد أنَّ الشارحَ قد التزم منهجَه المُنصف هذا إلى حدٍّ كبير.

فتارةً يمدح المتنبِّي ويكثر من الثناء عليه ويردُّ عنه التُّهمَ، وتارة أخرى يتهجَّم عليه بألفاظ أشدَّ من ألفاظ سابقيه بحسب ما يقتضيه الموقف المنصف، قال مُدافعا عن المتنبِّي: "وقد عابه من لا يعرف معاني الشعر"[3] وقال في موضع آخر رادا قول القاضي:

---

[1] نفسه: 342/1.

[2] الواحدي 277/1، وينظر التبيان في شرح الديوان 231/4.

[3] التبيان في شرح الديوان 361/3.

"وهذا ظلم منه للمتنبِّي، وقلة فهم من القاضي" [1].

ونجده ينتصر للمتنبِّي ما وجد السبيلَ لذلك محتّجا بما هو مسموع من كلام العرب، قال راداً على من أنكر على المتنبِّي استعمال لفظة "حشيان" في قوله: (من البسيط)

بالواخِداتِ وحادِيها وبي قَمَرٌ   يظلُّ من وَخْدِها في الخدْرِ حَشْيانا

"وأنكر بعض من لا يعرف اللغة على أبي الطيّب لفظة "حَشيان"، وقال لم أسمعها، ولم يسمْع قولَ الآخر [2]: (من الطويل)

فَنَهْنَهْتُ أُولى القومِ عنيّ بضربةٍ...   تنفَّسَ منها كلُّ حَشيانَ مُحجرِ" [3].

ونجد عبارات المدح والثَّناء مبثوثةً في أثناء الشرح، من ذلك قوله: " قد أجمع الحذَّاق بمعرفة الشعر والنقَّاد أنَّ لأبي الطيّب نوادر لم تأتِ قي شعر غيره، وهي مما تخرق العقول" وقوله: "من يتعرَّض لمعاني المتنبّي يجئ شعره أبرد من الزمهرير" [4].

وكثيراً ما يعبِّر عن إعجابه بكلام المتنبّي بعباراتٍ تظهر فضلَه على سواه من الشعراء، من ذلك قوله في وصف أحد الأبيات: " وهو من إعجاز نبّوته التي أعجزت غيرهُ " ، وفي آخر " وهذا من نوادر أبي الطيّب التي لا تُماثل" [5] وفي آخر: "فهذا الذي لم يأتِ شاعر بمثله...ولو تصفَّحْت دواوينَ المجيدين المولَّدين والمحدثين لم تجد لأحدٍ منهم بعض هذا نادراً، ولكنَّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، ويؤتِ الحكمة من يشاء" ، وفي آخر : "وهذا البيت من أحسن الكلام الذي يعجز عن مثله المجيدون" وفي آخر: "وهذا من أبدع المعاني، ولو لم يكن له في ديوانه إلاَّ هذا لكفاه" [6].

---

[1] نفسه :161/4.

[2] البيت لأبي جُندب الهذلي، ينظر شرح أشعار الهذليين 357/1.

[3] التبيان في شرح الديوان 221/4.

[4] نفسه 149/2.

[5] نفسه: 149/1.

[6] نفسه: 18/3.

ولا يتردَّد الشارح في أنْ يذمَّ أبا الطيِّب ويتهجَّم عليه بعباراتٍ قاسية جداً ومن ذلك قوله:" وهذا من بعض حمقه" ، وقوله: "هذا مّما اعتاده من الحماقة، ولو قال هذا علي بن حمدان سيف الدولة لأخذ عليه" ، وقوله: "وهو بيت رديء، لو قيل في زماننا لهرب قائله من الحياء" ، وقوله: "وهذا من كلامه البارد، وحمقه الزائد" ، وقوله: "وهذا من الغلو والافراط والجهل" ، وقوله: "هذهِ مبالغة تدخل النار، نعوذ بالله من هذا الإفراط، وهذا الغلو" ، وقوله: "هذا من حماقته المعروفة ولابدّ له في كلِّ قصيدة من هذا " [1].

وذكر الشارح غير مرّة أنَّه يرفض الأبيات المرتجلة ارتجالا، وأنَّه يرى ألاّ تذكر في ديوان الشاعر، وإنَّما ذكرها هو اقتداءً بمن سبقه، قال في وصف قسم من تلك الأبيات: " وهذهِ كلُّها أبيات رديئة، عملها ارتجالاً في معانٍ ناقصة " ، وقال في موضع آخر: " وكان الأحسن بمن جمع هذا الديوان أنْ يذكر مثل هذهِ المقاطع المرتجلة السخيفة، ولولا أنْ ينسبني الناسُ إلى عجز، لما ذكرتها" ، وقال في موضع آخر: "لولا أنَّ من تقدَّمني شرح هذهِ المقاطع لما ذكرتها، لأنَّها من الشعر الرديء باردة المعاني، ولا رونق لها، ولا معنى حسن، وإنَّما اقتديت بمن سبقني، ولولا ذلك لتركت الارتجال كلَّه" ، وردَّ قول الواحدي الذي عاب على المتنبي قطعة في الوصف، وقال إنَّ المتنبي ليس من أهل الأوصاف[2] بقوله: " إنَّما المتنبّي ممن يُحسن الأوصافَ في كلِّ فن، وإنَّما هذا الذي يأتي له في البديهة والارتجال، أو في وقت يكون على شراب وغيره، فلا يُعتَّد به، ولو كان أبو الفتح عمِلَ صواباً لكان أسقطه من شعره. ولولا أنَّ من تقدَّمني شرح هذهِ المقطَّعات وأثبتها، لما ذكرتها في كتابي هذا " [3].

---

[1] نفسه: 95/4.

[2] الواحدي: 774/2.

[3] التبيان في شرح الديوان 165/4.

وخلاصة الأمر أنَّ الشارح قد عاب على المتنبّي أمرين، الأوّل: الغلوّ والإفراط في المدح الذي يصل إلى حد الكفر العقائديّ أحياناً، والثاني: الأبيات التي نظمها ارتجالاً من غير تمحيص.

أ – مصادره في شرح الشعر

لم يكن الشارح أوّلَ من ألَّفَ في العربية، ولا أوّل من تصدَّى إلى شرح ديوان المتنبّي، فقد سبقه كثيرون، ومن البديهيّ أنْ يَفيد من سابقيه شُراحاً ولغويين ونحويين، ويستقى منهم مادَّته موازناً ومرجحاً ومجتهداً ليكونَ مع ركبِ العلماءِ الأجلاَّء الذين توالوا على خدمة لغة القرآن الكريم خالفاً عن سالفٍ وآثروا المكتبة العربية بعطائهم الفذّ، ورأيتُ أنْ أعرض موارد الشارح في محورين، تناولت في الأوّل: الأعلام والكتب التي نقل عنها، وفي الثّاني: موقفه ممَّا ينقل. [1]

ب –الأعلام والكتب التي نقل عنها:

1–الأعلام:

ونظراً لأهمية ديوان المتنبي في الأوساط الأدبية ، فقد وجد اهتماما من علماء اللغة والأدب حيث تناوله غير عالمٍ من العلماء الأجلاّء بالشرح والتحليل ، وقد اعتمد المتأخِّر منهم على المتقدِّم نـاقلاً آراءهُ معلِّقا عليها مؤيدا، أو رادّا.

ولم يكن الشارح من المتقدِّمين في شرح الديوان لذلك جاء شرحه غنّيا بأسماء الشّراح السابقين. وقد صرَّحَ الشارح في مقدمة شرحه بأسماء قسم من الشّراح الذين اعتمد عليهم في شرحه مقدِّما ابن جنيّ، قال: " وجمعت كتابي هذا من أقاويل شُرّاحه الأعلام، معتمدا على قول إمام القـومِ المقـدَّم فيـه، الموضِّح لمعانيه، المُقدَّم في علم البيان أبي الفتح عثمان؛ وقول إمام الأُدباء، وقدوة الشّعراء، أحمد بن سليمان أبي العلاء، وقول الفاضل اللبيب، إمام كلِّ

---

[1] التبيان في شرح الديوان: المقدمة ج–د.

أديب، أبي زكريا يحيى بن عليّ الخطيب، وقول الإمام الأرشد، ذي الرأي المُسدَّد أبي الحسن علي ابن أحمد، وقول جماعة كأبي علي بن فُورَّجه، وأبي الفضل العروضيّ، وأبي بكر الخوارزميّ، وأبي محمد الحسن بن وكيع، وابن الأفليليّ، وجماعة ".[1]

و أعتقد أن أكثر الشراح الذين أعتمد عليهم العكبري نقل عنهم ابنُ جنيّ، إذ تكرَّر اسمه في الشرح ، وقد يتكرَّر اسمه في الصفحة الواحدة ولا غرابةَ في تقديم ابن جنيّ على غيره من الشُّراح لتقدُّمه في شرح الديوان، ومعاصرته المتنبّي فضلاً عن مكانته المرقومة بين علماء اللغة. [2]

ويأتي بعد ابن جنيّ الواحديّ، إذ ذكره الشارح ، يليه ابن فُوْرّجه "، ثم الخطيب التبريزي ثم ابن القطاع ثم العروضيّ ثم ابن وكيع (ت393هـ) ثم الخوارزمي (ت 425هـ) ثم ابن الشجري ثم ابن الأفليليّ (ت 441هـ) ثم أبو العلاء المعريّ (ت 449هـ) ثم ابن دوست (ت 431هـ) ثم علي بن عيسى الربعي (ت 420هـ) ثم الصاحب بن عباد ثم القاضي الجرجاني (ت 392هـ) ثم الأعلم الشنتمري (ت476هـ) [3].

وكثيراً ما كان الشارح يصرِّح بأسماء الشراح الذين ينقل عنهم، بل يشير إلى نقل الشراح أحدهم عن الآخر فيقول: "هذا كلام أبي الفتح ونقله الواحديّ حرفا فحرفا" ، و"نقل ابنَ القطَّاع كلامَ أبي الفتح حرفا فحرفا" ، و"قال أبو الفتح...ونقله الواحدي كما نقلناه" و"نقل الشريف هبة الله بن الشجريّ كلام ابن فورجه في أماليه حرفا حرفا" ، وقد يشير إلى المنقول بعد تمام الكلام ، وغالباً ما يشير إلى نهاية الكلام المنقول خشية اختلاط النقول ، وهو دليل على دّقته في النقل. [4]

---

[1] ينظر: نفسه 28/1، 39، 3/2، 4، 3/ 3، 10، 3/4، 4...وغيرها.

[2] نفسه 290/4.

[3] نفسه: 303/1.

[4] نفسه: 371/1، 5/2، 53/3

ونجده في قليل من الأحيان لا يُصرِّح بأسماء الشَّراح الذين ينقل عنهم ويــكتفي بالقول: "قال جماعة من شراح هذا الديوان".

وعرض الشارح في أثناء الشرح كثيراً من مسائل اللغــة والنــــحو، وكان من البديهيّ أنْ يعتمد على اللغويين والنحويين السابقين الذين حــــازوا السبق في استخلاص قواعد اللغة وتشييد صرحها، وفي مقدِّمتهم سيبويه الــذي ورد اسمه في الشرح، ثــم الجوهريّ (ت في حدود400هــ) ، ثم الاصــمعي (ت 216هــ) ثم الفراء (ت 207هــ) ، ثم أبو زيد الانصاريّ (ت 215هــ) ، ثم الأخفش (ت 215هــ) ، ثم أبو عبيدة (ت 213هــ) ، ثم ابــن الســكيت(ت 244هــ) ، ثم الخليل(ت 175هــ) ، ثم الكســائي(ت 189هـــ) ، ثــم ابــن الأعرابيّ (ت 231هــ) ، ثم أبو علي الفــارسيّ (ت 377هــ) ، ثم المبرِّد (ت 285هــ) ثم ثعلب (ت 291هــ) ، ثم ابن دريد (ت 321هــ) ، ثم الازهــري (ت 370هــ) ، ثم ابن بري(ت 581هــ) ، ثم يونس (ت 183هــ) ، ثم أبــو حاتم السجستاني (ت 248هــ)[1].

ولم يغفل الشارح التصريحَ بأسماء العلماء الذين ينقل عــنهم إلاّ فــي مراتٍ قليلة اكتفى فيها بالقول "قال قومٌ" أو "قال غيره"، أو "قال أهل اللغة"، أو "قال بعضهم" أو "قال أهل التفسير"، أو "قال المحققون" أو "قال النحويون"[2].

ولابد من الإشارة إلى شيخه الذي قرأ عليه ديوان المتنبِّي في الموصل أبي الحرم مكيّ بن ريَّان الماكسيني وشيخه الذي قرأ عليه الــديوان بالــديار المصريّة أبي الفتح محمّد عبد المنعم بن صالح التيميّ النحويّ وشيخه أبــي الفتح نصر بن محمد الوزير الجزريّ[3].

---

[1] نفسه: 115/3، 347، 56/4، 68

[2] نفسه:165/2، 166.

[3] نفسه: 217/3.

2 - الكتب:

هي المورد الثاني من مــوارده، وفــي مقــدِّمتها كتــاب ســيبويه(ت 180هــ)، إذ جعله الشارح المصدر الأوّل من مصادره، استقى منه كثيراً من الآراء اللغوية والنحوية فضلاً عن استشهاده بشــواهده. وقــد ذكــره ثلاثــاً وعشرين مرّة. وليس هذا بغريب فهو الكتاب الأوّل والمصدر الــرئيس مــن مصادر اللغة. ويأتي بعد كتاب سيبويه "أمالي ابن الشجريّ" ذكــره الشــارح تسع مرات ثم كتاب "النوادر" لأبي زيد الانصاريّ، ذكره خمس مرات واعتمد عليه في تفسير الكلمات الغامضة في شعر المتنبِّي. [1]

وذكر الشارح كتباً أُخرى مــــنها "العــين" للخــــليل بــــن أحمــــد الفــراهيديّ، و"الهمز" لأبي زيد الانصــاريّ، و"يتيمــة الــدهر"للثعــالبيّ (ت 229هــ)و"الإصلاح" لابن السكِّيت. [2]

و"الإيضاح" و"المسائل الشيرازيات" لأبي عليّ الفارســيّ و"المجمــل" لابــن فــارس (ت 395هــ) و"الصِــحاح"للجــوهريّ وغيرها. ومما يجــدر ذكره أنَّه أشار إلى أربــعة مــن كتبه المفقودة هي "الإغراب فــي الإعــراب" "والروضة المزهرة في شرح كتاب التذكره" و "نزهة العــــين فــي اخــتلاف المذهبين" و"أنفس الاتخاذ في إعراب الشاذ"[3].

---

[1] التبيان في شرح الديوان: ج2، 107.

[2] نفسه: 327/3.

[3] نفسه: 339/1-340.

ومما يؤخذ على الشارح عدم تصريحه بأسماء الكتب التي ينقل عنهـا أحياناً وفي مقدمتها كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" لابن الأنبـاريّ (ت 577هـ)؛ إذ نقل منه آراء البصريين والكوفيين وحججهم مستشهداً بشواهده من غير إشارة إليه، وقد يصل الأمر إلى نقل المسألة الخلافية نقـلاً حرفيـاً بحججها وشواهدها وأمثلتها[1].

وقد أشار محققو الكتاب إلى ثلاثِ مسائل نقلها الشارح نقلاً حرفياً من كتاب الإنصاف، ونزيد عليها مسائل أُخرى منها مسألة "كلا وكلتا" ومسـألة "العطف على الضمير المرفوع المتصل" ومسألة "العامل في الاسم المرفـوع بعد لولا" ومسألة "منع صرف ما ينصرف في ضرورة الشعر"[2]، وغيرها.

وللتمثيل نورد نَصًّـا ذكره الشارح في مسألة "كلا وكلتا" وقـد نقلـه حرفياً من كتاب الإنصاف، قال " ذهب الكوفيون إلـى أنَّ كـلا وكـلتا، فيهما تثنيةٌ لفظـيّة ومعنويّة، فأصل "كلا" "كلٌّ"، فخُفِّفت الَّلام، وزيدت الألف للتثنية، وزيدت التاء في "كلتا" للتأنيث، والألف فيهما كـالألف فـي قولـك: الزيدان، وحذفت نون التثنية منهما للزومها الإضافة، وذهب البصريون إلـى أنَّ فيهما إفراداً لفظياً وتثنية معنويّة. والألف فيهما كألف رحا وعصا، وحُجتنا النقلُ والقياس، فالنقل قول الشاعر[3]: (من الرجز)

في كِلْتَ رِجلَيْها سُلامى واحِده   كِلتاهُما مقرونةٌ بزائده.

فإفراده: " كِلْتَ "، يدلُّ على أَنَّ "كِلتا" تثنية[4].

ونصُّ الإنصاف: " ذهب الكوفيون إلى أنَّ "كلا، وكلتا" فيهمـا تثنيـة لفظية ومعنوية، وأصل "كلا" "كلٌّ" فخُفِّت اللام، وزيدت الألف للتثنية، وزيدت

---

[1] التبيان في شرح الديوان، ج4، 395.

[2] نفسه: (م 70) 493/2، نفسه: 277/1.

[3] قائله مجهول وهو من شواهد الإنصاف: (م62) 439/2، وشرح الكافية: 83/1، 93، ولسان العرب (كلا) 93/20، وخزانة الأدب 62/1.

[4] التبيان في شرح الديوان: 202/1.

التاء في "كلتا" للتأنيث، والألف فيهما كالألف في "الزَيْدانِ" و "العَمْرانِ" ولزم حذف نون التثنية منهما للزومها الإضافة.

وذهب البصريون إلى أنَّ فيهما إفراداً لفظيّاً تثنية ومعنويّة، والألف فيهما كالألف في "عَصًا، ورحًا".

أمّا الكوفيون فاحتجوا بأنْ قالوا: الدليل على أنَّهما مُثنَّيان لفظاً ومعنىً وأنَّ الألف فيهما للتثنية النقلُ والقياسُ. أمّا النقلُ فقد قال الشاعر: (من الرجز)

في كِلتَ رِجلَيْهَا سُلامَى واحِدَه   كِلتاهما مَقْرونَةٌ بزائِده

فافرد قوله "كِلتَ" فدلَّ على أنَّ "كلتا" تثنية[1].

ج- موقف العكبري من الشراح السابقين:

1- النقل من غير تعليق:

يمكن القول إنَّ السمةَ الغالبة في الشرح هي اكتفاء الشارح بعرض الآراء المختلفة التي قيلت في المسألة الواحدة من غير تعليق أو ترجيح رأي على آخر، فغالباً ما يستقصي كلَّ ما قيلَ من آراء في المسألة الواحدة من غير أنْ يَفصَح عن رأيه فيها، وقد تصل نقوله في شرح البيت الواحد إلى ثمانية أقوال، وكثيراً ما يقدِّمُ قولَ أبي الفتح ثم يتبعه بقول الواحديّ[2].

ويمكن أنْ نتلمَّس رأي الشارح في المسألة التي لا يذكر فيها رأيه بشكل صريح من خلال تسلسل ايراده أقوال الشُّرَّاح السابقين، فغالباً ما يقدِّمُ الرأي الأرجح. وهذا ما يمكن استنتاجه من خلال الشرح وإنْ لم يُصرِّح الشارح به.

---

[1] الانصاف: (م62)، 439/2.

[2] نفسه: 271/1، 275، 10/2.

ومن المسائل الخلافية التي وقعت بين الشُّراح ونقلها الشارح من غير تعليق اختلافهم في قول المتنبي: (من المنسرح)

فاكبروا فِعلَه وأصغَرَه أكبرُ من فِعلِه الذي فَعَلَهْ.

فقد ذهب ابنُ جنيّ إلى أنَّ الكلامَ قد تمَّ عند قوله "وأصغره"، ثمَّ استأنف بقوله "أكبرُ"، والمعنى "هو أكبرُ"، وهو ما ذهب إليه الواحديّ أيضاً. وذهب العروضيّ إلى أنَّ حمل البيت على هذا التّفسير لا يكون مدحا؛ لأنَّ من المعلوم أنَّ كلَّ فاعل هو أكبر من فعله لذلك قالوا: " إنَّ خيراً من الخير فاعله، وإنَّ شرّاً من الشرّ فاعله".والصحيح أنَّ المقصود هو أنَّ النَّاسَ استكبروا فِعله واستصغره هو فكان استصغاره لما فعل أحسنَ من فعله[1].

فعلى قولِ ابن جنيّ والواحديّ تكون "الذي" بمعنى "مَنْ" أي: " أكبرُ من فعلهِ مَنْ فَعَلَهُ"، وعلى قول العروضيّ تكون "الذي" بمعنى "ما" أيْ: "كبر من فعله ما فَعله"[2].

واكتفى الشارح بعرض الرأيين من غير ترجيح وإنْ كان حسن المعنى وبلاغته يقتضي قولَ العروضيّ.

---

[1] ينظر: الواحديّ: 366/1.

[2] ينظر: شرح الديوان للواحدي، ج1،366-367، والتبيان في شرح الديوان: 272/3.

2-ترجيحه لآراء الشرّاح :

ذكرنا أنَّ السمة الغالبة في الشرح هي النقل من غير تعليق، وهـذا لا يعني أنَّ الشارح لم يكن ذا شخصية واضحة، فكثيراً ما كـان يـوازن بـين النصوص المنقولة ويرجِّحُ ما يراه مناسباً منها، وعبارات الموازنة والترجيح المبثوثة أثناء الشرح تشهد بفضله، منها قوله: "والذي قال أبو الفتح صواب"،

وقوله: "والصحيح ما قاله الواحديّ"[1] وقوله: "وقول الخطيب أوجه من قول أبي الفتح"[2] وقوله: "الأولى قول أبي الفتح"[3] وقال رادا قول الواحـدي ومفضلاً رأي ابن جني في إحدى المسائل الصرفيّه وليس كما قـال "يعنـي الواحدي"...وابن جنيّ أعرفُ منه بالتصريف [4].

وقال مُرجِّحاً قول العروضيّ على قولِ أبي الفتح "والقول ما قاله أبـو الفضل"[5].

ونذكر من ترجيحاته ترجيحَه قولَ الواحديّ على قولِ الخوارزميّ في بيت المتنبّي: (من البسيط)

وضاقتِ الأرضُ حتَّى كانَ هاربُهم إذا رأى غيرَ شَيءٍ ظنَّهُ رَجُلاً

فقد أوخذ المتنبّي بحجة أنّ "غيرَ شيءٍ" معدوم، والمعـدوم لا يمكـن رؤيته مما جعل الخوارزميّ[6] يذهب إلى أنَّ الرؤية هنا قلبية لا بصرية أُريد بها التَّوهُّم، وغيرُ الشيء يجوز أنْ يتوهَّم به. في حـين وجَّـهَ الواحـديّ[7] المسألة توجيهاً آخر؛ إذ أبقى "رأى" على بابها وجعل الكلام من باب حـذف الصِّفة وإبقاء الموصوف دالاً عليها والتقدير: إذا رأى غيرَ شيء يعبأ به، أو يفكِّر في مثلهِ، ظنَّه إنسانا يطلبه، وكذلك عادة الخائف الهارب.

---

(1) نفسه: 169/3.
(2) نفسه: 257/3.
(3) نفسه: 321/3.
(4) نفسه: 27/4.
(5) نفسه: 180/4.
(6) التبيان في شرح الديوان: 168/3-169.
(7) ينظر: الواحديّ: 27/1.

ورجَّحَ الشارح رأي الواحديّ قـائلاً: (والصـحيح مـا قالـه "يعنـي الواحديّ"، أي إذا رأى غيرَ شيءٍ يخاف منه، ومنه: ﴿حتَّى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾[1]. معناه يريده أو يطلبه، أو يغنيه عن الماء، أي شيئا نافعا مغنيا)[2].

3- موقفه من الآراء السابقة:

من ملامح شخصية الشارح في شرحه ردُّه ما لا يراه مناسباً من أقوال سابقيه معلِّلا وداعما رأيهُ بالحجج والبراهين. وقد تنوَّعت ردوده واتجاهاتها، ففي مجال الاستعمال اللغويّ ردَّ الشارح قول ابن جني الـذي عـاب علـى المتنبي استعمال (لَدُن) غير مسبوقة بـ(من) بقوله: "وقد غاب عن أبي الفتح قول الشاعر فيما أنشده يعقوب[3]: (من الوافر)

فـإنَّ الـكُثْر أعياني قـدِيَما ولـم أُقتِرْ لـدْن أنّي غُـلامُ

وقول الآخر[4]: (من الطويل)

وما زلتُ من ليلى لدْن أنْ عرفتُها لَكا لهائمِ المُقْصَى بـكلِّ مـُراد

وقول القطاميّ[5](من الطويل)

صَريعُ غوانٍ راقَـهُنَّ ورُقـْنَهُ لدْن شَبَّ حتَّى شابَ سودُ الذوائبِ

وقول الاعشى[6]: (من الطويل)

أراني لَدْنْ أنْ غَابَ قومِيْ كأنَّـما يَرانِيَ فِيْهِمْ طـالبُ الـحـقِّ أرنَبا

وردَّ قول ابن جنيّ الذي عاب على المتنبي قوله: (من الطويل)

وما أنا إلاَّ عاشقٌ كـلَّ عاشـقٍ أعقُّ خـليليهِ الصـفَّييَّن لائمهْ

---

[1] الآية ﴿ والذين كفروا اعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الضمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً...﴾ النور:39.

[2] التبيان في شرح الديوان: 169/3.

[3] ينظر: إصلاح المنطق: 33، 167، وينسب البيت للنابغة الذبياني وليس في ديوانه وينسب لعمرو بن حسان، ينظر الامالي الشجرية: 222/1، وخزانة الأدب: 198/3.

[4] البيت لكثير عزة: ديوانه 235/1.

[5] ديوانه: 44.

[6] نفسه: 115.

بحجة أنَّه لا يقال: (أعقُّ الرجلين زيدٌ) حتى يشتركا في صفة العقوق ثم يزيد على صاحبه قائلاً: (جاز له أنْ يأتي بهـذا اللفـظ، كقولـه تعـالى: ﴿ أصحاب الجنة يومئذٍ خيرٌ مستقرا وأحسن مَقيلا﴾[1]. وقد علم أنَّ أصحاب النار شرٌّ، ولا خيرَ في مستقرهم، وأنَّهما لم يشتركا في الخيريّة، فهذا نظيره. وقد قال حيَّان بن

قرط اليربوعيّ وكان جاهلياً[2]: (من الكامل)

خالي بنو أوسٍ، وخالُ سَراتهم أوسُ، فأيُّهما أرقُّ وألأَمُ

يريد: فأيُّهما الرقيق اللئيم، وليس يريد أنَّ الرِّقة واللؤم اشتملا عليهما معاً، ثم زاد أحدُّهما على صاحبه، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وهو أهون عليـه﴾ [3] والمعنى :هيِّنٌ عليه، لأنَّ تعالى لا يُوصف بأنَّ بعضَ الأشياء أهونُ عليه من بعض، وكذلك أعقُّ خليليهِ، أي الذي يستحيل عاقّاً، فالأعقّ هنـا بمعنـى العاقُّ كقولِ الفرزدق[4]: (من الكامل) "بيتاً دعائِمُهُ أعزُّ وأطولُ"[5]

وفي مجال النحو ردَّ قول عبد القاهر[6] الذي قال: بجواز رفع جـواب الشرط المضارع وجزمه إذا كان الشرطُ ماضياً بقوله: "وهذا قول مردود لأنَّ سيبويه يجعل هذا في ضرورة الشعرُ"[7].

وفي مجال الصرف ردَّ قول أبي الفتح والواحديّ[8] اللذَّينِ ذهبا إلى أنَّ جمع "لَزْبه" "لَزبات" بقوله: "وليس كما ذكرا، فقد قـال الجـوهري[9] فـي

---

(1) "الفرقان": 24.

(2) رواه أبو زيد الأنصاريّ:

خالي أبو أنسٍ وخالُ سراتِهم دَوْسٌ فأيُّهما أدقُّ وألأمُ. ينظر :النوادر 24.

(3) الروم: 27.

(4) ديوانه: 417.

(5) التبيان في شرح الديوان: 327/3.

(6) ينظر: المقتصد: 1103/2.

(7) التبيان في شرح الديوان: 22/4.

(8) لم أجد كلام الواحدي في شرح البيت، ينظر: شرح الواحدي: 383/2.

(9) مادة (ل ر ب): 219/1.

صحاحه: أصابتهم لَزْبَهَ، أي شدَّة وقحط؛ والجمع: لزْبات "بالتسكين" لأنَّه صفة"[1].

وفي مجال المناظرة في المعنى ردَّ قول ابن وكيع الذي ذهب إلى أنّ قول المتنبِّي: (من الكامل)

وجريْن مَجرى الشَّمسِ في أفلاكِها فَقَطعْنَ مَغربِهَا وجُزْنَ المَطْلَعَا

مأخوذ من قول حبيب: (من البسيط)

أمطلعَ الشَّمسِ تبغي أنْ تؤمَّ بنا فقلتُ كلاَّ ولكن مطلعَ الجُوْدِ

قال الشارح : "وليس بينهما تناسب لا لفظاً ولا معنى، إنَّما بيت حبيب فيه المخلص الحسن"[2].

---

[1] التبيان في شرح الديوان: 342/3.

[2] نفسه:342/3.

المبحث الثاني : اللغة

مند أولية شرح الشعر كانت اللغة مناط اهتمام الشراح،وقد بدأ الاهتمام بشرح غريبها وتفسيرما استغلق منها- على ندرته- لقرب عهد الناس باللغة الشعرية لعصورالشعر المشروح، ثم توسعوا في ذلك توسعا كبيراً طال أسرارها ودقائها.

ومع مر العصور ازداد الاهتمام بهذا العنصرمن عناصر شرح الشعر لزيادة حاجة المتلقين إليه نتيجة الابتعاد المتنامى عن لغة ذلك الشعر،والاختلاط المتزايد بالعناصرغيرالعربية، بسبب توسع الفتوحات الإسلامية [1].

إن العناية باللغة مرتكز رئيس ظل سائدا في جميع الشروح الشعرية، وقد كان الاهتمام باللغة أحد المفاتيح المهمة التى يجيد الشيخ أبو البقاء استخدامها في فتح ماغلق من أبواب الشرح ومنافذه، ومصباحا يستكشف ماخفي أو أخفى من معانى الشعر وقصائد الشعراء، واستثماره لعنصر اللغة في عمله في شرح الديوان أخذ اشكالا متعددة ومظاهر متنوعة منها.

شرح الألفاظ لاجلاء المعنى على نحو قوله في شرح هذا البيت : (من الكامل)

و بِمُهْجتي يَاعَاذِلِى المَلكُ الَّذي　　　أَسْخَطْتُ كُلَّ النَّاسِ فِي إرْضائِه [2]

يقول في شرح البيت بعد أن يشيرإلى ما فيه من الفاظ غريبة :

" الملك : يريد سيف الدولة، وخرج من النسيب إلى ذكر الممدوح وطابق بين السخط والرضا، وقوله " ياعاذلي "وكان ينبغي أن يقول :" ياعاذلتي"

لأنه ذكر العواذل في الأول،وإنما أراد : يامن يعذلنى لأن "من" تقع لإبهامها على الواحد والاثنين، المذكر والمؤنت والجمع [3]

ونرى العكبري يسهب من الناحية اللغوية والنحوية في الاستعانة بآراء سيبويه المبسوطة في كتابه، مما يدل على شغفه به،وإعجابه بماتضمنه من مسائل

---

[1] ينظر: المتنبي بين ناقديه، عبد الرجمن شعيب،ص275

[2] التبيان في شرح الديوان، ج1،ص 28

[3] نفسه : ج1، ص 28

في اللغة والنحو، ولعل استيعاب العُكبري لمسائل الكتاب هو الذي جعله يعتمد عليه في مروياته النحوية، يشعرنا بميله نحو المدرسة النحوية التى أرسى أصولها الخليل بن أحمد، ثم أكمل صرحها سيبويه، ومن أمثلة ذلك ماعلق به على شرح بيت أبى الطيب في قوله : (من البسيط)

إنَّ السِّلاحَ جَميعُ النَّاسِ تَحْمَلُه   ولَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ المِخْلبِ السَّبعُ [(1)]

يقول :" وقد جاء من العرب مثله، تقول ليس خلق الله مثله، فتضمر الشأن والقصة، ولولا ذلك لما ولي ليس وهي فعل فعلٌ آخروهو "خلق" لأن الأفعال لايلي بعضها بعضاً، وقد ذكر مثل هذا سيبويه في كتابه [(2)]

ثم يقول وأنشدوا لحميد الارقط : (من البسيط)

فأصْبَحوا والنَّوىَ عَالي مُعَرسِهِمْ   وَلَيَسَ كُلُّ النَّوىَ تُلقىِ المسَاكَينُ[(3)]

فنصب "كل" بتلقي وأضمر اسم ليس فيها.

ثم يتناول اللفظ الغريب في المعنى : المخلب للطيروالسباع،بمنزلة الظفر للإنسان ثم يستكمل شرح البيت بقوله :" ليس كل من يحمل السلاح شجاعا ولأكل ذي مخلب سبعا يفترس به بل يوجد ذوات مخالب والسبع يفضلها، وكذا سيف الدولة يتزنون بشكله ويشاركونه في لبس السلاح ولكنهم يقصرون عن فعله، وعمايبلغ بالسلاح من البطش وشرح البيت في غاية الدقة والجمال بما وصف به سيف الدولة وإثباته بما يشابه معنى البيت من أشعار العرب [(4)]"

ومنها قوله في بيت أبى الطيب : (من الطويل)

على كلُّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّه ُ   مِنْ الدَّمِ يُسقى أو مِنَ اللَّحمِ يُطْعمُ[(5)]

يقول في شرح هذا البيت نقلا عن الواحدى : ((كأنه يتغدى لحم نفسه، ويشرب دمه فقد زاد هزاله، ذ ليس له مطعم ولامشرب إلامن جسمه))، ثم يتبع معنى البيت بوجه آخرمن المعني،وهوأن يكون مطعمه ومشربه من لحوم

---

(1) التبيان في شرح الديوان ج 2، ص234

(2) الكتاب، سيبويه ج 1، ص 117

(3) البيت لحميد بن ثور ورد في الازمنه والامكنه، ج 318/2، الأثباه النظائر،78/6، في ديوانه، وشرح أبيات سيويه ج 1، 175

(4) التبيان في شرح الديوان ج 2،ص 234

(5)نفسه،ج3،ص359

أعدائه،فهو مقتحم عليهم،وموغل في طلبهم ليدرك مأكله وشربه ثم يقول وهذا الوجه أبلغ وأمدح...[1]

ثم يقول في تفسيركلمة "اللذ عنا" الواردة في بيت المتنبي : (من الكامل)

وإذا الفَتَى طَرَحَ الكَلامَ مُعرَّضَا فِي مَجْلس أَخَذَ اللَّذعْنَا[2]

نقلا عن ابن جني "اللذعنا" يريد الذي عنا وفي الذى أربع لغات،ويقول : وقال الخطيب : اللذعنا، كلمة واحدة وهى الكلام الذى ليس فيه موارة..." [3]

كما يكثر العُكبرى من مرويات لغوية يستمدها من عدة مصنفات العلماء ومن هذه الامثلة ماذكره في شرح لفظة "الارعواء "الواردة في قول المتنبي:(من الكامل)

وَمِن البَلِيّةِ عَذْلُ مِن لايَرْعوَى عَنْ غيه وخِطَابُ مَنْ لايَفْهمُ

يَمْشي بأربْعةٍ عَلى أَعْقَابـــــه تَحْتَ العُلوجِ وَمِن وراءٍ يُلجمُ[4]

يقول : "العلوج :جمع علج،وهوالرجل العجمى، والحمار الوحشى.وهو من المعالجة".كما يلاحظ عنه في شرح البيت التالى : (من الكامل)

لَوْ قُلتُ للرَّنفِ الحَزَينِ فَديتهُ رحمًا به لأغَرتَهُ بِفدائهِ [5]

حيث يقال :"... للرفق:الشديد الحرص،والرفق "بالتحريك" : المرمى الملازم ورجل دنف،وإمراة دنف، يستوى فيه المذكر والمؤنث، والتثينة والجمع فإن كسرت النون، قلت امراة دنف،وثنيت وجمعت، وقد دنف المريض وأدنف، إذا أشتد مرضه، وأدنفه المرض، يتعدى ولا يتعدى فهو مونث ومُريف... [6]

كما يلاحظ عنه أيضا الاستغراق في التفسير اللغوى كقوله في شرح لفظه المخطئين الواردة في هذا البيت من قول المتنبي : (من الوافر)

وَعْينُ المُخَطِئينَ هُمُ و ليْسَوا بِأَوْلِ مَعْشرٍ خَطِئوا فَتَابوا [7]

---

(1)شرح الديوان : الواحدي،ج2 ص،645

(2)التبيان في شرح الديوان :،ج4،ص 206

(3) نفسه : ا،ج4،ص 206

(4) نفسه،ج4،ص 127

(5) نفسه ج 1، ص 6

(6) نفسه : ج1،ص 80

(7) سورة الاسراء، من الآية 12

يقول :" الخطأ نقيض الصواب،وقد يمد يقال منه، أخطأت وتخطأت بمعنى واحد ولا يقال،أخطت إلاشاذا،والخطء (بالكسر) الذنب قال الله تعالى :﴿ إنَّ قتلهم كَانْ خطِئاً كَبيْراً﴾ [1] ثم يستمر في تتبع معنى الكلمة فينشد تعريف الكلمة وأشتقاقاتها فيقول : والاسم الخطيئة (على فعيله) ولك أن تشدد الياء،لان كل ياء ساكنة قبلها كسرة أوواوساكنة قبلها ضمة وهما زائدتان للمد لا للالحاق ولاهما من نفس الكلمة فإنك تقلب الهمزة بعد الواو واواً وبعد الياء،باءً،أو تدغم فتقول في مقرؤ،مقرؤاً وفي خطيئة خطية ولذا وقف حمزة على هذا وشبهه دون الوصل.

ثم يتابع معنى اللفظة ويستشهد بالشعرالجاهلى في قول امري القيس :

يالَهفَ هنَد إذا خَطِئينَ كَاهِلاَ   القاتلين المَلِكَ الحُاراحِلا[2]

ومن خلال تتبعنا لعمل العُكبرى في حيز كشف المعانى للشعر وجدناه مجتهدا في حرص شديد على تتبع المعانى التى يحتملها التعبير، ولو بنوع من التكلف والتأويل، وفي سبيل ذلك نراه يوجه مهارته اللغوية لخدمة المعنى، كمافعل في شرح هذا البيت من قول المتنبي : (من الكامل)

لاَتَكْثُرُ الأمْوَاتُ كَثْرَةَ قِلةٍ   إلاّ إِذَا شُقِيتْ بِكَ الأَحْيَاءُ[3]

يقول الشارح : ((قال الواحدى :كثرة اتحصل عن قلة وهو قلة الأحياء يريد إنما يكثر الأموات إدا قلت الأحياء)). قال ابن جني : يريد أنها شفيت يفقدك. فحذف المضاف، ويكون المعنى على ماقال : لاتصير الأموات أكثرمن الأحياء إلا إذا مات الممدوح،وصارفي عسكر الموتى كثرة الأموات به، لأنه يعير جانبهم. وهذا فاسد لشئيين : أحدهما: أنه إذا مات واحد لايكون ذلك قلة.والآخر: أنه لايخاطب الممدوح بمثل هذا ولكنَّ المعنى أنه أراد بالأموات القتلى. لا الذين ماتوا قبل الممدوح، المعنى شقيت بك،أي بغضبك وقتلك إياهم.

وكما أسلفنا أن الشارح كان في شرحه يستدل بآراء علماء أجلاء مثل الواحدي وابن جني،وابن الشجري.حيث يقول : "قال ابن الشجري، وقال أبوالفتح

---

[1] سورة الإسراء من الآية: 21.

[2] ديوان امرئ القيس، دار صادر، ص 150، دت

[3] التبيان في شرح الديوان،ج1،ص27

ويقول أبوالعلاء... فنراه يمحص هذه الاراء ويغربلها ويأخذ بالأحسن منها،أو يطرحها دون أخذها..."[1]

المطلب الاول :

أ) التبسط في شرح الشعر وتوضيحه :

من حرص الشارح على التفرد والتميز في شرحه نتيجة شعوره أنه بالخاصة والأعيان أليق، الشىء الذى جعله يبذل جهداً غير عادي في محاولته الارتقاء بشرحه شكلا ومضمونا واعتقد أن سبب ذلك يرجع إلى حرصه الشديد على توضيح المعنى وإيصاله لذهن القارئ نجده يتبسط في شرحه من قول المتنبي: (من الكامل)

يَشْكو المَلامَ إلى اللوائَمِ حَرّهُ وَيُصدّ حِين يَلُمنَ عَنْ بُرحَائـــهِ

وبمهجتى ياعاذلى الملكُ الذى أسخطتُ كلَّ الناسِ في إرضائهِ [2]

فيتناول العُكبري البيتين بشرح سهل وميسر حتى يتمكن القارى من فهم المعنى في أسهل صورة فيقول :" إن الملام يشكو حرارة القلب فلا يصل إليه،فيرجع عن التعرض اشفافا أن يحترق.فيقول للوام لا أصل اليه وإنَّه يعرض عني لشدة مابه من برجاء الهوى، والمعنى :إن اللوم لايقدر على الوصول إلى القلب.." [3] ثم يصل إلى : المعنى فيقول " لم أسمع فيه عذلا،فقد عذلنى من هو أشد عذلا منك فعصيته، ولم آت غيره، ورضيت خدمته وأسخطت الخلق في رضاه..."[4]

ومن هنا نلمس أن الشارح قد يتطرق في شرحه إلى أكثرمن معنى، وقد يستغرق في الشرح ويستطرد إلى معان آخرى،ثم يرجح المعنى الذى هو أفضل كما أشرنا في البداية إلى ذلك،ولم يكتف الشارح بايضاح المعنى على هذه الصورالتى استعرضناها، بل إنه كان يهتم اهتماما بالغاً بالمعنى وإيضاحه، وذلك عن طريق استدعاء الأشباه والنظائرالتي تتوافق والمعنى الذى يقصده، مستخدماً

[1] التبيان في شرح الديوان : ج 1، ص 27

[2]نفسه،ج1،ص2

[3] نفسه : ج1،ص2

[4] نفسه : ج1،ص2

في ذلك استدعاء ماشابه من الشعرالمشروح حتى يتمكن المعنى من ذهن المتلقى أيما تمكن ومن ذلك شرحه لهذه الأبيات من قول المتنبي : (من الكامل)

القلبُ أعَلَمُ ياعذولَ بدائهِ   وَأحقُّ مِنْكَ بِجَفْنهِ وبِمائهِ [1]

فهو يقول : "القلب أعلم منك بما فيه من برح الهوى فهو يطلب شفاءه وهو أحق بالبكاء،وأنت تنهاه عنه والقلب يأمرالجفن بالبكاء طالبا بذلك شفاء ما فيه فهو أولى بذلك منك والبكاء فيه شفاء للقلب واستراحة وفيه نظر إلى قول امرئ القيس:

" و إنّ شفائي عَبْرَةٌ مُهراقةٌ "[2]

ثم يقول في شرح بيت آخر : (من الكامل)

أأَحبّهُ وأَحبُ فيهِ مَلاَمةً   إنَ المَلاَمةَ فيهِ مِنْ أَعْدائهِ [3]

فيتطرق لمعنى البيت فيقول :" لأ أجمع بين حبه وبين النهي عنه، يريد النهى عن حبه وقد ناقض قول أبي الشيص، وأين الثريا من الثريا في قوله : (من الكامل)

أَجْدُ المَلامَة فِي هَواكِ لَذيدةً   حُباً لذِكركِ فليْلمُني اللوُّمُ

ثم يستدل بقول الواحدى في شرح معنى البيت : يقول : قال الواحدى : المعنى أن صاحب الملامة، وهواللائم من أعداء هذا الحبيب، حيث ينهى عن حبه ومن أحب حبيبا عادى عدوه..."[4]

ثم في شرح بيت آخرللمتنبي : (من الكامل)

لاتَعْذرُالمُشْتاقَ فِي أشواقهِ   حَتىَّ يَكُونَ حَشاكَ فِي أَحْشائهِ

يقول : " المعنى : لاتكن عاذراً للمشتاق في شوقه حتى تجد مايجده فهذا معنى قوله "في إحشانه" يريد يكون قلبك في قلبه، أى تحب مثل مايحب

وهومن قول البحترى : (من الطويل)

إذا شِئتَ الأتعَذْل الدَّهَرعِاشِقاً   عَلىَ كَمدِ مِنْ لوْعةٍ البيْنِ فأَعْشَقِ [5]

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج1، ص3

[2] ديوان امرئ القيس،ص31،وتكملة البيت :" وهل عند رسم دارس من معول"

[3] التبيان في شرح الديوان، ج1،ص4

[4] نفسه : ج1،ص4

[5] ديوان البحترى، بدر الدين الحاضري، دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، ص 551.

وفي هذا البيت من قول المتنبي : (من الكامل)

يستأسرُ البطلَ الكميَّ بنظرةٍ   ويحولُ بين فؤادهِ وعزائهِ [1]

فينشد المعنى بقوله : "الهوى يستأسر البطل،من أول نظرة ينظرها إلى الحبيب فيملكه هواه،فلا يبقى له خلاص ولاصبر ولاتجلد،ولايسمع ولايبصر،وهومن قوله عليه الصلاة السلام " حبك الشيء يعمى ويصم " [2] ومعناه من قول جرير: (من البسيط)

يَصْرعَن ذا اللبِّ حَتَّى لاحِراكَ   بِه وَهنَّ أَضْعفُ خَلَقِ اللهِ إنْساناً[3]

فينشد إيراد معنى البيت للشواهد الشعرية ذات المعنى المطابق ثم استدعى ماشابه المعنى من حديث شريف أيضا :

ومن الشواهد على إيراد المعاني وإيضاحها وإيراد ما ينطبق عليها من الشواهد الشعرية الأخرى مايشابه هذا البيت من قول المتنبي : (من الكامل)

أمِنَ ازدْ يارِكِ في الدُّجى الرُّقباءُ   إذْ حَيْثُ كُنْتِ مِنَ الظَّلامِ ضِياءُ[4]

فيقول في معنى هذا البيت :" إن الرقباء قد أمنوا أن تزوريتى ليلا لأنك بدل من الضياء في الليل،لأن نورك يزيل الظلمة كما يزيلها نور الصبح وهو مأخود من قول أبى نواس : (من الطويل)

ترى حَيْثُ ما كُنْتِ مِنَ البيتِ مُشْرِقاً   وَمَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ مِنْ البّيتِ مَغْرِباً[5]

---

(1) التبيان في شرح الديوان،ج1،ص7

(2) ينظر كشف الخفاء ومزبل الالبامس عما اشتهر من الاحاديت على ألسنة الناس :عبد الحميد هندي المكتبة العصرية ــ لبنان 396/1، ينظر : الأشوار مرفوعة في الأخبار الموضوعة، المعروف بالموضوعيات الكبرى نور الدين علي بن محمد بن سلطان، المشهور بالملاء علي القارئ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن البسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى 1405هــ، 1985م حديث رقم (409) ص108.

" حبك الشيء يُعمى ويُصَمُّ) رواه أبو داود، كتاب الأدب،باب (126)والإمام أحمد في مسنده 194/5 وذكره ابن كثير في تفسيره 181/1، 47313، وقال فيه الملاء علي القارئ :رواه أبوداود وقد بالغ الصفائي فيه وحكم بالوضع عليه قال الشنماوي، ويكفينا سكوت أبى داود عليه، فليس بموضوع ولا شديد الضعف فهو حسن.

قلب " الكلام لملاء علي القارئ " وذكر الزركشي عن أبي الدرداد وقال " الوقف أبه وروي عن معاوية بن أبي شعبان، ولا يثبت، وسكت عليه السيوطي مع أنه ذكره في الجامع الصغير " وقال رواه أحمد البخاري في " تاريخه، وأبوداود عن أبي الدردار والخرائطي في "اعتلال القلوب عن أبي برزة رضى الله عنه وابن عساكر عن عبد الله بن أنيس،فالحديث أم رجح لذاته أو لغيره يرتقي عن درجة الحسن لذاته لكثرة رواته وقوة صفاته.

(3) ديوان حرير : تحقيق محمد ابن طه، ط3، ج1، دار المعارف دخائر العرب، ص 163.

(4) التبيان في شرح الديوان،ج1،ص 12

(5) ديوان أبى نواس، حققه أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان ص 22.

ومن تتبع لألفاظ اللغة وتقص معانيها عند المتنبي : (من البسيط)

بياض وجهٍ يُريكَ الشمسَ حَالكةً   ودرٌّ لفظٍ يُريكَ الدَّر مخشْلِبًا[1]

فكلمة مخشلبا يرأها الشراح بأنها لفظة معناها : الخزف،أو قطع الزجاج المكسر، أغلب الظن أنهم استقوا هذا المعنى من مقتضى المقابلة في البيت، بين الدر والمخشلب،ولم يستقوه من الألفاظ اللغوية الموثوق بها،هذا مانقله صاحب الوساطة عن النقاد.أن المتنبي عيب عليه كلمة مخشلبا، وأن ليس لها أصل عربي في اللغة، لكن العكبري يجاري هولاء النقاد ويؤكد على أن اللفظة نبطية وليست بعربية والمخشلب لغتان وليستا عربيتين :وإنما نجدهما لغتان للنبط، وهوخرزمن حجارة البحر وليست بدر [2] " والذى ذهب إليه العكبرى أن اللفظ نبطي ماورد في المعجم أن اللفظة معناها خرزٌ أبيض يشاكل اللؤلؤ يخرج من البحر،وهو أقل قيمة وقد أيده الواحدى على أنه خرز وليست الكلمة بعربية،ولكن استعملها على غير ماجرت به العادة،ويروى مشخلبا :وهما لغتان "[3]

ومما ورد من أخطاء في ديوان المتنبي أحصاها العكبرى ورد بها على المتنبي:

فلُقّين كُلُّ رُدينيةٍ وَمصبُوحهةٍ لبنُ الشائلِ [4]

يقول العكبرى : "وقد اختلط الأمرعلى الشاعر فاستعمل الشائل في مقام الشائلة أذ هى مقصودة لأنها ذات لين،بخلاف الشائل فإنها لالبن لها

وقد قال ذلك ابن جني قال أبو الفتح سألته عن هذا فقلت له :

الشائل لا لبن لها،وإنما لها بقية من لبن يقال لها الشائلة "بالهاء" :يقال أردت الهاء وحذفتها "[5]

ومما أخذه العكبري على المتنبي في قوله [6]: (من الوافر)

أحادُ أمْ سُداسُ فِي أحادٍ   ليُلَتنُاَ المَنُوطةِ بَالتَّنادِ [7]

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج1،ص113، مخشلبا : خرز من حجارة البحر.

[2] الواحدي : ج 1، ص242

[3] المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث،عبد الرحمن شعيب،ص58

[4] التبيان في شرح الديوان ج3،ص26

[5] المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث،ص61

[6] التبيان في شرح الديوان ج1،ص353

[7] نفسه : ج1،ص353

فيذكر العكبرى أن هذا البناء لايتوافق إلا إلى الأربعة،"والمشهور أن هذا البناء لايكون إلا إلى الأربعة، نحو أحاد وثناء وثلاث ورباع، وربما جاء في الشاذ الى عشار...[1]

ويؤيد ذلك صاحب لسان العرب فإنه يقطع " أن العرب وقفت بهذا الوزن عند كلمة رباع " [2]

أما أن الكلمة لا توجد في كلام العرب فقد أجاب المتنبي عنها بقوله : "إنه قد جاء عن العرب خماس وسداس إلى عشار، حكاه أبوعمر والشيباني، وابن السكيت وذكره أبو حاتم في كتاب الإبل "[3]

أما ابن جني فإنه يؤيد رواية المتنبي بقوله:" والمشهورعنهم أن هذاالبناء لايتجاوز الأربعة، نحو أحاد، وثناء، وثلاث، ورباع، ورأيت أبا حاتم قد حكى في كتاب الإبل أنه يقال أحاد إلى عشار"[4]

ثم إن كلمة سداس قد وردت في الشعرفي قول الشاعر : (من الوافر)

ضَرَبتْ خُماسَ ضربةً   عبْشمُي أَدارَ سدَاسَ ألاَّ يستَقْيما[5]

والاختلاف الذى نجم عن استعمال هذه الألفاظ أو الكلمات في غير مواضعها اللغوية، قد أدى إلى قياس وجهات نظر النقاد وعلماء اللغة، وهذا مما أفاد به المتنبي اللغة بالبحث والاطلاع، ويذهب أحد الباحثين فيقول :" والحق أن المتنبي عبّر عن نفسه هنا ماكان في غنى عنه، وأحوج نفسه، إلى تلمس روايات غير مشهورة عن العرب، ولم تسعد بكثرة الاستعمال ولو أنا في معرض يكتفي فيه مجرد السلامة اللغوية لهان الخطب، وخف الأمر، ولكن في مقام يتطلب في الالفاظ أمورا أبعد من الضروالسلامة، وهي مدار الجمال في الكلمات..."[6]

كذلك من الأخطاء التى أعدها العكبري على المتنبي قوله :

---

[1] التبيان في شرح الديوان :ج1، ص353

[2] لسان العرب : ج7،ص 347

[3] الوساطة : ص 339

[4] شرح أبن جني : ص 102

[5] الوساطة : ص 240

[6] المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث،ص 64

تُريدَين لقُيان المَعالي رَخيصةً ولابدُّ دوَنَ الشَّهدِ مِنْ إبرِالنحل[1]

نراه يقول :" والرواية المشهورة ولقيان بضم اللام وقد خطي أبوالطيب فيه" ويذهب أحد الباحثين أن المتنبي لغته في هذه اللفظة صحيحة لأن المعاجم نقلت اللقيان بضم اللام مصدرا للقى من لسان العرب.

"لقى فلانا فلانا ولقاءً بالمد.ولقيا ولقيانا،بالتشديد ولقيانا ولقياتان "[2]

ويستمرالباحث في قوله :" ولسنا ندري علام استند العكبري في هذا الحكم وإن كنا نقطع أن الكلمة موجودة واستعمال المتنبي لها صحيح على ماروته المعاجم " [3]

كما ينقل العكبري عن ابن القطاع غلط المتنبي في قوله :

العارضُ الهُتنُ ابنُ العاَرضِ الهُتنْ ابــ

ــنُ العَارضِ الهُتنْ ابنُ العَارضِ الهِتنِ[4]

يقول :" وقال ابن القطاع غلط المتنبي في هذا البيت، وكررغلطه أربع مرات، وقد أجمع العلماء أن اسم الفاعل من هتن هاتن، ولا جاء عن أحد من العلماء الهتن ولم يذكره أحد من جميع الرواة حتى نبهت عليه "[5]

ومما يلاحظ عنه أنه لم يستند في شرحه لشعرالمتنبي على الشواهد الشعرية من عصر بعينه، ولكنه كان يستدل بشواهد شعرية من مختلف العصور، وذلك حتى يتمكن في إيصال المعنى إلى المتلقي على أوجه مختلفة، ومتنوعة، فإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على سعة مخزونه اللغوى،وقدرته على إيراد الشواهد بمختلف أشكالها وأنواعها ومن ذلك شرحه لقول المتنبي : (من الوافر)

وهَانَ فما أبُالي بالرَّزايا لأَنّي ما انْتفَعتُ بأنْ أُبالي[6]

نراه يقول في معنى البيت :" لا أحفل بمصائب الدهر.لأنه لاينفع الحذر ولا المبالاة ".

---

[1] التبيان في شرح الديوان : ج3،ص 290

[2] نفسه،ج2،ص206

[3] المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث،ص67

[4] التبيان في شرح الديوان، ج4، 216

[5] نفسه : ج4، ص 217

[6] نفسه : ج3،ص 10

ثم يورد في شرح هذا البيت من قول المتنبي : (من الطويل)

غضِبْتُ لَهُ لمَّا رأَيتُ صفَاتِهِ   بلاِ واصَفٍ والشِّعرُ تَهذْى طمَاطمُه [1]

يقول في المعنى : " لما رأيت صفاته وهي كثيرة جليلة،غضبت لكثرثها بلا واصف من شعرائه الذين يمدحونه لقصورهم عن وصفها،فلما رأيت الشعراء مقصرين عن وصفها في المدح جئت إليه ليعلم مكانى في المدح... "

ثم يستدل بقول عنترة : (من الطويل)

تأوي لهُ قَلصُ النَّعامِ كمَا أَوتْ   خرق لأعجم يمانيةِ لأعم طَمِطِمِ[2]

ثم يقول كثير: (من الطويل)

ومُقْربةُ دُهَمٌ وكَمْتٌ كأنَّهـــا   طَماطُم يوُفونَ الوقَارَ عَنادلُ [3]

ب) الاستعانة بآراء الشرَّاح السابقين :

لقد وجدنا الشارح وهو يلح على تتبع المعاني يتكي على أراء من سبقوه من الشرَّاح.مناقشا لتلك الآراء ــ وأحيانا ــ يفاضل بينها، تأكيدا للمعنى وتقريبها للمتلقى سهلة سائغة ومن ذلك شرحه لهذا البيت من قول المتنبي : (من البسيط)

إنَّ المعين على الصبابة بالأ   سى أولى برحمةٍ ربهَا وإخائهِ [4]

يقول : قال الواحدى : يجوزأن يكون "على الصبابة" أى مع ما أنا فيه من الصبابة"

أى أعطانى مع ماكنت أقاسيه من الزمانة قائداً. ويكون المعنى : إن الذي يعين مع ما أنا فيه من الصبابة بايراد الحزن على باللوم أولى برحمتى... "[5]

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج3، ص341

[2] ديوان عنترة / ورد البيت في شرح القصائد التسع المشهورات،أحمد خطاب، تحقيق خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال،1977، ص 64

[3] ديوان كثير عزة / البيت لم نعثر عليه في ديوان كثير،جمع وشرح إحسان عباس /دار الثقافة ــ بيروت

[4] التبيان في شرح الديوان : ج1،ص5

[5] نفسه : ج1،ص5

وفي مثال آخر نراه يقول : (من الطويل)

إذا بُيِّتَ الأَعداءُ كَانَّ استِماعُهُمْ　　　صَرِيرَ العَوالي قَبْلُ قَقْعقةِ اللجَّمِ[1]

يقول : البيات : أن يطرق العدو ليلا، ومنه قوله تعالى :﴿ لنتبينه وأهله﴾ [2]
أى نطرق ليلا فنقتله. الصرير. والتعقعة: الأصوات

ثم ينثني في شرح البيت مستدلاً بآراء العلماء كابن جني يقول : قال ابن جني : يبادرإلى أخذ الرمح، فإن الحق إسراجه فرسه فذاك، وإلا ركبه عريانا، ويقول الواحدى: وهذا هذيان المبرسم والنائم، وكلام من لايعرف المعنى، والمعنى إذا أتاهم ليلا أخفى تدبيره ومكره،وتحفظ من قبل أن يفطن به، فيأخذهم على غفلة حتى يسمعوا صرير رماحه من ضلوعهم قبل أن يسمعوا أصوات اللحم متحركة في أحناك حيلة،وقال : ولم يعرف ابن دوست هذا إلاّنه قال في تفسيره: رماحه تصل إليهم قبل وصول خيله"[3]

ومن الأمثلة على ذلك أيضا قول المتنبي : (من المنسرح)

أُحقُّ عَافٍ يرَحْمكَ الهِمَمُ　　　أحْدثُ شَىءٍ عَهْداً بِهَا القِدمُ [4]

فمعنى هذا البيت : يشيرإلى أقوال العلماء في إيضاح المعانى فيورد رأى ابن جني فيقول : سألته عن معناه ؟ " فقال أحق ما صرفت منه إليه بكاءك همم الناس،لأنها قد تحقق ودرست،فصار أحدثها عهدا قديما ". وقال الخطيب : أحق عاف بأن يبكي عليه همم الكرام. لأنها قد عفت كما تعفو الربوع، فهى أحق بدمعك من كل الدارسات، وجعل القدم أحدث الأشياء عهدا بالهمم".

وقال الواحدي : أولى ذاهب دارس ببكائك الهمم التى قد درست وذهبت أي أنها أولى بالبكاء من الزمن والاطلال ثم ذكر قِدمَ وجودها بالمصراع الثانى فقال :

لاعهد لأحد بالهمم لأنَّ المحدثات تتأخر عن القدم وهذا كما تقول أحدث الناس عهدا بها آدم دل هذا على أنه عهد بها لأحد من الناس...[5]

---

(1) التبيان في شرح الديوان : ج1،،ص53

(2) سورة النمل، من الآية: 49.

(3) التبيان في شرح الديوان: ج4،ص54

(4) نفسه : ج4،ص58

(5) نفسه : ج4، 59

كما نراه في مثال آخر يعتمد على آراء غيره في تفسيرالبيت :

يُرْعيكَ سَمْعاً فيهِ استْمَاَعُ   إلى الدَّا عـــي وفيهِ عَنْ الخنا صَمَمُ [1]

يشير في إعراب البيت إلى قول أبى الفتح : أراد الداعى،فحدف الياء تخفيفا وقد رواه غيرأبى الفتح باثبات الباء وقد حذف القراء ياء الداعي في مواضع وأثبتوها في مواضع،أبوعمرو،وورش.عن نافع "الداعى" في: ﴿ دَعْوَةَ الدَّاع إِذا دَعانْ﴾[2] وفي سورة القمر: (يَدْعُ الدَّاعى)[3]

أثبتها وقفاً ووصلا البزري، وفي الوصل. نافع وأبو عمرو، وأثبتها وصلا أبوعمر وورش. أثبتها في الحالتين ابن كثير وحدف الجميع،الباقون وصلاو ووقفا إتباعاً للمصحف [4].

كما يستعين في مثال آخرباراء الشراح السابقين في قول المتنبي : (من البسيط)

كأنَّهُ زَادَ حتَّى فاَضَ مِنْ جَسَدى فصَاَر سقمي به في جَسْم كِتْماني[5]

يقول : السقم والُسقم : والحُزن لغتان،وقراءه حمزة وعليّ ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ [6] بضم الحاء.أما المعنى فيورد الواحدى: لم يعرف الشيخان معنى هذا البيت : فقال أبو الفتح : كأنه أي كأن الكتمان، ثم قال : وماعلمت أحدا ذكر استتار سقمه وأن الكتمان أخفاه غيرهذا الرجل. وقال ابن فورجة :

كأن كتمان في جسمي   فصار جسمى في كتمانس [7].

ثم يستغرق ويسهب في شرح البيت فيقول : وهذا مثل قول أبي الفتح : إنما ذكرت كلاهما ليعرف أنهما لم يقفا على معنى البيت. وأخطأ حيث جعلا الخبر عن الكتمان وأنا هوعن الحب كأن الحب زاد حتى لاأقدرعلى أمساكه وكتمانه.ثم فاض عن جسدي كما يفيض الماء إذا زاد مل الإناء[8].

---

[1] التبيان في شرح الديوان: ج4، 62

[2] سورة البقرة، من الأية : 186،

[3] سورة القمر من الآية: 6

[4] التبيان في شرح الديوان : ج4،ص 62

[5] انفسه، ج4، ص193

[6] سورة القصص، من الآية: 6.

[6] نفسه : ج4،ص 192

[7] نفسه : ج4، ص193

المبحث الثالث : النحو

يولي أبو البقاء العكبرى اهتماماً كبيراً بالجانب النحوي في شرح الشعر، وتفسيره، ولما للنحو من أهمية كبيرة في العملية التفسيرية لنصوص ديوان المتنبي ولإدراكه أن تحليل التراكيب عن طريق الإعراب لايقل أهمية عن تحليل المعانى اللغوية المتعددة للألفاظ المفردة تحت عملية الشرح، ومثلما ما ألمحنا سلفا أن العكبرى كان متمكنا من هذه المادة وسعة مخزونه اللغوى والنحوى مشهود له، كما أن مؤلفاته في علم اللغة والنحو خير دليل على ذلك. كما أن رغبته في إيجاد معارض لحشده العلمى والمعرفي هو الدافع وراء هذه الرغبة[1].

بيد أنه لايخل شرحه من وقفة نحوية قد تطول وقد تقصر، وقد تغوص وقد تطفو في كل قطعة من قطع الديوان، بل وفي كل بيت أحيانا،وقد أخذت هذه الوقفات أشكالا مختلفة ومتنوعة في معالجة مسائل النحوداخل هذه المقطوعات، ولا ننسى أن العكبري كان يتكي في شرحه لمسائل النحو على آراء غيره من العلماء الأجلاء كالواحدي وابن جني، وابن فورجة، والمبرد، وغيرهم من العلماء[2] حيث كان يورد آراهم ويمحصها ويغربلها، ويناقشها، فهو أحيانا يأخذ بها أو يردها، ومن استعراضنا لهذه المسائل التي تضمنها الشرح ندرك صحة ما أشرنا إليه في هذا المبحث، ويمكن للباحث أن يدرك جليّاً ما أولاه العكبري من جهد واهتمام للجانب النحوي، وبخاصة في بيان ماوعته ذاكرته من القواعد النحوية، التى ورثها عن أساتذته كما ألمحنا سلفا، وماحصل عليه من انكبابه الطويل على كتب النحو واللغة فجاءت ثمرة جهده واضحة في بسطه وتحليله لكثير من المسائل النحوية النظرية[3]، وتجلت أيضا في اهتماماته بالجانب التطبيقى المتعلق بتأويل أوجه الإعراب في كثيرمن النصوص الشعرية المشروحة، وحتى تتضح الرؤية أكثر سنعرض إلى طريقة العكبري في تحليله للمسئل النحوية، وفي بسط آرائه من خلال بعض النماذج من شرحه، حيث يقول في شرحه لقول المتنبي: (من الكامل)

---

[1] ينظر :ديوان المتنبي في العالم الغربى وعند المستشرقين ص27

[2] نفسه : ص27

[3] ينظر : المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، عبد الرحمن شعيب،ص 62

آمِنْ ازْديارِكِ في الدُّجى الرُّقباُء   إِذ حَيْثُ كُنِت مِنَ الظَّلامِ ضِياءُ[1]

يستعرض العكبرى شرح البيت بادئا فيه بالجانب النحوي فيقول :

" يروى : أنت من الظلام ضياء، فهنا نراه يتعرض لرواية البيت، ثم ينثنى في إعراب البيت فيقول : أنت من الظلام ضياء، مبتدأ وخبر: والرواية المشهورة "إذا حيث كنت"" فيكون ضياء ابتداء وخبره حيث، وتقديره الضياء حيث كنت مستقر، وهو العامل في "حيث" وإذ: ظرف للأمن، تقديره أمنوا ذاك : إذ كنت بهذه الصفة...[2]

ثم يتطرق لرأى الواحدي في إعراب البيت يقول : إن الواحدي يعرب ضياء ابتداء والخبر محذوف تقديره : ضياء هناك، "وكان" لاتحتاج إلى خبر لأنها في معنى حصلت ووقعت قال : ولم يفسر أحد هذا البيت بما فسرته. [3]

وفي عرضه لإعراب لفظه "كلتاهما" الواردة في بيت المتنبي : (من الكامل)

مُثْلتِ عَينْكِ في حشَايَ جراحةً   فُتشَابِهاً كلتْاهُما نَجْلاءُ[4]

يقول : "كلتاهما" في موضع نصب على الحال،تقديره : فتشابها نجلاون ويجوز أن يكون لا موقع لها كقوله تعالى : ﴿سيقولون ثلاثةُ رابعهمُ كلبهم﴾[5]فهذه جملة لاموضع لها ثم يتعرض إلى نقد كلمة وردت على غير موضعها الصحيح من الجانب اللغوي وهي "فتشابها" فيقول من حقه أن يكون "فتشابهتا" ولكن حمل الجراحة على الجرح والعين على العضو فقال : "تشابها" أى المذكوران أوالشيئان كقول زياد : (من الكامل)

إن السَّماحةَ والمروءَ ضُمِّنا قبراً   بِمَرْوٍ على الطَّريقِ الوَاضَحِ[6]

---

[1] التبيان في شرح الديوان : ج1،ص 12

[2] نفسه : ج1، ص12

[3] الواحدى : ج1،ص 294

[4] التبيان في شرح الديوان : ج1،ص 14

[5] سورة الكهف من الآية 22

[6] البيت لزياد الاعجم ورد في الشعروالشعراء 430/1،سمط اللالى،291/2، برواية إن الشجاعة

ذهب بالسماحة إلى السخاء وبالمرؤة إلى الكرم. ولم يقل "نجلاون" لأن لفظ "كلتا" واحد مؤنث كقوله تعالى : ﴿كلتْا الجنَّتَين أَتُتْ أَكُلْهَا﴾[1].

كما أنه في شاهد آخر يطيل الإعراب خدمة للمعانى : (من الطويل)

فَدَينْاكَ أَهْدى النّاس سَهمْاً إلى قَلبى   وأَقتْلهُمْ للدَّارعينَ بِلاحَرْبٍ[2]

فيقول :"... أهدى : اسم منادى باسقاط حرف النداء، أفعل : إذ كان للتفضيل، فبينه وبين أفعل التعجب مناسبه، وذلك أنه يقال هذا : أقول من هذا، وما أقوله له فتصح الواو في المثالين، ويمتنع أن يقال : هذا أحمرمن هذا،

أى أشد حمرته، كما يمتنع أن يقال ما أحمره. أى ماأشد حمرته، وفعل التعجب يبنى من ثلاثة أفعال ثلاثية..."[3]

هذه الإحالة التي أخذت منحى بعيدا في الإعراب كان يقصد منها أبو البقاء الوصول إلى هذا المعنى :

ثم نراه يورد هذا البيت ويتعرض لإعراب لفظه "خاضبيه" فيقول : (من المنسرح)

أَحسنُ ما يَخضْبُ الحديدُ بهِ   وخاضِبيهِ النجَّيعُ والغضَبُ [4]

يقول الشارح :" وخاضبيه : عطف على "ما" وجمع الخاضين جمع صحيح لأنه أراد من يعقل ومالايعقل كقوله تعالى ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه﴾ [5].

كأنه خلط الجمع وكنى بما يكنى به عن يفعل وذكرالغضب مجازا وأراد صاحبه ثم يذكررأى ابن فورجة : خفض "خاصيته" على القسم، أى وحق خاضبيه وجعل الغضب خضابا للحديد لأنه يخضبه بالدم، على سبيل التوسع وحسن ذلك لأن الغضب يحمرمنه الأنسان وهذا كقولك أحسن ما يخضب الخدود الحمرة

---

[1] سورة الكهف من الآية 32

[2] التبيان في شرح الديوان،ج1،ص47

[3] نفسه : ج1،ص 47، 48

[4] نفسه :ج1، ص 71.

[5] سورة النور الآية : 43،

والخجل، لأن الخجل يصبغ الخد كما نراه يتعرض لآراء غيره من العلماء ويقارن بينها وبين أوجه الإعراب المختلفة فيأخذ بأحسنها.

وذلك من قول المتنبي : (من الوافر)

وهَانَ فما أُبالى بالرَّزايا لأَنّى ما أَنتَفْعَتُ بأَنْ أُبالي

وهذَا أَولُّ النَّاعِينَ طُراَ لأَولِّ مَيْتهٍ في ذا الجَلالِ[1]

فيعرب:"...نصب" طراً" على الحال. ويجوزعلى المصدر،وقيل لبعض العلماء كيف أصبحت ؟ فقال : أحمد الله إليك طرة خلقه، وروى ابن جني : ميتة "بفتح الميم" أراد : ميتة فخفف،ومنه قوله تعالى : ﴿الأرضُ الميتةُ﴾[2]،وقد شددها نافع وخففها الباقون، وقد شددالباب كله نافع وحمزة وعلي، وحفص،إلا أن نافعا انفرد بثلاثة مواضع قوله ﴿ومن كان ميتا فأحييناه﴾[3] "في الانعام "والارض الميتة "في " يس" وفي " الحجرات ﴿"يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ [4]، فشدد الثلاثة...، وأنشد لسيبويه. (من الطويل)

نُعاءُ جِذَاماً غَيْرمَوْتٍ ولاقَتْلِ ولَكنَّ فِراقاً للدَّعائمِ والأَصْلِ[5]

ثم يورد راى ابن فورجة : يقول إن ابن فورجة روى "مِيتة" بكسر الميم في مثل قوله تعالى"حرمت عليكم الميتة "،وقال الواحدي لاوجه لما قال لأن أبا الطيب أراد أول الأموات ولم يرد أول الأحوال...[6]

ويلاحظ الباحث أنه على الرغم من أن الشارح كان يعتمد على ذكر آراء سابقيه من علماء النحو، كسيبويه، وابن جني، والواحدى، وابن فورجة، والأصمعى، فإنه كانت له ومضات كان فيها مخترعا مبدعا وموغلا في الإعراب وإعراباً آخر ومعنى، ولقد ألمحنا ذلك آنفا.

من ذلك ما أخذه على المتنبي من أخطاء نحوية منها النصب بأن المحذوفة، يتفق البصريون والكوفيون على أن هناك مواضع يجوز فيها النصب بأن مهموزة، وأخرى يجب فيها إضمار أن وإبقاء عملها.

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج2،ص 10

[2] سورة يس من الآية 32

[3] سورة الأنعام من الآية 123

[4] سورة الأنعام من الآية 67

[5] البيت للكميت ورد في الكتاب لسيبويه،ص332،ولسان العرب،89/12

[6] شرح الديوان : الواحدي،ج3،ص 11

كما يتفقان على أن حذف أن من الأسلوب ممكن،وهذا يحتم البصريون رفع الفعل لزوال سببه، والكوفيون يجيزون الرفع لأنه الأمثل أو النصب أو ورود السماع به عن العرب." مثل تسمع بالمعيدى خيرمن أن تراه، وخذ اللص قبل أن يأخذك "، أي أنهم يقيسون على هذين المثالين اللذين جعلهما البصريون أمثلة سماعية تحفظ ولايقاس عليها [1].

وورد عن المتنبي أبيات منصوبة بأن المحدوفة دون علة تجيزإضمارها أو توجيه حصرها العكبرى في الأبيات الآتية : (من البسيط)

تَوّقهُ فمَتَى ماشِئتَ تتْلُـــــوَه   فكُنْ مُعاديةُ أوكُنْ لهُ نَشَبا [2]

فتتلوه منصوب بإضمار أن [3] وقوله : (من البسيط)

وكُلمّاَ لَقى الدِّنيارُ صَاحِبَهُ في   مُلكهِ افْتَرقَا مَنْ قَبْلِ يصْطَحِبـــا[4]

"حذف النون من فعل الاثنين لأنه حذف أن وأعملها على مذهبه[5].

وقوله : (من الكامل)

بَيْضاءُ يمَنْعَها تَكلمُ دَلهْا   تيهاً يَمتّعها الحَياءُ تَمسَّيا [6]

أراد أن تتكلم وأن تميس فحذف أن وأعملها.

وقوله : (من الطويل)

و قَيَلُ يُرى مِنْ جُودهِ مارأَيتُه   ويسمَعَ فيه ماسَمِعْتَ من العدل

حيث نصب يرى ويسمع بأن المحذوفة[7] ويجعل العكبري من هذا القبيل قول المتنبي : (من الوافر)

أُحِّبكِ أَوْ يَقولوا جَرَّنَمْلٌ   ثَبيراً وابنُ إِبْراهيمَ رِيعَا

ويعقب العكبرى على البيت نقلا عن أبي الفتح :

---

[1] الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانبارى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد،ص 327،المكتبة العصرية ــ بيروت

[2] التبيان في شرح الديوان، ج1، ص 114

[3] نفسه،ج1،ص 75

[4] نفسه : ج1، ص75

[5] نفسه :ج1، ص76

[6] نفسه : ج1،ص40

[7] ينظر: المنتبي بن ناقدية، عبد الرحمن شعيب، ص، 75

" قال أبوالفتح إلى إن يقولوا فحذف أن وأعملها وهذا على مذهبنا"[1] فظاهر من هذه الأبيات،ومن تخريج العكبري لها وتعقيبه عليها بقوله نقلا عن أبى الفتح " حذف أن وأعملها وهذا على مذهبنا " أن المتنبي لم يتعسف بقواعد النحاة جملة، ولكنه احتذى مذهب قومه الذين عاشرهم... [2]

ويلاحظ أن العكبرى قد آخذ على المتنبي عدداًمن الأخطاء النحوية وذلك بأنه : عطف على ضمير الرفع المتصل، وقد جمع العكبرى من ذلك الشواهد الآتية : (من الوافر)

رَضيْنا والدُمْستُقُ غيرُ راضٍ   بما حكَمَ القَواضِبُ والوشيجُ [3]

فالدمستق عطف على الضميرالمرفوع المتصل برضينا ولايوجد بينهما فاصل، ويبدوأن الأمر قد التبس على العكبري في هذا المقام، فجعل الواو عاطفة والدمستق معطوف على الضميرالمتصل في رضينا، والحق أن البيت لايحتاج إلى هذا التاؤيل، وليست الواو هنا عاطفة، بل هي واو حالية والدمستق غير راضى مبتدأ وغير راضي خبره، أى جملة اسمية في محل نصب حال [4].

ومما أحصاه العكبرى من ذلك أيضا قوله : (من الطويل)

مضَى وَبنوهُ وأنفردْتَ بِفْضلِهِمْ   وألفُ إذا ما جُمِّعَتْ واحدْ فَرْدُ

فقد عطف بنوه على الضميرالمستترفي معنى [5]

وقوله : (من الطويل)

يباعِدْنَ حُبّا يجتمْعنَ ووَصْلهُ   فكَيَف بحُبِّ يَجتْمَعن وصَدَّهُ [6]

فوصله وصده معطوفان على الضمير يجتمعن من غير توكيد معقبا على كل هذا بقوله وهوجائزومنعه أهل البصرة[7]

---

[1] التبيان في شرح الديوان: ج4: ص 253

[2] ينظر: المنتبي بن ناقدية، عبد الرحمن شعيب، ص، 75

[3] التبيان في شرح الديوان : ج1: ص 239

[4] نفسه : ج1، ص 149

[5] ينظر : الحركة النقدية حول المتنبي، ليلي الشايب : ص 70

[6] التبيان في شرح الديوان، ج 2،343

[7] ينظر : المتنبي من ناقدية، عبد الرحمن شعيب،ص 75

ومن الأخطاء النحوية التى أخدها العكبرى على المتنبي منع صرف المنصرف ضرورة في قوله : (من الطويل)

إلى وَاحدٍ الدُّنيا إلى ابنِ مُحَمَّدٍ شُجاعُ الذَّي للهِ ثمَّ لهُ الفْصَلُ

قد منع كلمة شجاع من الصرف ضرورة وهوغيرجائزفي اللغة

وقوله : (من الوافر)

إلى البدرِ بنِ عَمّارِ الذى لَمْ يَكُنْ في غرّةِ الشَّهرِ الهِلالاَ

قد منع كلمة عمارمن الصرف ضرورة وهوغيرجائزفي اللغة أيضا[1]

وقوله : (من الطويل)

حَمتهُ عَلى الاعْداءِ مِنْ كُل جَانبِ سيوفُ بَنْى طَغْجِ بِن جَفِّ القَماقَمِ

حيث ترك صرف طغج وجف ضرورة

وقوله : (من الطويل)

وَحَمْدانُ حَمْدوَن وحَمْدونَ حَارِثُ وَحَارِثُ لقُمَانُ ولَقْمانُ رَاشِدُ

فقد ترك صرف حمدون وحارث ضرورة [2]

فإذارجعنا إلى هذه المسألة عند البصريين فإنهم لايجيزون ذلك مطلقا وأحتجوا لذلك بأن منع صرف المنصرف خروج عن الأصل في الاسماء بخلاف صرف غير المنصرف فإنه رجوع إلى الاصل فاحتمل للضرورة والخلاف في هذه المسألة بين البصريين والكوفيين، فالكوفيين والأخفش والفارسي أجازوا ذلك في الضرورة واختاره ابن مالك وابن هشام وقال : "هو الصحيح لكثره ماورد منه،وهومن تشبيه الأصول بالفروع "[3]

ومن هنا ندرك أن الشارح كان على علم وكفاءة عالية بعلوم النحو، ومأورده من أراء دقيقة تدل على أن الشارح كان على مذهب الكوفيين وفيما وافق فيه العكبرى أراء العلماء فيما أخذوه عن المتنبي من استعماله مالم يعرف عن العرب من ذلك قوله : (من الوافر)

---

(1) التبيان في شرح الديوان، ج1:ص 76

(2) نفسه، ج1:ص 76

(3) نفسه، ج1:ص 78

أُحادُ أَمْ سُداسُ في أُحادٍ   لُيْيلِتَنا المَنوطَةُ بالتَّنادِ [1]

فقد تعددت مآخد النقاد في هذا البيت وكثرت مناقشتهم فيه وتعرضوا فيه لوجوه من الطعن سنقتصر هنا على مايدخل في صميم البحث اللغوي دون ماعداها[2].

وأول ما أخذ عليه قول سداس فقد نقل صاحب الوساطة قولهم " إنها غيرمروية عن العرب.وانما ورد عنهم آحاد وثناء وثلاث ورباع وعشار وهذه من معدولات لا يتجاوز بها السماع ولا يستسيغ فيها القياس "[3]

ويعقب العكبرى على البيت يقوله :" والمشهور أن هذا البناء لايكون إلا إلى الاربعة. نحو آحاد وثناء وثلاث ورباع، وربما جاء في الشاذ إلى عشار "[4] أما صاحب لسان العرب فإنه يقطع " أن العرب وقفت بهذا الوزن عند كلمة رباع "[5]

كما ينقل العكبرى عن ابن القطاع غلط المتنبي في قوله : (من البسيط)

العارِضُ الهتُنِ بِن العارضِ الهتُنِ

بن العارضِ الهُتْن بن العارضِ الهتْنَ[6]

فيقول :" وقال ابن القطاع غلط المتنبي في هذا البيت، وكرر غلطه أربع مرات، وقد أجمع العلماء أن أسم الفاعل من هتن هاتن، وماجاء عن أحد من العلماء الهتن،لم يذكره آحد من جميع الرواة، حتى نبهت عليه "[7]

ومثلما ذكرنا أن العكبرى كان يتكى في أرائه النحوية على علماء أجلا في توضيح المسائل النحوية ومانشير إليه في شرح هذا البيت دليلا على ذلك:

(من الكامل)

شُيَمُ اللَّيالي أنْ تُشَكِكْ نَاقتَي   صَدْري بِهَا أَفْضَى أمْ البَيداءُ[8]

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج1،ص166

[2] نفسه : ج2، ص 59.

[3] الوساطة بين المتنبي وخصومه /ت،محمد أبو الفضل أبراهيم، ط عيسى السبابي الحلبي وشركاه، ص 25.

[4] التبيان في شرح الديوان، ج1،ص353

[5] لسان العرب لابن منظور، ج7،ص247

[6] نفسه : ج2،ص421

[7] نفسه : ج2،ص421

[8] نفسه : ج1،ص16

يقول: أن موضع خبر بالابتداء وصدرى يريد أصدرى حذفت همزة الاستفهام ضرورة ودل عليها قوله البيداء ثم يستند في ذلك إلى شاهد من شعرعمر ابن أبى ربيعة أورد سيبويه في الكتاب : (من الطويل)

فَوَاللهِ مَاأَدْرِى وإِنْ كُنَتَ دَارِيا   بسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أَمْ بِثَمانٍ

يريد: أبسبع، ثم يقول : كذا أنشد سيبويه، والبيت قد أستدل به سيبويه برواية أخرى : (من الطويل)

لعمرك ما أدرى وإن كنت داريا...

والشاهد في البيت حذف الهمزة لوجود قرينة دالة على معناها وتقديرالكلام " أبسبع " (1)

كما يورد على تأكيد المعنى بيتاً لأبى تمام :

ورَحْبُ صَدْرٍ لوْ أنْ وسَعهُ   كَوسْعةِ لمْ يَغتقُ مِنْ أهْلهِ بَلَدُ (2)

كما ينقل عن المعنى شاهداً آخر للبحترى :

كريمُ إذا ضَاقَ الزَّمانُ فإنهُ

يَضلُّ الفَضاءُ الرَّحبُ فِي صَدْرِهِ الرَّحبُ(3)

ونراه يتبع المعنى باسهاب فيقول : الكناية تقود على الناقة، وبعد ذلك يقف عند المعنى الأجدى : والقول الأول في البيت،وهورد الكناية إلى الليالى كذا قال الواحدى : " لم يشرحه أحد مثلى (4)

كما نراه في بيت آخر يولى أهتماما كبيراً بالنحو ويستشهد بلغة العرب في إعراب البيت ويتشهد باراء العلماء كسيبويه وذلك في قول المتنبي :

تَسلُّ بِفكْرٍفِي أبَيكَ فَإنِماَ   بَكيتُ فَكَانَ الضَحِكُ بَعْدَ قَرِيبُ (5)

---

(1) سيبويه :الكتاب،ج3، تعليق ووضع الفهارس،د.إميل يعقوب.دار الكتب العلمية.بيروت ــ لبنان، ص

(2) ديوان أبى تمام : ج1، ص243

(3) ديوان البحترى :ص 65.

(4) شرح الديوان : الواحدي،ج1،ص297

(5) نفسه، ج1، ص54 .

يقول الشارح بعد إيراد معانى الالفاظ الغريبة في البيت : أبيك "بفتح البا" : لغة، اثبته ابن جني،يريد : أبويك، وهى لغة صحيحة معروفة، يقول العرب : أب وأبان،وأبوين وأبين وأنشد سيبويه :

فَلمَا تَبْينَ أصوْاتِنَا   بَكْينَ وَفَدييننَاَ بالأبْينا [1]

ونراه يورد مثالا آخر يستند في أعرابه إلى سيبويه وذلك من قول المتنبي :

هَنيئاً لأهْلِ الثّغرِرأيك فِيهمُ وَأنِكَ حِزبُ اللهِ صرتَ لَهُمْ حِزبَا [2]

يقول في إعراب البيت :

" رايك : فاعل،فعله : "هنئا " وأصله : ثبت رأيك هنيئا لهم، حذف الفعل وأقيمت الحال مقامه فعملت فيه عمله،أنشد سيبويه : (من الطويل)

هَنيئاً لأربابِ البِيوتِ بِيوتُهم   وَلِلعَزبِ المسكينِ مَايَتَلمَسُ[3]

---

[1] البيت لزياد بن واصل السلمى في خزانة الادب،ج474/4،لسان العرب والكتاب لسيبويه 447

[2]التبيان في شرح الديوان،ج1،ص62

[3] البيت لأبى الفطريف الهرادى،ج318/1، بدون قائل.

المطلب الاول

أ) موقف العكبري في شرحه عند بعض الظواهر اللغوية في شعر المتنبي : منها :

ظواهر لغوية ظهرت في شعر المتني :

1- التغيير في بنية الكلمة في مثل قوله :[1] (من الطويل)

فأرحْم شَعرَ يتّحِلْنّ لَدُنَّهُ   وأرحامُ مالٍ لا تني تنقطعُ

قال أبو الفتح : " قوله " لَدُنّه " فيه قبح وشناعة، وهو ليس معروفاً في كلام العرب، وليس يشدد إلا إذا كان فيه نون أخرى، نحو لدُنيِّ، ولَدُنّا "[2]، وقد عد شارح التبيان قول ابن جنى متناقضاً، فهو لم يأت بجديد " فكلما يقال لدنّهُ بحمل أحد الضميرين على الآخر "[3] وقال الجرجاني : " فأما تشديد النون فغير معروف في لغة العرب، وقد كان أبو الطيب خوطب في ذلك فجعل مكان لدنَّهُ ببابه "[4] ونقل الجرجاني عذر المتنبي لنفسه، حيث قال : " قد يجوز للشاعر من الكلام مال يجوز لغيره لا للاظطرار إليه،ولكن للاتساع فيه، واتفاق أهله عليه، فيحذفون ويزيدون "[5]

وقد رفض شعيب مجيء كلمة " لَدُنَّهُ" في قول المتنبي لأن اللغة كما يقول : " لا تثبت بدليل منطقي، ولا بقياس عقلي، والدليل الذي لا يصل إليه الشك في هذا المجال هو السماع، وما دام العرب لم ينطقوا بها مشددة وبخاصة إذا وردت في الفصيح غير مشددة في أكثر من موضع من مواضع اتصالها بضمير الغيبة "[6] وقد وردت في القرآن الكريم غير مشددة، وهي ظرف بمعنى عند، قال تعالى :" وإنك لتلقى القرآن من لَدُن حكيم عليم "[7] وقال تعالى : " وهَبْ لنا من لَدُنْك

---

[1] التبيان في شرح الديوان : 240/2.

[2] نفسه: 240/2.

[3] نفسه : 240/2.

[4] الوساطة، ص 450.

[5] نفسه، ص 450.

[6] المتنبي بين ناقديه، ص 58.

[7] النمل : من الآية 6.

رحمة"[1] قال أبو جعفر النحاس : " لدن بمعنى عند إلا أنها مبنية غير معربة " [2]

ومثل قوله :[3] (من الهزج)

شَدِيدُ البُعدِ مِنْ شُربِ الشَّمولِ   تُرُنج الهندِ أو طلعُ النَّخِيلِ

لم يعجب شارح التبيان استخدام المتنبي لفظة " تـرنج" وخروجها على الفصيح، فاللغة الفصيحة عنده هي : " أتْرُج " وواحدها " أُتُرجَّـةُ " وقد عدها الجرجاني مما أُخذ على المتنبي بخروجه عن مألوف ما عند العرب، وذكر أن المشهور عند العرب " ألا ترج " و " الترنج" مما يغلط به العامة "[4] ونقل لنا دفاع أبي الطيب عن نفسه، فقال أبو الطيب : " يقال أترجّه " وأترج، وترنج، حكاها أبو زيد، وذكرها ابن السكيت في أدب الكاتب "[5] واحتج الصاحب بن عباد على استخدام هذه الكلمة[6]، مثلما احتج الثعالبي، يقول : " والمعروف عن العرب ألا ترج، والترنج مما يغلط بها العامة "[7] وقد أشار سيبويه إلى الكلمة وعدها مما يأتي على وزن أفْعُلة، وهو قليل[8]، وأرى أنه لا يضير المتنبي أن يستخدم كلمة استخدمتها العامة، فاللغة تكتسب دلالتها بالاستعمال، فلغتنا العربية هي لغة المخاطبات اليوميّة، ولغة العشاق، ولغة الألم، ولا يبقى إلا أن نسخرها لخدمة أغراضنا وتجاربنا، وهذا دليل على صدق الإحساس عند الشاعر، ويعد من الجسارة العربية التي تعني أن يستعمل الشاعر ألفاظاً دارجة بين الناس في شعره، بمنحها دلالات واسعة، ويهدف فيها إلى إيضاح الصور وتقريبها إلى الأذهان.

---

(1) آل عمران : الآية (8)

(2) إعراب القرآن :تحقيق : زهير زاهر، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، بلا 198/3، وأنظر أبي البقاء العكبري : إعراب الحديث النبوي، تحقيق : عبد الإله بنهان، دار الفكر، بيروت ص 316... وأنظر ابن يعيش : شرح المفصل :100/4.

(3) التبيان في شرح الديوان : 90/3.

(4) الوساطة، ص 470.

(5) نفسه، ص 470.

(6) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي،تحقيق : الشيخ محمد حسن آل يس، مكتبة النهضة، بغداد 1965 إبراهيم الدسوقي الباطي، دار المعارف، مصر 1961م ص 53.

(7) اليتيمة، تحقيق : مفيدة قمحية، ط دار الكتب العلمية، بيروت، 72، 193/1.

(8) الكتاب : 247/4.

2- استعماله لبعض الاشتقاقات غير المألوفة عند العرب:

أ- جمع أروض في قوله :[1] (من الوافر)

أُروضُ النَّاسِ مِنْ تُربٍ وخوفٍ وأرضُ أبي شُجاعٍ من أمانِ

قال أبو الفتح " صرح سيبويه أن العرب امتنعت عن تكسير " أرض " استغناء بقولهم أرضات وأرَضون (بفتح الراء) كما قالوا سنون، فألزموهما ضرب من التغيير، على أنهما جمعاً على أبنية لم تكن لهما في الأصل "[2] وقال الواحدي : " فأروض هي جمع قياس لا سماع "[3] وقد ذكر هذه الكلمة أبو زيد " وحكى في جمع أرض أروض "[4] وذكرها لسان العرب[5] أيضاً، فقياس أروض صحيح، لكن المتنبي التقطه من أحد كتب اللغة.

ب- جمع فريص في قوله :[6] (من الكامل)

أَسَدٌ دَمُ الأسد الهِزَبْرِ خِضابُهُ مَوتٌ فريص الموتِ منه يَرْعَدُ

قال صاحب التبيان : فريص جمع فريصة، وهي لمحات عند الكتف تضطرب عند الخوف[7]، وقد انتقد الحاتمي المتنبي لأنه جمع هذا الجمع، والوجه – عنده – أن يجمع فريصة على فرائص [8]، والحقيقة أن الحاتمي قد جانب الحقيقة، وتجنى على المتنبي عندما أخذ عليه هذا المأخذ، والجمع " فريص" معروف ذكر في التبيان[9]، ومثلما ذكر في لسان العرب الذي ورد فيه " الفريصة..." وقيل جمعها فريص وفرائص "[10]

---

(1) التبيان في شرح الديوان : 258/4.

(2) نفسه : 258/4.

(3) الواحدي، ص 770.

(4) التبيان في شرح الديوان : 258/4.

(5) باب الضاد فصل الهمزة.

(6) التبيان في شرح الديوان : 334/1.

(7) نفسه : 334/1.

(8) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي،وساقط شعره، تحقيق :د. محمد يوسف نجم،دار صادر بيروت، 1965، ص 73.

(9) التبيان في شرح الديوان : 334/1.

(10) باب الصاد فصل الفاء.

ج- جمع " لقيان " في قوله :[1] (من الطويل)

تُريدينَ لقيانَ المعالي رَخِيصةً   وَلا بُدَّ دَونَ الشَّهدِ مِنْ إبرِ النَّحلِ

قال صاحب التبيان : " الرواية المشهورة لقيان (بضم الميم)،وقد خُطِّــىء أبو الطيب فيه[2]، لكن الشاعر لم يخطىء، وقد استعمل ما هو موجود في اللغــة، لكنه غير مألوف، وقد ذكر هذه الكلمة ابن منظور، وقال : " ولقي فــلان فلانــا لقاءً... ولُقياً، و لُقْياً... ولُقياناً، ولِقياناً.[3]

د- جمع بوقات في قوله :[4] (من الطويل)

إذا كان بَعْضُ النَّاسِ سيفاً لِدَولةٍ   فَفي النَّاسِ بُوقَاتُ لهَا وطبولُ

قال أبو الفتح : " عاب عليه من لا مخبرة له بكلام العــرب جمــع بــوق، والقياس يعضده، إذ له نظائر كثيرة، مثل حمام وحمامات، وسرادق وســرادقات، وجواب وجوابات [5]، وأشار الجرجاني إلى ما أشار إليه أبو الفتح، وأطــال فــي التفصيل، وأيد ما جاء به أبو الفتح [6]، وعندما سئل أبو الطيب عن هــذه الكلمــة فقال : " هذا الاسم مولد لم يسمع واحده إلا هكذا، ولا جمعه بغير التاء، وإنما مثل حمام وحمامات وسائر ما جمعوه من المذكر بالتاء "[7] فالمتنبي ردَّناً إلى السماع، ويجوز أنه سمعها من خلال تجواله في البوادي والحضر، وإذا حصل السماع من عربي فصيح لم يلتفت إلى القياس[8]، وإننا " لا نستطيع التمسك بالقوانين القياسية عند ورود السماع عن العرب، لأنها مقاييس ترشدنا إلى وجه الحــق عنــد فقــد السماع،فإن وردت الكلمة سماعية آمنا بها،واتبعناها واستعملناها، وإن خالفت مــا يقتضيه القياس "[9] فالكلمة لم ترد في الصحاح، ولا في اللسان، ولا فــي التــاج،

---

(1) التبيان في شرح الديوان : 290/3.

(2) نفسه : 290/3.

(3) باب الياء، فصل اللام.

(4) التبيان في شرح الديوان : 108/3.

(5) نفسه : 108/3.

(6) الوساطة، ص 443.

(7) نفسه، ص 444.

(8) الفسر : 75/2، رأي للوحيد الأزدي

(9) المتنبي بين ناقديه، ص 65.

لكنها موجودة في المصباح المنير قال مؤلفه : البوق وجمعه بوقـات وبيقـات[1]، ووردت في محيط المحيط، وذكر أن البوق جمعها أبواق، وبيقات وبوقات.[2]

كل هذا يؤكد أن المتنبي لا يعاب على استخدامه هذه الكلمة، وهي موجودة، وقد ذكرها – كما بينت – غير واحد مع أننا نقع عليهـا فـي معجمـات اللغـة المشهورة.

هـ– استعماله " هتن " على أنها اسم فاعل في قوله :[3] (من البسيط)

العارضُ الهتُنْ بن العارِضِ الهُتنْ بِن العارضِ الهِتُنْ بِن العارضِ الهَتِنْ

قال ابن القطاع : " غلط المتنبي في هذا، وكرر غلطه أربع مـرات، وقـد أجمع العلماء على أن اسم الفاعل من هتن هاتن، وما جاء عن أحد العلماء الهَتِن، ولم يذكره أحد من الرواة حتى نبهت عليه "[4] وحقيقة الأمر أنني لم أقع على هذه اللفظة في الصحاح[5]، ولا في لسان العرب[6]، ولا في القاموس، المحيط [7]، فلم يذكر هؤلاء هذه الكلمة، لكن عبد الرحمن شعيب ذكر أنه وجدها في كتاب منـار المسالك [8]، وقد أشار إلى ما أشرت إليه[9]، وقال و " لفظ هتن بوزن فعل إحدى صيغ المبالغة المشهورة التي يؤتى بها للدلالة على أن الموصوف مكثر من فعـل مدلولها "[10]

---

[1] المتنبي بين ناقديه، ص 26.

[2] نفسه، 61.

[3] التبيان في شرح الديوان : 217/4.

[4] نفسه : 217/4.

[5] للجوهري : 2216/6.

[6] مادة : هتن : باب النون، فصل الهاء.

[7] نفسه.

[8] المتنبي بين ناقديه، ص 66.

[9] المرجع نفسه، ص 66.

[10] المرجع نفسه، ص 66.

و- استعمال شاذ التصغير في أنيسيان في قوله :[(1)] (من الوافر)

وكان ابنا عدوٍّ كاثَرايهُ   له ياءيْ حروف أنيسيانِ

ومعناه : " إن عدُّوك الذي له ولدان، وكاثر بهما، كياءين زائدتين في أنيسيان، لأنه إذا كان مكبراً كان خمسة أحرف، فإذا صغُر زيد فيه ياءان في عدده، ونقص في معناه وفخره، فهما زائدتان في نقصه "[(2)] وأنيسيان : تصغير إنسان، وهو أكثر حروفاً من مكبرة[(3)]، لكن تلك الكثرة مشعرة بقلة، فلا غناء لهذه الزيادة التي فيه لما يلحقه من التصغير، ونقيضه التحقير[(4)]، فالياء الأولى جاءت للتصغير، والثانية لا تأتي إلا مع ياء التصغير، وهي تدل أيضاً على التصغير، ويقول ابن سيدة : " ولم أعن أن ياء (أنيسيان) الأخيرة من جوهر التصغير، كيف ذلك وهذه الياء خامسة، أعني ياء (أنيسيان) الأخيرة وياء التصغير لا تكون أبداً إلا ثالثة و (أنيسيان) من شاذ التصغير[(5)]، وقال سيبويه : " ومما يحقّر على غير بناء مكبره المستعمل في الكلام إنسان تقول أنيسيان "[(6)]

ز- ومما عابه عليه قول سداس في قوله :[(7)] (من الوافر)

أحَادُ أم سداسَ فِي أحادٍ   لُييلَتُنَا المَنوطةُ بالتنادِ

قال شارح التبيان : " والمشهور أن هذا البيت لا يكون إلا إلى الأربعة، نحو أحاد، وثناء، وثلاث، ورباع، وجاء في الشاذ إلى عشار، وأنشدوا للكميت.[(8)]

(من المتقارب)

فلمْ يسترِ يَثوك حَتى رَمَيْـــ   ـــتُ فوق الرجال خِصَالاً عِشارا

---

(1) التبيان في شرح الديوان : 261/4.

(2) نفسه : 261/4.

(3) شرح المشكل من شعر المتنبي، ص 330.

(4) نفسه، ص 330.

(5) شرح المشكل من شعر المتنبي، ص 330.

(6) الكتاب : 353/1.

(7) التبيان في شرح الديوان : 191/1.

(8) ديوان الكميت 191/1.جمع وتقديم ــ داود سلوم مكتبة الاندلس، بغداد،1969.

وقال صاحب الوساطة : " ورد عنهم – يقصد العـرب – أحـاد، وثنـاء، وثلاث، ورباع، وعشار، وهذه معدولات لا يتجاوز بها السماع، ولا يسّوغ فيهـا القياس "[1]، ولكن المتنبي أكد وجود هذه الألفاظ – أقصد خماس وسـداس إلـى عشار – عند العرب يقول : " جاء عن العرب خماس وسداس إلى عشار، حكـاه أبو عمرو الشيباني، وابن السكيت، وذكره أبو حاتم في كتابه الإبـل[2]، فالكلمـة موجودة عند العرب واستخدام المتنبي لها لا يعد عيباً.

كما لاحظ عليه استخدام راء مقلوبة عن رأي في قوله :[3] (من الكامل)

لاَ خَلْقُ أسمحُ مِنْكَ إلا عارفٌ   بك راءَ نَفِسكَ لمْ يَقُلْ لكَ هاتِها

يقول ابن سيدة : " وراء مقلوبة عن رأى وبذلك على أن راء مقلوبـة عـن رأى أنه يأت لها مصدر، إذ الأفعال المقلوبة لا مصادر لهـا عنـد سـيبويه، ولا أعرف أحد خالفه، ولو كان راء لغة في رأيته لكان لها مصدر "[4]، وأكد أبو زيد أن قوماً من العرب يؤخرون الهمزة في " رأى" و " نأى" فيقولون راء، ونـاء[5]، فلغة أبي الطيب صحيحة، مستخدمة.

اهتمامه باللهجات واستخدامه لغة غير مألوفة، من مثل :[6] (من الطويل)

تسلّ بفكرٍ في أبيك فإنما   بكيتَ فكان الضحكُ بعدَ قَريبُ

يقول ابن جنى : " ثنيّ أباك " على أبيك وهي لغة معروفـة عنـده، تقـول العرب أب وأبان أو أبين وأبون "[7] قول الشاعر الجاهلي[8] شاهداً على هذه الكلمة في قوله :[9] (من المتقارب)

فلما تبيَّنَّ أصواتَنا   بلَيْنَ وفدَّينَنَا بالأبينا

---

[1] الوساطة، ص 99.
[2] نفسه، ص 457.
[3] التبيان في شرح الديوان : 232/1.
[4] شرح المشكل، ص 175.
[5] النوادر، ص 224.
[6] التبيان في شرح الديوان : 54/1.
[7] الفسر : 153/1.
[8] نفسه : 153/1.
[9] هو زياد بن واصل السلمي، من شعراء بني سليم، أنظر الخزانة 478/4.

ونقل عن ثعلب قوله : يقال هذا أبوك، وهذا أباك، وهذا أبك ثلاث لغـــات، فمن قال : هذا أبك، قال هذان أباك، وأب، أبان، ويجوز فيـــه أبـــوان[1]، وقـــال الجوهري : " وبعض العرب يقول أبانِ على النقص وفي الإضـــافة أبْيـــك، وإذا جمعت بالواو والنون قلت أبون "[2]

ومثله :[3] (من الوافر)

وَلَيْسَ مَصَيرَهُنَّ إليَك شَيَئاً ولا في صَوْنِهنَّ لدَيك عابُ

يقول ابن جنى: " العيب والعاب واحد "[4]، واستشهد ابن جنى بقول الشاعر:

أنا الرَّجلُ الذّي قَدْ عبتْمُوُه وَمَا فِيكُم لعيّاب مُعابُ

وقد ذكر أبو زيد هذه الكلمة، وقال : " والعاب والعيب لغتـــان "[5]، وقـــال بعض العرب : أن الرجز لَعابٌ أي لعيب "[6] وذكرها ابن منضور وقال : " هـــي لغة في العيب "[7]، وهي عنده من النوادر[8]، ومثله قوله :[9] (من الوافر)

أيفْطمُه التَّورابُ قَبْلَ فِطامهِ وَيأكلُه قَبْلَ البُلوغِ إلى الأكلِ

قال صاحب التبيان : " والتارب لغة في التراب، وفيـــه لغـــات : تـــراب، وتوراب، وتورب، وتيرب، وترب، وتربة، وترباء، وتيراب، وتريـــب، وجمـــع التراب : أتربة، وتُربان والتَّرباء : الأرض نفسها "[10] وذكره ســـيبويه وقـــال " تورب : اسم للتراب، وهو قليل "[11] ومثله قوله :[12] (من الكامل)

لَو لمْ تَكْن مِن ذَا الورى اللَّذْ منك هُمه عقمت بمولد نَسْلِها حواءُ

---

[1] البيت في الكتاب : 406/3.
[2] الصحاح، باب الواو : 2260/6.
[3] التبيان في شرح الديوان : 79/1.
[4] الفسر : 196/1.
[5] النوادر، باب الشعر، ص 146.
[6] نفسه، ص 146.
[7] لسان العرب، باب الباء، فصل اللام.
[8] نفسه، باب الباء، فصل اللام.
[9] التبيان في شرح الديوان : 50/3.
[10] نفسه : 50/3.
[11] الكتاب : 260/4.
[12] التبيان في شرح الديوان : 31/1.

قال ابن جنى : " وقوله اللذ بسكون الذال وكسرها في لغة، يقال : الذي بتشديد الذال "[1] ونقل قول الشاعر :[2] (من البسيط)

اللَّذ بأسفِلهِ صحراءُ واسعة   واللّذ بأعلاه سيلٌ مده الحرفُ[3]

ومثل قوله :[4] (من الطويل)

أهذا اللذياّ بنتِ وردانَ بِنتهُ   هما الطالبان الرِّزقَ مِنْ شَّرِ مَطْلبِ

قال ابن جنى : " اللذيا تصغير الذي، وهي لغة مستعملة "[5]

---

(1) الفسر : 107/1.

(2) نفسه : 107/1.

(3) الحرف من كل شيء : ناحية، كحرف الجبل والنهر.

(4) التبيان في شرح الديوان : 219/1.

(5) الفسر : 108/2.

المطلب الثاني : من الظواهر النحوية التي وقف عندها في شعر المتنبي :-

1- نداء ما فيه " أل" في قوله :[1] (من الخفيف)

واليمانيّ الذي لو استَطعْتُ كانت مُقْلَتيٍّ غِمدهُ من الإعزازِ

يقول صاحب التبيان : " بأن اليماني في موضع نصب بالنداء فكأنهُ قال : " يامزيلُ الظلام، ويا اليماني، وهو جائز عند الكوفيين أن ينادي ما فيه التعريــف، فتقول : يا الرجل، يا الغلام، وحجتهم في ذلك ما جاء من أشعار العرب وكلامهم، قال الشاعر : (من السريع)

فيا الغُلامانِ اللَّذانِ فرّا إياكُمَا أنْ تكْسِباني شرّاً

وقول الآخر : (من الوافر)

فديتك يا التي تيمتِ قلبي وأنتِ بخيلة بالوصلِ عني

ومن كلام العرب قولهم : يا ألله، والألف واللام فيه زائدتان "[2] وقد رفض البصريون ما جاء به الكوفيون، وحجتهم في ذلــك أن الــلام والألــف تجيئــان للتعريف، وحرف النداء يفيد التعريف، ولا يجوز أن يجتمع تعريفان فــي كلمــة واحدةٍ[3]، يقول سيبويه : " وأعلم أنه لا يجوز لك أن تنادي أسماً فيه الألف واللام البته إلاَّ أنهم قالوا : يا ألله أغفر لنا، وذلك من قبل أنه اسم يلزمه الألف واللام لا يفارقانه، وكثر في كلامهم فصار كأن الآلف واللام فيه بمنزلة الألف واللام التــي في نفس الحروف "[4]

2- استعمال اسم التفضيل على غير ما هو شائع في قوله :[5] (من البسيط)

أَبَعْدَ بَعِدْتَ لا بياض لهُ لأَنَتَ أسودُ فِي عينيّ مِنْ الظُلَمِ

---

(1) التبيان في شرح الديوان : 175/2 واليماني معطوف على البيت السابق

يا مزيل الظلام عني وروضتي يوم شربي ومعقلي في البزار

البزار : الصحراء الواسعة.

(2) نفسه : 175/2.

(3) نفسه : 175/2، وأنظر الإنصاف مسألة (46 335/1.

(4) الكتاب : 195/2، وأنظر شرح ابن عقيل : 264/2.

(5) التبيان في شرح الديوان : 35/4.

وقد ذكر صاحب التبيان أن الشاعر صاغ أفعل التفضيل من اللون وهذا غير جائز عند البصريين[1] يقول ابن جنى وهو بصري : " لا يقال أسود من كذا، لأن الألوان فى يبنى منها فعل التفضيل " وفعل التعجب "[2] وأجاز الكوفيون قولهم " ما أسود شعره " " وما أبيض شعره "واحتجوا على ذلك بالنقل والقياس "[3] أما النقـل فقد استشهد بقول طرفة بن العبد :[4] (من البسيط)

وإِذا الرَّجالُ شَتْوا واشتد أُكلهُم فأنت أبيضهُمِ سربالِ طبّاخِ

فوجه الاحتجاج أنه قال : " و " أفعل به " لأنهما بمنزلة واحدة، فقد اشـتق أفعل التفضيل " أبيضهم " من البياض، وهذا جائز عند الكوفيين لكن البصـريون يرفضون هذا الاشتقاق وحجتهم في منع صوخ أفعل التفضيل، وصيغتي التعجـب من الألوان أن الألوان من المعاني اللازمة التي تشبه أن تكون خلقة كاليد والرّجل، وهي أيضاً أي أفعال الألوان ليست ثلاثية مجردة.[5]

3- ترخيم الأسم الثلاثي في قوله :[6] (من الطويل)

أجِدَّكَ ما تنفك عانٍ تفكُّهُ عُمَ بن سليمانِ ومالا تقسِّمُ[7]

قال الواحدي : "وعم" ترخيم عم، وهو لحن، لأن الاسم الثلاثـي لا يجـوز ترخيمه لأنه على أقل الأصول عدداً،فترخيمه إجحاف به،وإنما يجيزه الكوفيون"[8]

ونقل العكبري عن أبي الفتح قوله : إن " عم " ترخيم عمر على رأي أهـل الكوفة، وهو لحن عند البصريين.

---

(1) التبيان في شرح الديوان : 35/4.

(2) نفسه : 35/4.

(3) الإنصاف في مسائل الخلاف (6) 149/1 وما بعدها وأنظر التبيان في شرح الديوان : 35/4.

(4) ديوان طرفة بن العبد، ص 147، وجاء في رواية أخرى بعليق وتقديم سيف الدولة الكاتب وأحمد عصام الكاتب، ص 37:

أما الملوك فأنت اليوم الأمهم لوماً وأبيضهم سربال طباخ

(5) الإنصاف : المسألة (16) 149/1 وما بعدها.

(6) التبيان في شرح الديوان : 90/4.

(7) العاني : الأسير، ومعناه : ما تبرح تفك أسيراً، وتقسم مالاً.

(8) شرح الواحدي : ج1 /181.

لقد أجاز أهل ترخيم الثلاثي من الأسماء، إذا كان متحرك الوسط "كعمر" و " زفر " ولا يجوز الترخيم في الاسم الثلاثي الساكن الوسط " كزيد " لأنه حذف الأخير وجب حذف الساكن فيبقى على حرف واحد، وذلك لا نظير له، بخلاف ما إذا كان متحرك الوسط.[1]

4- ترخيم المضاف إليه في قوله :[2] (من الكامل)

مهلاً ألا لله ما صنع القنا　　في عمرو حاب وضبَّة الأغتام

قال الواحدي : " أراد عمرو بن حابس، فرخم المضاف إليه، وذلك غير جائز لأن الترخيم " حذف " يلحق أواخر الأسماء في النداء تخفيفاً والكوفيون يجيزونه في غير النداء "[3] وهذا رأي ابن جنى [4].

5- حذف أن الناصبة :

ومن المسائل التي أشار إليها العكبري في شرحه والتي اختلف حولها اللغويين حذف أن الناصبة، فالكوفيون يرون أن " أن " تعمل ولو حذفت، بينما يرى البصريون أنها لا تعمل إن حذفت [5]، وقد احتج الكوفيون بما جاء في أشعار العرب كقول طرفة :[6] (من الطويل)

ألاأُ بهذا الزّاجري أحضرُ الوغى　　وأن أشْهدِ اللذاتِ هَلْ أنتَ مُخلدي

ومن الأمثلة كذلك :[7] (من الطويل)

وقبل يُرى مِن جودِهِ ما رأيتهُ　　ويسمحُ فيه ما سمعتُ من العدلِ

قال الشارح : " أراد قبل أن يرى " فحذفها وأعملها "[8]

ومثله قوله :[9] (من البسيط)

تَوْقهُ فَمتَى مَا شئتَ تبلوهُ　　فكنْ معاديهِ أو كُنْ لَهُ نشبـــا

---

[1] التبيان في شرح الديوان : 90/4 ونقل عن الإنصاف المسألة (49) 356/1 وما بعدها

[2] التبيان في شرح الديوان : 11/4 الأغتام : وصف توصف به الأغبياء، عمرو صاب من بني أسد وبنوضبة من تميم.

[3] شرح الواحدي، ص 592.

[4] نفسه، ص 592.

[5] الإنصاف : مسألة (77) 563/2 أنظر التبيان في شرح الديوان 114/1.

[6] ديوان طرفة، ص 31.

[7] التبيان في شرح الديوان : 50/3.

[8] نفسه : 50/3.

[9] نفسه : 114/1.

قال ابن جنى : " نصب" "تبلوه" بأن مضمرة، والتقدير " أن تبلوه" فحذفها بعد أن قدرها ظاهرة وبقى عملها بحاله "[1]

وقوله :[2] (من البسيط)

وكُلمَا لقي الدِّينارُ صاحِبهُ   في مُلكهِ افْترقاً مِنْ قَبلِ يصْطَحِبا[3]

قال ابن جنى : " حذف النون من فعل الأثنين " يصطحبا " لأنه حـــذف "أن" وأعملها على مذهبه "[4]

ومثله قوله :[5] (من الكامل)

بَيْضاءُ يَمْنعُها تَكلم دلِّها   تيهاً وَيمْنعهـــا الحيـــاءُ تميســـا

قال الشارح : " أراد أن تتكلم " فحذف أن واعملها، وكذلك " أن تميسا " [6]

ومثله قوله في الرثاء :[7] (من الطويل)

أيَعظمهُ التّوارِبُ قبلَ فِطامِــهِ ويأكلهُ قَبلَ البلوغِ إلىِ الأكـــــلِ

وقيل يرى من جوده من رأيته   ويسمع فيه ما سمعت من العذل.

قال الشارح : " أراد قبل أن يرى، فحذفها وأعملها "[8]

ومثله قوله :[9] (من الوافر)

أحبك أو يقولوا جرَّغـــــــلُ   ثبيراً وابن إبراهيــم ريعـــا[10]

قال أبو الفتح : " إلى أن يقولوا، فحذف أن وأعملها "[11]

---

(1) الفسر : 258/1. وأنظر التبيان في شرح الديوان 114/1.

(2) التبيان في شرح الديوان : 116/1.

(3) الفسر : 263/1.

(4) نفسه : 116/1.

(5) نفسه : 195/2.

(6) نفسه : 195/2.

(7) الفسر : 50/3.

(8) نفسه : 50/3.

(9) نفسه : 253/2.

(10) نفسه : 253/2.

(11) نفسه : 253/2.

6- تثنية الفعل وجمعه مع وجود الفاعل :

قال المتنبي : (من الكامل)

أَفَديكَ مِنْ سَيَلٍ إذا سُئل النَّدىَ هولُ إذا اختلطا دمُ ومسيـــحُ[1]

يقول الشارح نقلاً عن ابن جنى[2] : " والوجه أن يقول اختلط[3]، وقد أجازه ابن جنى على قول من قال " ذُهبوا إخوتك وقاما أخواك "[4]

ثم قول المتنبي :

ورمَى وما رمتا يداهُ فصابني سهمُ يعذبُ، والسِّهامُ تَريــحُ[5]

والوجه أن يقول " وما رميت يداه " لكن جاء به على لغة مــن قــال قامــا أخواك.

وقال المتنبي :

لا يستحي أحد يقالُ لهُ نَضَلوكَ آلُ بويه أو نَضَلوا

أني بعلامة الجمع قبل الفاعل على لغة " أكلوني البراغيــث فــي كلمــة " نضلوك"

لقد استخدم المتنبي لغة معروفة اشتهرت بلغة "أكلوني البراغيــث" أو لغــة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل كما سماها الإمام مالك لوجود الحــديث الــذي يؤكــد صحة هذه اللغة، وهو " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر، وصلاة الفجر..."[6]

حيث جمع الفعل يتعاقبون مع وجود الفاعل ملائكة، وهناك غير آية وردت على النحو، مثل قوله تعالى : ﴿ وأسرّوا النَّجوى الّذين ظَلَمَوا﴾[7] وقوله تعــالى : ﴿ثم عَموا وصَمّوا كَثيرُ منهْ ﴾[8]

---

[1] التبيان في شرح الديوان : 253/1.

[2] الفسر : 687/2.

[3] التبيان في شرح الديوان : 253/1.

[4] الفسر : 187/2.

[5] التبيان في شرح الديوان : 245/1.

[6] شرح الزرقاني علي موطأ الإمام مالك 489/1 حديث 412 دار الكتب العلمية بيروت 1990ف.

[7] سورة الأنبياء من الآية 2.

[8] سورة المائدة من الآية 70.

تطرق العكبري في شرحه إلى حسن التخلص عند المتنبي، لكنه يقف طويلاً عند هذا الأمر ولكنه ذكر عدداً غير قليل من مخالصه، التي وصفها بأنها أحسن المخالص[1]، وقال عن المتنبي : " إن له في المخالص اليد الطولى" [2] مؤيداً ما قاله ابن رشيق من أنه " أكثر الناس استعمالاً لهذا الفن، فإنه ما يكاد يلفت منه ولا يشذ عنه حتى ربما قبح سقوطه فيه "[3]

وقد أشار الواحدي إلى حسن التخلص في شعر المتنبي مرة واحدة عندما وقف عند بيته :[4] (من الطويل)

أحبُّ التي في البدرِ منها مُشَابِهُ   وَأشْكو إلى مّن لايصابُ لَهُ شَكلُ

وهكذا ندرك أن الشارح كان على علم وكفاءة عالية بعلوم اللغة من نحو وصرف ومواقفه اللغوية والنحوية من لغة الشاعر تدل على سعة علمه ومخزونه اللغوي ويلاحظ الباحث أن الشارح كان على مذهب الكوفيين والأمثلة التي عرضناها تؤيد ما ألمحنا إليه سلفاً.

---

[1] التبيان في شرح الديوان : 177/2.

[2] نفسه : 177/2.

[3] العمدة : 234/1.

[4] التبيان في شرح الديوان : 183/3.

المطلب الثالث : الغموض والتعقيد في شعر المتنبي :

وقف شراح ديوان المتنبي عند معاني شعره محاولين تفسيره وكشف معانيه، لكنهم اصطدموا بغموض وتعقيد لم يألفوه في شعر شاعر آخر، وقد بين الشراح أن التعقيد يكون بسبب تقديم أو تأخير أو حذف أو غير ذلك[1] ومنها أيضاً عدم وضوح معنى ودلالات الألفاظ "[2] ومنها الإلغاز كما ذكر ابن فورجة[3] وكان ابن فورجة قد رد قول الصاحب بن عباد عن بيت المتنبي :[4] (من الطويل)

وللتّركَ للإحسَانِ خيرُ لمُحسنٍ إذا جَعَلَ الإحسانَ غَير رَبيبِ

مبيناً جوانب التعقيد في الشعر قائلاً : " أما زعمه أنه عقَّد فوجه التعقيد مالا نعلمه، فإنه لم يقدم لفظه، ولا أخَّر أخرى عن موضعها، ولا غرّب في المعنى ولا في اللفظ، وإنما قال : ترك الإحسان خير لمحسن إذا لم يربُ إحسانه.[5]

وقد أشار الشراح إلى مفاتيح الغموض في شعر المتنبي، وقد ظهر في شروحهم في غير جانب.

الأول: التقديم والتأخير ويتضح ذلك في قول المتنبي : (من الخفيف)

أبصروا الطعن في القلوب دراكا قبل أن يُبصروا الرماحَ خيالاً

يقول ابن فورجة عنه : " وفي البيت غلق لأنه قد أخر قوله (خيالاً) من موضعه لعلم المخاطب، وتقدير البيت : أبصروا الطعن في القلوب دراكا خيالاً قبل أن يبصروا الرماح[6] وقد أشار الواحدي[7] وصاحب التبيان[8] إلى ما قاله ابن فورجة وفسراه تفسيره، ومعنى البيت : إن أعداء سيف الدولة يخافونه ولشدة

---

[1] تنبيه الأديب، على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب، تحقيق د. رشيد عبد الرحمن صالح وزارة الإعلام بغداد 1977، ص 57

[2] العمدة 267/2.

[3] الفتح علي أبي الفتح، ص 76.

[4] التبيان في شرح الديوان : 53/1.

[5] الفتح علي أبي الفتح، ص 76.

[6] نفسه، ص 227.

[7] شرح الواحدي، ص 586.

[8] التبيان في شرح الديوان : 141/3.

خوفهم وتذكرهم ما صنع بهم في حروب، فقد أصبحوا يتصورون أن الطعن في قلوبهم قبل أن يروه حقيقة.[1]

ومثل قوله : (من الكامل)

وأمرٌّ مما فَّر منه فِرارهُ وكَقتلهِ أن لا يموتَ قتيلا

قال صاحب التبيان : " في البيت تقديم وتأخير تقديره : فراره أمر مما فر منه " و "أمرٌّ" في أول البيت خير مقدم [2]والمعنى إن الفرار عيب كبير، أمر من المقتول بالسيف لكثرة ما يلحقه من ذم ومثل قوله : (من الكامل)

أنَّى يكون أبا البرية آدمُ وأبوكَ والثقلان أنتَ محمدُ

وتقديره كيف يكون آدم أبا البرية وأبوك محمد وأنت الثقلان ففصل بين المبتدأ الذي هو " أبوك" وبين الخبر الذي هو " محمد" بأنت والمعنى أنت جميع الإنس والجن "[3]

وقال ابن فورجة : " في اللفظ تقديم وتأخير إذا تصورته لم يشتبه المعنى، وقال صاحب التبيان عن هذا البيت :في هذا تعسف لأنه فصل بين المبتدأ والخبر.[4]

والمعنى يقول : مادحاً شجاع بن محمد الطائي المنجى، بأن الممدوح يقوم مقام الجن والإنس بفضله وكرمه، ويستغرب أن يكون آدم أبا البرية وهو موجود وأبوه محمد المعروف بفضله.[5]

ومثله قوله : (من البسيط)

بحبِّ قاتلي والشيبِ تغديتَي هواي طفلاً وشيبي بالغَ الحُلم

قال ابن القطاع : " والتقدير : تغديتي بحب قاتلي والشيب بأن هويت طفلا وشبت بالغ الحلم "[6] والمعنى :أنني عشت وتغديت من شيئين : الحب الذي قتلني والشيب الذي أصابني،فلقد قاسيت الحب صغيراً،وأصابني الشيب حين احتلمت.

---

[1] شرح الواحدي، ص 586.، والتبيان في شرح الديوان : 141/3.

[2] التبيان في شرح الديوان : 243/3.

[3] الفسر 339/2.

[4] التبيان في شرح الديوان : 240/1.

[5] نفسه، 240/1.

[6] نفسه : 36/3.

ومثله قوله :[1] (من الطويل)

كثيرُ سهادِ العين من غيرعّلةٍ   يؤرقهُ فيما يُشرَّفهُ الفِكرُ

تقدير المصراع الثاني : " يؤرقه الفكر فيما يشرفه"[2] والمعنى : أنـــه دائـــم السهر لا لمرض منه، وإنما يفكر بالمجد والشرف.[3]

ومثله قوله : (من الكامل)

جفَختَ وَهم لا يجْفخَونَ بِها بهم   شيمُ على الحسب الأغرِ دلائلُ

قال صاحب التبيان : " هذا على التقديم والتأخير تقديره : جفخت بهم الشيم وفخرت، وهم لا يفخرون بها "[4] والمعنى : افتخرت بهم الشيم والمفاخر : وهـــم على العكس من ذلك فشيمهم دلائل على حسبهم الظاهر وهذا مما أُثر عن الآباء[5]

ومثله قوله :[6] (من الوافر)

بقائي شاء ليس هُمُ ارتحالاً   وحُسْنُ الصَّبر زَموا لا الجِمالا

يقول أبو الفتح : " والتقدير يعاني شاء الارتحال ليسوا شاءوه "[7] والمعنى : أن الشاعر قد ارتحل بقاؤه عند ما رحل الأحبة، أي أوشك على الفناء وفقد الصبر لما ارتحلوا.[8]

ومثله قوله :[9] (من الوافر)

أقول لها : أكشفي ضرّي وقَولي   بأكثرَ من تدَللِها خضوعاً

يقول ابن القطاع : " خضوعاً تمييز تقديره بأكثر خضوعاً[10] والمعنى : أن قولي هذا حاصل بأكثر من تدللها خضوعاً.

---

[1] التبيان في شرح الديوان : 126/2.
[2] التكملة : 152/1.
[3] التبيان في شرح الديوان : 126/2.
[4] نفسه / 258/3.
[5] نفسه / 258/3.
[6] نفسه / 221/3.
[7] نفسه / 222/3.
[8] نفسه / 222/3.
[9] نفسه / 252/2.
[10] نفسه / 252/2.

ومثله قوله : (من الكامل)

الطيبُ أنت إذا أصابكُ طيبهُ   والماءُ أنت إذا اغتسلت الغاسلُ

وتقديره : " الطيب أنت طيبه إذا أصابك، والماء أنت الغاسلة إذا غسلت.[1]

والمعنى : أن الممدوح أطيب من الطيب وأطهر من الماء هو يطهر الماء إذا اغتسل به.[2]

الثاني : الحذف ويتضح ذلك في قول المتنبي : (من البسيط)

واصبحت بُقرى هنزيط جائِلةً   ترعى الظُّبى وخصيبٍ نبته اللِّمُم[3]

يقول ابن فورجة : " البيت ظاهر المعنى، وإنما اتينا به لئلا يظن ظان أن " ترعى" ضميره للخيل، وإنما ترعى فاعله " الظبا" ثم يقول بعد ذلك : " وفي البيت من القلق أنه حذف ما يدل عليه المعنى فإنه يريد ترعي الظبأ في خصيب نبته اللمم فوقها أو بها أو ما شاكل ذلك "

وقوله : خصيب نبته اللمم يريد في مكان فيه من الروم ذوات الشعور لما أتى " بترعى" أتى " بخصيب" وشبه الشعور بنبات الأرض وكسرتها بالخصيب فيه، ولو كان ضمير " ترعى" للخيل لكان ترعى بضم التاء.[4]

والمعنى أن هذه الخيول كانت تجول للقتل والغارة، والسيوف تظفر برؤوس الأعداء.[5]

ومثل قوله : (من البسيط)

بما بين جنبيَّ التي خاض طيفها   إليّ الدياجي والحيلون هُجَّعُ[6]

الباء في "بما" متعلقة بفعل محذوف تقديره: أفديها بما بين جنبي يريد روحه[7] والمعنى : أنني أفتدي الحبيبة بنفسي حيث خاض طيفها الظلمة حتى وصلني، وكان غيري من غير الأحبة نائمين.[8]

---

[1] التبيان في شرح الديوان : 261/3.

[2] نفسه / 261/3.

[3] نفسه / 261/3.

[4] الفتح علي أبي الفتح ص 295.

[5] التبيان في شرح الديوان : 20/4.

[6] الدباجي جمع دبوج ومعناها : الظلمات، الخليون : الخالي من الهوى والحم : هجع نوم

[7] التبيان في شرح الديوان : 237/2.

[8] نفسه / 194/1.

ومثل قوله :[1] (من الطويل)

وأكثرَ ما تلقى أبا المسكِ بذلةٍ إذا لم تَصُنْ إلا الحديدَ ثيابُ

قال ابن فورجة : ليس المصون هو الحديد، وإنما نصب مفعول " يصن" التي حذفها والتقدير : إذا لم يصن الأبدان ثياب إلا الحديد [2]وذكر صاحب التبيان أن الحديد استثناء مقدم[3] والمعنى أن الممدوح (كافورا) شجاع مقدام لهذا يلقى عدوه غير محّصن يدرع كما تفعل الأبطال[4]

ومثل قوله :

وما زال أهلُ الدهرِ يشتبهون لي إليك فلما لحتَ لي لاحَ فردُهُ

كلمة (إليك) متعلقة بمحذوف والتقدير : سائر إليك، وقاصداً والمعنى ما زال الناس يتشابهون عندي حتى ظهرت لي أنت فإذا أنت فردهم الذي لا يشبهه أحد.[5]

ومثل قوله : (من الكامل)

قالت وقد رأت اصفراري مَن به؟ وتَنَهدَّتُ فَاجبُتها المتَنَهِّدُ

المعنى : لما رأت تغير وجهي واصفراره، قالت : من به ؟ أي من قتله ؟ أو من فعل به هذا الذي أراه ؟ ثم تنهدت فعلا صدرها لشدة تنفسها وزفرت استعظاماً لما رأت فأجبتها عن سؤالها المتنهد المطالب بقتلي.[6]

ومثل قوله : (من الكامل)

صغَّرت كُلُّ كبيرةٍ وَكَبّرَتَ عَنْ لكأنّهُ وَعددْتَ سِنّ غُلامِ

" قال أبو الفتح، ونقله الواحدي كبرت عن أن تشبّه بشيء فيقال كأَنكَ كذا وفعلت هذا كله وأنت شاب " [7]

---

[1] الفتح : ص 68.

[2] نفسه : 194/1.

[3] نفسه 194/1.

[4] نفسه 194/2.

[5] التبيان في شرح الديوان : 62/2.

[6] نفسه : 328/1.

[7] نفسه : 11/3.

الثالث –الإلغاز : ويتضح ذلك في قول المتنبي : (من الهزج)

فما حاولتُ في أرض مقاماً ولا أزمعتُ عن أرضِ زوالا

قال ابن فورجة : " كان أبا الطيب أراد بهذا البيت الإلغاز[1] " وهو مصيب في ذلك.

فكيف يقرر الشاعر أنه لن يقيم في أرض وهو في الوقت نفسه لا يريد أن يغادر محل مقامه أبداً ؟ والمعنى : أنه دائم السفر لا يقيم في مكان واحد وهو أيضاً لا يغادر أرض بعيره فهو مسافر دائماً مقيم دائماً فكلمة (الأرض) الأولى في الكون يمنع مسافاته أما " الأرض" الثانية فتعنى ظهر بعيره.[2]

ومثل قوله : (من المنسرح)

أحقُّ عافٍ بدمعِكَ الهمَمُ أحدَثُ شيءٍ عهداً به القِدمُ

وقوله : " أحدث شيء به القدم : " كلام أخرجه مخرج اللغز، يريد أن القدم حديث العمد بها يريد الهمم، أي تقادمه وتنوس عهدها فأحدث الأشياء بها عهداً القدم، ولو قال قد تقادم عهدها لما كان في اللفظ من الحلاوة "[3] والمعنى أن أحق شيء يستحق البكاء همم الناس لأنها درست وانتهت منذ زمن ليس بالقليل وأحدث شيء فيها قدمها.[4]

ومثل قوله : (من البسيط)

وقد طوقتُ فتاةَ الحّي مرتدياً بصاحبٍ غير عزهاةٍ ولا غَزِلِ

أراد بالصاحب : السيف، فألغزبه[5] والمعنى : أنه أتى حبيبته ليلاً وهو يرتدي سيفه "[6]

ومثل قوله : (من الطويل)

وحُييتُ من خوص الرّكاب بأسود مِن دارش فغدوتُ أمشى راكِباً

---

[1] الفتح : ص 253.

[2] نفسه 253/ التبيان في شرح الديوان 225/3.

[3] التبيان في شرح الديوان : 58/4.

[4] نفسه : 78/4.

[5] نفسه : 78/4.

[6] نفسه : 78/4.

يقول : إنه ماش راكب وهذا لغز[1] وكيف يكون الإنسان ماشياً راكبا في آن معاً ؟ يبين صاحب التبيان ذلك قائلاً في تفسيره : يريد بالمتنبي " بدلتِ من خوص الركاب بخف أسود من ردئ الجلود، وأنا ماش راكب[2] فقد استبدل الناقة المجهدة بحذاء أسود من أردأ الجلود فهو يمشي على رجليه لكنه يركب نعلين مهترءين.

ومثل قوله : (من المنسرح)

لا ناقتي تَقْبلُ الرّديفَ ولا بالسّوطِ يوم الرِّهانِ أُجَهِدُها

شراكَها كورها ومشْفرها زمامُها وَالشموعُ مَقِوْدِهَـــا

يريد بناقته : نعله، فلا يقدر أن يردف عليها كما يردف على النياق وهذا من باب الإلغاز، فمن يخطر بباله أن تكون ناقته هنا تعني " نعله"[3] والمعنى : أنه لا يستطيع أن يردف على نعله ولا يستطيع أن يستثير نشاطها بالسوط.[4]

رابعاً – الغموض في الألفاظ :

فقد يكون تعقيد المعنى وعدم تحصيله بسهولة عائداً إلى غموض في الألفاظ من مثل : (من الطويل)

وللخود منى ساعة ثم بيننا فلاةُ إلى غير اللقاءُ تجابُ

فكلمة " تجاب" في هذا البيت ليس من الجواب كما ذكر ابن فورجة يقول : " وفي البيت خبء غامض نحب الدلالة عليه لئلا يتوهم – سواه- متوهم فينزل قوله : تجاب ليس من الجواب "[5] وهذا صحيح فمعنى البيت أن الشاعر لا يظل مـــع المرأة الجميلة إلا مدة قصيرة، ثم يتركها ويسافر عنها إلى مهمات تشـــغله وهـــي قطع الفيافي[6]، ومثل قوله : (من الطويل)

يباعِدْنَ حبا يجتمعن ووصْله فكيف بِحبٍ يجتمْعنَ وصَدّهُ

---

[1] التبيان في شرح الديوان : 125/1.

[2] نفسه : 125/1.

[3] نفسه : 301.

[4] نفسه : 301/1.

[5] الفتح علي أبي الفتح ص /85، التبيان في شرح الديوان : ج193/1.

[6] التبيان في شرح الديوان : 192/1.

فالبيت ليس غامضاً عويصاً " وإنما وعرَّ مسلكه على الأفهام بقوله : يجتمعن وكأنه أتى بهذه اللفظة ليصحّ الوزن "[1]

وحقيقة المعنى في هذا البيت يمكن أن يصحّ من دون كلمة يجتمعن في الشطرين، والمعنى : يبعدن عنى حبيبا وصله موجود بوجودها، فكيف أطمع في حبيب صده موجود.[2]

ومثل قوله : (من الوافر)

وكم دون الثوبة من حزيـــن	يقـــول : له قدومي ذا بذاكا
ومن عذب الرُّضاب إذا نحنا	يقبلّ رحل (تَرْوكَ) والوِراكا

فقد احتوى هذان البيتان غير لفظه من الألفاظ الغريبة ولـــولا أن صــاحب التبيان فسرها لنا لما استطعنا أن نقف على معناها فمن سيعرف معنـــى الثوبـــة ؟ ومن سيعرف أن اسم ناقة عضد الدولة هو (تروك) وألفاظ أخرى موجودة ستعيقنا عن الوقف على المعنى الموجود في هذين البيتين فالثوية مكان بالكوفة والوراك : جلد يتخذه الراكب تحت وركه كالمخده التي يثنى عليها الراكب رجلـــه إذا تعـــب ليستريح والمعنى على هذا يكون : أن في الكوفة أناساً حزينون سيفرحون بقدومي وسيقبلون راحلتي ووراكها إعجاباً بها وإكراماً لها.[3]

ومثل قوله : (من الكامل)

هذي برزت لنا فهجتُ رسيساً ثم انثنيتُ وما شفيت نسيسا

فكلمتا الرسيس والنسيس من الكلمات الصعبة التي يصعب علينا فهم معنـــى البيت قبل أن نذهب إلى المعجم ونتعرف على معناها فالرسيس والـــرس : مـــس الحمى وأولها، ويكون بسببها الضعف والرسيس : مارسّ في القلب من الهوى أي ثبت، والنسيس بقية النفس ويكون المعنى : أنه لما برزت هيجت الحب في قلـــب الشاعر وابتعدت ولم تشف نفسه بوصل منها.[4]

---

[1] التبيان في شرح الديوان : 190/2.

[2] نفسه : 219/2.

[3] نفسه : 391/3.

[4] نفسه :2/ 193.

ومثل قوله : (من الكامل)

فكأنه ظنّ الأسنة حُلَوةُ   أو ظنّها البرنّي والآزادا

فغموض بعض الألفاظ في هذه البيت أدى إلى تعقيده فكيف سنفهمه إذا لم نعرف معنى كلمتي " البرني الآزاد" ؟ فإذا ما عرفنا أنهما نوعان من التمر اتضح المعنى وانجلى والمعنى : أن الممدوح لكثرة حروبه فكأنها عنده أكل رطب وتمر، وقد أخطأ صاحب التبيان عندما فسر هذا البيت على أن الممدوح ليسّ أهل الطعان والحروب وعده أنه معود على أكل الرطب والتمر.[1]

خامساً – الاغراب في الصنعة :

وكان المتنبي يتعمد الإغراب أحياناً وهذا أدى إلى وجود الغموض والتعقيد في بعض شعره ويظهر الإغراب عنده في مثل قوله : (من الكامل)

سُقِيَتْ منابتها التي سقت الورى   بيدي أبي أيوب خير نباتها

فالهاء في " نباتها" تعود على " المنابت" وقد جعل المتنبي " النبات" هو الذي يسقي المنبت وهذا لم تجر عليه العادة بل قلب العادة في أن المنبت هو الذي يسقي النبات "[2]

ومثل قوله : (من الطويل)

سحابُ من العقبان يزحف تحتَها   سحابُ إذا استسقتْ سَقَتْها صورامِهُ

وجعل الأسفل يسقى الأعلى إغراباً، وهذا لم تجر عليه العادة ونحن نعرف أن الأعلى هو الذي يسقى الأسفل.[3]

وعد صاحب التبيان أن الإغراب هو أن يسقى السحاب ما فوقه[4] وأرى أنه ليس في الصورة إغراب فمن عادة الطيور أن تهاجم الجثث الملقاة على أرض المعركة تأكل لحمها وتشرب دمها، وقد ذكر النابغة الذبياني مثل هذه الصورة قائلاً:[5] (من الطويل)

---

[1] التبيان في شرح الديوان : 193/2.

[2] الفسر : 129/2.

[3] التبيان في شرح الديوان : 129/2.

[4] نفسه : 338/3.

[5] نفسه : 336/1.

إذا ما غزوا بالجيش حلّق فوقهم عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبٍ[1]

ومثل قوله : (من المتقارب)

رأينا ببدر وأبائه لبدر ولوداً وبدراً وليداً

أغرب في المعنى والصنعة[2] يقول : رأينا القمر برؤية البدر (وهو الممدوح بدر بن عمار الأسدي) فالقمر مولود من أباء أقمار والقمر لا يكون والداً ولا مولوداً حقيقة والمعنى : أن في الممدوح من الضوء والكمال والحسن الشيء الكثير مما يجعله لافتاً للنظر.[3]

وقد يكون المعنى غامضاً صعب المنال ولم تكن فيه أسباب للغموض السابقة.

من مثل قوله : (من الوافر)

وأبعد بعدنا بُعّد التداني وأقربَ قَربنا قربَ البعادِ

قال ابن فورجة عنه : إنه معقد[4]، وهو حقيقة يحتاج إلى تأمل حتى نستطيع أن نقف على معناه، حتى ابن فورجة نفسه لم يستطع أن يقدم لنا تفسيراً واضحاً نفهم من خلاله المعنى المقصود، يقول : " قبل أن اجتمعنا كان القرب بعداً والبعد قرباً، لأنا كنا على البعد متواصلين وعلى قرب الضميرين متباعدين، فلما اجتمعنا صار البعد بعداً حقيقياً، والقرب قرباً حقيقياً "[5] ولم يوفق صاحب التبيان أيضاً في توضيح المعنى يقول : " والمعنى أنه جعل البعد بعيداً عنه، والقرب قريباً منه " [6] والمعنى : أن المسير عن الممدوح كان سبب البعد عنه، لكن الشاعر عندما وصل إليه كان قريباً جداً منه، ومثل قوله[7] : (من الوافر)

أوشَكّ أنك فرد في زمانِهمُ بلا نظير ففي روحي أخاطرُهُ

ذكر ابن فورجه أنه ربما اشتبه هذا البيت على كثير من المتعلمين فالخطر ليس من المخاطرة، وإنما هو من المراهنة "[8] وهذا البيت مرتبط بسابقه :(من البسيط)

---

(1) ديوان النابغة الذبياني، دار صادر بيروت، لبنان،، ص 49.

(2) التبيان في شرح الديوان : 358/1.

(3) نفسه : 336/6.

(4) الفتح علي أبي الفتح، ص 117.

(5) نفسه : ، ص 117.

(6) التبيان في شرح الديوان : 358/1.

(7) الفتح علي أبي الفتح، ص 146.

(8) نفسه، ص 146.

من قال لست بخير الناس كلَّهمْ   فجهلهُ بك عند الناس عِاذرُهُ

فالممدوح بلا نظير وإذا شك إنسان في ذلك، فإنني أراهنه بروحي على أنه لا نظير له ومثل قوله : (من الطويل)

هل الولدُ المحبوب إلا تَعِلَّةُ   وهل خَلْوُة الحسناءِ إلا أذى البعلِ

يقول ابن جنى : " أن السرور مع الولد المحبوب لا يدوم وإنما هو تقليل للوقت والحسناء إذا خلت بحبيبها أدى ذلك إلى تأذيه بها، لاشتغال قلبه بسواها أو لأشياء أخرى [1]، وهذا تفسير غير مقنع.

ورفض ابن فورجة هذا التفسير لكنه لم يستطع هو أيضاً أن يقدم شيئاً واضحاً، يقول : " إن للمرأة ذات البعل ينال منها من خلالها غير بعلها إلا أذاة يريد أن اللذة منها قاصرة عن أن تكون لذة حقيقية [2]، أما صاحب التبيان فقد عرض رأي أبي الفتح ورأى ابن فورجة، ويبدو أنه لم يفهم البيت فلم يفسره ولم يدل بدلوه فيه[3]، لكنه نقل لنا تفسيراً آخر لأبي الفتح أقرب إلى المنطق، وهو " أنه نهاه عن الخلوة بامرأته لئلا تلد فقال، خلوتك بامرأتك أذى لك في الحقيقة لأنها تجلب لك ولداً تغتم من أجله [4]، وهذا التفسير أقرب إلى الصواب والإقناع وقد دفع الغموض والتعقيد شراح ديوان المتنبي، أن يقدموا للمعنى غير احتمال من مثل قوله : (من المنسرح)

يا ليت بي ضربة أتيح لها   كما أتيحت له محمَّدها

قال الواحدي : إنه قد أصابت الممدوح ضربة في المعركة تمنى المتنبي أن تكون به، ثم قال : " ويجوز أن الممدوح أتاح وجهه للضربة حيث أقبل إلى الحرب، وثبت حتى جرح، فتمنى المتنبي رتبته في الشجاعة.[5]

ومثل قوله : (من الخفيف)

ولعلي مؤمل بعض ما أبلغُ   باللَّطفِ من عزيزٍ حميدِ

---

[1] التبيان في شرح الديوان : 51/3.

[2] نفسه : ص51/3.

[3] الفتح، ص 205.

[4] التبيان في شرح الديوان : 52/3.

[5] نفسه : 307/1.

يقول : " الذي أرجوه لعله بعض ما أبلغه بلطف الله تعالى " : ثم يقول :

" وفيه وجه آخر : وهو أن المرجو ما هو لحبوب وما كان مكروهاً لا يكون مرجوًا بل يكون محذوراً فهو يقول : لعلي راج بعض ما أبلغه وأدركه من فضل الله تعالى، أي ليس جميع ما أبلغه مكروهاً بل بعضه وهو محبوب [1]، ولقد عقد الواحدي المعنى في وجه الثاني ولو بقى على المعنى الأول لكان أقرب إلى المعنى : وهو ما أراد المتنبي أن يقوله ومثل قوله : (من البسيط)

كأن كُلّ سؤالٍ في مسامِعِهِ قميصُ يوسفَ في أجفانِ يعقوبِ

يقول ابن بسام النحوي : " يريد أنه لا ينخدع لكل سائل، ويرق لكل طالب نائل، كما انخدع يعقوب لقميص يوسف لما أتوه عليه بدم كذب، ثم يقدم احتمالاً آخر، يقول : " ويحتمل أنه يريد بالقميص الثاني الذي ارتد به بصيراً أي يفرح، بكل سائل ويرتاح كما يفرح يعقوب بذلك القميص "[2] وقد أيد الواحدي[3] الاحتمال الثاني أنا أرجحُه فالممدوح يفرح لمن يسأله العطاء، لأنه كريم معطاء.

ومثل قوله : (من البسيط)

يفدي بنيك عبيدَ الله حاسِدُهُم بجبهة العَيرِ يُفدى حافرُ الفرسِ

يقول الشارح : " إن بنيك كرام، وحسادهم لئام، فهو فداء لهم كما يفدي حافر الفرس، بجبهة البعير، ويقدم احتمالاً آخر، وهو أنه يجوز أن يريد ذلك على وجه الدعاء، يقول فداء بنيك من يحسدهم....[4]

وكلا المعنيين جائز فقد يفسر هذا البيت على هذين الاحتمالين اللذين ذكرهم الشاعر.

وكان التعقيد والغموض سبباً لاختلاف شراح ديوان المتنبي في توضيح بعض الأبيات، وكان الشاعر نفسه في كثير من الأحيان يرفض شرح الغامض والمعقد من شعره، وقد ذكر غير مرة أنه إذا سئل عن شعره قال : " لو كان شيخنا

---

[1] شرح الواحدي، ص 22.

[2] سرقات شعر المتنبي ومشكل معانيه ص 12تحقيق الطاهر بن عاشور، الدار التونسية 1973.

[3] رأي الواحدي في التبيان في شرح الديوان : 172/1، والبيت في شرح الواحدي ص 627.

[4] نفسه : 188/2.

أبو الفتح حاضراً لأجاب "[1] لقد اجتهد شراح الديوان محاولين توضيح شعره، مختلفين ومناقشين ومفسرين وقد قال الواحدي في غير موطن من شرحه : " لم يشرح أحد هذا البيت كما شرحته "[2] وهذه بعض الأمثلة التي تبين مدى اختلاف الشراح بسبب الغموض والتعقيد في فهم شعر المتنبي.[3] (من الوافر)

كأنَ الهامَ فِي الهيجاء عيونُ   وَقد طُبِعَتْ سيوفُكَ مِن رُقادِ

يقول الواحدي : " جعل الرؤوس في الحرب كالعيون، وجعل سيوفه، كالرقَاد أما ابن جنى فقال : " أي سيوفك أبداً تألفها كما تألف العين النوم والنوم العين " ورفض العروضي ما صدر عن ابن جنى في تفسير هذا البيت قائلاً : " لا توصف السيوف والرؤوس بالألفة، وإنما أراد أن تغلبها كما تغلب النوم العين " وقال غيرهما : " السيوف تنساب في الهامات انسياب النوم في العين " ويعلق الواحدي " والذي عنده في هذا أن سيوفه لا تقع إلا على الهمام، ولا تحل إلا في الرؤوس كالنوم فإن محله من الجسد العين يقبض العين فيحلها "[4]

والذي أرى وأن الشراح لم يختلفوا حول هذا البيت جميعهم أصاب المعنى ومثل قوله :[5] (من الطويل)

إذا الفضلُ لمْ يَرفَعكَ عن شكرِ ناقصٍ على هيئةٍ فالفضلُ فيمن له الشكرُ

يقول الواحدي : " إذا لم يرفعك فضلك عن الانبساط إلى اللئيم فقد ألزمك الأخذ منه شكره، وإذا صار مشكوراً فإن الفضل له "

ويرى ابن جنى في تفسير هذا البيت : " أنه إذا اصطرتك الحال إلى شكر أصاغر الناس فالفضل فيك ولك لا للمدوح المشكور "

أما العروضي، فقد اتهم أبا الفتح بتغيير اللفظ وفساد المعنى بقول : " والذي أراد أبو الطيب أن الفضل والأدب إذا لم يرفعك عن شكر الناقص على هبته

---

[1] تنبيه الأديب المقدمة، ص 52.

[2] شرح الواحدي، ص 169-191-194-199-222.

[3] التبيان في شرح الديوان : 260/1.

[4] شرح الواحدي، ص 285.

[5] التبيان في شرح الديوان : 72/2.

فتمدحه طمعاً وتشكره على هبته فالناقص هو الفاضل لا أنت "أما ابن فورجة فبين أن المتنبي أراد أنه إذا كان فضلك لا يرفعك عن شكر ناقص على إحسان منه إليك فإن الفضل لمن شكرته لا لك لأنك تحتاج إليه "[1]

ومثل قوله : (من المتقارب)

فإن طُبِعتْ قَبلَكَ المرَهفاتُ فإنّك مِن قَبلْها المقصلُ

قال ابن جنى : معنى البيت إنك لإفراط قطعك وظهوره على قطع جميع السيوف كأنك أنت أول ما قطع إذ لم يرقبك مثلك، وقال غيره، يريد أن قطعها بسببك ولولا قطعك، وكل القولين ضعيف، والذي أراده المتنبي أن السيوف وإن سبقتك بأن طبعت قلبك، فإنك سبقتها بالقطع لأنك تقطع بعقلك ورأيك وحلمك ما لا تقطعه السيوف[2]، ورأى الواحدي هو الأقرب إلى الصواب.

وقد يعتمد شراح الديوان أحياناً على التأويل النحوي، واختلفوا لهذا في توضيح المعنى اختلافاً ظاهراً من مثل قول المتنبي :[3] (من الكامل)

شيمُ الليالي أن تشكِّك ناقتي صدري بها أفضى أم البيداءُ ؟

قال ابن جنى : " من عادة الليالي أن توقع لناقتي الشك فيَّ : أصدري أوسع أم البيداء، لما ترى من سعة صدري وبعد مطلبي "[4] ورفض الواحدي ذلك وقال : " وهذا إنما يصح لو لم يكن في البيت بها، وإذا أردت الكناية إلى الليالي بطل ما قال، لأن المعنى : صدري بالليالي وحوادثها وما تورده عليّ من مشقة الأسفار، وقطع المفاوز أوسع من البيداء، وناقتي تشاهد ما أقاسي من السفر، وصبري عليه فيقع لها الشك في أن صدري أوسع أم البيداء، وعلى هذا " أفضى" أفعل، كما يقال أوسع وقال غيره : " أفضى يحتمل أن يكون إسماً وأن يكون فعلاً، فإن كان أسما فهو على معنى التفضيل : أي : أصدري بها أفضى أم البيداء فإن كان فعلاً فمعناه : أصدري يفضى : أي ينتهي بهذه إلى الفضاء أم البيداء، وبها أفضى للمبالغة، وإن كان ماضية قد تجاوز الثلاثة، وتشكك : أي لا تدري هذه الناقة، أصدري

---

[1] شرح الواحدي، ص 285، وجمع كل الشروح السابقة.

[2] نفسه، ص 449.

[3] التبيان في شرح الديوان : 61/1،ونقل لشراح ابن جنى والواحدي لهذا البيت.

[4] الفسر : 77/1.

أوسع أم البيداء، وقال قوم : الكناية تعود على الناقة، ومعنى " أفضى بها " أي أدى بها إلى الهزال صدري أم البيداء.[1]

ومثل قوله :[2] (من البسيط)

وقد تبدلّها بالقوم غَيرُهُم   لكي تجِمْ رؤوسُ القومِ والقصرُ

أي تعطي سيوفك بدلا بهؤلاء غيرهم، بالقوم الروم، وغيرهم بالنصب لأنه المفعول الثاني للتبديل،ومن روى غيرهم، بالكسر فهو على نعت القوم والمعنى : تعطى سيوفك بدلاً بقوم غير الروم، وعلى هذا قوله، وهذا الكلام مبني على أنه بدلته كذا أو بكذا بدلا من شيء كان له قبل هذا، والصحيح في معنى هذا البيت أن الضمير في تبدلها للروم، يقول تبدل الروم بقوم غيرهم، أي تجعل غيرهم مكانهم في القتل والقتال وعلى هذا صح اللفظ وظهر المعنى "[3] والأمثلة كثيرة نكتفي ما ذكرنا بقول علي شلّق : قرأت مختلف شروح الديوان للمتنبي، فرأيت المفسرين يتهربون من جلاء بعض أبياته، وهم معذورون وربما قيض لنا أن نسأل المتنبي ذاته عما يريد ؟ فلا يرد علينا بغير القهقهة أو سل السيف أو غمز جواده ليطير به عنا ".[4]

وصفوة القول : إن في شعر المتنبي صعوبة ناتجة عن ثقافته اللغوية، وناتجة عن معرفته بجوانب الحياة التي أوحت إليه بهذه المعاني المتعددة والعميقة، ولقد اختلف الشراح – غير مرة – في تحديد المعنى الدقيق لكثير من الأبيات عنده وكانوا في بعض الأحيان يلجأون للتأويل والتفسير، وكانوا يعرضون غير وجهة نظر، وكانوا أحياناً يقدمون المعنى الظاهر، وفي أحيان أخرى لا يتفقون على معنى، لكن يبقى شعر المتنبي بحاجة إلى وقفات طويلة حتى نستطيع أن نفك بعض رموزه.

---

[1] شرح الواحدي، ص 526.

[2] التبيان في شرح الديوان : 99/2.

[3] شرح الواحدي، ص 526.

[4] المتنبي شاعر ألفاظه تتوهج فرسانا تأسر الزمان ط1، ص 293وزارة الثقافة، بغداد، 1977.

المطلب الرابع

أ- مناسبات الشعروالاخبارالتاريخية والمواضع :

لم يحفل الشارح بهذا الجانب وما ورد عنه محدودا جداً ولعل السيب في ذلك يرجع إلى اهتمام الشاعر بالجانب اللغوي والنحوي، والأهتمام برواية القصائد كان الجانب المهم في شرح العكبريــ وإذا قارنَّا هذا الجانب عند الشارح بغيره من الشراح ألفينا بينه وبينهم بونا شاسعاً، إلاَّ القليل من المناسبات التى قد عرض لها أثناء شرحه من ذلك ذكره لسبب الشعرفي قوله : (من الخفيف)

ذى المعالى فليعلّون من تعالى هَكذَا هَكذَا وإلاّ فَلا فَلا

شرفُ ينطْح النَّجم برومتـــــهِ وعزٌيقلقلُ الأجيالا [1]

فقد روى: أن سيف الدولة، ورد عليه أن الدمستق وجيوشه النصرانية قد نزلوا على حصن الحدث. ونصبوا عليه مكائد وقدروا أنها فرصة فيه لما تداخل أهله من الانزعاج والقلق، وكان ملكهم قد ألزمهم قصده وأنفد معهم العدد، فركب سيف الدولة فاخراً،وانتقل إلى غيرالموضع الذى كان فيه، وسار إلى حلب في جمادى الأولى... ثم قال رحل ولم يستقر به دار...[2] فقال أبو الطيب الأبيات السابقة يمدح سيف الدولة ويذكر نهوضه إلى الثغر.

كما ورد في مناسبة أخرى يمدح فيها سيف الدولة، إذ ذهب لنصرة أخيه الحسن بن عبد الله بن حمدان، فلما أحس الديلمى باقبال سيف الدولة صالح أخاه الحسن على أن يعطيه من خراج الموصل فأجابه إلى ذلك ورحل عن الموصل بغيرقتال...، فأنشد أبو الطيب هذه الأبيات في ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة يقول :[3] (من البسيط)

أعلى الممالك مايُبنىِ عَلى الأسلِ والطَّعنُ عندَ مُجَبِبهنَّ كالقُبل

وما تقرَّسيوفُ فِي مَمَالِكهــــــا حتَّى تقلقلُ دهراًفي القُللِ [4]

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج2،ص124

[2] نفسه : ج2،ص124

[3] نفسه : ج2،ص329

[4] نفسه : ج2،ص329

وجاء في سبب ذكرهذه الأبيات أن سيف الدولة قد علم بأن الأخشيد جمع جيشا عظيما، وأتى إليه ليتغلب. فوجه إليه سيف الدولة يقول قد جمعت هذا الجيش وجئت إلى بلادى، أبرزإلى ولاتقتل الناس بينى وبينك فأينا غلب آخد البلاد وملك أهلها، فوجه إلى سيف الدولة يقول : مارأيت أعجب منك إنما جمعت هذا الجيش العظيم لأقى به نفسى أتريد أن أبارزك ؟ إن هذا جهل... وقد أشارالمتنبي إلى هذه الرواية في هذه الابيات : (من الكامل)

الجيشُ جَيْشكَ غَيرُ أنَّهُ جيشُه فِي قَلبْهِ وعينهِ وشِمالــــــهِ
تَردْ الطِّعانَ المرَّعن فُرْسانهِ وتُنازلَ الأبطالَ عن أبطالهِ
كُلٌّ يريدُ رجالهُ لحياتــــــهِ يامن يُريدُ حَياتهُ لرجالهِ [1]

وقد عاتب في قصيدة آخرى سيف الدولة بعد أن علم أن الوشاة قد تعرضوا له في مجلسه بما لايحب وأكثرعليه مرة بعد مرة فقال يعاتبه : (من البسيط)

وأحرّقلباهُ ممن قَلبهُ شبـــــمُ ومِنْ بحسمي وحالى عندهُ سقمُ
مَالى أكتُمُ حُباً قد برى جسدي وتَدّعْي حُبَّ سيفِ الدَّولةِ الأمُمُ [2]

وقد أنشد المتنبي هذه القصيدة في مناسبة من أنتصارات سيف الدولة على الروم وقد أسرفيها صهر الدمستق وابن الدمستق وأقام على الحدث حتى بناها ووضع بيده آخر شرفه فيها يوم الثلاثاء... [3]

فقال المتنبي هذه الأبيات من القصيدة المذكورة مادحاً سيف الدولة ومعجباً بانتصاره على الروم : (من الطويل)

على قدرأهْلِ العزمِ تأتى العزائِمُ وتأتى على قدْرِالكِرامِ المكارمِ
وتعظمُ في عين الصغيرِصغارَها وتَصْغرُ في عين العظيمِ العظائمُ [4]

وخرج أبوشجاع يتصيد ومعه آلة الصيد،وكان يسير قدام الجيش يمنة ويسرة فلا يرى صيدا إلاَّصاده – حتى وصل إلى دشت الأرزن، وهوموضع حسن على عشرة فراسخ من شيراز، تحف به الجبال،وفيه غاب ومياه ومروج فكانت

---

[1] التبيان في شرح الديوان، ج2، ص34
[2] نفسه : ج2، ص61
[3] نفسه : ج2، 344
[4] نفسه : ج2، ص 344

الوحوش تصاد إذا اعتصمت بالجبال أخدت الرجال عليها المضايق، فأذا أثخنتها النشاب هربت من رؤوس الجبال الى الدشت، فتسقط بين يديه، فأقام بذلك المكان أياما على عين ماء حسنة، ومعه أبو الطيب فوصف الحال،وأنشده في رجب سنة أربع وخمسين وثلاث مئة، وفي هذه السنة قتل أبو الطيب فقال يصف هذه الرحلة "رحلة الصيد" :[1] (من الزجر)

ماأجدْرُ الايامُ والليالي   بأنَ تقَولَ مَالهُ وَمالي؟[2]

وفي مناسبة أخرى أن سبب قول المتنبي لهذه القصيدة..." لما ضرب عبد الرحمن بن ملجم عليا – رضى الله عنه – قال : فزت ورب العكبة، فيحتمل أن معناها مت، ومثل فزت بالشهادة... " فقال أبو الطيب (من المتقارب)

وشِعرٍمُدحَتُ بهِ الكَرّكدنْ بَين القريضِ وبين الرَّوى

فما كَان ذلك مدحـــــاً   ولِكنَّهُ كان هجو الورى [3]

يقول العكبري :" الكركدن هو الحمار الهندى وقيل بالفارسية كرك وهو طائرعظيم ثم يقول :أن الكركدن دابه عظيمة الخلق تحمل الفيل على قرنها.."[4] ومن الملاحظ أن الشارح كان لايدقق في هذه الأخبارولايناقشها من الجانب العقلى وإلا فإين توجد هذه الدابة التى تحمل الفيل على قرنها...؟

ب – أسماء الشعراء والاعلام :

على الرغم من قلة أهتمام الشيخ أبو البقاء بهذا العنصرفقد وجدناه معرفاً بالشعراء مفسراً لأسمائهم، ذاكراً شيئاً عن أنسابهم مثل قوله :"... اسم سيف الدولة هو : علي بن أبى الهيجاء بن حمدان الثغلبى..."[5]

وفي تعريف آخر "... النضار يتخد من أثل يكون بالغور بنو النظير حى من يهود خيبر من ولد هارون عليه السلام "[6]

---

[1] التبيان في شرح الديوان، ج3،ص311

[2] نفسه : ج3، ص 311

[3] نفسه : ج1، ص 78

[4] نفسه : ج1، ص 78

[5] نفسه، ص 37

[6] نفسه : ص 153

ثم يعرف بمعدّ فيقول :"...يريد ربيعة ومضرلأنه من ربيعة وبنو كلاب من مضر. وربيعة ومضرابنا نزار بن معد عدنان..."[1]

ثم يوضح اسم شاعر يقال له أبا سعيد " وهو أبوسعيد المنحي من بني المغميرقبيلة بمنبج من طيء "[2]

ثم يعرف الفاطميين فيقول :"..هم أولاد فاطمة عليها السلام من ولديها الحسن والحسين فكل فاطمي هومن ولد الحسن والحسين عليهما السلام،وأما العلويون فهم من ولد علي، يدخل فيه الفاطميون وغيرهم كأولاد العباس بن أبى طالب عليه السلام والخوارج هم الذي نصبوا العداء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.."[3]

ثم يعرف بنسب طى :" في طيء ثلاث أوجه طيء بوزن طيع،و هوطيء بن أدم بن زيد بن كهلان بن سبا بن حمير..." وهكذا نرى الشارح يتعرض في شرحه لذكر أسماء الشعراء والاعلام والقبائل وأعتقد أن منهجه يتأثر بمنهج السلف في نقل هذه التعريفات والروايات.كما أنه يتعرض في شرحه لذكر الأماكن والمواضع ويمكن القول أنه يعتمد في شرحه على شرح الواحدي لأنه كثيرا مانراه يقول : وقال الواحدي،وروى الواحدى وأحيانا ينقل عن ابن جني في بعض الأخبار والأحدات ذات الصلة بالشرح.ولم يعتمد في شرحه لهذه المناسبات على كتب التاريخ مثل معجم البلدان ومروج الذهب وغيرها،ومن الأماكن التى ورد ذكرها في شرح العكبري.

يقول :" والعواصم : ثغور معروفة تعصم أهلها بما فيها عليها، حلب أنطاكية وقال الواحدي يريد، والعواصم منك عشر..."

ويعرف برجل هجاه يسمى "السامري" فيقول فهو منسوب إلى سرمن راى" وإنما العامة تقول : سامراً والبلد أسمها "سرمن رأى "[4]

---

[1] التبيان في شرح الديوان، ج1: ص 156

[2] نفسه، ج1: ص 156

[3] نفسه: ج1، ص 156

[4] نفسه، ج1، ص37

وفي البيت التالى يذكر العكبرى المناسبة التى وردت في شرح البيت: (من الكامل)

وقَتلنَ دفراً والدّهيمَ فما ترى أمْ الدَّهيم وأمْ دفرِهابلَ [1]

فيقول : دفر والدهيم : اسمان من أسماء الداهية، والدفر : النتن وسميت الداهية به لهيبتها، ويقال للدنيا :"أم دفر" لخبثها وأصل الدهيم : أن ناقة كان اسمها الدهيم حملت رؤس قوم،فقالوا أثقل من حمل الدهيم.فصارت مثلا،وكانت الدهيم لعمرو بن ربان،كان له جماعة بنين فقتلوا وحملت رؤوسهم على الدهيم، وضلت فذهبت إلى بيت أبيهم عمرو، فرأت الناقة أمه له وفوقها الرؤوس، وهى لاتعلم ماهى فقالت : لقد جنى بنوك الليلة بيض النعام، فضربت العرب بها المثل، وتقول : أم الدهيم والعرب تقول : صبحتهم الدهيم..."[2]

وفي مناسبة آخرى يذكرالعكبرى سبب هذا البيت : (من الطويل)

برغم شبيب فارق السيف كفُه أو كانا على العلات يَصْطحبانِ [3]

فالمعنى الذى أراده : أنه لما هلك فارق سيفه،كان رفيقه في كل حال، وشبيب هذا هوابن جريرالعقيلى من قوم كانوا من القرامطة، وكانوا مع سيف الدولة،ووَلَىَ شيبيب معرة النعمان دهراً طويلا، واجتمع إليه جماعة من العرب، فوق عشرة الاف، وأراد أن يخرج على كافور وقصد دمشق فحاصرها، فقيل إن أمراة القت عليه رحا فصرعته، فانهزم من كان معه لمامات، ويقال إنه حدث به جرح من شرب الخمر،فحدث به تلك الساعة فصرع، فتركه أصحابه ومضوا،فأخذه أهل دمشق فقتلوه، فعرض أبو الطيب بهذا البيت،يريد أن من عاداك رماه الله بالموت أو يغدرالزمان به.[4]

ونراه في شرحه للاسماء والاعلام لايقتصرعلى معالجتها من حيث أشتقاقها وتوضيح معاني الفاظها، وإنما يستطرد ويسهب في بيان أصل هذا الاسم فيتتبع تطوره من الناحية التاريخية، ليفصح للمتلقي عن عمق ثقافته ويضع أمام المتلقي

---

[1] التبيان في شرح الديوان، ج3، ص 256

[2] نفسه : ج3، ص 256

[3] نفسه : ج4، ص 243

[4] نفسه : ج4، ص 243

مائدة دسمة مختلفة الالوان من العلم والمعرفة، وهذا ماسيتضح من شرحه لهذا البيت: (من الطويل)

ومَلْمومَةٌ سيفية رَبعيّةٌ يَصيحُ   الحصى فيها صياحِ اللقالقِ[1]

فيقول : " الملمومة : الكتيبة المتجمعة، وسيفية،منسوبة إلى سيف الدولة : وربعية منسوبة إلى ربيعة،وهى قبيلة سيف الدولة،واللقالق : جمع لقلق، وهوطائر كبير يسكن العمران في أرض العراق، وهو كثير في قرى العراق، يغوث على صدوح الطيروهومن طيورالخليل، وهى أربعة عشر صنفا، يجمعها قولك : "أأن صالحك عمك عشت ".

"أوز، أنثية،فسر،صرد،أنومه،لقلق،جرح،كركى، عبار، مرزم، ككم، عقاب، شرشور، تدرج..."[2]

ويقول في شرحه لبيت آخرمن شعرالمتنبي : (من الزجر)

وزادَ في الحِذْرِعلى العقاعقِ   يَميزُ الهزلُ من الحقائقِ [3]

"العقاعق، جمع عقعق، وهو من الغراب، يضرب به المثل في الحذر والخوف، فيقال، أحدر من عقعق، وأحذرمن غراب،وأصله ماحكوا في رموزهم،أن الغراب قال لآبنه : إذا رميت فتلوقال : يأأيت أنا أتلوى قبل أن أرمى،ويقال : أحذرمن ظليم، وهوذكرالنعام وأحذر من ذئب،ثم يقول : تحكى العرب : أن الذئب يبلغ في حذره أنه إذا نام راوح بين عنييه، فيجعل إحداهما نائمة ومطبقة، والاخُرى مفتوحة حارسة،وهو بخلاف الأرنب، كأنه ينام عيناه مفتوحتان خلقه لاحتراساً..."[4]

وألفيناه في البيت التالى يستند في شرحه للأخبار التاريخية المتعلقة بالتفسير والأحاديث النبوية : (من الطويل)

فإن يكن المهديِّ من بان هَدْيُهُ   فهذا والأ فالهدى ذا فما المهدي [5]

---

[1] التبيان في شرح الديوان: ج2،ص 326

[2] نفسه : ج2،ص326

[3] نفسه : ج2،ص326

[4] نفسه، ج3،ص 326

[5] نفسه ج2، ص 326.

يقول : المهدى : الذى وعد به النبى صلى الله عليه وسلم، الذى يأتي في آخر الزمان،ويخرج في زمنه عيسى بن مريم.

وقد أختلف الناس فيه، فذهبت الشيعة : أعني طائفة منها إلى أنه محمد بن الحنفية وهم الكيسيانية، وذهبت طائفة منهم إلى أنه يخرج غير معين في علم الله إذا شاء أخرجه،وهم على ذلك موافقون للجمهور،وهم الزيدية،أصحاب زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبى طالب. ذهب قوم إلى أنه معين،وهو محمد بن الحسن العسكرى، وأنه اختفى وهوصغير في سرداب دار أبيه بسرمن رأى والدار لأمه مشهد يزار. وقد زرته "أى الشارح" في انحداري من الموصل إلى بغداد،وهم الإمامية ولم يختلفوا أنه من قريش، وأنه من ولد علي رضى الله عنه إلا أبا الطيب،فإنه جعله في هذا البيت أبا الفضل بن العميد..." [1]

وأنظرإليه في هذا البيت كيف يستعين على صحة شرحه بالاخبارالتاريخية ذات العلاقة بالمعنى المطلوب في قول المتنبي :

على قلب قُسْطنطيَن منهُ تَعجْبُ   وَإنْ كان في ساقيهِ منه كبولُ [2]

يقول قسطينطين : هوابن الدمستق.مقدم الروم.

والمعنى : هو: على قلب ابن الدمستق من ذلك الغرب تعجب شاغل وروع غالب وإن كان مشغولا بالقيد، ثم يورد رأيا آخرفي معنى هذا البيت ويدعمه بخبر تاريخيى :

"لما أسر سيف الدولة قسطنطين،أكرمه وأقام عنده يحلب مدة،فمات فأغتم لذلك سيف الدولة، فلما بلغ موته أباه دخلت الروم الجيوش التى فيها المسلمون وقتلوا جماعة،فكان سيف الدولة يعيب عليهم ذلك لأنهم ظنوا أنه سقاه،وليس الأمركما ظنوا..."[3]

وفي تعريف لعلم آخر نراه يسهب ويستغرق في شرحه وهو إن دل على شيء فإنما يدل على سعة ثقافة العكبرى وقدرته على التحليل والتقصي وراء

---

[1] التبيان في شرح الديوان ج 2، ص66

[2]نفسه، ج3،ص106

[3] نفسه ج 3، ص106

المعانى وإيضاحها حتى تكون بين يدى المتلقي سائغة، يسيرة الفهم،دون تعقيد أوغموض ذلك في قول المتنبي : (من المتقارب)

قضاعة تعلم أنيّ الفتى الـــ ذى أذا أدْخرَتْ لصروفِ الزَّمانِ

ومجدى يدلُ بنى خنـــدف على أنَّ كلَّ كريمٍ يمانــــــى [1]

فهو يعرف بقضاعة فيقول : هى بطن من حمير،وهوقضاعة بن عمروبن مرة بن زيد بن مالك بن حميربن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان، والفتى : أصله الكريم الشجاع القوي.

والمعنى الذى يشيرإليه في هذا الشرح : أن قضاعة قومى تعلم أنى فتاها الذى يحتاجون إليه ويدخرونه لدفع مانزل بهم من الحروب والحوادت.لما يعلمون من شجاعته وسداد رأيه [2].

ويورد شرحه للبيت الثاني فيقول : خندف : هي بنت عمران بن الحاف بن قضاعة،وهي أمراة إلياس بن مضر،ولدت له مدركة،وطابخة وقمعة وكان أسم مدركة عامرا، وأسم طابخة عمراً.قيل أنهم كانوا في إبل لهم يرعونها فصاد عامروعمروصيداً،فقعدا يطبخانه،فعدت عادية على إبلها فقال عامر لعمرو: أتدرك الإبل أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال بل أطبح فلحق عامربالإبل، فجاء بها،فلما رجعا على أبيهما حدثاه بشأنها.

فقال لعامر: وأنك مدركة، وقال لعمرو :أنت طابخة، فجاءت أمهما تمشى، فقال لها، أنت خندف، وأما قمعة فيقال : إن خزاعة من ولده،من ولد عمروبن لحي الذى هو ابن قمعة ابن الياس،وهو عمرو الذى قال رسول الله ﷺ فيه: " رأيته يجر قصبه في النار "[3]

---

[1] التبيان في شرح الديوان ج 4، ص 188

[2] نفسه ج4، ص 188

[3] نفسه ج4، ص 188 الحديث رواه البخاري ومسلم رقم 4623 ص /65 وضمه فؤاد عبد الباقي دار الحديث القاهرة 2005- ينظر ص 297 في الاستشهاد بالحديث.

وهكذا نراه في شرح الشعر وفي منهجه اللغوى لايقنعه تفسير الغريب الذى يضمنه النص المقصود وشرحه، وإنما يضيف إليه بيان معاني أسماء الشعراء والأعلام والمواضع الواردة في شعرالمتنبي، وذلك ليضع بين يدي المتلقي مائدة مليئة بالوان العلم والمعرفة.

المطلب الخامس : المعاني

سبق أن أشرنا إلى طريقة أبى البقاء العكبرى في شرح الشعرحيث كان ذو اتجاه لغوي ونحوي أكثرمن أي شيء آخر، وتبين لنا من خلال شرحه كيف كان يستطرد ويستغرق في إيضاح المسائل النحوية واللغوية، وتأويل المصطلحات ذات الصلة بأوجه الاعراب المختلفة حيت يورد أراء العلماء في ما يذهب إليه من توضيح لمسائل النحوالمختلفة وإيصالها للمتلقي في صورة سهلة وميسرة، وفى جانب توضيح المعانى لم يقف العكبري فيها سلبيا بل كان يتتبع المعاني ويورد الادلة من الشواهد الدالة على المعنى المراد ويستشهد بالشعرالعربي على صحة المعانى التى يتضمنها البيت [1]وفي هذه الأبيات ندرك ما ذهبنا إليه في هذا المبحث وذلك في قوله : (من الكامل)

كلٌ يريدُ رجالهُ لحياتِه يامن يُريدُ حياتهُ لرجالهِ [2]

نراه في هذا البيت يتناول المعنى فيقول :" إن الملوك سواك يطلبون عسكرهم وجنودهم. ليدفعوا عنهم، ويجمعونهم على أعدائهم ليسلموا وأنت تريد رجالك أن يبقوا ويسلموا،وتدافع عنهم،وهذا غاية الكرم والشجاعة وقد بنى البيت على حكاية تذكرعن سيف الدولة مع الأخشيد وذلك أنه جمع جيشا عظيما وأتى إليه ليتغلب،فوجه إليه سيف الدولة يقول له : قد جمعت هذا الجيش وجئت إلى بلادى،أبرزإلى ولاتقتل الناس بيني وبينك. فأينا غلب أخد البلاد وملك أهلها، فوجه إلى سيف الدولة يقول :مارأيت أعجب بك إنما جمعت هذا الجيش العظيم لأقى به نفسي أفتريد أن أبارزك ؟ إن هذا لجهل ثم يتبع المعنى برواية في نفس المعنى وهى أنه روى مثل هذا عن علي عليه السلام،أنه بعت إلى معاوية وهما بصفين،وقد فنى الناس بينى وبينك، فأبرزإلي فأينا قتل صاحبه ملك الناس، فقال عمرو لمعاوية " قد قال لك حقاً وأتاك بالإنصاف : فقال معاوية لعمرو : أعلمت أن علياً برز إليه أحد فرجع سالماً ؟[3]

---

[1] ينظر:المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث،ص27

[2] التبيان في شرح الديوان :ج3،ص64

[3] نفسه :ج3،ص64

والله لا برز إليه سواك،فحمله حتى يبرزإلى عليّ، فلما تقاربا كشف عن سوأنه فتركه علي ورجع إلى أصحابه بغير قتال فأنشدوا في المعنى: (من الطويل)

ولاخير في دفع الردى بمذلة كماردها يوما لسوءته عَمرُو[1]

ونراه يورد بيتاً آخر يستشهد باراء العلماء والحديث الشريف حتى يؤكد المعنى الذى ذهب إليه،ويعطى المتلقى المعنى في أوضح صورة من تحليل المعانى ومعالجتها والاستغراق في توضيحها ومن ذلك قوله في شرح هذا البيت:(من المنسرح)

لا أقمْنا على مكانٍ وإنْ طابَ ولايُمكنُ المكانُ الرّحيلُ[2]

يقول : قال ابن القطاع: المعنى لانقيم على المكان وإن طاب،ولايمكنه الرحيل معنا أى لانقيم ألبتة، لأن المكان لايرحل معنا، فلا نقيم على مكان أبدا حتى نلقاه،إلا أن يسيرالمكان معنا، فكذلك نحن لانقيم في مكان وإن طاب، وقيل نفي النفي أعجاب في كلام العرب، فكأنه قال : لانقيم في مكان إلا أن يرحل معنا وهذا مثل قول الفرزدق : (من الطويل)

بأيدى رجال لم يشيموا سيوفهم ولم يكثروا القتلى بها حيث سُلت[3]

قيل : معناه لم يشيموا سيوفهم إلابعد أن كثرث القتلى، وفي البيت معنى آخروهوعلى التقرير. بأن تقررصفة الشيء، والمراد ضده فكأنه قال : لم يشيموا ولم يكثروا القتلى أى كثرث جداً ومنه قول الشنفرى : (من المديد)

صَلِيَتْ متى هذيلُ بِخَرْقِ لايملُ الشرَّ حَتى يَمَلَّو [4]

ثم يتابع معنى البيت فيقول : وعلى مذهب التقرير لاعلى الشر وإن ملوه وقد جاء الحديث " وإن صُهيباً لولم يخف الله لم يعصه "

وقد جاء في الحديث "إن الله لايمل حتى يملوا" معناه لايجازيكم جزاء الملل.وإن مللتم. ثم يتابع المعنى في الحديث الشريف، لولم تخف : أى آمن : فكأنه قيل : أوأمن الله ماعصاه وفيه معنى آخروهوأن الفنى إيجاب. فيكون المعنى أن صهيبا لو آمن الله ما عصاه، أى لم يقصد وعلى مذهب التقرير: لو لم يخف الله

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج3ـ ص64

[2] نفسه،ج3، 152

[3] ديوان الفرزدق :ج1، دار صادر – بيروت لبنان، ص 360.

[4] ديوان الشنفرى دار صادر بيروت، د.ت، :ص50

ماعصاه أى لم يعصه أبدا، وفيه معنى آخر. وهوأن لو في الكلام يُدَلُّ على أمتناع الشيء لإمتناع غيره.

فيكون المعنى : العصيان امتنع لأجل الخوف.أى لما خاف لم يعص والمعنى الأول ومابعده أبلغ من هذا، لأن معناها : لوأمن الله ما عصاه،ومعنى هذا الآخر: أن العصيان امتنع من أجل الخوف [1]

ويورد رأى أبوالفتح: المكان الذى لايمكنه الرحيل معنا إلى سيف الدولة شوقا إليه. وقد بينه فيما بعد،وقال الواحدى: ويجوز أن يكون على الدعاء كما تقول: لافض الله فاك، يقول لم تقم في الطريق إليه مكان وإن كان ذلك المكان، ثم قال: ولايمكن للمكان أن يرتحل أى لو أمكنه لأرتحل معنا.[2]

وفي تحليله للمعاني واستغراقه في توضيحها والاسهاب في شرحها نراه في هذا البيت يطيل لإيضاح المعانى وتفسيرها من ذلك قول المتنبي:(من الخفيف)

ذى المعالي فَلْيَعْلُونَ مَن تعالى هَكَذا هَكَذا وإلافَلا لا [3]

فهو يتناول في دقة أوجه المعاني التى أستنبطها من مخزونه الثقافي واللغوي فيقول مشير إلى مافعله سيف الدولة في "بدارة" إلى جيوش الروم،وانهزامهم من بين يديه.ومنعه لهم مما كانواعليه من حصارالحدث : هذه المعالي التى تؤثر والمكارم التى تخلد على أثبت حقائقها، وأبعد غاياتها. فمن تعاطى الإقدام والقوة والتعالي والرفعة، فلينهض بمثلها،وليتقدم إلى فعلها، هكذا سبيلها،ووجهها وطريقها، وإلا فلا يتعرض الروساء لها، ولايتميزوا بها، وكررلاعلى سبيل التوكيد، وكان سبب عمل هذه القصيدة أن سيف الدولة ورد عليه أن الدمستق وجيوشه النصرايين، قد نزلوا على حصن الحدث، ونصبوا عليه مكايد،وَقَدّروا أنها فرصة فيه لما تداخل أهله من الانزعاج والقلق، وكان ملكهم قد الزمهم قصده، وأنجدهم بأصناف الكفر،من البلغروالروس والصقلب،وأنقدهم العدد الكبير، فركب سيف الدولة نافراً وانتقل إلى غيرالموضع الذي كان فيه، ونظر فيما يجب أن

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج3،ص153

[2] نفسه :ج3،ص153

[3] نفسه :ج3،ص153

ينظر فيه وسار على حلب في جمادى الأولى، فنزل رعبان وأخبار الحدث عليه مستعجمة لأنهم ضبطوا الطرق ليخفى عليه خبرهم، فلما ضجر لبس سلاحه وأمر أصحابه بمثل ذلك، وسار زحفا فلما قرب من الحديث عادت الجواسيس تعلمه أن العدو لما اشرفت عليه خيول المسلمين من عقبة يقال لها : العبري رحل ولم يستقربه دار وامتنع أهل الحدث من البدار بالخبر خوفاً من كمين يعترض الرسل، فنزل سيف الدولة بظاهره، وأتتهم طلائعهم تخبر سيف الدولة بانصرافهم إلى حصن رعبان، ووقفت الضجة، وظهر الاضطراب،وولي كل فريق على وجهه وخرج أهل الحدث، فأوقعوا ببعضهم وأخذوا آلة سلاحهم وأعادوه في حصنهم [1].

وأحيانا نراه يناقش الشراح السابقين فيما يرونه من تأويل المعانى في بعض الأبيات وأحياناً يقرا تأويلاتهم وتارة يرفضها في مثل قول المتنبي :(من الكامل)

أعدى الزّمانُ سَخاؤه فسخا بهِ   ولقدْ يَكونُ الزَّمانُ به بَخيلا [2]

في هذا البيت نرى العكبرى يناقش الشراح السابقين بعد أن يورد أقوالهم فيقول قال أبو الفتح : تعلم الزمان فسخا به،وأخرجه من العدم إلى الوجود، ثم يقول السخا المعنى الكرم والجود،ومنه قول عمروبن كلثوم : (من الوافر)

مُشْعَشعةُ كأنَّ الحُصَّ فيها   إذا ما الماءُ خالطهُ سَفِينا[3]

ولولا سخاؤه الذى استفاد منه لبخل به على أهل الدنيا، واستبقاه لنفسه قال : فإن قليل السخاء لايكون إلا في موجود.وهذا معدوم. فالجواب أن الزمان كأنه علم مايكون فيه من النماءإذا وجد.فكأنه أستفاد منه ما تصورفيه بعد وجوده، ولولا ماتصوره من السخاء، ليبقى أبدا بخيلا، والشيء إذا تحقق كونه لامحالة أجرى عليه في حالة عدمه كثير من الأوصاف التى يستحقها بعد وجوده [4].

ثم يورد رأي ابن فورجة وينقل عنه المعنى بأنه تأؤيل فاسد، وغرض بعيد،والسخاء بغيرالموجود لايوصف بالعدد، وإنما المعنى فسخا به علي،وكان

---

[1]التبيان في شرح الديوان، ج3،ص134

[2] نفسه :ج3،ص236

[3] عمروبن كلثوم / البيت ورد في القصائد التسع المشهورات :للنحاسي ــ تحقيق أحمد حطاب ص615

[4]التبيان في شرح الديوان،ج3،ص236

يخيلا به علي فلما أعداه سخاؤه أسعدنى الزمان بضمى إليه،وهدانى نحوه وهذا المعنى كثير قال الطائى : (من الكامل)

هَيْهاتَ أنْ يَسْخو الزَّمانُ بمثلهِ إنَّ الزَّمانَ بِمثلهِ لبَخَيلُ[1]

ولحبيب أيضاً : (من المنسرح)

علَّمنى جُوْدك السَّمَاح فما أبقيتَ شيئاً لدي من صَلَيتكَ[2]

وهكذا نراه يناقش أراء الأخرين فيأخذ أصحها وأدقها، ويترك ما لا يناسب المعنى، ثم يتطرق إلى تؤكيد المعنى بشواهد شعرية مختلفة العصور والزمن كما رأينا في المثل السابق.

لايكتفى العكبرى بشرحه للبيت دون أن يطرق أراء غيره، بل يستطرد ويستغرق في تحليل المعاني مع ذكره لشواهد من الشعر ليؤكد به على صحة المعنى وإذا كان البيت يحتمل أكثر من معنى أو كان له معنى ظاهر مباشر،فإن العكبرى لايبخل فى عرضه لكل المعانى المحتملة للبيت حتى يصل بالشرح مستوفياً بكل متطلبات الوضوح.ومن ذلك شرحه لقول المتنبي : (من الطويل)

فَاؤكَما كَالرَّبعِ أشْجاهُ طَاسِمهُ بأنْ تسعدا والَّدمعُ أشفاهُ ساِجَمهُ[3]

فيورد معاني الألفاظ :شجاه شجواً، وأشجاه : اشده شجواً،والشحوالهم والحزن، والطاسم السجوم سجاما :سال وأنسجم،وعين سجوم وارض سحومة ممطوره،أسجمت السماء :صبئت، مثل انجمت " والمراد من البيت أنه يخاطب اللذين عاهداه على أن سيعداه عند ربع الأحبة بالبكاء فقال لهما: وفاؤكما لى باسعادى على البكاء كهذا الربع، ثم بين وجه الشبه فقال : أشجى الربع دارسه. كلما تقادم عهده كان أحزن لزائره.وأشد لحزنه،وأشفى الدمع للحزن، سائله المنهل الجاري يريد ابكيا معي بدمع ساجم،فإنه أشفى للقلب،كما أن الربع أشفى للمحب إذا درس[4] ويقول الواحدى: طلب وفاء هما بالاسعاد، وهوالإعانة على البكاء والموافقة منه،ولذلك قال :" والدمع أشفاه ساجمه" والمعنى :أبكياً معي بدمع في

---

[1] ديوان أبى تمام،ج2،ص314

[2] نفسه،ج2،ص360

[3] التبيان في شرح الديوان:ج3،ص218

[4] نفسه،ج3،ص218

غاية السجوم، فهوأشفى للوجد،فإن الربع الطسوم وهو أشجى للمحب وأراده بالوفاء" هاهنا :البقاء لأنهما عاهداه على الاسعاد[1] قال : وقال ابن جني في معنى هذا البيت : كنت أبكي الدمع وحده، فصرت أبكي وفاء كما معه، ولذلك قال "وفاؤكما كالربع" أى كما ازددت بالربع وبوفائكما وجداً زدت بكاء،قال ويروى : والدمع "بالجر" عطفاً على "الربع" يريد: وفاؤ كما كالربع الدارس في الادراء إذا لم تحزنا عليه وكالدمع الساجم في الشفاء إذا حزنتما عليه [2] وقال ابن القطاع : وفاؤكما لي بالاسعاد عفا ودرس، كالربع الذى أشجاه للعين دارية، فكنت أبكى الربع وحده فَصِرْتُ أبكى معه وفاؤ كما وأشتفى بالدمع الذى هو دراسة الانسان،وأشفاه للنفس ساجمة، قال :ولما أنشد أبو الطيب هذه القصيدة كان ابن خالويه حاضراً فقال لأبي الطيب: تقول أشجاه وهو شجاه فقال له :اسكت،ليس هذا من علمك إنما هو اسم لا فعل[3] قال الخطيب: الشعراء وغيرهم يزعمون أن البكاء يحلو بعض الهم عن المكروب والمحزون قال الفرزدق : (من الطويل)

ألم ترأنى يوحو تسويقـــه بكيت فقالت لى هُنُدة ماليـــــا؟

فقلتُ لها إنّ البُكاءَ لراحةٍ بِه يَشْتفي منْ ظَنَّ أن لا تلاقيا[4]

قال : لامهما على البكاء وأنهما لم يعداه، وذهب بعض الناس إلى أنه أراد بالمخاطبين عينه وكلامه يدل على غير ذلك، وإنما أراد أنه بكي ولم يبكيا معه فكان ذلك زائداً في كلامه [5].

ونجد للعكبرى تأويلات أخرى تدل على سعة علمه واطلاعه وعلى مالديه من مخزون ثقافي، كما ساعده في ذلك اجتهاداته في إيضاح المعانى في مثل شرحه لقول المتنبي : (من الطويل)

وقفتَ وما في الموتِ شَكٌّ لوَاقِفٍ كَأَنَكَ في جَفنِ الرَّدى وهوَنَائِمُ[6]

---

[1] الواحدى :شرح الديوان،ج2،ص555

[2] نفسه : ج2،ص555

[3] التبيان في شرح الديوان :ج3،ص218

[4] ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت – لبنان، ص 360.

[5] التبيان في شرح الديوان:ج3،ص218

[6] نفسه :ج3،ص386

يقول في معنى البيت نقلا عن الواحدى أنه قال : سمعت الشيخ أبا معمر الفضل بن إسماعيل الكافي يقول : سمعت أبا الحسن على بن عبد العزيز يقول: لما أنشد أبو الطيب هذا البيت والذى بعده أنكرعليه سيف الدولة تطبيق عجزي البيتين على صدرهما وقال له : ينبغى أن تطبق عجزالاول على الثاني، وعجز الثانى على الأول،ثم قال له :رأيت في هذا مثل امرئ القيس قوله:(من الطويل)

كأنيّ لم أركبْ جواداً اللـــــذةٍ   ولَم أتَبطن كاعباً داتِ خلخالِ

ولم أسْبا الزِّقَ الرّوي ولم أقُلْ   لخيلي كُري كَرةً بَعْدَ اجفالِ[1]

قال : ووجه الكلام في البيتين على ماقاله أهل العلم بالشعرأن يكون عجزالاول على الثاني والثاني على الاول، ليستقيم الكلام. فيكون ركوب الخيل مع الامرللخيل بالكسر.

وسب الخمرمع تيطن الكاعب، فقال له أبو الطيب : أدام الله عزمولانا، إن صح الذى استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر،فقد أخطأ أمرؤ القيس، وأخطات أنا، ومولانا يعرف أن البزاز لايعرف الثوب معرفة الحائك،لأن البزاز يعرف حملنه،والحائك يعرف جملته وتفصيله،لانه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة ركوبه للصيد، وقرن السماحة في شراء الخمر لا لاتصاف بالشجاعة في منازلة الاعداء، وانا لما ذكرت الموت أول البيت اتبعته بذكرالردى لحبه،لما كان وجهه الهزيمة لايخلو من أن يكون عبوساً، وعينه من ان تكون باكية.قلت: ووجهك وضاح لجمع بين الاضداد، في المعنى فأعجب سيف الدولة ووصله بخمسامئة دينار[2]

ونراه يعترض على آراء غيره في شرح هذا البيت :

نورُ تَظاهَرفيك لاهو تيّـــــــهِ   فتكادُ تَعلم علمَ حالف يعلما [3]

وَيهمّ. فيك إذا أنطقت فصاحة   من كل عضومنك أن يتكلما[4]

---

[1] الواحدى :ج2، 790

[2] ديوان امري القيس، ص 143

[3] شرح الواحدي ج 2، ص 7190

[4] التبيان في شرح الديوان ج 4، ص 31

يقول في شرح معنى البيت الاول :

قد ظهرمنك نور إلهى، تكاد تعلم به الغيب الذى لايعلمه إل الله تعالى أما البيت الثانى فيقول فيه :

يهم هذا النور أن يتكلم من كل عضو، ولا يقتصرعلى اللسان دون غيره، وينقل عن الواحدى قوله عن أبى الفتح : يهم كا عضو من أعضائك أن يتكلم بمدحك إذا نطقت لفصاحتك،هذا عند من يجوّز زيادة من في الإثبات."وفيك" في أول البيت تتعلق بأن يتكلم في آخره وفيك أى في مدحك ووصفك [1]

وليس المعنى على ماذكره من وجهين أحدهما أنه جعل ظهورالنور في كل عضومنه نطقاً، واللفظ لا يشعر به إلاَّ أنه يقال هم به ولم يفعله،والآخر أنه لا يكون لقول : إذا نطقت فصاحة فائدة،لأنَّ قوله " ويهم فيك كل عضو منك أن يتكلم " أفاد المعنى المراد فيبقى ذلك الباقي لغواً. والمعنى : أنه جعل النطق عبارة عن الظهور. وكان ينبغي أن يقول : هم بأن يظهر ولكنه لم يظهرلا أنه ظهور النور من جميع الأعضاء بالفعل،وقال قوم : لما كان تكلم العضو بالنور الالهى، أعنى به القوة الناطقة،وكان هو الموجب لنطق اللسان وغيره أضاف الفعل إليه،وقال يهم النور فيك أن يتكلم.وينطق من كل عضو من أعضائك، بخلاف سائر الناس الذين لاينطقون إلا من أفواههم جعل ظهوره في كل عضومنه نطقاً والمعنى : لفصاحته يفعل النور ذلك [2] وهذا افراط في المدح لان ظهوره لايختص به إلا الأنبياء أصحاب المعجزات المؤيدة من عند الله والمتنبي في مدحه قد وصل إلى حد المغالاة في مدح سيف الدولة وقد آتهم المتنبي في هذا البيت بشىء من الخروج عن منطق العقل.

يمكن لنا ان نستنتج منه بعض الجوانب التى تخص منهج العكبرى. في تحليله لعنصر المعانى، والتى يمكن تحديدها في هذا التحليل الدقيق لمعانى الشاعر وتوضيح مقصده، في التعبير عن أحاسيسه ومشاعره ومقاصده، وتجاربه،ومناقشة العلماء والشراح الذين تناولوا شعر المتنبي بالشرح والتفسير، فيما ذهبوا إليه من

---

[1] التبيان في شرح الديوان ج 1، ص 68

[2] نفسه ج 4، ص 31

معان كما يظهر أيضا فيما أورده من معان محتملة، جاءت بفضل سعة علمه وكثرة أطلاعه ومكوناته الثقافية التى تميز بها، واختياره لأحسن رواية، ولأصح الاراء التى يناقشها من آراء العلماء السابقين. والمعنى المناسب الذى تدور حوله القصيدة.

المطلب السادس : البلاغة

ومثلما أعطى العكبري جانباً مهما من جهده في شرح لشعر المتنبي للجوانب اللغوية والمسائل، والتأويلات المعنوية. في المنهج الذي أتبعه في شرح الشعر فإنه لم يقتصر شرحه على تلك الجوانب فحسب، بل نراه يولي اهتماماً كبيراً بالجانب البلاغي، لتيقنه أن شرح الشعرلايكتمل إلا بهذا الجانب. وحتى يعطى دارس الأدب والمتذوق للنص الأدبي وفنونه المختلفة افقاً أوسع لفهم الأدب ومعانيه.كما يتطلب أيضاً توضيح الجوانب الفنية، وأدوات التعبير التي تبرز صناعة الشعر، ومن خلال التمعن في شرح العكبري لديوان المتنبي ندرك أن العكبري كان ذا موهبة فذة في معرفة أجناس الأدب وفنونه المختلفة، وذلك بأنه كان ذواقه متمكناً في الغوص وراء خفايا ومواطن الجمال في النص الأدبي،التي ابتكرها الشعراء في التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم. والكشف عن المعاني التي أبتدعوها. وبذلك تمكن العكبري من الإفصاح عن كل ماتحويه علوم البلاغة من معان وبديع وبيان[1].

وبذلك استطاع أن يثيرالإعجاب ويحرك الوجدان في نفس المتلقي والتأثر بما يعبرعنه الشاعرمن رؤى فنية.

ومن خلال النصوص التي ستكون دعما لما أسلفناه من شعر المتنبي ندرك بجلاء ووضوح مدى قدرة العكبري في تناوله لكل جانب من جوانب علوم البلاغة.

إنّ من يحيل النظرفي شرح العكبري يتضح له إن هذا الجانب قد أولاه جهدا كبيرا،يختلف عنه في الجوانب الاخرى من هذا الفن البلاغي،ويدرك أيضا أن الشارح كان دقيقا في تناول هذا العلم والإحاطة بعناصره وصوره المختلفة في مجال التشبيه،والاستعارة، والكناية.

[1] ينظر:عمرعبد الواحد،التفكيرالنقدي في شروح ديوان المتنبي،ص210

أوّلاً – التشبيه :

ففي مجال التشبيه سلك منهجا فنيا استند فيه على تحليل الصور التشبيهيه التى عقدها المتنبي في شعره وكشف عن مواطن الجمال والابداع التي تضمنتها[1] ولم يقتصرفي ذلك على ماتضمنه الشعر.وفي هذا المثال يقتصرعلى الاشارة إلى نوع التشبيه في قول المتنبي : (من الوافر)

ويا ابن الضّاربينَ بِكلِّ عَضْبٍ من العُربِ الأسافلِ والقِلالا [2]

فهو يقول :الأسافل: الارجل، والقلال: الرؤوس.واحدها قلة وهي أعلى الرأس.تشبها بقمة الجبل،هى أعلاه.

فالمعنى الذى أراده : يا ابن الضاربين بكل سيف قاطع رؤس العرب وأرجلها وهذا ما اقتصرعليه البيت في الجانب البلاغي [3].

ويماثله بيت آخريذكرالتشبيه دون التعرض لأنواع التشبيه أوعناصره:فيقول(من الوافر)

جوائلُ بالقنى ومثقفاتُ كأنّ على عَواملِها الذِّبالا [4]

فيقصد بالمعنى :تحرك بالقنا فرسانها،وهى مثقفة،أى مقومة بالثقاف وشبه أسنانها في اللمعان بالفتائل التى في الشرح،وهوتشبيه حسن [5] (من الكامل)

وَرَد إذا وَردَ البحيرةَ شارباً وَردَ الفراتَ زئيرهُ والنِّيلا [6]

فهو يفكك البيت ويوضح ألفاظه : الورد : ذو اللون الذى يقرب إلى الحمرة، فكأن لون الأسد هذا يغرب إلى الحمرة،والبحيرة : بحيرة طبرية،والفرات نهرالشام الذى يجرى إلى العراق،والنيل :نيل مصر.

فهو الأسد من شدته وعظم زئيره،إذا ورد البحيرة شاربا،ورد.أى وصل صوته إلى الفرات وإلى النيل : وجانس ورد وورد [7].

وعادة مايسلك هذا الاتجاه في توضيحه لنوع الصورة البلاغية الواردة في البيت، وفي المثال التالى نجد التفسيرنفسه : (من الخفيف)

وَنؤى كأنهنّ عليهـــ ـــنّ خُدَّامُ خرس بسوقِ خَدالِ [8]

---

[1] ينظر المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث،ص134

[2] التبيان في شرح الديوان،ج3،ص228

[3] نفسه،ج3،ص228

[4] نفسه،ج3،ص229

[5] نفسه،ج3،ص229

[6] نفسه،ج3،ص238

[7] نفسه،ج3،ص238

[8] نفسه،ج3،ص192

فيشير إلى معنى البيت :بقدرما ينغص من جسمي من الوجد. يزيد في همي وحزني، فيقدرزيادة الحزن نقصان في الجسم،وطابق بين الزيادة والنقصان [1] فقد شبههن حول البيت بالخلاخيل على الغلاظ، لان الساق إذا غلطت لايتحرك عليها الخلخال، ولم يسمع له صوت.

قال الواحدي : وهذا إخباربأن النوى لم يدفن في التراب،وإن ماحدقت به ملاها كما تملأ الساحة العظيمة الخدمة وهومن قول الطائى : (من الوافر)

أثافٍ كالخدودِ لطُمبَنَ حَزنَا ونُؤىٍ مثلما ما انفصَمَ السِّوارُ[2]

فتقل السوار إلى الحدام وأصله من قول الاول : (من الكامل)

نُؤىٍ كما نَقصَ الهلالُ مَحاقَةُ أومثلَ ماقَصمَ السِّوارَالمعصمُ [3]

وجعل أبو الطيب الخدام فرسا، لان الساقة إذا أمتلا لم تتحرك. والخلخال كالنؤى تملأ ما أحدق به الارض.وهو تشبيه حسن.

وفي هذا البيت يفسرالمعنى دون التعرض للصورالجمالية في البيت،أو الاشارة إلى عناصرالتشبيه. (من الطويل)

وملمومةُ سيفَيةُ رَبعَيةُ يَصيحُ الحَصى فيها صياحَ اللّقالقِ [4]

فمعنى البيت: أن في تلك الفلوات كتبيه،سميت لكثرة فرسانها سيفيه ربعية. يصيح الحصى من وقوع حوافرها، كما تصيح اللقالق. فشبه [5]صوت اللقالق بحوافرالخيل، والحصى بصوت اللقالق. وهو تشبيه حسن..." لم يكتف العكبري في شرحه با ماطه اللثام عن معاني المتنبي من ابداعات فنيه فحسب بل كان يقارنها بما ورد عن العرب من أشعار وتعبيرات فنية، حتى يعطى مجالاً أوسع للمتلقي في تذوق النص الأدبي ومعرفة فنونه. ومن خلال ما سنعرض من أمثلة و ما اسلفنا الحديث عنه ندرك قدرة العكبري في تناوله لهذه الجوانب.(من الوافر)

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج3،ص192

[2] شرح الواحدي:ج1،ص286

[3] ديوان أبي تمام:ج1،ص318

[4] التبيان في شرح الديوان،ج4،ص325

[5] نفسه،ج4،ص

فقد أصبحت منه في فرند وأصبح منك في غضب يمان [1]

يقول: إنه شبه شعره بفرند السيف والأعلى جودته. وشبه الممدوح بسيف قاطع، يريد: أنك كسيف قاطع. وشعري فرنده، وذلك أنك كريم جواد، وشعرى جيد لاعيب[2]

وفي المثال الثاني يقول : (من المنسرح)

ودارت النِّيراتُ فِي فلكِ تَسْجدُ أقمارُها لأبَهاها [3]

فالمعنى : قال أبوالفتح : شبه الجيوش لما أختلط بعضها ببعض بفلك تدور فيه نجومه، وشبه ملوك الجيوش بالاقمار،وشبه عضد الدولة بالشمس لأنه أشرفهم واشهرهم..[4]."

ونراه في هذا البيت من قول المتنبي يوجزفي شرح معنى البيت مع أقتصاره على تحديد موضع التشبيه دون أن يبدى اهتماما بعناصره أو أركان التشبيه أو يتعرض لذكرمواطن التشبيه الآخرى من أسرارجمالية.(من المنسرح)

كأنما مائج الهواء به بـــ حرحوى مثل مائه عنما [5]

يقول : العنم شجرلين الاغصان شبه به بنات الجواري ثم يناقش رأى أبي عبيدة في قوله : العنم هو أطراف الحروب الشامي وأنشد بيت النابغة :

بِمُخَضَّبِ رَخَصِ البنان كأنَّهُ عَنمُ على أغْصانهِ لم يُعقْدِ [6]

يشرح المعنى يقول : كأن الهواء وهومائج به عند نشره وهو يفرقه بحرمن العنم كثرة.[7]

وفي شرحه لبعض الأبيات كما أسلفنا لايذكرأنواع التشبيه ولا الاستعارة ونوعها بل يكتفي بحسن الاستعارة أوقبحها ومثله في ذلك : (من الخفيف)

وربيعاً يُضاحِكُ الغَيثُ فيه زَهَرَ الشُكْرِ مِن رِياضِ المعالي[8]

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج4،ص262

[2] نفسه،ج4،ص262

[3] نفسه،ج4،ص278

[4] نفسه،ج4،ص174

[5] نفسه،ج4،ص164

[6] ديوان النابغة، علي أبو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، ص 140.

[7] التبيان في شرح الديوان :ج4،ص164

[8] نفسه ،ج3،ص195

فيقول : إنه استعارلمعاليه رياضا لما جعله ربيعا. وجعل إعطاءه غيث ذلك الربيع. وجعل شكرالشاكرين زهرا يضاحكه الغيث لأنه الزهر ينفتح ويحسن بعد مجيء الغيث، كالشكريكون بعد العطاء، ولولا حبه للجود لما أثنى عليه الشاكرون. فأقام النعمة مقام الروض، وشكره مقام الزهر وهذا من أحسن الاستعارة.."[1]

(من الزجر)

يامَاءُ هَلْ حَسَدْتَنا مَعِينهَ أمِ اشْتَهيتَ أنْ تُرى قَرِينه [2]

فهو يشيرإلى نوع الصورة البلاغية وهى تمثل في لفظة المعين، نوعها أستعارة، وهوالماء الذى يخرج من الارض من عين أونحوها..[3]

وفي مثال آخر يتناول معنى البيت ثم يشير إلي نوع الصورة البلاغية:

(من الخفيف)

وَعُيونُ المَها ولاَكعُيونِ فتكتْ بالمتَيّم الأثْلَةِ المعمود[4]

يقول :المها جمع مهاة وهي بقرالوحش،تشبه أعين النساء بعيونها لحسنها وسعتها"

وأوضح في بيت آخرراى أبي الفتح :

ومكرمات مشت على قدم الـــ ـــبر إلى منزلى ترددها [5]

نقلا عن أبى الفتح : على قدم البر: أستعارة من أحسن الكلام في غاية الظرف..

وفي المثال التالى نراه يتعرض لشىء من التفصيل في ذكر أنواع التشبيه دون أن يذكر مواطن الجمال في الصورة البلاغية المذكورة. (من الخفيف)

يَتَرشَّفْنِ منَ فَميَ رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيه أحْلى من التَّوحيدِ [6]

فيذكر المعنى مستدلا باراء غيره من العلماء :

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج3،ص195

[2] نفسه،ج4،ص171

[3] نفسه،ج4،ص171

[4] نفسه،ج1،ص313

[5] نفسه،ج1،ص312

[6] نفسه ،ج1،ص315

قال الواحدى : كن يمصصن ريقى لحبهن إياي، فكانت الرشفات في فمي أحلى من كلمة التوحيد، وهي لا إله الا الله، وهذا إفراط وتجاوز حد انتهى كلامه[5].

أما أبن القطاع فيورد رأيه فيقول : ذهب كثير من الناس إلى أن لفظه أفعل من كذا توجب تفضيل الأول على الثاني في جميع المواضع،وذلك غلط، والصحيح أن أفعل تجى في كلام العرب على خمسة أوجه. أحدها أن يكون الاول من جنس الثاني، ولم يظهر لأحدهما حكم يزيد على الأول به زيادة يقوم عليها دليل من قبل التفصيل،فهذا يكون حقيقة في الفضل لامجازا، وذلك كقولك زيد أفضل من عمرو، وهذا السيف أصرم من هذا والثاني : أن يكون الأول من جنس الثاني، ومحتملا للحاق به، وقد سبق للثانى حكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح. فهذا يكون على المقاربة في التشبيه لا التفضيل، نحو قولك الأمر أكرم من حاتم، وأشجع من عمرو وبيت المتنبي من هذا القبيل، أى يترشفن من فمى رشفات هن قريب من التوحيد. والثالث : نحوقولك الشمس أضوأ من القمر... فيكون هذا على سبيل التشبيه المحص...ثم يقول وجاء في الحديث :" ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء، أصدق لهجة من أبي ذر[1] ويضيف أيضا هذا التحليل لمعنى البيت ثم يشيرإلى نوع الصورة فيه : (من الكامل)

أبلتْ مَودتَها اللّيالى بَعْدنَا ومَشىَ عليها الدَّهرُوهومُقيّدُ [2]

فينقل عن الواحدى قوله عن ابن جني : هذا مثل وأستعارة، وذلك أن المقيد يتفاوت خطوة، فيريد أن الدهردب إليها فغيرها كما قال حبيب :(من الوافر)

قيا حسن الرسوم وما يمشى إليها الدهر في صورة البقاء [3]

أما في هذا البيت فإنه يذكرنوع الصورتين الواردتين بعد إراده للمعنى:(من الكامل)

وبِمُهْجَتي النَشّاب في كُلِ وَابلِ وَرَمْىَّ القسىَّ الفارسيةِ رعدهُ [4]

فيقول : لما جعل السهام وابلا استعارلها وشبهها، بالوايل لكثرتها، ويروى الرعد لكثرة أصواتها..[5].

---

[5] شرح الواحدي،ج1،ص 48

[1] التبيان في شرح الديوان،ج1،ص315

[2] نفسه،ج1،ص330

[3] شرح الواحدي،ج1،ص439

[4] التبيان في شرح الديوان :ج1،ص330

[5] نفسه،ج1،ص330

وألفيناه كذلك يورد نوع التصويرالبيانى دون ذكرألوانه وأشكاله ومواطن الجمال في الصورة البلاغية: (من البسيط)

وأنَّ ذا الأسْودَ المثْقوبَ مشفرهُ   تطيعهُ ذي العضاريطِ الرَّعاديدِ[1]

فالمعنى هو :" ولاتوهمت أن الاسود العظيم المشافريستغرق في هولاء الذين حوله، حتى صدروا عن رأيه،وأراد أنه مثقوب المشفر، تشبيها في عظم مشافره بالبعيرالذى يثقب مشفره للزمام..[2]."

ثم في بيت آخر يذكرمعنى البيت ويقارن معناه باراء غيره من العلماء مثل الواحدي وغيره... (من الوافر)

كأن بنات نَعْش في دُجاها   خرائدٌ سافراتٌ في حدادِ[3]

المعنى :أنه شبه الجواري الكاشفات عن وجوههن بهذه الكواكب في ظلمة الليل وهذا من بديع التشبيه[4]

قال أبو الفتح :لما شبههن ببياض النجوم في سواد الليل،كأن حقه أن يذكر حوارى بيضا،والخرد ليس من البياض في شىء إلا أنه في الامرالغالب إنما يكون للبيض دون السود إلاترى أن السود فيهن التبدل وأراد شيئا فذكر مايصحبه مستدلا عليه، فشبه بنات نعش في ظلمة الليل بوجوه جوارسافرات في ثياب سود هذا قوله:

قال الواحدي :ولعله أراد أن الحياء يكون في البيض دون السود، البيت منقول من قول عبد الله بن المعتز:

ومن قوله أيضا : (من الطويل)

كأنّ نُجومَ الليلِ والليلُ مظلمُ   وجوهُ عذارى في مَلاحفِ سُودِ[5]

وفي بيت آخريتطرق إلى نوع الصورة البلاغية فيقول : (من الكامل)

أعيْا زَوالكَ عنْ مَحلٍ نلته   لاتَخْرجُ الاقُمارُعن هالاتِهَا [6]

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج1،ص330

[2] نفسه،ج2،ص44

[3] نفسه،ج1،ص354

[4] نفسه،ج1،ص354

[5] شرح الواحدي،ج2،ص222،وقد روى الواحدي"خرائد سافرات في حداد"

[6] ديوان عبد الله بن المعتز

فالمعنى الذي يقصده : أنك لاتزول عن شرفك وكمالك، كما أن القمريخرج عن هالته فضرب مثلا،وأحسن في التشبيه وأبدع، لتشبيهه في علو المنزلة والشرف بالقمر ويقتصرفي بيت آخرعن نفس الحالة يذكرنوع الصورة البلاغية:(من الكامل)

فكأنهّا شَجرُتَبدتْ لكنَّها   شَجرُ جَنيتُ المرَّمن ثَمَراتِها [1]

فيقول : أن عادة العرب في تشبيهها الإبل المرحلة عليها هوادجها،بالنخل والشجر والسفن، يريد : فكأن هذه العين شجر بدا،أى ظهر، وقد حنيت المرمن ثمره، يريد أنها لما سارت بالاحبة كانت سبب فراقهن، وهو المرالذى جناه منها، وهو من قول أبي نواس : (من المديد)

لا أذودُ الطيّرَعن شَجرٍ   قَدْ جَنيتُ المرَّمن ثَمَرِهِ [2]

ثانياً – الكناية : أما الفرع الثانى من فروع علم المعاني فإنها الكنايـــة والتـــي أعطاها العكبري من أهمية في معرفة مواطن الجمال في النص الادبي غيرأنه لم يتطرق إلى ذكرأنواعها أو اشكالها وإنما كان يقتصرفي شرحه على توضيح نوع الصورة البيانية فقط دون التعرض لذكرماتنطوي عليه الصورة من جمال أومـــن قبح مثل : (من السريع)

أختُ أبي خيُرأمير   دعا فقال حبس للقنا لينهُ

فيقول : هي أخت أبي الممدوح،والممدوح خيرأميردعا إلى نفسه، فقال : الجيش للرماح : أجيبه، ويجوز أن يكون دعاه حبس، فقال الممدوح للقنا لب الجيش، يريد أنه يجيب الصارخ،وخرج بعد الكناية لما قال أستغفرالله لشخص، ثم قال : أخت أبى خيرأمير. وكنى عن الممدوح،ثم خرج به بعد [3].

كما أنه يتطرق إلى ذكرالكناية في بيت آخرعن نفس الوثيرة التي ذكرناها فهويحلل معنى البيت ويفسره : (من المنسرح)

أجبتها والدموُع تُتجدني   شُؤنَها والظلامُ ينجْدهَسا[4]

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج1،ص233

[2] ديوان أبي نواس، ص 427

[3] التبيان في شرح الديوان،ج1،ص214

[4] نفسه،ج1،ص301

يذكر معنى البيت نقلا عن الواحدي : فلان يحى الليل.أي سهر فيه، وفلان عيب الليل، أي ينام الليل، لأن النوم آخر الموت. واليقظة أخت الحياة. يقول : كأن للدموع من الشوق إمداد، ولليالي من الظلام إمداد، والمعنى أن تلك الليالي طالت وطال البكاء فيها، قال : ويجوزأن تعود الكناية في "نجدها" إلى "الشوؤن" وذلك أن من شأن الظلام أن يجمع الهموم على العاشق، وفي إجتماعها عون للشوؤن على تكثيرالدمع، بين هذا قول الشاعر: يضم إلى الليل أبناء حبها كماضم أزرار القميص الفائق[1]

ومثلما ذكرنا أن العكبري لم يتعرض في شرحه لفروع علم المعاني تفيصلا وتحليلا وإنما اقتصرفي شرحه على الإشارة إلى هذا العلم دون أن يذكرشيئا من أنواع التشبيه أو الكناية أو الاستعارة، وقد أرجع ذلك إلى الاسباب الاتية :

أنه قد اهتم بالنواحي اللغوية والنحوية، ومناسبات الأشعار، ولم يولٍ جل اهتمامه للنواحي البلاغية إلافي ثنايا شرح المعاني [2]

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج1،ص301

[2] نفسه،ج4،ص143

المبحث الرابع

الاستشهاد على شرح الشعر بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتراث

المطلب الاول:

أ – القرآن الكريم :

ترسم العكبري خطى علماء العربية حيث احتفى بالشاهد القرآنيّ واحتجَّ بــه لإثبات القواعد والأحكام في اللغة والنحو. وبلغتْ عدد شواهدهِ القرآنيـّـة أربعمئة وخمسةً وسبعين شاهداً، وهو أقلُّ من عدد الشواهد الشعريـّـة. ولا يمكن القول إنَّهُ يقدِّم الشاهد الشعريّ على القرآني، لأنّ لغة القرآن (أعربُ وأقوى في الحجَّةِ مــن الشعر)[1] الذي يخضع للضرورة، وإنَّما نُعلِّل ذلك بأمرين: الأوّلُ: كثرة الشــواهد الشعريـّـة، والثّاني: موضوع الكتاب المتَّصل بالشعر.

ومما يُلحظ على استشهاد الشارح بالقرآن الكريم الآتي:

1- اعتاد الشارح على تقديم الشاهد القرآنيّ على الشواهد الأُخرى، فكــان يبــدأ بالشاهد القرآنيّ ثم يردفه بشاهدٍ أو أكثر من الحديث النبويّ الشــريف، أو من كلام العرب، منظومهِ أو منثورهِ.

ومن ذلك قولُه في جوازِ العطفِ على ضمير الرفع المستتر من غير توكيــد في أثناءِ شرح بيت المتنبّي: (من الطويل)

مضى وبنوهُ وانفردتَ بفضلهم   وأَلفٌ إذا ما جُمّعت واحدٌ فردُ

مستدلاً بما جاء من ذلك في القرآن الكريم، وفي الشعر العربــيّ؛ إذ قــال: (وحُجَّتنا مجيئُه في الكتاب العزيز وفي أشعار العرب، ففي الكتابِ العزيز ﴿ذو مِرةٍ فاستوى وهو بالأفق الأعلى ﴾[2]، أي: فاستوى جبريل ومحمَّدُ (؟)، فعطفَ (وهو) على الضمير المستكنّ في (استوى)، فدلَّ على جوازه، وفي الشعرِ قول عمر بــن أبي ربيعة المخزوميّ[3]: (من الخفيف)

قلتُ إذا أقبلت وزُهْرٌ تَهَادى   كنعاجِ الفلا تعسَّفْنَ رَملا

---

[1] معاني القرآن (للفراء) 14/1.

[2] سورة النجم: الآيتان:7،6.

[3] ملحقات ديوانه: 498، وروايته (الملا) بدل (الفلا).

فعطف على الضمير المرفوع في (أقبلتْ) من غير توكيد)[1].

2- تقديم الشاهد القرآنيّ امرا مهما ، ويميِّزه من غيرهِ من الكــلام تعظيمًــا لشأنه، وهذا ما فعله الشارح، فكثير ما كان يدّلُّ على كونِ الشاهد قرآنيًّــا بقوله: (قال الله تعالى)[2]، أو (كقولهِ تعالى)[3]، أو (جاء في القرآن)[4]، أو (جاء في الكتاب)[5]، أو (قال عزّ وجلّ)[6]. لكنَّه يتخلّى عن هــذا المــنهج أحيانًــا فيوردُ الآية من غير أنْ يشيرَ إلى كونها نصاً قرآنيــّا، إذ اكتفــى بالقول: (نحو)[7]، أو (ومثله)[8]، أو (ومنه)[9]، أو (على حدِّ)[10].

وقد يقتصر بالإشارة إلى الآية من غير أنْ يذكرَها، ومن ذلك قوله في لفظة (بابل): (موضعٌ بالعراق بين الكوفة وبغداد، وإليه يُنسب السحرُ، وفيه كان نــزولُ الملكين اللذين ذكرهما الله-تبارك وتعالى-في سورة البقرة) [11] في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وما أُنزِلَ على المَلَكيْنِ ببَابِلَ هَارُوتَ ومارُوت﴾ [12].

ومن الملاحظ أيــضاً عدمُ إيــراده النــــص القـــرآنيّ كـــاملاً-فـــي الغـــالب-والاكتفاء بموطن الشاهد، ومن ذلك اســتشهاده على الــتمييز بالــجمع بقــولهِ تعــالى: ﴿ بالأخسَرينَ أَعْمَالاً ﴾[13] ونصُّ الآية: ﴿ قُــلْ هَــل نُنَبِّــئُكُمْ بالأخسَرينَ أَعْمَالاً﴾ [14].

---

[1] التبيان في شرح الديوان 381/1.
[2] التبيان في شرح الديوان 29/1-30.
[3] نفسه 31/1.
[4] نفسه 57/1.
[5] نفسه 62/1.
[6] نفسه 68/1.
[7] نفسه 313/1.
[8] نفسه 94/1، 160.
[9] نفسه 100/1، 180.
[10] نفسه 280/2.
[11] التبيان في شرح الديوان: 259/3.
[12] سورة البقرة من الآية: 102.
[13] التبيان في شرح الديوان 70/1.
[14] سورة الكهف من الآية: 103.

3- الاكثار من الشواهد القرآنيّة في المسألة الواحدة توثيقاً للقاعدة واستدلالاً على شيوعها، ومن ذلك قولُه بزيادة اللامِ في قول المتنبّي[1]: (من الطويل)

لأيِّ صروف الدّهر فيه نعاتبُ وأيَّ رزاياه بوترٍ نُطالبُ

مستدلاً على شيوع زيادتها بقولهِ تعالى: ﴿ إنْ كُنْتُم للرُؤْيَـا تَعْبرُون﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾ [3].

وقد يكتفي بذكر شاهدٍ واحد والإشارة إلى كثرة الشواهد في المسألة.

ومن ذلك قولُه بترك جوابِ الشرط والاكتفاءِ بجـواب القسـم فـي حـال اجتماعهما محتّجاً بقوله تعالى: ﴿لَئنْ رَجَعْنا إلى المَدِيْنَةِ ليُخـرِجَنَّ الأعَـزُّ مِنْهَـا الأذَلَّ﴾[4]. قائلاً : (وفي كتاب العزيز مثلُ هذا كثير)[5].

وقد يُوردُ آياتٍ متعددةً من غيرِ أنْ يفصل بينها بالعطف، ومن ذلك قوله في مجيء (السحاب) مفرداً وجمعاً (قال الله تعال فـي الجمـع: ﴿حَتَّـى إذا أَقَلَّـتْ سَحَابًـا ثِقَالاً﴾ [6]، ﴿ويُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَال﴾[7] وقال في المفرد: ﴿أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ يُزجِي سَحَابـًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَه﴾[8]، ﴿اللهُ الّذي يُرسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحَابـًا فَيَبْسُطُهُ في السَّمَاءِ﴾[9])[10].

4-التزام العكبري بتتبُّعِ المعاني المختلفة للفظةِ الواحدةِ في القرآن الكريم. ومـن ذلك استقصاؤه دلالات كلمة "حين" إذ قال: "والحينُ، على وجوه: الأوّل بمعنى سنة. ومنه قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿تُؤْتِي أكلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾[11]، أي كلّ سنة. والثاني: يومُ القيامة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكُـمْ فـي الأرْضِ مُسْـتَقرٌّ

---

[1] التبيان في شرح الديوان 106/1.
[2] سورة يوسف، من الآية 43.
[3] سورة النمل: من الآية 72.
[4] سورة المنافقون: من الآية 8.
[5] التبيان في شرح الديوان 372/3.
[6] سورة الاعراف: من الآية 57.
[7] سورة الرعد: من الآية 12.
[8] سورة النور: من الآية 43.
[9] سورة الروم: 48 من الآية.
[10] التبيان في شرح الديوان 275/4.
[11] سورة ابراهيم: من الآية 25.

وَمَتَاعٌ إلى حِين﴾[1]، والثالث: ساعات النَّهارِ، ومنه قولُه تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حَين تُمْسُونَ وحِينَ تُصْبِحُون﴾[2]. والرّابع: بمعنى أربعين سنة، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتى على الإنْسَانِ حِينٌ مِن الدَّهرِ﴾[3]، وهو بقاء آدم جسداً من غير روح"[4].

واستقصى دلالة كلمة "مطر" في القرآن الكريم فذكر أنّها جاءتْ في العذاب في قوله تعالى: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِن السَّمَاء﴾[5]، و ﴿وأَمْطَرنَا عَلَيْهِم مَطَراً فَسَاءَ مَطَرُ المُنْذَرِين﴾[6]. (وليس في القرآن لفظ المطر الذي هو الماءُ والغيث، إلاَّ في سورة النساء، وهو قوله تعالى: ﴿ولا جُنَاحَ عَلَيْكُم إنْ كَانَ بكُمْ أذىً من مَطَرٍ﴾[7] [8]، وفي قولهِ نظر؛ ذلك لأنَّ لفظة "المطر" في الآية الأخيرة مقترنة بالأذى أيضاً.

5-وكان استدلال العكبري بالقرآن الكريم لأغراضٍ متعدِّدة منها:

أ-**إثبات قاعدة أو حكم** ، ومن ذلك استدلاله على جمع الوصف الذي يكون على وزن "أَفْعَل" مؤنثهُ "فَعْلاء" على وزن "فُعْل" وجواز جمعه على "فُعلان" أيضاً، إذ قال: " "أفعَل" إذا كان وصفاً، فجمعه على "فُعْل" كأحمر وحُمْر. قال الله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[9]، وقد جاء في جمع أحمر، وأقرع: حُمران وقُرعان، وكذلك عُميان، وقد نطق به أفصحُ الكلام في قوله ﴿صُمَّاً وعُمْيَاناً﴾[10][11].

---

[1] سورة البقرة: من الآية 36.

[2] سورة الروم: من الآية 17.

[3] سورة الإنسان: من الآية 1.

[4] التبيان في شرح الديوان: 4/239-240.

[5] سورة الانفال: من الآية 32.

[6] سورة الشعراء: من الآية 173.

[7] سورة النساء: من الآية 102.

[8] التبيان في شرح الديوان: 2/242-243.

[9] سورة البقرة: من الآية 18.

[10] سورة الفرقان: من الآية 73.

[11] التبيان في شرح الديوان: 4/225.

ب : الحديث النبويّ الشريف

الحديث الشريف المصدر الثاني من مصادر التوثيق اللغويّ والنحويّ بعد القرآن الكريم، فهو كلام رسولِ الله (ﷺ) وليس في العربيَّة "أعمُّ نفعاً، ولا أَقصدُ لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا اجملُ مذهباً، ولا اكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصحُ معنى، ولا أبينُ في فحوى، من كلامهِ(ﷺ)[1].

وعلى الرغم من أنَّ الرسولَ الكريم(ﷺ) كان افصحَ العرب "فلم يكن ليتكلَّم إلاَّ بأفصح اللغات، وأحسن التراكيب، وأشهرها وأجزلها"[2] اختلف علماء العربيّة في الاحتجاج بالحديث الشريف، إذ كانوا على ثلاثة أقسامٍ، الأوّل منع الاحتجاج به بحجة أنَّ الرواة جوَّزوا نقلهُ بالمعنى وأنَّهم لم يكونوا من العرب فوقع اللحن في كلامهم. وأشهرُ المانعين:ابن الضائع (ت 686هـ) وتلميذه أبو حيّان الأندلسيّ (ت 745هـ)[3]. والثاني جوّز الاحتجاج به بحجَّةِ أنَّ اليقينَ ليس بمطلوب في هذا الباب وإنَّما المطلوبُ غَلَبةُ الظنِّ، وغَلَبةُ الظنِّ عدمُ التبديل، وأشهر المجيزين: السهيليّ (ت 581هـ)، وابنُ مالك (ت 672هـ)، ورضيّ الدين الاستراباديّ (ت 688هـ)، وابن هشام (ت 761هـ)، وعبد القادر البغداديّ (ت 1093هـ)[4]. والثالث وقف موقفاً وسطاً، يقوم على اعتمادِ الحديثِ المرويّ باللفظ وابعادِ المرويّ بالمعنى، وأشهر هؤلاء: إبراهيم بن موسى الشاطبيّ(ت 790هـ)، والسيوطيّ (ت 911هـ). وقد حذا الشارح حذو أئمة اللغةِ المتقدمين في قلَّةِ الاستشهاد بالحديث الشريف، إذ استشهد بسبعةٍ وأربعين حديثاً جاءتْ ثمانيةُ منها في اللغة والنحو، وواحدٌ وأربعون في بيان دلالات الألفاظ[5].

---

[1] البيان والتبين: 2/17-18.

[2] الاقتراح: 53 في علم أصول النحو، تحقيق د. أحمد محمد قاسم، بلا.

[3] ينظر: خزانة الأدب: 1/5-6.

[4] ينظر: نفسه 1/5.

[5] ينظر: الاقتراح: 52.

وممّا يُلحظ على استشهاد الشارحِ بالحديث الشريف الآتي:

1- عادة ما يصدِّرُ الحديث الشريف بما يدلُّ على كونه من كلامِ رسول الله(ﷺ) فيقول "ومنه الحديث"[1]، أو "وفي الحديث"[2]، أو "قول النبيّ"[3]، أو "قال عليه الصلاة والسلام"[4]، أو "وفي الصحيحين"[5].

وممّا يُلحظ في هذهِ المسالة الخلط في المصطلح فتراه يقول: "جاء في حديث أنس"[6]، أو "في حديث عُمر"[7]، أو "في حديث ابن عبَّاس"[8]، فتارة يكون هؤلاء رواةً لكلامِ رسول الله، وقد يكون القول صادراً عنهم تارة أخرى.

2- يُجوِّزُ العكبري نقلَ الحديثِ بالمعنى. والدليلُ على ذلك أنَّه يستشهد بالحديث الواحد غيرَ مرّة بألفاظٍ مختلفة. فقد استشهد بالحديث الشريف على دلالة كلمةِ "الحداد" على الحزن ثلاث مرَّات، أورد فيها الحديثَ بألفاظٍ مختلفةٍ، قال في الأولى: "لا يحلُّ لامرأة تؤمنُ باللهِ واليوم الآخر أنْ تحدَّ على ميتٍ فوق ثلاث إلاَّ المرأة على زوجها"[9]. وقال في الثانية "لا يحلُّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أنْ تحدَّ على أحدٍ فوق ثلاث ليالٍ إلاَّ المرأة تحدُّ على زوجها"[10]. وقال في الثالثة "لا يحلُّ لامرأة أنْ تحدَّ على ميتٍ فوق ثلاث ليالٍ إلاَّ على زوجٍ أربعةَ أشهرٍ وعشراً"[11].

3- كما أنه يورد الشاهد الحديثيّ منفرداً ، وقد يستشهد بالشاهد القرآنيّ ثم يردفه بالشاهد الحديثيّ، ومن ذلك استشهاده على استعمال العرب "جزى عنِّي" بمعنى

---

(1) التبيان في شرح الديوان: 33/1، 48.
(2) نفسه: 21/1.
(3) نفسه: 45/2.
(4) نفسه: 218/1.
(5) نفسه: 137/1.
(6) نفسه: 200/3.
(7) نفسه: 85/3.
(8) نفسه: 204/3-205.
(9) نفسه: 137/1.
(10) نفسه: 354/1.
(11) التبيان في شرح الديوان: 296/4، والحديث في صحيح البخاري (كتاب الجنائز): 78/2، وروايته: ((لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الأخر أنْ تحد على ميِّت فوق ثلاثٍ إلا على زوجٍ فإنها تحدّ عليه أربعة أشهر وعشراً)).

"قضى" بقولهِ تعالى ﴿لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا﴾[1]، ثم أردفه بالحديث الشريف "تجزي عنك ولا تجزي عن غيرِك في الأُضحيّة"[2].

وقليلاً ما يقدِّمُ الشاهدَ الشعريّ على الشاهد الحديثيّ، ومن ذلك قولُه في معنى كلمة "التفضُّل" "والتفضُّل: هو أنْ تلبسَ المرأةُ ثوباً للخدمة والتصرُّف وتنام فيه، ومنه قول امرئ القيس[3]: (من الطويل)

وتُضحي فَتيْتُ المِسْكِ فوقَ فِراشِهَا

نَؤومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عن تَفَضُّلِ

ومنه حديث امرأة أبي حُذيفة: (يا رسول الله كنا نرى أنَّ سالماً ابنٌ لنا وأنه يدخل عليّ وأنا فُضُل وليس لنا إلاَّ بيتٌ واحد. فما تأمرني في شأنه؟ فقال: ارضعيه خمسَ رضعاتٍ)[4].

4-الاستدلال بالحديث الشريف لاغراضٍ متعددة هي:

أ- تفسير معاني الألفاظ:

ذكرنا أنَّ كثيراً من الأحاديث التي ذكرها الشارح كانت لتبيان معاني الألفاظ، ومن ذلك استدلاله على مجيء كلمة "الثُّقْل" بمعنى المتاع بالحديث الشريف إذ قال: "وفي الحديث : خَلَّفْت فيكم الثقلين:كتابَ الله وعترتي أهل بيتي"[5]فالثَّقَلانِ في الحديث تثنيةُ "ثُقْل"، من "حط ثُقْلَه" أي: مَتاعَهُ، وأراد "عليه الصلاة والسلام" أنَّ كتابَ الله وعترَته ثقلاه اللذان يهمُّهُ حِفظُهما"[6].

ب- تأكيد حكم نحوي أو لغوي :

استشهد العكبري بالحديث النبويّ الشريف لإثبات الأحكام النحويّة والصرفيّة في مواطن قليلةٍ، ومن ذلك استشهادهُ على استعمال الفعل "كبَّ" متعدِّياً و"أكبَّ" لازماً " تقول: أكبَّ زيدٌ على الأمرِ، وكبَّهُ الله لوجههِ. ومنه قوله تعالى

---

[1] سورة البقرة: من الآية 48.

[2] التبيان في شرح الديوان: 277/3، والحديث في صحيح البخاري (كتاب العيدين): 23/2، وروايته: ((ولن تجزي عن أحدٍ بعدك)).

[3] ديوانه: 17.

[4] التبيان في شرح الديوان: 203/3، والحديث في سنن أبي داود (كتاب النكاح): 223/2.

[5] الحديث في مسند احمد: 14/3.

[6] التبيان في شرح الديوان: 247/4.

﴿أفمن يمشي مكبًّا على وجهه﴾[1]. وفي حديث معاذ: "وهل يَكُبُّ الناس في النارِ إلاَّ حصائد ألسنتهم"[2] بفتح الياء من الثلاثيّ"[3].

وقال بجواز حذف المضاف وإبقاء المضاف إليــه مستشـــهداً بقولـــه(ﷺ) (ياخيلَ اللهِ اركبي)[4].

ت- إثبات استعمال:

ومن ذلك استشهاده على استعمال العرب "ويح" للتَّلطُّفِ والتَّوجُّع والتَّـــرحُّم بقوله (ﷺ): "وَيح عمَّار تقتله الفئة الباغية "[5].

ومن المأخذ على العكبري أنه استشهد بحديث لا شاهد فيه، قال في معنـــى "الاعكان": "الاعكان: جمع عُكنة، وهو ما يتكسر في اسفل الـــبطن مـــن الشـــحم، ويجمع على "عُكَن" ايضاً، ومنه الحديث "أنّ رجلاً كان عند أُم سلمة، وكان يقـــال أنهُ من غير أولي الإربة، فقال لعبد الله بن أبي أُميَّة أخي أم ســـلمة: إذا فـــتح الله عليكم الطائف أدلك على ابنة غيلان، فإنها تقبل بأربع، وتدبر بثمان، فلما ســـمعه رسول الله (ﷺ) قال: لا يدخل هذا عليكنّ "[6] [7] فمن الواضـــح ان الحـــديث لا شاهد فيه.

جـــ - الاستشهاد بالشعر والنثرمن كلام العرب .

1-الشعر

احتلَّ الشعرُ مكانه سامية عند العرب وكان موضع احترامهم وتقديسهم، ولا غرابةَ في ذلك فهو "ديوان العرب وبه حُفظت الأنساب، وعُرفت المآثر، وتُعُلِّمـــت اللغة"[8]. زد على ذلك أنّه كان أداةً لتفسير ما استُشكل من كتاب الله تعالى، قـــال

---

[1] سورة الملك: من الآية 22.

[2] الحديث في مسند أحمد: 231/5.

[3] التبيان في شرح الديوان: 106/4.

[4] ينظر: نفسه: 213/2، والحديث في سنن ابي داود (كتاب الجهاد): 25/3.

[5] ينظر: نفسه: 218/1، والحديث في مسند احمد: 161/2.

[6] الحديث في سنن أبي داود (كتاب اللباس): 62/4-63.

[7] التبيان في شرح الديوان: 222/4.

[8] الصاحبي: 275.

ابن عبَّاس: "إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فإنَّ الشعرَ ديوان العرب وكان إذا سُئل عن شيء من القرآن أَنشد فيه شعراً"[1].

وزاد من شأنه أيضاً أنَّهُ استُعمل في تفسير حديث رسول الله (ﷺ)، وحديث الصحابة والتابعين فصار "حجةً فيما أُشكل من غريب كتاب الله-جلّ ثناؤه- وغريب حديث رسول الله (ﷺ) وحديث صحابته والتابعين"[2].

لذلك كان من البديهيّ أنْ يتَّخذه النحويون حُجَّة في إرساء قواعد اللغة والنحو، فراحوا يتحرَّون القبائل المشهورة بسلامة لغتها وفصاحة ألفاظها البعيدة من مخالطة الأعاجم وهي قريش، وقيس، وتميم، وأسد، وهُذيل، وبعض كنانة،وبعض الطائيين[3].

ولم يتوقفوا عند المقياس المكانيّ للاحتجاج بل تعدَّوه إلى المقياس الزمانيّ أيضاً، إذ قسموا الشعراءَ على أربعة طبقات: الجاهليّون، والمخضرمون، والإسلاميّون، والمولَّدون، وأجمعوا على صحَّةِ الاحتجاج بشعر شعراء الطبقتين "الأولى" و"الثَّانية" في اللغة والنحو، أمّا الثالثة فأكثر العلماءِ يجوِّزون الاستشهاد بشعرها، ومنعوا الاحتجاج بشعر شعراء الطبقة الرَّابعة[4].

والشارح- شانه شان اغلب علماءِ العربية-احتفى بالشاهد الشعريّ وحشد في كتابه من الشواهد الشعريَّة ما فاق عَددَ الشواهد الأُخرى، إذ استشهد بسبع مئة وثلاثةٍ وخمسين بيتاً.

ولوحظ استشهاد العكبري بالشعر لأغراض منها :

1-التزامه بالمقياس الزمانيّ بالاحتجاج إذ احتجَّ بشعر شعراء الطبقات الثلاث فذكر من الجاهليّن سبعة وأربعين شاعراً ومن المخضرمين خمسةً وثلاثين شاعراً

ومن الإسلاميين تسعة وأربعين شاعراً، ولم يذكر من المحدثين غير ستة شعراء احتجَّ بشعرهم في مواطنَ قليلة منها استشهادهُ ببيت أبي تمَّام: (من الطويل)

---

[1] العمدة: 17/1.

[2] الصاحبي: 275.

[3] ينظر: الاقتراح: 56، والمزهر: 211/1.

[4] ينظر: نفسه: 70، وخزانة الأدب: 8/1.

وَمازَالَ مَنْثُوراً عليَّ نوالُهُ   وَعِندِيَ حَتَّى قدْ بقِيتُ بلا عِندِ[1]

على جواز مفارقة "عند" الظرفية واستعمالها اسماً.

وغالبا ما يذكر شعر المحدثين استئناساً بعد إثبات المسألة بشـواهد ممَّـن يُحتجُّ بشعرهم، فقد استشهد على جواز حذف همزة "رأى" بقول الشاعر[2]: (مـن الوافر)

ومن را مثلَ معدان بن ليلى إذا ما السبع حال عن المطيَّة

ثم استأنس بشعر المحدثين قائلاً: "ولبعض المحدثين[3]: (من مجزوء البسيط)

ما سُرَّ من را بسُرَّ من را بل هي سوءٌ لمن رآها[4].

في مثال آخريقول المتنبي : (من الكامل)

مثلت عينك في حشاى جراحة   فتشابها كلتهاهما نجلاء[5]

ففي أعراب لفظة "كلتاهما" أنها في موضع نصب الحال، تقديره فتشابها تجلاوين ويجوزأن يكون لاموضع لها،كقوله تعالى : ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ﴾[6] ثم قوله تعالى : ﴿ كلتا الجنتين أتت أكلها ﴾ [7]

ويورد مثالا آخرمن قول المتنبي : (من الطويل)

وكيف عرفتا من ربع وإن زدتنا كربا   فإنك كنت الشرق للشمس والغربا

فيتناول معنى البيت فيقول : كيف عرفتا رسم دار لم تدع لنا قلباً ولاعقلا !

وهذا تعجب لعرفان الرسوم.ويدع "بالتاء والباء" فمن روى بالتاء من فوقها حمله على المعنى لأن المقصود بمن أمراه، فهى لقراءة حمزة والكسائى في قوله تعالى : ﴿ ومن يقنت منكن لله ورسوله ﴾[8]

---

(1) ديوانه: 67/2.

(2) ينظر: التبيان في شرح الديوان: 377/1.

(3) البيت مجهول القائل، وهو من شواهد لسان العرب (رأى): 3/19.

(4)التبيان في شرح الديوان: 45/1.

(5)التبيان في شرح الديوان :ج1،ص68

(6) سورة الكهف من الآية: 22

(7) سورة الكهف،من الأية : 32

(8) سورة الأحزاب من الآية: 31.

ففي هذا البيت لاحظنا العكبرى يستشهد على صحة روايته بآية من القرآن الكريم تارة وآخرى يستشهد باشعارالعرب، وأحيانا بالحديث الشريف وذلك حتى يجد المتلقي مايشبع نهمه من العلوم المختلفة.

ومن الامثلة التى يؤكد فيها على صحة المعنى وأستشهاده بالقرآن الكريم أيضاً قول المتنبي : (من الطويل)

لها بشرُ الدُّرِ الذى قلدت بهِ ولم أر بدُّرِ اقبلها قلد الشُّهبا [1]

يقول : الشهب جمع أشهب يعنى الدرة،ويجوزأ، يكون عنى بالشهب جمع أشهب يعني الكواكب لذكره البدرويجوز أن يكون جمع شهاب وهوالنجم قال تعالى: ﴿ فأتبعه شهاب ثاقب﴾ [2] ففى هذا المثال يتضح لنا أن العكبرى يتبع المعنى ويتقصيه حتى يصل إلى الرأى الاصوب في إيصال ماذهب إليه من آراء.

ومثله أيضاً يستشهد بالقرآن على صحة إعراب البيت : (من الطويل)

فيا شوقُ ما أبقى وبالي من النَّوى ويادمعُ ماأجْرى وياقلبُ ما أصْبى[3]

يتعرض لشرح لفظه "وبالي" فيرى أن يكون أراد اللام المفتوحة التى للاستغاثة كأنه استغاث بنفسه من النوى...كأنه قال ياقوم،اعجبوا لى من النوى ثم يقول وهو كثير في القرآن كقوله تعالى: ﴿يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾،[4]ونراه في مثال آخريتناول البيت بشرحه الالفاظ التى وردت من حيث الجانب النحوى:(من الطويل)

ألا مالسيفُ الدولةِ اليوم عاتباً فداهُ الورى أمضى السُّيوفِ مضارباً

فقد ذكرفي هذا البيت حالة أعراب لفظه "عاتبا" بأنها حال، وامضى السيوف: خبرأبتداء محدوف تقديره هو، أمضى- السيوف،مضاربا: في تعينها ثلاث أوجه، تمييز، وبأسقاط حرف الجرأى في مضارب،وقيل مفعول لاجله، وقد جاء التمييز بالجمع في قوله تعالى : ﴿بالا خسرين أعمالا﴾ [5]

---

[1] التبيان في شرح الديوان ج 1، ص 59

[2] سورة الصافات، من الآية 10

[3] التبيان في شرح الديوان،ج1،ص59

[4] سورة هود، من الآية 105

[5] سورة الكهف، من الآية: 103.

وهكذا نراه يستند في شرحه للجانب النحوي على ماورثه من أساتذته العلماء.

ومن الامثلة التي أستند إليها في شرح معنى الشعرمن قول المتنبي :

(من البسيط)

تَخالفَ النّاسُ حتّى لا اتفاقُ لهُمْ إلا   على شَجْبٍ والخُلفُ في الشَّجبِ[1]

يريد أن الناس يتخالفون في كل شيء والاجماع على الهلاك، فكلهم يقول : إن منتهى الناس والحيوانات الموت.فيهلكون، ثم تخالفوا في الموت، فقال قوم :هل تموت النفس بموت الجسم، أم ستبقى حيه؟. ثم يأتي بنظير المعنى من القرآن ﴿كل شيء هالك إلا وجهه ﴾،[2]

وكما يورد مثالا آخر فيقول : (من البسيط)

تحلو مذاقتهُ حتّى إذا غَضِبا   حالتْ فلوقَطرتْ في البْحرِمانَشْربا[3]

المعنى الذى أراده أبو الطيب هو : أنه الممدوح طيب الأخلاق. فإذا غضب حالت وتغيرت فعادت مرة ولو قطرت في البحر فيشرب ماؤه. والبحر: هوالمكان الواسع، ومنه سمى البحربحراً، وأراد بالبحر"هاهنا " : العذب. قال تعالى :﴿مرج البحرين﴾[4] يريد الملح والعذب.وأهل مصروالصعيد كلهم يسمون النيل البحر[5]

وأحيانا يستند في شرحه على صحة المعنى بالحديث الشريف من قول المتنبي:

ومن واهب جزلاً ومن زاجرهلاً ومن هاتك درعاً ومن باترقصبا

يقول الجزل : الكثير"واهلاً" : ينون ولاينون، فمن نونه نكرة، ومن لم ينونه أراد السرعة وهو زجر للخيل، والقصب : المعى،والجمع أقصاب. ومنه : " رأيت عمروبن لحى يجر قصبه في النار". وهو أول من سيب السوائب.

كذلك يورد مايؤكد صحة المعنى من الحديث :

وإنْ كان ذَنبي كلُ ذنبٍ فإنّهُ   محا الذَنبَ كلُ المحومِن جاءَ تائباً [6]

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج1،ص95ــ 96

[2] سورةالقصص،من الآية:88

[3] التبيان في شرح الديوان،ج1،ص95ــ96

[4] سورةالرحمن، من الآية :17

[5] التبيان في شرح الديوان،ج1،،ص115

[6] الحديث ورد في اللؤلؤة والمرحان في ما اتفف عليه الشيخان، في كتاب التفسير باب قوله تعالى ما جعل الله من بحره ولا سانيه" رواه مسلم 2856 في كتاب الخبر (باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء " أعد فهارسه سير بــن إبــراهيم رواه البخاري في صحيحه رقم 4623 ص 651 وصححه فؤاد غيد الباقي دار الحديث القاهرة 2005 –1416هــ

جاء بنظيره في الحديث " التائب من ذنبه كمن لاذنب له" [1]

وفي مثال آخر ألفيناه يستند في شرحه على صحة المعنى بالقرآن الكريم وبالشعر وأقوال العرب من ذلك قول المتنبي : (من الخفيف)

أين أزمعتَ أيَّهذا الهمامُ   نحنُ نبتُ الربُّى وأنَتَ الغمامُ [2]

فيقول : " أين وهو سؤال عن مكان أي مكان عزمت عليك أيها الملك

قال الواحدى : "ونحن الذين لاعيش لنا إلا بك فإذا فارقتنا لم نعش كنبات الربُّى" لايبقى إلا بالغمام، لأنه لاشرب له إلامن شأنه، وغير نبات الربُّى يمكن أن يجرى إليه الماء وهومن قول الآخر نحن زهر الربُّى وجودك غيث هل تغير الغيوث يونق زهر[3].

والمعنى الذى أراده العكبرى : أين أزمعت أيها الملك عنا ونحن الذين أظهرتم نعمتك إظهارالغمام. لنبت الربا وهو من آنَفِ النبت، ولهذا ضرب الله به المثل في قوله : (كمثل جنةٍ بربوة أصابها وابل) [4].وهومع ذلك اقرب البيت موضعاً من الغمام،وأشده افتقارا إليه، لأنه لايقيم فيه ويسرع الإنسكاب عنه ولهذا شبه أبوالطيب حاله به "[5].

وألفينا في هذا المثال يؤكد على صحة ماذهب إليه في شرح شعرالمتنبي:(من الخفيف)

نحنُ من ضايقَ الزَّمانَ له فـــ   ـــيكِ وخَافتهُ قُربَكَ الأيامُ [6]

يقول : قال أبوالفتح : اللام في "له" زائدة وله نظائركقوله تعالى : ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾[7]

وقول الشاعر : (من الطويل)

أريدُ لانسى ذكرِهَا فكأنَّما   يُمَثلُ لى ليلى بكل سبيلِ[8]

---

[1] التبيان في شرح الديوان ج 1، ص 62

[2] التبيان في شرح الديوان،ج3،ص343

[3] شرح الديوان : الواحدي،ج2،ص566

[4] سورة البقرة من الآية:256

(5) التبيان في شرح الديوان:ج3،ص343

(6) نفسه،ج3،ص343

(7) سورة يوسف،آية رقم 43

(8) أورده الشارح بدون ذكر اسم الشاعر، ص 343

كما نراه في هذا المثال يطيل الشرح،ويسهب في تحليل المعانى معتمدا على القرآن الكريم، وأشعارالعرب في هذا البيت : (من الطويل)

يا أعدل الناسِ إلا في معاملتي   فيك الحضامُ وأنت الحضمُ والحكمُ[1]

يقول في معنى هذا البيت : "يا أعدل الناس في أحكامه، وأكرمهم في أفعاله إلافي معاملتي.فإنه يحرجني عن عدله، ويضيق على ماقد بسط من فضله فيك خصامي وتعبي، وأنت خصمي وحكمي،فأنا أخاصمك إلى نفسك وأستدعي عليك حكمك وقال أبوالفتح، هذه شكوى مفرطة لأنه قال في موضع آخر:(من الطويل)

وما يوجعُ الحرمانُ من كفِ حارمٍ كما يوجعُ الحرمان من كفِ رزاقِ

وإذا كان عدلافي الناس كلهم إلا في معاملته، فقد وصفه بأقبح الصور وقد وصفه بثلاثة أوصاف مختلفة،بقوله :" فيك الخصام،أى الحكم،وليس الحكم أحد الخصمين، ولا بالشيء الذى يقع فيه الخصام والمعنى : انت الحكم. لأنك ملك لا أخاصمك إلى غيرك والخصام وقع فيك "[2]

وفي الشرح أستشهاد بالقرآن في قول الله تعالى : ﴿وهل أتاك نبأٌ الخصم إذا تسوروا المحراب﴾ [3]

ومن أستشهاده على صحة المعنى بالقرآن الكريم في قول المتنبي :

(من الخفيف)

صحبَ الناسُ قبلنا ذا الزمانا   وعناهم من أمرنا ما عنانا

وتولوا بغصةٍ كلهمُ منـــــــه   وإن كان سرهم أحيانا [4]

يقول في شرح البيتين : قد صحب الناس زمانهم قبلنا وأتبعهم في شأنه الذى أتبعا يريد أن كل الناس همهم الزمان.

أما البيت الثاني فيشير إليه بقوله :

---

(1) التبيان في شرح الديوان،ج3،ص366

(2) نفسه،ج3،،ص366

(3) سورة ص، من الآية : 20

(4) التبيان في شرح الديوان،ج4،ص239

الغصة : ماتجرع الانسان من حرارت الزمان، وسر:أفرح أحيانا[1] جمع حين، وهوالوقت، والحين على وجوده،الاول بمعنى سنة، ومنه قوله تعالى في سورة إبراهيم " تؤتى أكلها كل حين " [2]

أي كل سنة والثاني يوم القيامة،ومنه قوله تعالى : ﴿ ولكم في الارض مستقرومتاع إلى حين ﴾ [3].والثالث ساعات النهار،ومنه قوله تعالى: ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ [4].الرابع بمعنى أربعين سنة، ومنه قوله تعالى : ﴿ هل أتى على الانسان حين من الدهر﴾ [5]

وهوبقاء آدم جسداً من غيرروح، وأما قوله : ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ [6] فقال المفسرون أراد يوم بدر.

والمعنى الذى أراده العكبرى هو:أن الناس صحبواهذا الزمان ثم ماتوا بقصد : لم يبلغوا ما أمَّلُوْا من الزمان. وإن كان قد فرحهم حينا فقد نغصهم أكثرمما فرحهم، والمعنى : يريد أن أحداً لم ينل مراده من الزمان [7].

وأحيانا يستشهد بآراء العلماء الاجلاء مثل الواحدي وأبن جني،والخطيب وغيرهم، كما أنه يورد في شرحه لصحة المعنى ماقيل عن العرب وآراءهم وما يناسب المعنى من حديث شريف كما في قول المتنبي : (من الخفيف)

ومرادُ النفوسِ أصغرُ من أن نتعادى فيه وأن نتفانا [8]

يقول :" الدنيا فانية والمراد فيها فان، وهي أقل من أن يعادى بعضنا بعضا لأجل مراد النفوس وهوذاهب فإن، وهذا نهى عن التحاسد والمعاداة.وفيه إلى قول النبى ﷺ.المجمع على صحته حديث أنس وغيره "لاتدايروا ولاتباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا "

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج4،ص240

[2] سورةأبراهيم، من الآية 27

[3] سورة الاعراف من الآية 23

[4] سورة الروم، من الآية 17

[5] سورةالانسان، من الآية 1

[6] سورة ص، من الآية 86

[7] التبيان في شرح الديوان،ج3،ص342

[8] نفسه،ج3،ص342

ومن ذلك قوله في شرح هذا البيت : (من البسيط)

وشر ماقنصتهُ راحتى قنص   شهبُ البزاة سواء فيه والرخمُ [(1)]

فيذكر أن : الرخم : جمع رخمة،وهو طائر أبقع يشبه النسرفي الخلقة يقال له الأنوق. قال الأعشى : (من السريع)

يارخما فاظ على ينخوبِ   يعجل كفَّ الخارى المطيب[(2)]

فقد أورد بما يماثل اللفظ الذى ورد في بيت المتنبي بلفظة أوردها الأعشى، وهذا مايدل على براعة الشاعرفي الاستشهاد بالشعرالجاهلي وبما يطابق المعنى في الشعرالمشروح..."[(3)]

ومثله أيضا ماورد في بيت المتنبي من قصيدة أنشدها لسيف الدولة (من الطويل)

وكان بها مثلُ الجنونِ فأصبحتْ   ومن جثثِ القتلى عليها تمائمُ[(4)]

فيورد اللفظ : الجثث،جمع جثة وهى الجسد،والتمائم العود.واحداها تميمه.

فيقول: جعل الإضطراب بالفتنة فيها جفونا لها، وذلك أن الروم كانوا يقصدونها ويحاربون أهلها، فلا تزال الفتنة بها قائمة. فلما قتل سيف الدولة الروم، وعلق القتلى على حيطانها، سكتت الفتنة،وسلم أهلها، فجعل القتلى كالتمائم عليها، حيث أذهبت ما بها من الجنون، وهو إسكان الفتنة، فكأن الفتنة كانت جنونا، فسكن سيف الدولة تلك المخافة، وأذهبت تلك المهابة وترك حولها من جثث الروم ماقام لها مقاما التمائم، وأمنها من جميع المحاذر وقد لاذ بقول حبيب: (من الطويل)

تكادُ عطاياهُ يجن جنونها   إذا لم يعوذها بنعمةِ طالبِ [(5)]

قالو اأبو الطيب مارد على أحد شيئاً فقبلته إلاسيف الدولة، فإنى أنشدته من جيف القتلى فقال لي: مه قل من جثث القتلى.فقبلت وقلت كما قال لي[(6)].

---

(1) التبيان في شرح الديوان،ج3،ص373

(2) " يا رخما فاض على ينخوب " ديولن الأعشى :دار صادر للطباعة والنشر، 1980، ص 26.

(3) التبيان في شرح الديوان :ج3،ص373

(4) نفسه:ج3،ص381

(5) ديوان أبي تمام،ج1،ص148

(6) التبيان في شرح الديوان،ج3،ص381

وأردقه بشاهد آخرمن قول المتنبي : (من البسيط)

إذا نظرت نيوبَ الليث بارزةً فلا تظننّ أن الليثً يبتسم [1]

يقول العكبرى : إذا كشرالاسد عن نابه، فليس ذلك تبسما وإنما هوقصد للافتراس وهذا مثل ضربه، يعنى أنه وإن ابدى شره للجاهل، فليس هو راضً عنه، فإن الليث إذا كشر لاتظنه متبسما، وإن ذلك أقرب لبطشه، وأول على مايحذرمن فعله فكذلك ضحكى للجاهل قاده الى صرعته، وأداه الى هلكته.

ومعنى البيت من قول الشاعر : (من الكامل)

لما رآني قد نزلتُ أريدهُ أبدى نواجذهُ لغيرتَبَسُـــــــــمِ[2]

وأخده حبيب فقال : (من البسيط)

قد قلصتْ شفتاهُ من حفيظتهِ فخيل من شدةِ التعبيسِ مُبتسما[3]

ومثله من ذلك قول المتنبي : (من الطويل)

تجاوبهُ فعلاً وماتعرف الوحى ويسمعها لحظأ ومايتكلـــــــمُ [4]

يقول:الخيل من أدبها وكثرة مالاقت من الحروب،تجيبه بفعل من غيرأن تسمع الصوت، ويسمعها بالاشارة بطرفه من غيرأن يتكلم وفيه نظرإلى قول الآخر:(من الكامل)

هل تفكرين إذا الركاب مناخةً برحالها لوداعِ أهلِ الموسمِ [5]

إذا نحن تخبرنا الحواجب بيننا مافي النفوس ونحن لم نتكلم

ومثله أيضاً يقول في شعرالمتنبي : (من الكامل)

من طاعتي ثغرالرَّجال جآدرُ ومن الرِّماح دمالجُ وخلاخلُ [6]

ينقل عن الواحدى قوله : مافي معناه من الشعرالقديم : (من الزجر)

هل يغلبني واحد أقاتلهُ ريمُ على لباتهِ

سلاسله سلاحه يوم الوغي خلاخلهُ [7]

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج3،ص367

[2] عنترة/البيت ورد في شرح القصائد التسع المشهورات، أحمد خطاب، ص517، تحقيق خليل شرف الدين : دار مكتبة الهلال 1977، ص 64.

[3] ديوان أبي تمام،ج3،ص85

[4] التبيان في شرح الديوان،ج3،ص358

[5] لم يذكرقائل البيت

[6] التبيان في شرح الديوان،ج3،ص252

(7) لم يدكر قائل البيت

ونقله من قول مسلم بن الوليد : (من الكامل)

بارزتهُ وسلاحهُ خلخالُ حتى فضضتُ بكفي الخلخالاَ [1]

كذلك ماورد عنه في قول المتنبي : (من الكامل)

للهو آونة تمرُ كأنها قُبُلُ تَزوّدها حبيب راحلُ [2]

فيقول : آونه جمع أوان ومنه بيت الكتاب : (من الوافر)

أبوحنشٍ يؤرقني وطلقُ وعمارُ وأوانة أثالا [3]

" ذكرهذا البيت سيبويه على ترخيم أثاله في غيرالنداء ضرورة على قول من قال : ياحار، وقيل، جمع قيله.

والمعنى الذى ذهب إليه الشارح : " للهو واللعب أوان يمر سريعاً، كتزويد الحبيب الراحل من عندك قبلاً. فهي لذيذة،ولكنها وشيكة الدهاب كذلك ساعات اللهو واللعب وأيام السرورقصار..[4]."

وفي بيت آخر نراه يستشهد بالشعرالجاهلي فيقول شارحاً بيت المتنبي:(من المنسرح)

كأنما مائحُ الهواءِ به بـــ حرُ حوى مثل مائهِ عنما [5]

فيعقب عند لفظة عنم فيقول :" العنم شجر لين الاغصان، يشبه به بنان الجوارى، وقال أبو عبيدة : هو أطراف الخروب الشامى وأنشد بيت النابغة : (من الكامل)

بمخضبٍ رخصٍ البنانِ كأنُه عَنمُ من أَغصانهِ لم يقصدِ [6]

والمعنى الذى أراده الشارح:"كأن الهواء وهومائح به عند نشره "هو" يفرقه بحرمن العنم،يريد كثرة الورد في الهواء شبهه ببحر جمع من العنم مثل مائه في الكثرة"[7]

كما نراه في البيت التالي من شعر المتنبي يردف شرحه بشاهدين من الشعر العباسي والجاهلي وذلك : (من الكامل)

---

[1] ديوان،مسلم بن الوليد، دار صادر – بيروت لبنان، ص 150.

[2] التبيان في شرح الديوان،ج3،ص253

[3] البيت ورد في الكتاب لسيبويه،ج2،ص281

[4] التبيان في شرح الديوان،ج3،ص253

[5] نفسه، ج4،ص164

[6] ديوان النابغة الذبيانى علي أبو لحم، دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، ص 140.

[7] التبيان في شرح الديوان،ج4،ص164

وفوارسُ يُحيى الحِمامُ نفوسها   فكأنها لَيستْ من الحيوانِ [1]

فيتعرض لشرح اللفظ القريب في البيت يقول :

"الحمام : الموت،والحيوان :ذوالروح : فالناطق بنوآدم، الذى هو غير ناطق الدواب، والسطر.

فالمعنى الذى أراده العكبري هو: " نظروا إلى فوارس حياتهم في قتلهم لانهم شهداء، وهومن قوله تعالى :﴿ ولاتحسبن الذين قتلوافي سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾[2] وقوله : ليست من الحيوان، لأن الحيوان لايحيا بهلاكه. وإنما هولاء من الحيوان إذا ماتوا، كانوا أحياء عند ربهم يرزقون.

وهومن قول الطائى : (من البسيط)

يستعذبون مناياهم كأنهمْ لا   ييأسونَ من الدنيا إذا قُتلوا [3]

وقال أبن القطاع : هومأخود من قول زهيرنقله نقلاً : (من الطويل)

تراه إذاماجئتهُ متهللا   كأنك تعطيه الذي أنت سائلهُ[4]

وهومن الأخذ الخفي، لانه زهيرا جعل الممدوح يسر بما يعطى سائله حتى كأنه يأخده، وجعل المتنبي هولاء الفرسان يسرعون إلى القتل في الحرب،حتى كأنه حياة..." [5]

وأحيانا يتطرق إلى معنى البيت دون إسهاب واستغراق وإنما يكتفى بتحليل المراد شرحها ويردف ذلك بشاهد من الشعرالقديم : (من الطويل)

يُريدكَ الحُّسادُ ما اللهُ دافعٍ   ومسمرُ العوالى والحديد المذربِ[6]

فيذكر لفظه المذرب: أنها الحاد من كل شىء ولسان ذرب وفيه دراية : أي حده، وسيف ذرب وامراة ذربة : ضحاية ويقال ذرية مثل فرية. قال: (من الزجر)

ياسيِّد النَّاسِ وديانَ العرب   إليك أشكو دربه من الذرب [7]

---

[1] التبيان في شرح الديوان،ج4،ص181

[2] سورة ال عمران من الآية 69

[3] ديوان أبي تمام،ج2،ص9

[4] ديوان زهير : عمر فاروق الطباع، دار الصلح، بيروت – لبنان، ص 59.

[5] التبيان في شرح الديوان،ج4،ص181

[6] نفسه،ج1،ص184

(7) البيت لم يذكرالشارح قأئله وكثيرمانجد ذلك في شرح الديوان

ومثلما ذكرنا أنه يذكرالشاهد دون أن يورد قائله : (من الطويل)

وللسرِّمنى موضع لاينالهُ نديم ولايُفضِيْ إليه شرابُ [1]

يقول : يفضى : يقال : أفضى يفضى إذا وصل إلى الشىء.قال الله تعالى : (وقد أفضى بعضكم إلى بعض) [2]

والمعنى المراد : أنه يكتم السرفيضعه بحيث لايبلغه النديم.ولايصل إليه الشراب مع تغلغله في البدن ويردف البيت بشاهدين لم يذكرقائلهما : (من الوافر)

تغلغل حبُ عثمةُ في فؤادى فباديه مع الخافى يسيرُ

تغلغل حيث لم يبلغ شرابُ ولاحزن ولم يبلغ سرور[3]

وفي البيتين التاليين يذكرالشاهد مع ذكرصاحبه وأحيانا يكون قائلهما شاعرواحدفي شرحه لقول المتنبي : (من الطويل)

وقيدت نفسى في هواطِ محبة ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

إذا سأل الانسانُ أباحهُ الغنى وكنت على بعدِ جعلتك موعدا[4]

يقول :"اقمت عندك حبَّالك وبين سبب الإقامة بالمصراع الأَخير وأن إحسانه إليه هوالذى قيده وفيه نظرإلى قول الطائى : (من الوافر)

وتركى سعةَ الصَّدرِ أغتباطا يدلُ على موافقةِ الورودِ[5]

وكقوله : (من الكامل)

هممى معلقةُ عليك رقابُها مغلولةً إنَّ الوفاءَ إسارُها [6]

أما البيت الثانى فمعناه : إذا طلب طالب من الدهر.وشكا إليه، واقترح عليه الغنى، وكنت بعيدا عن بلادك، جعلتك موعدا لى بالغنى لاالدهر.

وينقل رأى الواحدى : أن الدهريحيل عليك.فمن اقترح عليه الغنى يشيرعليه باتيانك، كما قال أبو تمام : (من الوافر)

---

(1) شرح الديوان : العكبري،ج1،ص 192

(2) سورة النساء من الاية 21

(3) لم يذكرقائل البيتين

(4) التبيان في شرح الديوان،ج1،ص292

(5) ديوان أبي تمام،ج2،، شرح الخطيب التبريزي– تحقيق محمد عبده عزام،المجلد الثالث،دار المعارف، القاهرة–مصر. ص 42

(6) نفسه،ج2، ص350.

شكوت إلى الزمانِ تحولُ حالى فأرشدنى إلى عبدالحميدِ [1]

ثم في بيت آخر يذكرما يماثله من الشعرالجاهلي : (من السريع)

بانوا بخرعوبهِ لها كفلُ يكاد عند القيام يقعدها [2]

فيقول :"الخرعوبه والخبرعنه "أيضا" المراة الشابة اللينة الطويلة الطرية، ومنه قول أمرىء القيس : (من المتقارب)

برهومة رادةُ رخصةٍ كــ خربوعة البانه المنفطرُ[3]

وأنظر إليه كيف يستغرق في ذكرمعنى البيت مع إيراده لشواهد عدة حتى يصل بالمعنى إلى اقصى غاية وهي إيضاحه وتحليله ودعمه بالاول من الشعر الجاهلي والاموي والاسلامي وذلك في ما يتضمنه قول المتنبي من معان : (من المنسرح)

لاناقتى تقبلُ الرديفَ ولا بالسَّوطِ يوم الرهانِ أجدها [4]

فهو يذكرمعنى اللفظ القريب أولا، الرديف : هو ما يرتدف خلف الراكب والرهان : السياق. وأجهد ت الداية وجهدتها : إذا طلبت أقصى ما عندها من السير. والناقة "هنا" نعله.

فالمعنى الذى أراده الشارح : أنه يريد بها نعله. فلا يقدر أن يردف عليها. كما يردف على النياق. ولايقدر أن يضربها بسوطه،فاذا راهن للسباق لايقدر أن يضربها ولايحدها، وهذا من قول أبى نواس : (من الطويل)

إليك أبا العباسِ من بين مَنَ مشى عليها امتطينا الحضرميّ الملِسا

فلا هي لم تعرف حنينا إلى طلا ولم ندرماقرع العنيقِ ولاالهنا [5]

---

[1] ديوان أبي تمام،ج2،133.

[2] التبيان في شرح الديوان،ج1،ص297.

[3] ديوان امرئ القيس، دار صادر،بيروت، ص 110، 1421 هـ /2000م.

[4] التبيان في شرح الديوان،ج1،ص297.

[5] ديوان أبي نواس ص 475.

ومثله قول الآخر: (من الطويل)

رواحلنا ستُ ونحن ثلاثةُ نجنبهن الماءَ في كل منهلِ [1]

لأنه لا يخاض بالنعل الماء.

وينقل رأى الواحدى حيث يستشهد لهذا المعنى بيت لعنتره : (من الكامل)

فيكونِ مركبك القعودِ ورحله ِ وابن النعامةِ يوم ذلك مركبّى

وابن النعامة : عرق في باطن القدم. يعنى أنه راكب أخمصه [2].

---

[1] لم يذكرالشارح قائل البيت

[2] ديوان عنترة، ص 46.

2–أهتمام العكبري بنسبة الأبياتِ إلى قائلها في الغالب وقليلاً ما كان يترك البيت من غير نسبة مكتفياً بالقول "قال الشاعر" [1]، أو "قال الآخر" [2]، أو "قال بعض العرب" [3]، أو "أنشدوا" [4].

وقد ينسب البيت إلى قبيلة الشاعر فيقول: "قال الهُذليّ" [5]، أو"قال الطائيّ"[6]. ونجده يحتج بما يرويه اللغويون والنحويون الموثوق بهم فيقول: "أنشد سيبويه" [7] أو"انشد أبو زيد" [8] أو"أنشد يعقوب" [9].

3– وقد يستشهد بأكثر من بيت في المسألة الواحدة كأنَّه يبغي استقصاءَ ما جاء فيها. ومن ذلك استشهاده بثمانية أبيات لإثبات جواز ترك صرف ما ينصرف في الشعر قال: "وجاء كثيراً في اشعارهم قال الأخطلُ[10]: (من الكامل):

طَلَبَ الأرزاقَ بالكتائبِ إذْ هَوتْ بشَبيبَ غائلةُ الثغورِ غُدُوْرُ

فترك صرف" شبيب" وهو منصرف،وقال حسَّان بن ثابت[11]: (من الكامل)

نَصَرُوا نَبيَّهمُ وَشَدُّوا أزْرَهُ بِحُنَيْنَ يومَ تواكُلِ الأبطالِ

فلم يصرف"حنينًا" وهو مصروف، وقال الفرزدق[12]: (من الطويل)

إذا قالَ يوماً مَنْ ينوحَ قصيدةً بها حربٌ عُدَّت عليَّ بزونزا

فترك صرف"زونز" وهو منصرف،

وقال الآخر[13]: (من الكامل)

وإلى ابن أمِّ إياسَ أرْحَلَ نَاقتي عمرو فتبلغ حاجتي أو تَرْجِفُ

---

(1) التبيان في شرح الديوان: 158/1.

(2) نفسه: 160/1.

(3) نفسه: 45/1.

(4) نفسه: 40/4.

(5) نفسه:138/1.

(6) نفسه: 377/1.

(7) نفسه: 38/1.

(8) نفسه: 240/2.

(9) نفسه: 241/2.

(10) ديوانه: 408/2،وروايته (النفوس) بدل (الثغور).

(11) ديوانه: 512/1.

(12) البيت مضطرب وليس في ديوان الفرزدق وهو في ديوان ابن احمر: 85،وروايته:
وان قال غاوٍ من تنوخٍ قصيدةً بها جَرَبٌ عُدّتْ عليَّ بزوبرا.

(13)البيت لبشر بن أبي خازم، ورواية شطره الثاني(عمرو ستنتجُ حاجتي أو تُزحِفُ، ينظر: ديوانه: 155.

فترك صرف "إياس" وهو منصرف.

وقال الآخر[1]: (من الوافر)

أؤمِّلُ أنْ أعيشَ وإنَّ يومي بأوَّلَ أو بــأهونَ أو جُــبار

أو التالي دُبارَ فإنْ أفــتهُ فمؤنسَ أو عروبة أو شــيار

فترك صرف"مؤنس" و"دَبار" وهما مصروفان.

وقال الآخر[2]: (من الكامل)

قالت أُميمةُ ما لثابتَ شاخصاً عاري الأشاجعِ ناحلاً كالمُنْصلِ

فترك صرف"ثابت" وهو مصروف وقول العبَّاس بن مرداس السُلَميّ[3]: "من المتقارب"

فما كان حِصْنٌ ولا ثابتٌ يفوقان مِرْدَاسَ في مَجمْعِ

وقول الآخر[4]: (من الطويل)

وقائلةٍ ما بالُ دوسرَ بعدنا صحا قلبُه عن آل ليلى وعن هندِ

فترك صرف"دوسر" [5].

وقد يقتصر بذكر شاهد واحد والإشارة إلى كثرة الشواهد في المسالة، ومن ذلك استشهادهُ على مجيء "يا" حرف تنبيه بمنزلة "ألا" في أثناء شرح بيت المتنبّي: (من الكامل)

يا افخرْ فإنَّ النَّاسَ فِيكَ ثلاثة مُسْتَعْظِمٍ أو حاسدٌ أو جاهِلُ

إذ قال: "يجوز أنْ يكون جعله تنبيهاً بمنزلة "ألا"، كقول ذي الرُّمة[6]: (من الطويل)

ألا يا اسْلِمي يا دارَ مَيّ على البَلى ولازالَ مُنهلاً بجرعائكِ القَطرُ

ومثله في الشعر كثير "[1].

---

[1] البيتان مجهولا القائل، وهما من شواهد الانصاف: 497/2،والمقاصد النحوية: 367/4، وهمع الهوامع: 37/1، والدرر اللوامع: 103/1.

[2] البيت مجهول القائل، وهو من شواهد الانصاف (م: 70): 499/2.

[3] في ديوانه (ولا حابسٌ): 84.

[4] البيت لدوسر بن دهبل القريعيّ وهو من شواهد الانصاف (م:70): 500/2.

[5] التبيان في شرح الديوان 277/1-278.

[6] ديوانه: 36.

[1] التبيان في شرح الديوان 259/3.

4-حرص الشارح على إيراد البيت الشعريّ كاملاً في اغلب الأحيان، وقد يذكر الشطر الذي فيه موضع الشاهد في أحايينَ أُخرى، ومن ذلك استشهاده على عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبةً في ضرورة الشعر بقول الشاعر[1]:
(من الطويل)

جَزى ربُّهُ عَني عديَّ بنَ حاتمٍ[2]

وقد يكتفي بذكر الكلمة التي هي موضع الشاهد، ومن ذلك قوله في بيت المتنبّي: (من الطويل)

أيا أسداً في جسمهِ روح ضيغمٍ وكم أُسُدٍ أرواحهن كِلابُ

"أيا أسداً": هو نداء مُنكَّر ينتصب بفعلٍ مضمر، ولو رفع ونوّن لكان أجود لأنَّه خصَّصه، كما قال الشاعر: "يا مطرُ"[3].

وقد يذكر كلمتين من البيت ومن ذلك قوله : "يُقال عِقدٌ مُفصَّل: إذا كان منظوماً. ومنه قولُ امرئ القيس: " الوشاح المفصَّلِ "[4].

وقد لا يقتصر على ذكر البيت الذي فيه موطن الشاهد، وإنَّما يذكر البيت الذي قبله أو البيت الذي بعده أو كليهما، قال في معنى كلمة "عِرض" "وقيل كلُّ وادٍ فيه شجر فهو عِرض. قال الشاعر[5]: (من الطويل)

لعِرضٌ من الأعراض يمسيَ حَمامُهُ ويُضحي على أفنانهِ الغين يهتفُ
أحبُّ إلى قلبي من الديكِ رنَّةً وبابٍ إذا ما مال للغلِق يَصْرِفُ [6].

---

(1) البيت لأبي الأسود الدُّؤَليّ: وتتَمَّتُهُ ((جزاء الكِلابِ العَاوياتِ وَقَدْ فَعَلْ))، ملحقات ديوانه: 237.

(2) ينظر: التبيان في شرح الديوان :1/111-112.

(3) يشير إلى بيت الاحوص (سَلامُ اللهِ يا مَطرٌ عليَها وليسَ عَلَيْكَ يا مَطرُ السَّلامُ) ديوانه: 183، التبيان في شرح الديوان: 1/196.

(4) يشير إلى بيت أمرئ القيس (إذا ما الثُّريَّا في السَّماءِ تعرَّضَتْ تَعرُّضَ أَثْناءِ الوِشَاحِ المُفصَّلِ) ديوانه: 14، التبيان في شرح الديوان: 4/164-165..

(5) البيت في الصحاح (ع ر ض): 3/1091، وروايته في اللسان: يمسي... 9/34.

(6) التبيان في شرح الديوان: 2/175.

وقال في معنى كلمة "الخاز باز" "قال الأصـمعيّ: هـو نبـتُ وأنشـدَ[1]: (من الرجز)

أرعيتها أكـرمَ عودٍ عودا   الصِّلّ والصِفصِلَّ واليعضِيدا
والخازِ بازِ السَنِمَ المجودا   حيث يدعو عامرٌ مسعـودا [2]

واستشهد على مجيء كلمة "الأَنـس" بمعنـى النـاس بقـول الشـاعر[3]: (من الوافر)

أتوا ناري فقلت مَنونَ أنتم؟   فقالوا الجنُّ، قلتُ عِموا ظلاماً
فقلتُ: إلى الطعامِ: فقال منهم   زعيمٌ: نحسد الأَنَسَ الطـعاما
لقـد فُضِّلتـمُ بالأكـلِ فينـا   ولكن ذاك يُعقبكم سِـقامـا[4]

5-الاستشهاد بالشعر لأغراضٍ متعدّدة. فقد يستشهد بالشعر لإثبات استعمال عنـد العرب، ومن ذلك استعمال صيغة "عمـرُ الله". فالمشـهور عنـد العـرب استعمالها في القسم، فإذا قيل: "لعمرُ الله لأفعلنَّ" أُريد "لعمـرُ الله قسـمي" ومعناها "أحلف ببقاء اللهِ ودوامه" وقد تقول العرب "عمرَك اللهَ" ومثله قول المتنبي: (من الخفيف)

عمرَك اللهَ هل رأيت بدورا   طلعت في براقعٍ وعقودِ

والشارح حمل قول العرب "عَمَرَك الله" على أحد معنيين، الأول: بقاؤه على باب القسم ويكون المعنى "بتعميرك الله"، أيْ: بإقرارك له البقاء والثاني: خروجـه إلى باب الدُّعاء والمعنى "سألتُ اللهَ أنْ يُطيلَ عُمرَكَ" او "سـألت الله أنْ يُعمِّـرك تعميراً" وحمل قول المتنبّي على المعنى الثّاني مستشهداً بقـول عمـر بـن أبـي ربيعة[5]: (من الخفيف)

---

[1] البيت من شواهد الصِحاح: مادة (خ و ز) 874/2.
[2] التبيان في شرح الديوان: 183/2.
[3] ينظر:نوادر أبي زيد: 123-124، وجمهرة اللغة: 122/2.
[4] ينظر: التبيان في شرح الديوان: 185/2وشعر تأبط شراً، تحقيق د. سلمان داود القره غولي، وجابر، 171، مطبعة الآداب، النجف 1393هـ
[5] ملحقات ديوانه: 337.

أَيُّها المنكحُ الثريَّا سُهيلاً   عَمرَك اللهَ كيفَ يلتقيان[1]؟!

وقد يستدلُّ بالشعر على لغاتِ القبائل، وكثير ما كان يُشير إلى اللغات المختلفة في اللفظة الواحدة ويذكر الأبيات التي تُعبِّر عن خصائصَ لهجيَة ومن ذلك قوله: "النَّاصاة: الناصية بلغة طيِّئ، قال حُريث بن عنَّاب الطائيّ[2] (من الطويل):

لقد آذنت أهلَ اليمامة طيِّئٌ   بحربٍ كناصاةِ الحصان المشهَّرِ [3].

ومن الخصائص اللهجيّةِ التي ذكرها واستشهد لها بالشعر إبدال أَحَد أحرف اللفظة، ومن ذلك إبدال الياء جيماً في لفظة "إيَّل" مُستشهداً بقول أبي النجم[4]: (من الرجز):

كانَّ في أذنابهنَّ الشُّوَّلِ من   عَبَسِ الصَّيفِ قرون الإجَّلِ [5].

6-الإشارة إلى المسألة النحوية بالبيت الشعريّ:

فقد ترتبط مسألة نحويّة بشاهدها الشعريّ فيستعمل النحويون الشاهدَ للإشارة إليها، ومن ذلك مسألة عطف عامل محذوف بقي معموله، قال الشارح في بيت المتنبّي: (من الخفيف)

ما لبسْنا فيه الأكاليلَ حتَّى   لبستها تلاعُهُ ووهاده

ووجه قول المتنبّي: أنَّه أراد حتى لبستها تلاعُهُ والتحفت بِها وهاده"، فيكون من باب: "علفتها تبناً وماءً بارداً" [6].

---

[1] ينظر: التبيان في شرح الديوان: 314/1.

[2] رواه أبو زيد الأنصاريّ (الأغرّ) بدل (الحصان)، ينظر النوادر: 124.

[3] التبيان في شرح الديوان: 291/4.

[4] الرجز في المحتسب: 61/1، 76، شرح المفصل: 50/10.

[5] التبيان في شرح الديوان: 203/3.

[6] نفسه: 48/2.

الخلاصة :

ومن خلال ماأوردنا سلفا ندرك أن شواهد العكبرى قد جاءت متنوعة ومتعددة الأشكال فمن الشاهد القرآنى، إلى الحديث النبوى، إلى ما أثرمن كلام العرب وأمثالهم،والشاهد يعد عاملا مهما عند شراح الشعرالسابقين فإنه أيضا يكون أكثرأهمية عند العكبرى فهويحدد جوانب اللغة، ومعانيها، ونواحيها الإعرابية، وتوثيق رواياتها، وتوضيح ماغمض فيها من ألفاظ. وهكذا يتضح لنا في تتبعنا لمنهج العكبري في شرح الشعر أنه كان يستعين باللغة والنحو في تفسير الألفاظ والتراكيب وصولاً إلى المعاني وإيضاحها.

وقد رأيناه أيضا ينظر في تحليل المعاني إلى نواحي مختلفة، فيتجه إلى مقاصد الشعراء ومراميهم فيسجلها أحياناً قبل الشروع في إيراد المعاني، ثم أنه يستقصي المعنى ويورده في أكثر من وجه ويقيم الجدل بينه وبين نفسه أو قارئه بغية تأكيد. ومن هنا ندرك أن العكبرى قد كانت له اليد الطولى في إثراء اللغة بهذا المعين العذب الذى يتمثل في شرح ديوان المتنبي واقراره.

ويستحضر الشواهد من القرآن الكريم والشعر التي تلتقي في معانيها بمعاني النص، كما أنه يتعقب أقوال السابقين في المعاني، لإبراز جوانب القصور فيها، وكذلك تخيره في عرض المعاني العبارات الأدبية، التي تؤدي المعنى في صورة تبعث المتعة في نفس قارئه، وتجعله يستشعر بعقله ووجدانه شرف المعنى وقيمة المضمون.

الفصل الثالث

منهج اليازجي في شرح الشعر

- **المبحث الأول: التعريف بالشارح**

المطلب الأول

أ - الدوافع لهذا الشرح

1 – طريقته في شرح الشعر

ب – اللغة

1 – اللفظ المفرد

2 – التبسيط في الشرح

3 – إستدعاء الأشباه و النظائر

4 – الإستعانة بأراء العلماء

المبحث الاول

التعريف بالشارح:

ومن الذين تناولوا شعر المتنبي بالشرح والتفسير، الشيخ ناصـيف اليـازجي الذي ظل طول حياته يؤلف شرحاً – لم يسمح الموت بإتمامه – فجاء ابنه إبراهيم اليازجي [(1)]وجمع هذا المواد وأذاعها في بيروت سنة 1882 تحت عنوان العـرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب يقول عنه بلاشار: "وفي هذه الطبعة الجديـدة رتبت قصائد المتنبي ومقطوعاته ترتيباً تاريخيـاً غيـر دقيق،ولكنـه أدق مـن الواحدي"[(2)] كما أن بعض القطع قد هذبت، وبعضها بدل فيها وحذف " ويقول عنه: " ويظهر بوضوح أن شرح الواحدي هو الذي استخدم أساساً لشرح اليازجي، ولقد كان شرحاً أكثر بسطا من شرح البستاني وهو يعرضه السهل – يكمل إكمالاً حسناً شرح العكبري والواحدي ...."[(3)]

ومن خلال المقدمة التي أوردها مؤلف الشرح يتبين بوضح أنه قد أشار إلـى فضل والده في وضع الأساس الأول لتأليف هذا الشرح حيث يقول: " هذا آخر ما أثبت الرواة من شعر المتنبي رحمه الله تعالى، وقد اخترت له أشـهر الروايـات وأمثلها بعد أن وقفت فيه على غير نسخة من النسخ الموثوق بها ....

يقول: " وكان أبي قد شرع في تعليق هذا الشرح على هـامش نسـخة مـن الديوان بخطة كان يثبت فيها ما يعن له من تفسير أو إعراب أو شرح بيِّن تـذكرة لنفسه مع ذكر كثير من وقائع النظم ."[(4)]

كما أنه أشار في المقدمة إلى الدوافع التي جعلته يهتم باستكمال هذا الشـرح يقول: " ومعلوم ما لهذا الديوان من الشهرة الطائرة بين خاصة الناس وعـامتهم، لكثرة ما فيه من موارد الحكمة ومضارب الأمثال الشائعة، على الأقلام والألسنة، مع ما هو مشهور في شعر المتنبي من عوص التراكيب، وبعد تنـاول المعـاني،

---

(1) ولد في لبنان سنة 1846 ومات في بيروت 1906 وهو نابغة عصره في اللغة وله في أيام شبابه شعر وطني قومي – لم يتزوج وله آثار منها – ن–عة الرائد في المتواتر والمتوارد – ش–ح وتعليق ديوان المتنبي – ينظر بلا شار: هي 69–70، الفنون الأدبية وأعلامها ص 65.

(2) نفسه، ص 7.

(3) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب – دار صادر بيروت ص 7

(4) نفسه ص 7

ومع قلة ما في أيدي الناس شروحه على المتأدبين والدارسين في هذا العصر إلى شرح يعتمد عليه في استخراج مكنونه والكشف عن غامضه، وكثر تقاضى الناس لهذا الشرح الذي ذكرته عندي، وأنا أدافع في الإجابة لعلمي بأنّ نشره على الحـــد المشار إليه غير جدير بأن يتلقى هذه الحاجة بقضائها ..."[1]

المطلب الأول:

أ –الدوافع لهذا الشرح:

فالذي يتضح لنا من هذه الإضاءة التي أشار فيها الشارح إلى طريقة عمله في هذا الشرح فهو يقرر الآتي:

1– اقتفاء أثر والده في استكمال هذا الشرح الذي توفى قبل إتمامه .

2– شهرة ديوان المتنبي بين عامة الناس وخاصتهم وما فيه من موارد الحكمة.

3– الحاجة إلى شرح الديوان وخاصة بين المتأدبين والدارسين .

4– الكشف عما يحتويه الديوان من غريب لفظ ومعاني .

5– أهمية ديوان المتنبي من الناحية اللغوية، والقيمة الأدبية .

ب – طريقة اليازجي في الشرح:

1– تتبع غريبه وأعراب المشكل من تراكيبه، واستقصاء مواطن الإغراب.

2– الاهتمام بالمعاني والكشف عن غموضها .

3– الاهتمام باللغة وشرح الألفاظ لإجلاء المعاني .

4– التطرق إلى جوانب الإعراب والإشارة إلى الجوانب الصرفية .

ويورد اليازجي شعر المتنبي قصيدة قصيدة مرتبة ترتيباً تاريخياً غير دقيـــق، ثم يشرع في الوقوف على أبيات القصيدة بيتاً بيتا شـــارحاً ومفســـراً ومســـتطرداً أحياناً، إلا الأبيات التي تبدو سهلة واضحة، وفي الشرح يصرف اليازجي عنايتـــه باللفظ المفرد أولاً، ثم إلى العبارة أو الجملة الشعرية ثانياً، ويتتبع ذلك بـــالوقوف على البيت كاملاً، وسنفصل القول في كل أمر من هذه الأمور .

(1) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1، ص 7-8

ب – اللغة:

منذ أولية شرح الشعر كانت اللغة مناط اهتمام الشَّراح، وقد بدأ هذا الاهتمام بشرح غريبها وتفسير ما استغلق منها – على ندرته – لقرب عهد الناس باللغة الشعرية لعصور الشعر المشروح، ثم توسعوا في ذلك توسعاً كبيراً طال أسرارها ودقائقها .

ومع مر العصور ازداد الاهتمام بهذا العنصر من عناصر شرح الشعر لزيادة حاجة المتلقين إليه، نتيجة الابتعاد المتنامي عن لغة ذلك الشعر والاختلاط المتزايد بالعناصر غير العربية بسبب توسع الفتوحات الإسلامية .(1)

إن العناية باللغة مرتكز رئيس ظل سائداً في جميع الشروح الشعرية وقد كان الاهتمام باللغة أحد المفاتيح المهمة التي يجيد اليازجي استخدامها في فتح ما غلق من أبواب الشرح ومنافذه، ومصباحاً يستكشف به ما خفي أو أخفى من معاني الشعر ومقاصد الشعراء .

واستثماره لعنصر اللغة في عمله في شرح الديوان اتخذ أشكالاً متعددة ومظاهر متنوعة منها .(2)

1- اللفظ المفرد:

يظهر اليازجي اهتماماً واسعاً بالألفاظ حتى توشك أن تكون همه الأول بل هي كذلك حقاً، ولا تقف عنايته باللفظ عند جانب واحد، بل هي عناية متشعبة الاتجاهات، تتناول اللفظ من جوانبه المختلفة، فهو يختار ما يراه غريباً من الألفاظ، أو قريباً من الغرابة، فيشرح ما اختار ويتتبع طرقاً من اشتقاقات اللفظ ومرادفاته .

ويستظهر على ذلك بما ينقله عن أئمة اللغة كابن جنى، والواحدي وغيرهما أحياناً، على نحو ما نرى في شرحه لهذا البيت . (من الكامل)

هَيْهَاتَ عَاق عن العِوادِ قَواضِبٌ كَثُرَ القَتَيلُ بهاوَقَلْ العانِ

(1) انظر المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث – عبد الرحمن شعيب – ص 275.

(2) انظر الفنون الأدبية وأعلامها، أنيس المقدس، دار العلم للملايين ص 60.

يقول: ((العواد مصدر عاود بمعنى عاد، وقد فسروا بالعود إلى القتال وهــو غير المقصود، لأنه يقول قبل هذا البيت بيت واحد: (من الكامل)

حُرِموا الذي أمَلُوا وأدرك مُنهمُ آماله مَنْ عادَ بالحِرْمانِ

أي من عاد منهم إلى أهله بالحرمان فقد أدرك أهله، يعني النجاة برأسه))[1]

ثم يذكر قول المتنبي في سيف الدولة:- (من الخفيف)

كلَّما صبَّحوا ديارَ عدوٍّ قال تلك الغيوث هذي السيولُ .

فيورد لابن جنى قوله: " هذا مثل عنى بالغيوث ســيف الدولــة " وبالســيول مواليه، وذلك أن السيل يكون من الغيث وكذلك مواليه قدروا وعزوا. فجعل سيف الدولة غيوثاً، وحاصله أنهم كلَّما غزوا عدواً قال سيف الدولة: هــؤلاء مــوالَيَّ، فتأمله .

وقال الواحدي، كلما أتت مواليه صباحاً للغارة دار عدو قال العدو: تلك التي رأيناها قبل كانت بالإضافة إلى هؤلاء غيوثاً عند الإضافة إلى السيول، يريد كثرة مواليه، وأنظر ما عنى بقوله: تلك التي رأيناها قبل، وإنما ذلك كله تحرّصٌ لــيس البيت في شئ منه .

والصحيح في تفسيره أنه أراد بالغيوث النِّعم المذكورة قبل هذا البيت في قوله. (من الخفيف)

وموال تحييهم من يديــه نِعَمٌ غيرهمُ بها مقتــــــولُ

فرسٌ سابحٌ ورمُحٌ طويلٌ وَدِلاصٌ زغفٌ وسيفٌ صقيلُ [2]

فشبه هذه الأشياء التي هي من إنعام سيف الدولة بالغيوث، وشبه الغارة التي تعقبها على العدو بالسيول الحادثة عن الغيوث .

(1) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج2، ص 257.

(2) انظر نفسه ج1 ص 69.

ثم يقول: والمعنى كما ذكرناه في محلّه، كلما صبَّحت مواليه ديار عدو قصبَّت عليه الغارة قالت غيوث مواهبه المذكورة هذه سيولنا .[1]

من هنا ندرك أن اليازجي كان إذا أراد شرح معنى لفظة أنشد طائفة من الأبيات يستظهر على ما أراد، والوقوف على المعنى الصحيح والمراد .

(من الطويل)

أبا المسك هل في الكأس فضلٌ أناله فإنِّي أغنِّي منذُ حينٍ وتشربُ [2]

فيقول الشارح: ولم أر من زاد في تفسير الشطر الأول من هذا البيت على قوله: " هل في كأسك فضل أشربه، أي هل تعطيني شيئاً، كأنه يسأله جائزة شعره، وإنما أراد المتنبي غير ذلك، وهو ما صرح به بعد هذا البيت بقوله: (من الطويل)

إذا لم تَنُطْ بي ضيعةً أو ولايةً فجُودك يكسوني وشغلك يسلبُ

ومن هذا القبيل قوله: (من الطويل)

أرى لي بقربي منك عيناً قريرةً وإن كان قرباً بالبعادِ يشابُ [3]

وقد فسر البعاد وبالبعد عن الوطن والأحبة، وهو غير المقصود، إنما المعنى الصحيح ما فسره به في البيت التالي بقوله: (من الطويل)

وهل نافعي أن تُرفعَ الحجبُ بيَنَنًا ودون الذي أمَّلتُ منك حجابُ

ونراه في هذا البيت يطيل الشرح ويشير إلى قصور الشراح في الوصول إلى معنى البيت فهو بقول: " يريد بما أمَّل منه تفويض ولايةٍ إليه، وهو تعريض بما صرَّح به هناك، كما يستفاد من سائر كلامه في هذا الموضع، فكأنه يقول: " إنك قرَّبتني من مجلسك وأبعدتني من حسن رأيك فكان هذا القرب مشوبا بذلك البعد " ثم يقول: ((وهذا كثيراً ما رأيت الشَّراح يغفلون عنه فيأخذون في شعاب الاحتمال ويلتمسون المعنى من طريق التفسير ....))[4]

---

(1) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج1، ص 69.

(2) نفسه، ج1، ص 69.

(3) نفسه، ج1 ص 69.

(4) نفسه ج1 ص 70

شرح الألفاظ لإجلاء المعنى نحو قوله: (من البسيط)

رُوحٌ تردَّدَ في مثلِ الخلالِ إذا أطارتِ الريحُ عنه الثوبَ لم يبَنِ

يقول: ((روح مبتدأ محذوف الخبر أي لي روح، وتردد يجوز أن يكون فعلاً ماضياً على تذكير الروح، وهو الأكثر أو مضارعاً على تأنيثها والأصل تتردد بتأءين فحذفت إحداهما للتخفيف، والخلال عود دقيق تخلل به الأسنان، ويروى الخيال أي أنّ روحه تجئ وتذهب في بدن قد نحل حتى صار مثل الخلال لو طيرت الريح الثوب الذي عليه لم يظهر لرقته ....))[1]

وفي شرح بيت من قول المتنبي: (من المنسرح)

أهلاً بدارِ سَبَاك أغيدُهَا أبْعَدُ ما بان عَنْكَ خُرَّدُهَا

" أهلا منصوب بمضمر والتقدير جعل الله أهلا بتلك الدار، أي جعلها عامرة بالأهل والأغيد، الناعم المتثنى لينا، ثم نراه في شرح بيت آخر:

(من المنسرح)

يقول:

ظِلْتَ بها تَنْطَوِي على كَبِدٍ نضيجةٍ فَوْقَ خِلْبِهَا يَدُهَا

" ظلت أصله ظللت، فحذفت إحدى اللامين تخفيفاً، وخلب الكبد غشاؤها، ويدها مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه، والجملة نعت أخر لكبد "[2]

وانظر إليه في تقصي إعراب هذا البيت: (من الكامل)

وتَراهُ أصغرُ ما تَراهُ، ناطِقاً ويكونُ أكذبُ ما يكونُ ويُقَسِمُ

" ما الداخلة على الفعلين مصدرية، وناطقاً ويقسم حالان، وأراد وهو يقسم ... وأصغر وأكذب يرويان بالنصب على أنهما معمولان للفعلين قبلهما وزعم بعضهم أنهما هنا في موضع المفعول المطلق، على أن ترى من رؤية العين، فهي متعدية إلى واحد، ويكون تامة فلا خبر لها، والتقدير تراه ناطقاً رؤية أحقر رؤيتك إياه ويوجد وهو مقسم وجوداً "[3]

---

(1) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج1 ص 95.

(2) نفسه، ج1، ص 96.

(3) نفسه، ج1، ص 12

وقد يخرج من الملاحظات اللغوية القصيرة إلى استطراد لغوي طويل، على نحو ما يظهر في حديثه . (من الطويل)

وإنَّ رحيلاً واحداً حالَ بينَنَا وفي الموتِ من بعدِ الرحيلِ رحيلُ

يقول: قال الواحدي: " ارتحالكم عنا أو ارتحالنا عنكم حال بيننا لإننا افترقنا وفي الموت الذي يحصل بالفراق رحيل آخر، يريد أنه لا يعيش بعدهم، وهو تفسير لظاهر البيت لفظه إلا أنه غير المراد بل هو مناقض له لأنه يقول قبل هذا البيت: (من الطويل)

وما عشتُ من بعد الأحبةِ سلوةً ولكنَّني للنائباتِ حَمُولُ[1]

فأثبت هنا أنه عاش بعدهم، وهو نفس المعنى الذي بنى عليه البيت الثاني، كأنه يعتذر إليهم من بقائه بعدهم، يقول: إن ارتحالكم عنه ارتحالٌ واحد، فإذا مات من وجد بهم حدث له عنهم ارتحالٌ آخر، وقول الواحدي: ارتحالكم عنا أو ارتحالنا عنكم قد عيَّن الشاعر أحد الارتحالين بقوله: ليالي بعد الظاعنين شكولُ، فلا موضع لهذا الشك ومن هذا القبيل قوله:[2] (من الطويل)

يدقُ على الأفكار ما أنت فاعلٌ فيُتَركُ ما يخفى ويؤخذُ ما بدا

وهو في شرح هذا البيت يشير إلى أنه لم يتوصل إلى المعنى أحد غيره فيقول: إن المقتدين بسيف الدولة في المكارم يأخذون ما ظهر منه ويتركون ما خفى، وقال غيره: ((أن ما يبتدعه من المكارم يخفى على أفكار الشعراء فيذكرون ما ظهر منها، إلى آخر ما قال، وكلاهما غير المراد ولا ذكر في هذا البيت للمكارم ولا فيما قبله ولابدَّ لاستخراج الغرض في هذا البيت من مراجعة ما سبقه من الأبيات ...))[3]

وعلى هذا النحو يستطرد اليازجي في ملاحظاته اللغوية، فيجمع من كلام العرب حينا، وينقل عن العلماء أحياناً أخر، وباختصار أقول: عنى اليازجي بالألفاظ المفردة عناية كبيرة فشرح معانيها، وذكر طائفة من مشتقاتها، وهو في

---

(1) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1، ص 66.

(2) نفسه، ج1، ص 66.

(3) نفسه، ج1، ص 66.

ذلك ينقل عن شيوخ اللغة ما وجد إلى ذلك سبيلاً، وهو يقلب الألفاظ فينقد بعضها ويستحسن سواه بديلاً له أو يراه أعجمياً فينص عليه، ولكنه يحتج لصاحبه المتنبي ويلتمس له العذر، وفي تضاعيف حديثه عن هذه الألفاظ كان يبث طائفة من الملاحظات اللغوية المتصلة ببنية الكلمة أو يخرج إلى استطرادات لغوية طويلة يتكئ فيها على ما يعرف من كلام العرب أو على ما ينقله من أقوال العلماء.

2- التبسط في الشرح:

على الرغم من حرص اليازجي على التفرد والتميز في شرحه نتيجة شعوره بأن الشراح السابقين لم يوفقوا في شرح شعر المتنبي الشيء الذي جعله يبذل جهداً غير عادي في محاولته الارتقاء بشرحه شكلاً ومضموناً .

واعتقد أن من أسباب ذلك حرصه الزائد على توضيح المعنى وإيصاله لذهن السامع والملاحظ على شرحه الاستطراد أحياناً في الشرح، وأحياناً الاختصار لدرجة أن المتأمل لشرحه يصفه بالقصور، وعدم التمكن في شرحه .

ومن خلال ما سنعرضه من وقفات شعرية يتناول فيها اليازجي معاني الأبيات ندرك ما ألمحنا إليه، من ذلك قول المتنبي: (من الطويل)

فلا يتَّهِمْني الكاشحون فإنني دعبتُ الرَّدى حتى حلَت لي عَلاَقُمِهْ

يقول: " الكاشح الذي يضمر العداوة، والردى الهلاك وأثبت له الرعي على تشبيهه بالنبات الذي يرعى. والعلاقم جمع علقم وهو الحنظل، (فالمعنى الذي وصل إليه الشارح بعد ذلك)، يقول: لا يتهمني الأعداء بالجزع من الفراق فإني قد مارست أسباب الهلاك واعتدت ذوقها حتى لا أجد لها مرارة "[1]

فهو في شرحه لهذا البيت يجنح إلى السهولة والتبسط في الشرح دون غموض أو تعقيد، حتى يصل بالمتلقي إلى المعنى المطلوب في أسهل صورة .

وكذلك قول المتنبي بشرحه: (من الطويل)

تَرى حيوانَ البَّرِ مُصْطَلِحاً بهِ يُحاربُ ضِدٌّ ضِدَّهُ ويُسَالِمُهْ

---

[1] ينظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2، ص 9.

فيشرح البيت يقول: " يريد صور حيوانات عليها مما لا يسالم بعضه بعضا، وقد صورت متحاربة وهي في الحقيقة مسالمة لأنها جماد لا تقاتل .."[1]

والذي نلحظه في هذا الشرح أنه كان ينقل عن الواحدى وشرح العكبري، فهو يتبسط في الشرح نظر لأنه كان ينقل عن الواحدي النقل الحرفي إلا أنه كان يختصر في هذا الشرح .

كما نجده في شرح هذا البيت، (من المنسرح)

أين أزمعت أيُهذا الهُمامُ ؟ نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَي وأنت الغّمَامُ

فيقول: " الإزماع العزم على الأمر أي أين أزمعت أن تسير؟ والربى التلال خصها لأنه نباتها لا يشرب إلا من ماء المطر فهو أحوج إليه من نبات غيرها لأنه يمكن أن يشرب من الماء الجاري .."[2]

وانظر إليه في شرح هذا البيت: (من الخفيف)

وكفاحاً تَكِحٌ عنه الأعادي وارتياحاً تَحارُفيه الأنامُ

فيقول: " تكسح، تجبن وتضعف، والارتياح الهشاشة للبذل واصطناع المعروف ..."[3]

وأحياناً نراه ينقل آراء العلماء السابقين من ذلك قوله في شرح بيت المتنبي: (من المنسرح)

لَيْث أنَّا إذا ارْتَحَلَتْ لك الخيـ ـلُ وأنَّا إذا نَزَلت الخِيامُ

يقول: قال الواحدي: " أي ليتنا معك نتحمل عنك المشقة في مسيرك ونزولك هذا معنى البيت لكنه أساء حيث تمنى أن يكون بهيمة أو جماداً ولا يحسن بالشاعر أن يمدح غيره، بما هو وضع منه"[4] (من الخفيف)

ونلحظه في شرح هذا البيت:

كُلَّما قيلَ قد تناهَى أرانَا كَرَماً ما اهَتَدتْ إليه الكِرَام

---

(1) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج2 ، ص 9.

(2) ينظر نفسه، ج2، ص 13.

(3) نفسه، ج2، ص 15.

(4) نفسه، ج2، ص 13.

فيقول: " تناهى بلغ النهاية أي كلما ظن أنه بلغ نهاية الكرم ابتدع من المكارم شيئاً جديداً [1].

3- استدعاء الأشباه والنظائر:

ومن مظاهر اهتمام الشيخ ناصيف بالمعنى وإيضاحه دأبه على استدعاء ما شابه الشعر المشروح ونظيره حتى يتمكن المعنى من ذهن المتلقي أيما تمكن وفيما سنورده عند حديثنا عن عنصر النقد غناء عن ذكره هنا:

4- الاستعانة بآراء العلماء السابقين:

وجدنا اليازجي – وهو يلح على توضيح المعاني – متتبعا السابقين باعثا لآرائهم لتأكيد المعاني التي يراها عن طريق دفع النقيض من ذلك ما ستورده لتوضيح ما أسلفنا الحديث عنه في قول المتنبي: (من الكامل)

ألغت مَسامِعُهُ المَلامَ وغادرتْ سِمَةً على أنف اللّئام تلوح
هَذا الذي خَلَتِ القرونُ وذِكْرُهُ وحديثُهُ في كُتْبِها مشروحُ

يقول: " ألفت أي أهملت واسقطت . وغادرت تركت، وروي ابن جنى: ألفت من الألفة أي أن مسامعه اعتادت اللوم على ذلك فلم تلتفت إليه أنه قد صار عندها شيئاً مألوفاً "[2]

ثم يقول أيضاً: خلت أي مضت، والقرون جمع القرن، وهو أهل الزمن الواحد، قال الواحدي: المعنى أن الكتب مشحونة بذكر الكرم ونعت الكرام وأخلاقهم"[3]

ومن ذلك قوله في شرح هذا البيت: (من الطويل)

أمِطْ عَنْكَ تشبيهي بما وكأنَّه فما أحدٌ فوقي ولا أحدٌ مثلي .

يقول: وقد خاض الشراح في تأويل قوله بما خوضا عجيباً، ونقَّبوا في الكشف عن المقصود منه كل منقب فذكروا في ذلك أقوالا شتى لا يخلو نقلها من تبصرة قال الواحدي: – حكى ابن جنى عن أبي الطيب أنه كان يقول في تفسير بما وكأنه

---

(1) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج2 ، ص 183.

(2) نفسه، ج1، ص 183.

(3) نفسه، ج1، 183.

أن ما سبب للتشبيه لأنه القائل إذا قال الآخر: بم تشبه هذا ؟ قال له المجيب كأنـــه الأسد أو كأنه الأرقم إلى آخر ما ذكر عنه – قال: وسمعت أبا الفضل العروضـــي يقول: ما وإن لم يكن للتشبيه، ثم يقول وهذا قول القاضي أبي الحسن على بن عبد العزيز، حكاه عن أبي الطيب، ثم يقول: قال ابن فَوْرَجَّة، ما ههنا اسم بمعنى الذي، ومعناه أن يقال لمن يشبه بالبحر كأنه ما هو نصف الدنيا ..."

يعنون البحر لأنه الدنيا برو بحر . وهذا القول الأخير أعجب هـذه الأقـوال وأعجب منه اختلاف النقل عن أبي الطيب ..."[1]

ونراه في موضع من مستغلق شعره واختلاف مذاهب التأويل فيه:

من ذلك قول المتنبي (من الطويل)

فتى ألفُ جزءٍ رأيهُ في زمانهِ   أقلَّ جزيءٍ بعضهُ الرأيُ أجمعُ

يقول: ((وقد ركب في هذا البيت من التقديم والتأخير والحذف والابهام مـا لا يباح مثله في أساليب الكلام، حتى إنَّك إذا حللت تركيبه النحوي وجدته باقياً علـى غموضه، ثم يورد آراء غيره من العلماء على فك رموز هذا البيت، فيقول: قـال الصاحب بن عباد، وهذا من عنوان قصائده التي تحيرِّ الإفهام .

ويقول الواحدي: وأكثروا في معنى هذا البيت ثم لم يأتوا ببيان مفيد موافـق اللفظ ...))[2]

ومن مستغلق شعر المتنبي ما ذكره اليازجي في هذا البيت . (من الكامل)

وقلنَا دفراً والدَّهِيمَ فما تُرى   أُمَّ الدهيمِ وأُمَّ دفرٍ تأكلُ

فيقول: " وفي هذا البيت من التعقيد والحشو والابهام في استعمال ألفاظ اللغـة مع ما فيه من غرابة المعنى ما لا يهتدي معه إلى المراد ... وقد وقفت فيه علـى

---

(1) ينظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج2 ، ص 86، ص 62

(2) ينظر نفسه، ص 40– 41 .

كلام الشراح فوجدتهم قد أخذوا في شعاب التجوز وامعنوا في مهامه التأويل إلى ما يخرج بالكلام عن جادة المقول ..."[1]

ثم يقول في شرح هذا البيت، ويصفه بالمشكل أيضاً .

وَهَبِ الملامةَ في اللَّذاذةِ كالكـــ ـــرَى مطرودةً بسهادهِ وبكائهِ

فيقول: " وهو من مشكل الأبيات التي تتحير في تأويلها أوهام المفسرين وتضل في تركيبها بصائر المُعربين، وقد أوغل شراح الديوان في الغوص على معناه فلم يصدروا عنه بغناء، قال الواحدي: رحمه الله، قال ابن جنى: يقول: اجعل ملامتك إياه في التذاذها كالنوم في لذاذته فأطردها عنه بما عنده من السهاد والبكاء، فهو في هذا البيت نراه يسرد رأي كل من ابن جنى، والواحدي ويقارن بينهما ثم يرجح رأي ابن جنى فيقول: ويكون المعنى على نحو ما قال ابن جنى، أي احسب ملامتك لذيذة عند العاشق كنومه ..."[2]

وفي مطلب آخر يشير الشارح إلى معاني المتنبي المبتكرة .

يقول: " وإذا جاوزت هذه النظائر من شعره إلى ما له من المعاني المبتكرة، والقلائد المعدودة، مما أجمع أهل العلم بالشعر على تبريزه فيه، واعترف انداده وحساده من الشعراء باختراعه، ويقول أمثلة أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر، وذلك نحو قوله: (من الكامل)

سَفَرَتْ وبَرْقَعَها الفراقُ بصُفرةٍ ستَرت محاجرهَا ولم تَك بُرقُعَا

فكأنها والدمع يقطر فوقها ذهب بسِمَطَيْ لؤلؤٍ قد رُصّعَا[3]

---

[1]) ينظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج1، ص 42.

[2] نفسه، ج1، ص 43-44.

[3] نفسه ج1، ص 45.

المبحث الثاني

أ- المعاني:

تعد ظاهرة تعدد المعنى للبيت الواحد عند المتنبي من أهم سمات شعره، وقد تناول شراح المتنبي هذه الظاهرة بكثير من الاهتمام والدراية، معتمدين في تناولهم إياها على نظراتهم الذاتية للشعر، إضافة إلى موروثهم الأدبي، ملاحظين بعين الاعتبار طريقة المتنبي الخاصة في تناوله لمعاني الشعر، وعلى الرغم من كون اليازجي عالم باللغة، فإننا رأيناه قد وقف عند هذه القضية من قضايا شعر المتنبي، وقفة الأديب الشارح، المهتم بالمعنى وتقليباته الذي يحسن استخدام ثقافته اللغوية في شرحه لهذا الشعر .

ولقد وقف اليازجي حول ما يسمى مشكل شعر المتنبي موقفاً مماثلاً لما وجد عند شراح المتنبي السابقين، وأحياناً نجده يناقش آراء الشَّراح ويفحصها ويدققها ثم يبدي رأيه أو يرجح أحد تلك الآراء .

ومن هذا العرض الموجز نقف عند اليازجي في شرحه لمعاني المتنبي:

لنتسائل ما هو موقفه من الشراح السابقين ؟

وما هي المآخذ التي أبداها حول تلك الآراء ؟ وهل سلك اليازجي الطريقة التي سلكها أولئك الشراح في شرح الشعر ؟ وهل يشير إلى أولئك الشراح عند نقده لهم ؟ أم كان يلمح إلى بعض أخطائهم في الشرح ؟ هذه الأسئلة سنتناولها بالإجابة عند تناولنا لهذا الجانب من جوانب شرح اليازجي لديوان المتنبي .

يقول الشارح: فإذا انتهى الشارح إلى مثل ذلك لم يتأت له فهم المعنى وتمثيله إلا بالتأويل، والتبديل، والزيادة، على المعنى أيضاً بما يتمم صورته، ويسد خصاصه، وناهيك ما هناك من سعة وجوه الاحتمال، وضيق مسافة الإشكال مما تحار عند بصائره النفاد، من ذلك شرحه لقول المتنبي: (من الكامل)

لا الحُلْم جادَ بهِ ولا بمثالهِ   لولا أدّكارُ وداعه وزيالهِ [1]

---

[1] العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج1 ص 60.

فيقول: ((إن من الشراح من صرح بتغليطه فيه فقال: جود الحلم بالحبيب جوده بمثاله، وجعل أبو الطيب ذلك شيئين ظنامنه أنه يرى الحبيب في النوم، ويرى خياله، وما أحسب المتنبي أراد شيئاً من هذا)) .

ثم يقول فلا بد من العدول إلى ما وراء ظاهر اللفظ وتقدير ما يصح به المعنى، وما أرى أبا الطيب إلا نوى أمام كل من ضمير الحبيب ومثاله مضافاً محذوفاً .

والمعنى الذي أراده الشارح هو: أي لا الحلم جاد بخياله ولا بخيال مثاله، وأراد بالمثال الذي يرى في الوهم الذي يرى في الحلم كما يتبين من البيت الذي بعده: (من الكامل)

إن المُعيدَ لنا المنامُ خيالَهُ كانت إعادتُهُ خيالَ خيالِهِ[1]

وعليه فأحسن ما يفسر به هذا البيت: إن الحلم لم يجد بخيال الحبيب أي بخيال شخصه الذي رأته العيون عند الوداع، ولا بخيال مثاله الذي بقى متوهماً.[2]

كذلك مما يلحظ عنه اختلافه في معنى هذا البيت مع الشراح: (من الكامل)

فمثلهِ جمعَ العرمرمُ نفسهُ وبمثلهِ انفصمَتْ عُرى اُقتالهِ[3]

يقول: ((ومعنى الشطر الأول غامض لا يظهر إلا بتأمل ملئ وقد اختلف الشَّراح فيه فلم أجد من كشف عن كنهه... قال بعضهم: اللام هنا بمعنى من والمراد بالعرمرم جيش الممدوح وقال غيره اللام على معناها، والمراد بالعرمرم جيش العدو أي أنه إنما يجتمع له لأنه يسبيه ويغنمه فكأنه جمع نفسه له)).

ثم نراه يدلى برأيه بعد إيراده لآراء عدة فيقول: " إنما يستقيم الخروج من هذا والإظهار عن المعنى الفحلي بأن يُجعل الكلام على تقدير مضاف محذوف، أي فلقتال مثله مثلاً وحينئذ يتعين كون الجيش جيش العدو، ويكون المعنى أن مثله من يجتمع الجيش الكثير لقتاله ..."[4]

ثم يدعم المعنى بمثال آخر من شعر المتنبي: (من الطويل)

فودَّع قتلاهُمْ وشيع فلَّهُمْ بضربٍ حزونُ البيضِ فيه سهولُ[5]

---

(1) ينظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج1 ص 60.

(2) نفسه،ج1، ص 60.

(3) نفسه،ج1، ص 60

(4) نفسه ج1 ص 61.

(5) نفسه، ج1،ص 61.

فهو يحلل المعنى من الناحية البلاغية أولاً فيقول: " استعار للبيض أي الخوذ التي تلبس على الرأس، حزوناً وسهولاً وهي استعارة غريبة خفية الجامع، وقد رأيت في تفسير هذا الموضع ما لفظه أن ذلك الضرب لا تدفعه البيض عن الرأس، وكأن الحزن منها سهل لذلك الضرب ".ثم يقول مؤيد لآراء الشراح السابقين، "ولم أجد من زاد على هذا"، وهذا إن دل على شيء فإن الشارح كان يستقى أقوال العلماء والشراح وينقحها ويمحصها ثم يتخير أفضلها أحياناً وأخرى يخالفها وينتقدها مؤيداً شرحه بشعر المتنبي نفسه .

أما في شرحه لهذا البيت نجده يستقل برأيه دون غيره من الآراء من ذلك شرحه لقول المتنبي: (من الطويل)

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولةٍ   ففي الناس بوقاتٌ لها وطبولُ[1]

ففي شرحه لهذا البيت يستهجن معنى البيت وما ورد فيه من استعارة يشير إليها بأنها من أغرب الاستعارات وهي (استعارة البوقات والطبول هنا) فهو يؤيد من انتقد هذا المعنى فيقول: "ولا أدفع قول من مستهجنها في هذا المقام".

ثم يردف قوله: ولم أرَ من الشراح من تكلم في الكشف عنها بما يرفع هذا البيت عن طبقة السفاف ويلحقه بسائر معاني المتنبي "

ثم يقول: " قال الواحدي: " أي إذا كنت سيفاً للدولة فغيرك من الملوك بالإضافة إليك للدولة بمنزلة البوق والطبل أي لا يغنون غناءك قال هذا هو الظاهر من معنى البيت، وقال أبو الفضل العروضي: " أراد بالبوق والطبل الشعراء، الذين يشيعون ذكره" ثم يرجح قول الواحدي فيقول: "والظاهر أن القول ما قال الواحدي" .

وأحياناً يستظهر على صحة المعنى بشعر المتنبي نفسه .. (من الخفيف)

من راها بعينها شاقَهُ القُطَّا   نُ فيها كما تشوقُ الحمولُ[2]

وقد نلحظه في شرح هذا البيت يتفق والمعنى الذي أراده الشرَّاح السابقون .

---

(1) ينظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1 ص 61.

(2) نفسه ج1 ص 62.

ولذلك عدل الشراح عنه إلى التأويل وحكموا في سائر ألفاظ البيت عملا بعيداً حتى جاوزوا حدود الاستنباط وصار التفسير في حد الاختراع، ثم يقول: " والذي أراه أن المتنبي ما أراد من لفظ عينها إلا الظاهر على تنزيل الدنيا منزلة المبصر يجعل لها عيناً كما جعل الليل رؤية:[1] (من الطويل)

ألم يرى هذا الليل عينيك رؤيتي　　　فتظهر منه رقةُ ونحولُ

وقد يجاري الواحدي في شرحه للبيت التالي: (من الكامل)

يشتاقُ من يدهِ إلى سَبَل　　　شوقاً إليه ينبتُ الأَسَــلُ

فيصف معنى هذا البيت بأنه من مستغلق شعر المتنبي التي وكل بفتحها مقاليد القدر لما ركب فيه من الإبهام في استعماله اللفظ ويؤكد ذلك برأي الواحدي فيقول: حتى أن الواحدي رحمه الله غلطه فيه ..."[2]

وأحياناً نلحظ مخالفته الشراح دون ذكر أحد منهم في قول المتنبي: (من الوافر)

ولكن ربهم أسرى إليهم　　　فما نفع الوقوفُ ولا الذهابُ

فيقول منتقداً آراء غيره: " وقد وهم بعض الشراح في هذا البيت ففسروه بمـا معناه أنه لم يسترهم عنه ليل ولا نهار ولا حملتهم خيل ولا إبل على جعل أحسـن وحملهن خبرين عن المرفوعين قبلهما وفيه بعد لا يخفى لأن النهار لا يستر..[3]

ومثله أيضاً: (من الطويل)

وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا　　　ودون الذي أمّلتُ منك حجابُ

فيقول: " وهذا كثيراً ما رأيت الشراح يغفلون عنـه فيأخـذون فـي شـعاب الاحتمال ويلتمسون المعنى عن طريق التفسير ..."[4]

وأنظر إليه في شرح هذا البيت . (من المتقارب)

فداو خماري بشربي لها　　　فإني سَكِرْتُ ويشرب السرورِ

---

(1) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج1 ص 62.

(2) نفسه، ج1، ص 62.

(3) ينظر اليازجي ج1 ص 69-70-71-72-73-74-75-76-78-79-80-81-82-83-84 .

(4) ينظر نفسه ج1 85-86-87-88-89.

فيقول: " ولم أرَ من فسر هذا البيت تفسيراً يوافق الحال ولا ذكر منه معنى صحيحاً ..."

وقد يعدد اضطراب الشراح في معاني البيت إلى ما يأتي:

إنهم كثيراً ما يتسامحون في التحقيق على معاني الغريب فيفسرونه بما يبدو لهم من قرائن الحال، وما تسوق إليه أدلة الظن .

عدم الرجوع إلى كتب اللغة واستبانته من نصوصها من العبارات التي كان يستخدمها في مخالفته للشراح، ولم أجد من فسر ولم أرَ من زاد، وقد وهموا، ومن موارد الوهم، الخ من هذه العبارات .

ب- الرواية:

اهتم اليازجي اهتماماً بالغاً بالرواية، وقد تركز هذا الاهتمام في إيراده الرواية الصحيحة المنقولة إليه عن طريق الإسناد والمتواترة من ذلك قوله في شرح هذا البيت: (من المنسرح)

ما أنْصَفَ القومُ ضَبَّةْ   وأُمَّهُ الطُّرْطُبّةْ

فيقول: " ضبة هو ابن يزيد العتبي، ويروى العيني بالياء المثناة بعدها نون وكان فمن كان مع الخارجي الذي نجم في بني كلاب وهو المشار إليه في القصيدة التي مدح فيها دلير بن لشكروز بالكوفة ... الخ" من القصة المعروفة، التي لا داعي لذكرها .

فاليازجي يتحرج من ذكر هذه القصة لما فيها من الألفاظ التي لا تلائم الأذواق، وتأباه النفوس ...

ويقول: وقد نقل عن المتنبي أنه كان يكره انشادها، والواحدي أيضاً يقول: وأنا أيضاً والله أكره كتابتها وتفسيرها .[1]

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن اليازجي كان يتحقق من الروايات وينقلها نقلاً صحيحاً عن أئمة اللغة وشراح الشعر .

ونلاحظ ذلك في شرحه لهذا البيت: (من البسيط)

وليُّكَ اللهُ لِمْ صَيَّرْتَني مثلاً   كالمُستجير من الرمضاءِ بالنارِ

---

[1] اليازجي ج1 ص 14.

يقول: " الولي النصيرِ، كأنه يقول: كان الله نصيراً لك في مقابـل خـذلانك إياي، وهو كلام من يقابل الإساءة بالإحسان، ولم أي لماذا، وقوله: كالمستجير إلى آخره والرمضاء الأرض الحارة، والعبارة مثل يضرب فيمن يلتجي من الضار إلى ما هو أضرمنه، يريد أنه بما صادف عنده من الخذلان وخيبة الأمل قد صار مضـرب مثل للناس، كما يضربون المثل بالمستجير من الرمضاء بالنار ... ثم يقول: روي ابـن شاكر في فوات الوفيات هذين البيتين لأبي الفرج الأصفهاني في الوزير المهلبـي، ثـم حكى عن الكندي أنها للمتنبي، وهو ما رواه غير واحد والله أعلم ."[1]

وقد لا يكتفي اليازجي بذكر الرواية التي يوردها وإنما يدلل على صحة مـا جاء به من واقع اللغة: (من المتقارب)

كأن المحاسن غارت عليك   فَسَلّتْ علينا سيوفً الفتنْ

يقول: " المحاسن جمع حسن على غير لفظه، وقوله علينا الذي في الروايـة عليك ولعل الصحيح ما رويناه، والفتن جمع فتنة وهي اسم من الافتتان يقول: كأن محاسنك غارت عليك منا حين رأت حبنالك، فجعلت ما ألفته في قلوبنا من الافتتان بها بمنزلة سيوف منها تقاتلنا بها، والبيت على حسنه لا يخاطب به المحبوب مـن الرجال فهو على حد قوله أغار من الزجاجة حين تجري على شفة الأمير ... وقد عيب هذا البيت على أبي الطيب..."[2]

وقد يرجح الرواية بتغير حركة إعراب الكلمـة كمـا فـي قـول المتنبـي: (من الوافر)

أشرت أبا الحسينِ بمدحِ قوم   نزلتُ بهمْ فسرتُ بغيرِ زادِ

يقول: " فإنهم يرون قوله أشرت بفتح الشين والتاء حتى يكـون المعنـى أن الممدوح أشار عليه بمدح أولئك القوم، وهو مستبعد كما لا يخفى، والأظهـر أنـه بكسر الشين وضم التاء على أنه من الأشر بمعنى الفرح والغرور والفعل للمـتكلم كأنه يقول: " اغتررت بمدحهم فعدت عنهم بغير طائل وقد مر الكلام علـى هـذا البيت في موضعه ..." [3]

---

(1) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1 ص 28.

(2) نفسه ج1 ص 26.

(3) نفسه ج1 ص 213.

ومثله أيضاً:

أصبح مالٌ كَمَالهِ لذوي الـــ   حاجةَ لا يبتدا ولا يُسَلُ

فيقول: " وكلهم يروون هذا البيت بنصب مال، وقد تكلفوا في تفسيره وجهـــا بعيداً قالوا: أي هو يُغْني الناس بنفسه وماله وهو لهم مال، وكما أن ماله يؤخذ بلا إذن كذلك لا يستأذن في الدخول عليه إلى آخر ما ذكروا ويقول: "والوجه، رفـــع المال كما رويناه على أنه اسم أصبح ..."[1]

وقد يناقش رواية البيت من الجانب اللغـــوي ويـــرجح الروايـــة الصـــحيحة (من الوافر)

فقرحتِ المقاودُ ذفرييها   وصَغَّر خدَّها هذا العذارُ

فيقول: " وروايتهم في هذا البيت أفرحت بالألف أوله وبالفـــاء القـــاف، قـــال الواحدي: الصحيح رواية من روى بالفاء، يقال أفرحه الدَّين أي أثقله بقول: لمـــا وضعت على العرب المقاود تقودهم إلى طاعتك أثقلت مقاود كرؤوسهم " ثم يقول والراوية الصحيحة اقترحت بالتثقيل من الفرح، وهو كل ما جرح الجلد من عض سلاح ونحوه والتشديد للمبالغة ..."[2]

ومن الأمثلة التي ينقلها على صحة الرواية بمزيـــد لغـــوي قـــول المتنبـــي: (من البسيط)

وإنما عرضّ الله الجنودَ بكم   لكي يكونوا بل ذل فسل إذا رجعوا

فيقول: " ولم أجد من كشف عن معنى قوله: عرض الله الجنود بكم سوى أن الواحدي قال في هذا الموضع، كل الناس رووا بكم والصحيح في المعنـــى لكـــم باللام لأنه يقال: عرضَّت فلانا لكذا ويجوز أن يكون بكم من صلة معنى التعريض لا لفظه ومعناه: إنما ابتلى الله الجنود بكم". ويغنى عن كل هذا أن يقـــال: صـــلة التعريض محذوفة، أي عرضهم بكم للبلاء ونحوه، كما يقال أرى الله بفـــلان، أي أرى به المكروه وقوله: (من الطويل)

هل الحَدَثُ الحمراء تعرف لونَها   وتعلم أيُّ الساقيينِ الغمائمُ

ومن خلال هذه الشواهد ندرك أن اليازجي كان يستشهد على صحة الروايـــة بآراء العلماء والشراح الأجلاء لكنه أحياناً لا يتفق معهم في تلك الروايات وأحياناً أخرى يقبل رواياتهم .[3] (من الخفيف)

---

[1] ينظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1، ص 284.

[2] نفسه، ج1، ص 224.

[3] نفسه، ج1 ، ص 86.

ومن الأمثلة على ذلك قول المتنبي:

لو حمى سيداً من الموتِ حامٍ　　　لحماهُ الإجلالُ والإعظامُ

يقول: " قال الواحدي: " لو كان سيدُ محمياً من الموت لحماك وحفظـك منـه إجلال الناس، إياك وإعظامهم، أي أنهم يفدونك بنفوسهم من الموت لو قبل الفداء، قال: وقال ابن دوست: لأنهم يهابونك فلا يقدمون عليك، وليس المعنى في إجـلال الناس إياه ما ذكر لأنه ليس كل الموت القتل حتى يصح ما ذكر، انتهـى كلامـه قلت: والتفسير الآخر أيضاً لا يصح لأنه فداء الناس له لا يسمى حماية"[1]

وفي البيت التالي نجده يتخذ من المعنى سنداً لقبول الرواية في قول المتنبي:[2] (من الطويل)

وما الدهرُ إلا من رواةِ قصائدي　　　إذا قلتُ شعراً أصبحَ الدهرُ مُنَشَداً

يقول: قالوا: " المعنى أن أهل الدهر كلهم يروون شعري، وأخرج الكلام على الدهر تعظيماً لشعره، وهو يريد أهل الدهر"، وهو غير المقصود فضلاً عما يؤدي إليه، من اختلال المعنى لأنه جعل الدهر من رواة قصائده أي واحداً مـنهم فـإن جعلنا أهل الدهر واحداً من أولئك الرواة فأي رواة يريد ؟ .."[3]

ومثله أيضاً حيث يستدل على صحة الرواية بالمعنى: (من البسيط)

إن يقبحُ الحُسنُ إلا عند طلعتِهِ　　　والعبدِ يقبحُ إلاَّ عند سيدهِ

فيقول: " إن نافية، وقوله العبد يقبح إلى آخره كلام مستأنف ويروى: فالعبـد يقبح على جعل إن شرطيه وعلى كليهما لا يتبين للبيت معنى صحيح .

والأظهر أن قوله يقبح في عجز البيت خطأ في الرواية، والصـواب يحسـن وحينئذ تتعين أن للنفي، ويكون المعنى أن الحسن في غير هذا الممدوح لا يظهـر قبيحاً ... كما أن العبد إنما يستحسن عند انفراد عن سيده، فإذا قوبل به ظهر قبيحاً بالنسبة إليه ..."[4]

---

(1) ينظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1 ص 89.

(2) نفسه ج1 ص 68.

(3) نفسه ج1 ص 192.

(4) نفسه ج1 ص 102.

وأحياناً أخرى نراه يقلب الروايات فيستحسن أحداها أو يفضلها كما في البيت التالي: (من البسيط)

تُرابهُ في كلابٍ كُحْلُ أعْيُنِهَا وسيفُهُ في جَنَابٍ يسبقُ العذلا

يقول: " أي أن بني كلاب وهم قبيلة الممدوح يكتحلون بالتراب الذي يمشي عليه لشدة حبهم له كناية عن اغتباطهم بولائه وسيفه في بني جناب وهم قبيلة العدو يسبق ملامه من يلومه في قتلهم كناية عن شقائهم بعدواته والعبارة مثلٌ قاله ضبة ابن أد حين قتل قاتل ابنة في الحرم فلاموه على قتله.

فنراه يقول: " العذل الملأم، وحبيبتي قلبي فؤادي، نداء متعدد محذوف الأداة أو أخبار متعددة عن محذوف أي أنت حبيبي وهذا من حروف النداء، وحمل اسم الحبيبة، يريد أن يعين لهم إشفاقاً له عنهم وأن هذا ما أثره عذلهم في قلبه، ويروى حبيبتا قلبا فؤادا على قلب الباء الفاء أو على معنى الندبة، والتفجع للفراق ..."[1]

ومما يغلب على شرحه لهذه الروايات التي كان يرويها طابع البناء للمجهول حيث يقول في كثير من الأمثلة التي تتعدى الحصر، يروى، روى، ورووا مثل قول المتنبي: (من الطويل)

على سابحٍ موجُ المنايا بنحرهِ غداةَ كأنَّ النبلَ في صدرهِ وَبْلُ

فيقول: ((السابح الفرس، وموج المنايا مبتدأ وخبره بنحره أي أن موج المنايا قد صار عند نحره ويروى موج المنايا بالنصب على إرادة الظرفيه))، ويرجح الرواية الأولى فيقول: " والأول أجود ..."[2]

ومثله قوله أيضاً: (من الوافر)

أُحُبّكِ أو يقولوا جَرَّ نَمْلٌ ثبيرَ أو ابنُ ابراهيمَ رِيعَا

فيقول: " أو الأولى بمعنى إلى أو إلا والفعل بعدها منصوب باضمار إن وثبيرا اسم جبل منع صرفه للوزن وهو جائز في الأعلام ويروى ثبيراً وابن إبراهيم بتنوين ثبير والعطف بعده بالواو، والرواية الأولى أجود"[3]

---

(1) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1 ص 148.

(2) نفسه ، ج1 ص 149.

(3) نفسه، ج1 ص 215.

وفي بعض الأمثلة يقر برواية ابن جنى: (من المنسرح)

ما تركتْ علة بموروِدِ أكرم من تغلب بن داود

ويقول: وهو منحول ليس في روايات الديوان:

وأحيانا يذكر الرواية الصحيحة مستنداً على صحة الإعراب: (من البسيط)

يلوحُ بدرُ الدجى في صحن غُرّتِهِ ويحملُ الموتُ في الهيجاء إن حَملا

فيقول: " الغرة الوجه، وصحنها وسطها وكأنه مأخوذ من صحن الدار، والموت يروى بالرفع فيكون يحمل من معنى الحملة في الحرب أي أن هذا الممدوح، إذا حمل على الأعداء في الحرب فالموت يحمل معه .

ويروي بالنصب أي أنه إذا حمل على أعدائه اصطحب الموت حاملاً إياه إليهم "[1]

وأحياناً يستظهر على صحة الرواية بآراء الشَّراح فيقول: (من البسيط)

عَلَّ الأميرَ يَرى ذُلّي فيشفعَ لي إلى التي تركتني في الهوى مَثَلاً

يقول: " فيشفع جواب الترجي، وروى العروضي عن الشعراني فيشفعني أي يضمني شفعاً بناء على أنها كانت جارية الممدوح وهو أجملُ بالأدب ..."[2]

والملاحظ على اليازجي أن جلَّ شرحه يعتمد على الروايات المنقولة عن علماء وشراح سابقين كما نفهم من هذه الأبيات التي سنعرض لها: (من الكامل)

أما بنو أوسِ بنِ معنِ بنِ الرَّضَى فأعز من تُحْدَى إليه الأيْنُقُ

---

[1] شرح ديوان المتنبي، اليازجي ، ج1، ص 110.

[2] نفسه ج1 ص 109.

فيقول: " روى الأستاذ أبو بكر الخوارزمي: الرضى بضم الراء، قال وهـو صنم في الجاهلية – أراد ابن عبد الرضى فخذف المضاف كما قالوا ابن مناف في ابن عبد مناف، وروي غيره بكسر الراء وهو المعروف فـي السـماء الرجـال، والأنيق، النياق "[1]

وأنظر إليه في شرحه لروايات أخرى ينهج المسلك نفسه:وكثيراً مـا نجـده يتطرق إلى عدة روايات ثم يستند في شرحه على أصحها: (من الطويل)

إذا عدلوا فيها أجبت بأنه		حبيبتي قلبي فؤادي هيا حمل

فنراه يقول: " العذل الملام، وحبيبتي قلبي فؤادي نداء متعدد محذوف الأداة أو اخبار متعددة عن محذوف أي أنت حبيبتي هيا .

من حروف النداء، وحمل اسم الحبيبة، يريد أنه يعيش لهم اشتعاله عنهم وأن هذا ما نراه عذلهم، في قلبه، ويروى حبيبتا قلبا فؤاداً على قلب الباء الفاء أو على معنى الندية والتفجيع للفراق "[2]

ومما يغلب على شرحه لهذه الروايات التي كانت يرويها طابع البناء للمجهول حيث يقول في كثير من الأمثلة التي تتعدى الحضر يـروى ويـروى، ويـروى، ورووا مثل قول المتنبي:

على سابح موج المنايا بنحره		غداة كأن النبل في صدره وبلٌ

فيقول: " السابح الفرس، وموج المنايا مبتدأ، وخبره بنحره أي أن موج المنايا قد صار عند نحره، ويروى موج المنايا بالنصب علـى أراء الظرفيـة ويـرجح الرواية الأولى فيقول: والأول أجود ..."[3]

ومثله أيضاً قول المتنبي: (من الوافر)

أحبك أو يقولوا جر نمل		ثبيراً أو ابن إبراهيم ريعا

---

[1] شرح ديوان المتنبي ، اليازجي، ج1 ص 126.

[2] نفسه، ج1، ص 148.

[3] نفسه ج1 ص 149.

فيقول: " أو الأولى بمعنى إلى أو إلا والفعل بعدها منصوب باضمار إن وثبير اسم جبل منع صرفه للوزن وهو جائز في الأعلام ويروى ثبيراً وابـــن إبـــراهيم بتنوين ثبير والعطف بعده بالواو، والراوية الأولى أجود ..."[1]

وفي بعض الأمثلة يقر برواية ابن جنى فيقول: (من المنسرح)

ما تركتْ علة بموردِ   أكرم من تغلب بن دواد

فيشير إلى بعض الروايات لكنه يرجح رواية ابن جنى فيقول: " يدك به لزمة والعلة المرضى والمورد، والمورد المحموم من ورد الحمى وهي يوم أخذها ويروى بمولود والرواية الأولى أجود وهي رواية ابن جنى ..."[2]

ج- مناسبات الشعر والأخبار التاريخية والمواضع:

لم يحفل الشارح بهذا العنصر من جوانب شرح الديوان، وما ورد فيـــه كـــان قليلاً جداً ومن ذلك قوله في سبب هذا الشعر: (من الطويل)

لياليَّ بعد الظاعنين شكولُ   طوالُ وليلُ العاشقين طويلُ

حيث قال: " سيف الدولة قد رحل من حلب إلى ديار (مضـــر) لإضـــطراب البادية بها، فنزل (حران)، وأخذ رهائن بني عقيل وقشير والعجلان، ثم حدث لـــه بها رأى في الغزو فعبر الفرات إلى دلوك إلى قنطرة صنجه إلى درب القلة فشن الغارة فعطف عليه العدو فقتل كثيراً من الأرمن ورجع إلى ملطية وعبـــر قباقـــب حتى ورد المخاض على الفرات، ورحل إلى سيمساط فورد الخبر بأن العدو فـــي بلد المسلمين فأسرع إلى دلوك وعبرها، فأدركه راجعاً إلى جيجان، فهزمه وأســـر قسطنطين ابن الدمستق وخرج المدستق على وجهه، وكان ذلك في جمادى الأخرى سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة فقال أبو الطيب يمدحه ويذكر ذلك"[3]

ويورد مناسبة أخرى في سبب هذه الأبيات: (من المتقارب)

لقيتَ العُفَاةَ بآمالهـــــــا   وزُرتَ العُداةَ بآجالِهَا

وأقبلتِ الرومُ تمشي إليـــ   كَ بين الليُوث وأشبالِهَا

---

[1] نفسه ج1 ص 215.

[2] اليازجي، شرح الديوان ج1 ص 63.

[3] اليازجي: شرح ديوان أبي الطيب ج2 ص 158 وأنظر أيضاً ج2 ص 156، وأيضاً، ج1 ص 343.

إذا رأتِ الأُسْدَ مسبيـــــــــَّـةً   فأينَ تفرُّ بأطفَالِهَـــــا

قيل أن أبا الطيب دخل على سيف الدولة في ذي الحجة سنة إحدى وأربعـــين وثلاث مئة، وقد جلس لرسول ملك الروم وهو قد ورد يلـــتمس الفـــداء وركـــب الغلمان بالتجافيف وأحضروا لبؤة مقتولة ومعها ثلاثة أشبال أحياء وألقوها بين يديه فقال أبو الطيب ارتجالاً ...[1]

ثم يذكر مناسبة في سبب هذه الأبيات: (من الطويل)

على قدر أهل العزمِ تأتي العزائمُ   وتأتي على قَدْرِ الكرامِ المكارمُ

وتَعظُمُ في عين الصَّغيرِ صغارُها   وتصغُرُ في عينِ العظيم العظائِمُ

يقول: "كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر الحدث لبنائها، وكـــان أهلهـــا قـــد سلموها إلى الدمستق بالأمان سنة سبع وثلاثين وثلاثة مئة، فنزلها سيف الدولـــة، يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الأخرى، سنة ثلاث وأربعين وبدأ من يومه فوضع حجر الأساس وحفر أوله بيده، فلما كان يوم الجمعة نازله ابن الفقعاس الدمســـتق في نحو خمسين ألف فارس وراجل ووقع القتال ....، من أول النهار إلى العصـــر فحمل عليه سيف الدولة بنفسه في نحو خمس مئة من غلمانه فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقاً كثيراً فقتل بعضهم، وأقام حتى بنى الحدث ووضع بيده آخر شرفة منها يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب فقال يمدحه، وأنشده إياها في ذلك اليوم في الحدث"[2].

وفي المناسبة التالية يقول أبو الطيب: (من البسيط)

وَأَحَرَّ قلباهُ ممّنْ قلبُهُ شبِمُ   وَمَنْ بجسمي وحالي عِندَهُ سَقَمُ

مالي أُكَتِّمُ حُبّاً قد بَرَى جَسَدِي   وَتَدَّعي حُبَّ سيفِ الدولةِ الأمَمُ

إلى أن قال: قد زُرُتُه وسُيوفُ الهندِ مُغْمَدَةٌ

وقد نظرتُ إليه والسيوفُ دَمُ

وفي هذا البيت من قول المتنبي يذكر الشارح سبب المناسبة: (من الطويل)

ألا لا أُرى الأحداثَ مدحاً ولا ذَمَّا   فما بطشُها جهلاً ولا كفُّها حلِمَا

---

[1] نفسه، ج2 ص 142.

[2] اليازجي، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1 ص 202 .

فقد ورد على أبي الطيب كتاب من جدته لإمه تشكو شوقها إليه وغيبته عنها فتوجه نحو العراق ولم يمكنه دخوله الكوفة على حالته تلك فانحدر إلـــى بغـــداد، وكانت جدته قد يئست منه فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه فقبلت كتابه وحمت لوقتها سروراً به وغلب الفرح على قلبها فقتلها فقال المتنبي يرثيها .[1]

ويقول الشارح في مناسبة القصيدة: (من البسيط)

عيدٌ بأيةِ حال عُدْتَ يا عيدُ   بما مضى أم لأمْرٍ فيكَ تجديدُ

أما الأحبةُ فالبيداءُ دونهُـــمُ   فليت دونَكَ بِيداً دونها بِيـــــدُ

" كان أبو الطيب قد أقام بعد إنشاده قصيدته البائية سنة لا يلقى كافوراً، ولكن يسير معه في الموكب لئلا يوحشه وهو يعمل على الرحيل عنه في ســتر، فأعــد الإبل وخفف الرحيل وقال يهجوه في يوم عرفه سنة خمسين وثــلاث مئـــة قبــل مسيره بيوم واحد"[2].

هذه الأمثلة أوردناها لندلل بها على صحة ما ذهبنا إليه سلفاً بأن اليازجي كان يشير إلى بعض المناسبات التي ترد في ذكر بعض القصائد .

د- الأعلام والمواضع:

على الرغم من قلة عناية الشيخ بهذا العنصر فقد ألفيناه معرّفاً بالشعراء مفسراً لأسمائهم ذاكراً شيئاً عن أنسابهم بمثل قوله: " زياد اسم الشاعر والنابغة لقب غلب عليه .

كما ألفيناه متعرضاً لبعض الأعلام التي ترد في الشعر كما في قولـــه عنـــد شرحه لشعر المتنبي: (من البسيط)

قد كنتُ أحسبُ أن المجدَ من مُضَرٍ   حتى تَبَحْتَرَ فهو اليومَ من أُدَدِ

يقول: " مضر بن نزار بن معد أبو العرب، وتبحتر انتسب إلى بني بحتر وهم حي من طئ من عرب اليمن، وأدد بن قحطان أبو عرب اليمن .."[3]

---

[1] ينظر نفسه ج2 ، ص 343.

[2] اليازجي، شرح ديوان أبي الطيب ج2، ص 396.

[3] ينظر العرف الطيب ج2 ص 180.

وكذلك وجدنا اليازجي معرفاً ببعض المواضع في مثل قوله: " منبج بلد بالشام وحصن الران بالروم ..."[1]

ثم يقول: ((ووبار مدينة قديمة الخراب قيل كانت من مساكن عاد ...))[2]

ونراه في تعريفه لهذا العلم: (وكسرى لقب الساسانية من ملوك الفرس، من ولد كيهمن أبي ساسان الأكبر، ويقول: بطلموس هو العالم الفلكي المشهور صاحب كتاب المجسطي ...))[3]

ثو يقول من موضع آخر: " سامري نسبة إلى سامرى وهي اسم بلد قرب بغداد بناها المعتصم وكان لما شرع في بنائها ثقل ذلك على عسكره فقالوا ساء من رأى فلما انتقل إليها سر كل منهم برؤيتها فقيل من رأى، ثم حرف اللفظان على ألسنة العامة: فقالوا سامري وسرمرى ..."[4]

ثم يشرح كذلك: " جيجان نهر بالعواصم، وآمد بلد بالثغور .."[5]

ويقول في موضع آخر: من قول المتنبي: " كتل بطريق المغرور ساكنها[1]..." تل بطريق بلد بالروم، وقنسرين ويقال أيضاً قنسرون كسؤرة بالشام بالقرب من حلب، والأجم مكان بقرب الفراديس ..."[6]

ويقول في شرحه لهذا البيت: (من الخفيف)

فإن تكن تغلب الغلبا عُنْصِرها   فإن في الخمر معنى ليس في العنبِ

" تغلب قبيلة سيف الدولة وتسمى الغلباء، ومعنى الغلباء الغليظة الرقبة، ويقال قبيلة غلباء أي عزيزة ممتنعة ..."[7]

أما في تعريفه لهذا العلم فإنه ينقل عن ابن خلكان فيقول: ((قال ابن خلكان في ترجمته، هو أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب، المعروف

---

(1) نفسه، ج2 ص254

(2) نفسه ج2 ص 261.

(3) نفسه ج2 ص 124.

(4) نفسه ج2 ص

(5) نفسه ج2 ص124.

(6) ينظر العرف الطيب ج2 ص 180.

(7) نفسه ج2 ص 26.

بابن العميد، كان وزير ركن الدولة أبى علي الحسن بن بويه الديلمي، والدعضد الدولة، تولى وزارته سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة، وكان متوسعاً في علوم الفلسفة، والنجوم، وأما الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه، وكان يسمى الجاحظ الثاني قال الثعالبي في كتاب اليتيمة كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد ...))[1]

كذلك يقول في تعريفه لهذا العلم الذي ورد في بيت المتنبي فكأنه جيش ابن حرب رعته " يقول: " ابن حرب معاوية بن أبي سفيان واسمه صخر، ومعاوية لقب غلب عليه، يشير إلى وقعة صفين، وكانت وقعة هائلة استطال فيها على ابن أبي طالب على معاوية وضايقه أشد المضايقة بعد أن دامت الحرب بينهما ما يزيد على مئة يوم وقتل من الفريقين خلق كثير ..."[2]

وفي هذا الموضع يقول: " صفين موقع قرب الرقة بشاطئ الفرات كانت به الوقعة الكبرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ..."[3]

كذلك يقول في شرحه لبيت المتنبي: (من الوافر)

إذا جاورت أدنى مازنيٍّ   فقد ألزمت أفضلها الجوارا

يقول: هرم بن قطبه ويقال قطنة بالنون أحد حكماء العرب من بني مازن بن فزارة بن ذبيان ..."

وهكذا رأينا اليازجي يهتم بالكشف عن المعاني الخفية في شعر المتنبي، مستعيناً على ذلك بثقافته الأدبية ومعرفته الواسعة بالشعر، والمعاني المتداولة فيه، ومستفيداً من خبرته بالروايات المختلفة لشعر المتنبي في توجيه وتمحيص لتلك الروايات فهو أحياناً يمحصها، ويدققها، وأحياناً يناقشها ويردها، ثم يقارن بينها فيختار أفضلها وأحياناً يرجح بعضها إما عن طريق اللغة و النحو، أو المعاني التي تتضمنها .."

---

[1] نفسه ج2 ص 419.

[2] نفسه ج1 ص 21.

[3] نفسه ج1 ص 21.

الفصل الرابع

الموازنة بين الشروح

المبحث الأول

شرح الواحدي

المبحث الثاني

شرح العكبري

المبحث الثالث

شرح اليازجي

الفصل الرابع

الموازنة بين الشروح

المبحث الأول: شرح الواحدي

يتضح لنا من خلال هذه الدراسة المستفيضة في شروح ديوان المتنبي أن هؤلاء الشراح قد حققوا بأعمالهم ثلاثة مناهج رئيسية هي: المنهج التعليمي التخصصي, والمنهج التجميعي الانتخابي, والمنهج التسهيلي الاختصاري, فالواحدي يمثل المنهج التعليمي التخصصي, إذ أن منهجه يقوم على الأتي:

1-الميل إلى النزعة التعليمية التي كانت تجول في نفسه في طريقة إملاء مؤلفاته على تلاميذه وما تؤدي إليه من إثارة للجدل والنقاش حول كثير من المسائل النحوية,

2- تأثر الواحد بالمناهج العلمية اللغوية التي كانت سائدة أنداك عند العلماء السابقين مثل ابن, وابن فورجة , وآبى العلاء المعري, وغيرهم.

فأما من حيث روايته للديوان :

فقد ذكر الواحدي غير مرة أنه قرأ الديوان على أبي الفضل العروضي، كان يقول: وأقرأني أبو الفضل العروضي[1]، وقد بين أيضاً أن أبا الفضل العروضي نقل روايته للمتنبي عن طريق الشعراني راوية المتنبي، وكان الواحدي يقول: ((سمعت العروضي يقول: سمعت الشعراني يقول: لم أسمع المتنبي ينشد[2] كما اعتمد في رواياته للديوان وفي تفسير المعاني على أبي بكر الخوارزمي[3] كان يقول: " وكان الأستاذ أبو بكر يقول"))[4]

---

(1) نفسه، ج1، ص 5: 22.

(2) نفسه، ج1، ص 25-92.

(3) هو محمد بن العباس بن أئمة الكتاب، كتب الشعر، له رسائل معروفة باسمه اتصل بالصاحب وكان بينه وبين بديع الزمان مساجلات أدبية ت (282) انظر ابن خلكان 522/1 ويتيمة الدهر 222/4.

(4) شرح ديوان المتنبي: للو احدى، ص 27، 41، 78، 79، 109، 122.

3- منهجه:

قدّم الواحدي في مقدمة الكتاب موجزاً مختصراً لمنهجه في شرحه فهو يريد أن يصنع كتاباً يسلم من التطويل، وذكر ما يستغنى عنه في الكثير بالقليل، مشتمل على البيان والإيضاح))[1] وقد نجح في الاختصار نجاحاً واضحاً، ونبه إلى: ((أنه كان يركز على الجانب الأدبي في كثير من الأحيان وعلى الجانب النحوي إذا اقتضت الضرورة ذلك.

رتب الواحدي شرحه ترتيباً تاريخياً كما رتبها الشاعر نفسه، مخالفاً ابن جنى في ذلك وقد قسم الواحدي شرحه جزأين.

1- الجزء الأول:

أ- **العراقيات الأولى:** ومجموعها عند الواحدي تسعة نماذج بين مقطوعة وقصيدة، وهو لم يذكر لها تاريخاً محدداً، ولم يكترث كثيراً بالمناسبة، وإن جاءت موجزة جداً، فمنها ما قالها في صباه[2]، ومنها ما قالها في هجاء رجل "[3] ومنها بمدح إنساناً.[4]

ب – **القصائد الشاميات:** وقد أشار الواحدي إلى بدايتها[5] وقد بلغ عددها ثلاثة وخمسين ومائة نموذج بين قصيدة ومقطوعة، ومن بين مجموع النماذج السابقة لم يذكر مناسبة اثنى عشر نموذجاً بين قصيدة ومقطوعة [6]، أما القصائد الباقيات فقد ذكر مناسباتها لكنه لم يفصّل بل أوجز كثيراً.

2- الجزء الثاني:

ويبدأ **بالسيفيات:** وهي القصائد التي قيلت في سيف الدولة الحمداني قبل إقامته عنده، وأثناءها، وبعد تلك الإقامة، وقد بلغت مجموع القصائد والمقطوعات التي قيلت فيه إحدى وثمانين[7] وبعد أن ينتهي الواحدي من السيفيات يشعرنا بقصائده التي قيلت في مصر وتسمى بالكافوريات وغيرها، التي اشتملت على تسع وعشرين قصيدة ومقطوعة، معظمها في كافور مدحاً وهجاء[8]، ثم فسر

---

[1] شرح ديوان المتنبي: للو احدى ، ص 4.

[2] نفسه ج1، ص 5، 6، 22، 23.

[3] نفسه ، ج1، ص 16.

[4] نفسه ، ج1، ص 6، 17.

[5] نفسه، ج1 ص 24.

[6] نفسه 29- 49- 52- 60- 87- 98- /25- 247.

[7] بدأت السيفيات من ص 373- 623.

[8] نفسه من ص 622- 716.

العراقيات[1] ثم العميديات[2] والعضديات [3] وكانت آخر قصيدة في ديوانه هي في وداع عضد الدولة مطلعها: (من الوافر)

فَدىً لَكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَداكَا   فلامَلَكُ إذَنْ إلاَّ فدَاكَا

وكان الواحدي في أغلب هذه القصائد يذكر المناسبة ويذكر أحياناً سنة نظم القصيدة، لكن بإيجاز بعيد عن المقدمات الطويلة. وما لاحظه الباحث ان هذا التقسيم لم يلاحظ على شرحي العكبري واليازجي, فقد انفرد الشارح بهذا التقسيم وقد خالف الشارح – ايضا – كلا من العكبري واليازجي في ترتيب الديوان .

ومما يلاحظ على منهج الواحدي في شرحه أنه كان يطري عمله كثيراً وقد عده من أفضل الشروح وأقواها، لأنه يكشف عن المعنى ويجلي غوامضه، كما يرى – وكان في بعض الأحيان يقلل من شأن الشروح الأخرى، لهذا وجدناه يكثر من القول: " وقد سعيت في علم هذا الشعر سعى المجد سالكاً للتجديد " وسبقت فيه غيري سبق الجواد إذا استولى على الأمر، حتى سهلت حزونه،... وذلت لي أبكاره وعونه[4] " وقد أكثر من القول: " ولم يفسر أحد... هذا البيت كما فسرته، وكان بكراً إلى هذا الوقت "[5] ومما قاله أيضاً: " لم يفسر أحد هذا البيت تفسيراً شافياً كما فسرته وبينته، ولو حكيت تخبط الناس في هذا البيت وأقوالهم المرذولة والروايات الفاسدة لطال الخطب.[6]

ويبدو من خلال شرح الواحدي أنه أطلع على معظم ما كتب حول شعر المتنبي، فلقد وقف عند شروحهم، وتعليقاتهم إما عارضاً لها أو مناقشاً، أو مؤيداً أو رافضاً أو مرجحاً وقد ركز على جانب المعنى لأنه امتلك الحس النقدي والذي ساعده على تفهم النص والشعور بما يحتويه من خلال إحساسه بما يتضمنه من حس الصياغة، وجمال الأداء ولطف المعاني [7]" ظهر في هذا الشرح ضعف في

---

[1] بدأت من ص 716–732.

[2] نفسه من ص 732–758.

[3] نفسه من ص 758–708.

[4] السابق مقدمة الشارح، ص 4.

[5] نفسه ج1، ص 191.

[6] نفسه ص 169 ص 199، 209.

[7] النظام في شرح ديوان المتنبي وأبي تمام 121/1.

تفسير لبعض الأبيات حتى أن الشارح لا يقدم شيئاً جديداً في هذا التفسير، وأنه لا يستطيع أن يوضح المعنى للقارئ، وما يقوم به هو تكرار لكلمات الشاعر من مثل قول المتنبي: (من المنسرح)

فَعُدْبها لا عَدمتُها أبداً   خير صلاتِ الكريمِ أعودُها

قال مفسراً: " أَعِدْ هذه المكرمات فإن خير ما وصل به الكريم أكثره عوداً[1]

ومثله يمدح إنساناً أراد أن يستكشفه عن مذهبه:- (من الكامل)

وخيال جسم لم يخل له الهوى   لحماً فينحله السقام ولا دماً

قال: " لم يترك الهوى بجسمي محلاً للسقم من لحم ودم فيعمل به " [2].

ومثله: (من الكامل)

يُعْطيك مُبْتَدِراً فإن أعْجَلْتَه   أعطاك مُعْتَذِراً كمن قد أجرما

قال: ((يبتدرك بالعطاء فإنه سبقته بالسؤال أعطاك واعتذر إليك من تأخر عطائه عن سؤالك كاعتذار من أتى بجرم))[3].

ومثله: (من الطويل)

وخُضْرُة ثَوْبِ العَيْشَ فِي الخُضْرةِ   التّي أَرتْكَ احْمِرارَ المَوْتِ في مَدْرجِ النَّملِ

قال: " طيب العيش في السيف: أي في استعمال السيف والضرب فيه "[4].

ظهر في شرحه أكثر من احتمال لتفسير البيت الواحد، وقد يرجح معنى على آخر، وكان يقول: " ويجوز أن يكون " أو " يحتمل أنه قال" وقد ينهى هذه الاحتمالات بقوله: " والأول أظهر في المعنى " [5].

وقد يقف الشارح عند تفسير الكلمات في البيت الواحد دون أن يتطرق إلى المعنى من مثل الأبيات.[6] (من السريع)

---

[1] شرح ديوان المتنبي: للواحدي، ج1، ص 15.

[2] نفسه، ج1، ص 17

[3] نفسه، ج1، ص 19.

[4] نفسه، ج1، ص 22.

[5] نفسه، ج1، ص 12- 13- 14- 21- 22- 226- 681.

[6] نفسه، ج1، ص 16.

استخدام الألفاظ المعربة.

لاحظ الشارح إن المتنبي استخدم الكلمات المعربة التي يقصد بها تلك الألفاظ التي دخلت العربية واستعملها العرب بعد تطويعها لمنهج العربي في أصواتها وبنيتها, وماشاكل دلك فأصابها تحريف عن اصلهلا عند أصحابها من غير العرب.

وقد جاءت ملاحظاته – في الغالب – تذكر لغتها الأصلية والفئة التي تستخدمها كاقول المتنبي: (من الكامل)

نور تظاهر منك لاهوتيه فتكاد تعلم علم مالن يعلما

يقول الواحدي: " لا هُوتيّهُ: الهيئة وهذه لغة عبرانية يقولـون لله تعـالى لا هوت وناسوت "[1] ويقول ابن فورجة " اللاهوت والناسوت لفظتان مولدتان يتكلم بها الفلاسفة والمتكلمون يريدون الالاهي والإنساني من العلوم "[2] فتفيد ملاحظـة الواحدي دلالة لغوية عامة، عليها مسحة من اهتماماته الدينية.

أما تعليق ابن فورجه فيفيد بالإضافة إلى بيان دخولها على اللغـة العربيـة دلالة خاصة على ثقافة المتنبي ومعرفته بألفاظ الطـائفتين السـابقتين، وإذا كـان المتنبي قد اكتسب مثل اللفظة السابقة عن ثقافة؛ فربما اكتسب غيرها من رحلاتـه وتطوافه في أرجاء الدولة الإسلامية بين شعوب لهجات متعددة شعر بينها بغربـة اللسان، انتقل إلى لغتة منها شئ وأعانته جسارته اللغوية التي شهد بها ابن جنّي [3] على استخدامها في شعره من ذلك قوله: (من الرجز)

كَقَشْرِكَ الحِبَرَ من المَهارِقِ أرودُهُ مِنْهُ بَكَا لشُوذَانِقِ

---

[1] شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1، ص20.

[2] الفتح على أبي الفتح: ابن فورجة ص301.

[3] انظر الفسر: ابن جنى (1).

يذكــر الواحــدي " المهــارق جمع مهرق وهو الصحيفة يكتب فيها وهــو معرب مهره كــرده والشوذانق معرب من سه ذانك أي نصف درهم[1] علـــى أن القطع بمصدر محدد لاكتساب الشاعر لفظة ما، أمر يشوبه محاذير عديدة فربمـــا هذه الفظة اكتسبها من تطوافه واختلاطه بكتاب فارسيين أو غيرهم وقد تكـــــون مما شاع في البيئة مهما كان نوعها.

ويذكر الواحدي أنه أخذ مما تتحدث به العامة – وهذا مكــروه لــدى النقــاد القدماء[2] ما يعود إلى أصل غير عربي كما استعمل منها ما يعــود إلـــى أصـــل عربي، فمن النوع الأول كلمة "مخشلب" في قوله:

بَياضُ وجْهٍ يُريكَ الشَّمسَ حالِكةً　　　ودرُّر لَفْظٍ يُريكَ الدَّر مخشلباً

يقول " والمخشلب هو الخرز المعروف، وليست عربية، ولكنه استعملها على ما جرت به العادة، ويروي مشخلباً وهما لغتان للنبط، فيما يشبه الدرر من حجارة البحر، وليس يدر العرب تقول له الخضض "[3]

ومن النوع الثاني الذي استعمله العامة مما يعود إلى أصل عربي قوله:

أَلقى فريستَهُ وبَرْبرَ دُونَهَا　　　وَقَرّبَتْ قُرْبَاً خَالَهِ تَطْفيلاً

يذكر الواحدي " قال الليث: التطفيل من كلام أهل العراق، ويقال هو يتطفــل في الأعراس " [4] فعلى الرغم من أنها من شعره في بدر بن عمار بالشام إلا أنها تحمل أصداء بيئته اللغوية الأولى "العراق " ويشير ابن فورجه إلى متابعته العامة في تصغير بحر على بحيرة في قوله: (من المنسرح)

لوْلاَكَ لَمْ أَتْركَ البحَيرةَ وال　　　ـغَورَ دَفِيء وماؤُها شَبِمُ

وهو خطأ لأن البحر مذكر يدل عليه قولــه تعــالى: ﴿والبحــر يمــده﴾ [5]

---

[1]) شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1، 334.

[2] العمدة: أبن رشيق، ج1، ص76.

[3]) شرح ديوان المتنبي: الواحدي ، ج1، 156.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص228.

[5] سورة لقمان، من الآية: 26.

والصواب بحير " [1] وإن كان الواحدي قد تقبلها دون تعليق [2]مما قد يشير إلى تفاوت موقف الشراح من استخدام العامي من الشعر وتسامحهم مع مرور الوقت في قبول اللغة الجديدة المولدة وفكرة التطور اللغوي.

ومن خلال عرضنا للأمثلة لهذا المنهج يمكننا أن نقول إن الواحدي يتجه إلى العناصر التالية:

1- الاهتمام الشديد باللفظة وتقلباتها، من حيث الاشتقاق والترادف والبحث عن الغريب، وشرح المختار من الألفاظ، والاستظهار على ذلك بما نقله عن أئمة اللغة.

2- العناية بالعبارة " الجملة الشعرية " ومحاولة الكشف عن العلاقات التي تؤلفها الألفاظ عند ورودها في السياق اللغوي.

3- الالتفات إلى البيت بوصفه كلاً واحد مستقلاً، جالباً غموضه، موضحاً معناه، مشيراً إلى مواطن الجمال فيه.

1-الإشارة إلى الأخطاء اللغوية التي وقع فيها المتنبي مع التمثيل لها من الشعر القديم، والاستشهاد بآراء العلماء وأئمة اللغة.

أ- بناء الجملة في شعر المتنبي:

أشار الو احدي إلى هذا الملمح من ملامح بناء الجملة في شعر المتنبي عند إعادته ترتيب كلمات كل بيت لفهم معناه، ونظر إليه كذلك على ضوء فكرة الصواب والخطأ المعيارية فابن فورجه يعده من أسباب غموض المعنى وإبهامه[3].

ويعتبره دليلاً على التعقيد يظهر هنا في رده على " الصاحب بن عباد" اتهام قول المتنبي: والترك والإحسان خير لمحسن... بالتعقيد يقول:" أما زعمه إنه عقَّد، فوجه التعقيد ما لا نعلم، فإنه لم يقدم لفظه ولا أخرَّ أخرى عن موضعها ولا أغرب

---

(1) الفسر :أبن جنى، ص 30.

(2) الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ج1، ص152.

(3) انظر الفتح علي أبي الفتح ابن فورجه، ص41.

في المعنى ولا في اللفظ " ألا ترانا حين فككنا النظم وجعلناه نثراً أتينا بمثل لفظه سواء من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير فليت شعري أين التعقيد؟"[1]

ومن ذلك صنع الواحدي يقول المتنبي: (من الطويل)

1-فتىً أَلْفُ جُزْءٍ رَأيهُ في زَمِانهِ أَقلُّ جُزئٍ بَعضْهُ الَرأيُ أَجْمعُ

ب- الفصل بين أجزاء الجملة:

أشار الواحدي كغيره من الشراح السابقين إلى عدة صور لهذا الفصل بين أجزاء الحملة التي تتفاوت أهميتها على حسب دورها فيها، وتتوقف على صورة الفصل إمكانية تصور معنى البيت وإدراكه.

ومن أكثرها تأثيراً الفصل بين ركني الجملة: المبتدأ والخبر لجملة كاملة مما يؤدي إلى تعسر فهم البيت والحاجة إلى إعادة ترتيبه كما في قول المتنبي: (من الكامل)

أنيّ يَكَوُن أبا البَرَايا آدمُ وأَبوُكَ والثِّقلانِ أنْتَ مُحَمدٌ

يقول ابن جنى: " في إعراب هذا البيت تعسف وتقديره كيف يكون أبا البرايا آدم، وأبوك محمد، وأنت الثقلان يفصل بين المبتدأ الذي هو أبوك وبين الخبر الذي هو محمد، بالجملة التي هي قوله، " الثقلان أنت "[2] كما يعلن الواحدي " وفصل أبو الطيب في هذا البيت بين المبتدأ والخبر بجملة من مبتدا أو خبر، وهذا تعسف"[3].

ومن صوره أيضاً ما كان موضع خلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ومدى استعمال المتنبي له متفقاً مع آراء الكوفيين كالفصل بين المضافين في قول المتنبي: (من الطويل)

حملت إليه من لساني حديقة سقاها الحجا سقيَ الرياضَ السحائبِ

---

[1] نفسه، ص85.

[2] الفسر، ص9.

[3] شرح ديوان المتنبي : للو احدى ، ج1، ص79

يقول الواحدي أنه: " فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول كما قـــال: (من الطويل)

فزَجَجَتها متمكِّناً زَجّ القَلوصِ أبي مَزادِه

فيقبله الواحدي معتمداً على وروده في الشعر ويستدل عليـــه بأحـــد شـــواهد الكوفيين مع تغير يسير في روايته[1] ومثل هذا الفصل لا يجيزه البصريون لأنهم لا يجيزون الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الجر ويجيزه الكوفيون لضرورة الشعر اعتمادا على وروده في الشعر كالبيت السابق.[2]

ومنه الفصل بين الموصول وصلته، الذي حاول ابن جنى تبريره عند شرحه لقول المتنبي: (من الطويل)

وأشْقَى بلادِ اللهِ مَا الرُّوُم أهْلُها بِهذَا وَما فِيها لمجْدِكَ جَاحِدُ

يقول: " أراد أشقى بلاد الله بهذا ما الروم أهلها والوجه أن لا يقال أنه تصل بين الموصول وصلته بالخبر الذي هو ما الروم أهلها، لكنه علق الباء بمحـــذوف يدل على المبتدأ[3].

ويشير الواحدي إلى نوع من الفصل لا يعتذر عنه يتمثل في قول المتنبـــي: (من المنسرح)

يا حادي عيسها وأحسبني أوجد ميتاً قبل أفقدها

يقول " دعا الحاديين ثم ترك ما دعا هماله حتى ذكره في البيت الذي بعده

قِفا قليلاً بها عليَّ فلا أقلّ مِن نَظْرةٍ أزوَّدُها

وتسمى الرواة هذا الالتفات كأنه التفت إلى كلام آخر من شأنه فإن كان كلاماً أجنبياً رفضه ولم يصلح ومثله: (من الطويل)

وَقدْ أدْرَكَتنَي والحَوَادثُ جَمةٌ أَسنةُ قَوْمٍ لا ضِعافُ ولا عزلُ

---

[1] شرح ديوان المتنبي للواحدي ، ج1، ص333.

[2] الإنصاف في مسائل الحلاف: ج2، ص، 427، مسألة (60).

[3] الفسر: ص 85.

فصل بين الفعل والفاعل، بما سمى التفاتـا لأن إدراك الأسـنة مـن جملـة الحوادث كذلك قوله: واحسبني أوجد ميتاً ليس بأجبني عما هو فيه من الفصل.[1]

وهذا نوع جديد من الفصل يعده الواحدي مـن الوسـائل الفنيـة ويسـميه بالالتفات، وعلى الرغم من أن لا مشاحة في الاصطلاح كما يقولون، فالأولى بـه أن يتبع اصطلاحاً معروفاً حتى لا يوقع في الخلط خاصة، وإن الالتفات قد سـبق إلى تحديده بالتحول في الأسلوب من صيغة إلى أخرى بتحول المضمر المستخدم ولعل الأصمعى ت217هـ أول من أشار إليه في تعليقه علـى التفاتـات جريـر المشهورة [2] بالإضافة إلى أن ما أورده الواحدي أقرب إلى أن يكون ضرباً مـن الاستطراد أو نوعاً من الحشو المفيد.

ج- إعمال إلا عمل أدوات الأسماء والأفعال:

وثمة ملمح نحوي آخر يتكرر في شعر المتنبي وينبه على وجوده الواحـدي وغيره من الشراح وإن لم يمتد إلى تحليله، من ذلك أعمال إلاَّ عمل الفعل في قول المتنبي: (من المنسرح)

لَمْ تَرمَنْ نادمتٌ إلاَّ كا   لا لسِوى وُدِّك لي ذاكا

قال ابن جنى " وقوله (إلاكَّا) قبيح لا يجوز إلا في ضرورة الشعر والوجه إلاّ إياكا لأن (إلاَّ ليس لها قوة الفعل ولا هي عاملة عمل كان ونحوها وقد أنشدوا بيتاً وصلت فيه إلا بالكاف وهو: (من البسيط)

فَمَا نُبَالي إِذا مَا كُنْتِ جَارتَنا   أَلاَّ يُجاوِرنَا إلاَّك ديارٌ

وهذا شاذ لا يقاس عليه"[3] فنحن بإزاء موقفين الأول للمتنبي والآخر لابـن جني، يشير الثاني إلى موقف البصريين وتمثل في إنكار إلا لأنه ليس لهـا قـوة الفعل، خاصة والبصريون لا يرجعون إليها العمل في المستثنى ويجعلون العامـل

---

[1] انظر شرح ديوان المتنبي للواحدي ، ج1، ص7..

[2] انظر علم المعاني، ص260.

[3] اختصار تفسير أبيات المعاني، ص163.

(هو الفعل أو معنى الفعل بتوسط إلا)[1] ويشير قوله:

" وقد أنشدوا بيتاً... وهذا شاذ لا يقاس عليه " إلـــى جريـــه علـــى عـــادةً البصريين في إهدار الشواذ وإنكار القياس عليها بالإضافة إلى التشكيك في الشاهد الذي غير البصريون روايته إلى سواك أو حا شاك[2].

كذلك يشير الواحدي وغيره من الشراح إلى اســتعمال المتنبـــي الظـــروف استعمال الأسماء كما في قوله: (من الطويل)

وَيمنْعَني مِمّا سِوى ابنَ مُحَمَّدٍ   أيادٍ لَهُ عِنْدي يَضيقُ بِها عندٌ

يقول الواحدي ناقلاً عن ابن جني "رفع عند وهي من الظروف التي لا تستعمل الأظروفا، وذلك أنه حمل الكلام على المعنى"[3] مع أن الحمل على المعنى لا يســوغ دائماً عند البصريين [4]فربما كان ابن جنى يلتمس بتعليقه مخرجاً للشاعر يتمثل فـــي الحمل على المعنى ويعلق الواحدي "عند اسم مبهم لا يستعمل إلا ظرفاً يجعله أســـماً خاصاً للمكان كأنه قال يضيق بها المكان هذا كقول الطائي: (من الطويل)

ومازلتُ مَنْشوراً على نَوالهِ   وَعنْدي حتّى بَقيتُ بِلا عندُ[5]

وقد يكون لربطه بين استخدام المتنبي واستخدام أبي تمـــام لهـــذه الظـــاهرة دلالاته على كونها استعمالاً لغوياً استحدثه المولدون أو على شيء مـــن الموافقـــة على المذهب الفني يتمثل في مخالفة العرف في غير هذا.

كذلك يشير الواحدي إلى مثل استخدامه السابق في تعليق على قول المتنبي: (من الطويل)

ولستُ بدونَ يُرتجى الغَيثِ دونهُ   ولا مُنْتهى الجودِ الذي خَلْفهُ خلفٌ

(... ورفع خلف لأنه جعله أسماً لا ظرفاً) [6]

---

[1] انظر الأنصاف في مسائل الحلاف، جـــ1، ص261.

[2] شرح ألفية أبن مالك، جـــ1، ص91.

[3] الفسر، ص 108.

[4] الفتح، ص124.

[5] ينظر شرح ديوان المتنبي للواحدي ، ج1، ص300.

[6] نفسه، ج1، ص171.

وحين انتهينا من تقصي منهج الواحدي وتحديد المعايير التـــي قـــام عليهـــا، والصفات التي كانت تخص منهجه توقفنا عند مكونات منهجه في شـــرح الشـــعر فبدأنا بمكونات منهجه في شرح الشعر وقد لاحظنا أن مكونات منهجه قد تنوعـــت وتعددت، وهي على النحو التالي:

1- شرح الغريب من الألفاظ، واستغراقه في تتبع أصولها واشتقاقها وما تناولـــه فيها من المسائل النحوية .

2- شرحه لأسماء الشعراء والأعلام الواردة في أشعارهم .

3- عرضه للروايات المختلفة للأشعار وشرحها شرحاً لغوياً والمفاضلة بينها .

4- عرضه للمعاني باسهاب وتوسع، ومناقشة الشراح فيمـــا ذهبـــوا إليـــه مـــن تأويلات.

5- إشارته إلى بعض المواضع البلاغية باقتضاب، وربطه بين بعض الأبيات وما ورد فيها من إشارات لبعض الأحداث التاريخية .

6- دعم شرحه بشواهد من القرآن الكريم والحديث النبـــوي، وأشـــعار العـــرب وأمثالهم، من الأشباه والنظائر، وذلك لتوضيح ما يرمي إليه من شرحه للشعر وإيصال المعاني إلى المتلقي سهلة سائغة .

7- إسهابه في تفسير الألفاظ اللغوية،والعبارات المشكلة في سبيل الوصول إلـــى حقيقة معانيها بما يثرب ثقافة المتلقي .

8- إنه لا يكتفي بإيراد المعنى المعجمي للألفاظ بل يذكر التطور الـــدلالي لهـــا ويتتبع تاريخ استحداثها .

وعند وقوفنا على منهج الواحدي اتضح لنا أنه كان يشير إلـــى المـــذاهب النحوية التي تجمع بين المذهبين أحياناً .

وخلصنا أيضاً إلى أن الواحدي كان يسعى من خلال جهده الكبير إلى توظيف ثقافته اللغوية والنحوية والأدبية في سبيل الوصول إلى حقيقة المعنى .

والملاحظ أيضاً على شرح الواحدي أنه كان يعتمد على موهبته الفذة، وذوقه الفني، الرفيع في بيانه لعلوم البلاغة من تشبيه واستعارة وكنايـــة ونمـــاذج مـــن الجناس والمطابقة .

كما اتضح لنا أنه لا يهمل الأحداث والتجارب المحركة لوجدان الشاعر المصاحبة لمراحل إبداعه .

حرص الواحدي في شرحه على بيان الأحداث التاريخية التي توحي بها الألفاظ أو العبارات، الواردة في بعض النصوص الشعرية المشروحة .

حرص الواحدي على دعم شرحه بما يماثل من الشعر العربي الجاهلي أو الإسلامي أو العباسي .

أما أهم ما يميز شرحه لشعر المتنبي هي:-

1- أن الواحدي كان مبدعاً مبتكراً يسلك طريق الشراح السابقين في شرح الشعر.

2- جاء منهجه معبراً خير تعبير عن شخصيته وثقافته التي تلونت بالطابع اللغوي والنحوي .

3- الوقوف عند هفوات العلماء وأخطائهم وتعرضه لها بالنقد في كثير من المواضع .

4- اتباعه الأسلوب الواضح وابتعاده عن الأسلوب الغريب وعدم ميله إلى الغموض والتعقيد .

5- الإحاطة بكل جوانب الموضوع الذي يشرحه واستخدامه للغة الخطاب والحوار، وهذا كان نتيجة طبيعية للنزعة التعليمية التي تجلت على حياته العلمية.

وهذا هو عمل الواحدي في شرح الشعر حاولنا أن نعرضه في صورة لا تغمط الرجل حقه فهو شارح استطاع أن يبتكر منهجاً يختلف عن سابقيه من الشراح فقد وجدهم قد سلكوا مناهج مختلفة في شروحهم كل شرح أعطى جانباً دون آخر من الأهمية فأراد بمنهج جديد أن يجمع بين هذه الشروح في شرح واحد أي أن يجمع شروحاً في شرح، ومن ثم جاء عمله مغايراً لهم، وبذلك كان الواحدي قد بذل جهداً مضنياً ودل على استيعاب شامل، وعلى وعي وإدراك وحضور ذهن في استدعاء معلوماته التي أخذها عن مشايخه أثناء عملية الشرح وأن يوظف ذلك في مواضعه.

المبحث الثاني:

شرح العكبري

من خلال استعراضنا لمنهج العكبري تبين ان الشارح كان يسلك في شرحه المنهج التجميعي الانتخابي اذ يقوم هذا المنهج على جمع ما يأخذه عن الشراح السابقين لكنه يختلف عنهم اذ كان ينقح تلك الاعمال ويقومها وبناقش مافيها من اخطاء .

ثانياً : مميزات شرح العكبري:

الأولى: يرى الشارح أنَّ الشرَّاح الذين سبقوه قد صبَّ كلٌّ منهم اهتمامه على جانب واحد من شعر المتنبّي من دون الجوانب الأُخرى ولم يأتِ أيٌّ منهم بما هو شافٍ، لذلك قرّر أنْ يكونَ منهجهُ في الشرح. جمعَ أقوال الشَّراح السابقين وترتيبها وتنظيمها وزيادة ما يمكن زيادته إليها، ومن ثَمَّ تقديمُ شرحٍ يجمع *مزايا الشروح السابقة* جميعها *ويغني عنها.*

وقد التزم الشارح إلى حدّ كبير المنهجَ الذي ذكره.

والثانية: رتَّب الشارح قصائد المتنبّي ترتيباً هجائياً مُبتدئاً بالهمزة ومنتهياً بالياء. وكان يشير إلى البحرِ الذي نُظِمت فيه القصيدة، وإلى نوع قافيتها، وإلى مناسبتها. مقتدياً في الترتيب بفعل ابن جنّي والخطيب مشيراً إلى فضلهما في السبق إلى هذا الترتيب "

والثالثة: اتبع الشارح منهجًا جديدا مُنظما في شرح البيت الشعريّ يقوم على تقسيم الشرح على ثلاثة أقسام، الأوّل: "الإعراب" يتناول فيه ما يشكل إعرابه في البيت وما فيه من تقديم وتأخير، ويُبيّن عود الضمائر، ويوضِّح العواملَ الإعرابية وما في المسألة المذكورة من خلاف بين النحويين. ثم ينتقل إلى القسم الثاني:

"الغريب" فيتناول الألفاظ الغريبة ويُبيّن دلالاتها ونوعَ بنيتها واشتقاقها، ويشير إلى مشتركها ومترادفها وما هو مجازيّ منها وإلى اللغات المختلفة وما

اعترى اللفظة من تحوّل دلاليّ مستشهداً بالقرآن الكريم والحديث الشريف وكـــلامِ العرب الفصحاء شعرا ونثرا والأمثال والمواعظ والحكم. وكلٌّ ذلك تمهيدٌ للقســم الثالث.

والثالث: "المعنى"، إذ يشرح فيه مضمون البيت ومعناه العام.

هذا هو المنهج المطّرد في شرح الأبيات[1] وقد يستغني عن "الإعــراب"[2] أو عن "الغريب"[3]، أو عن كليهما عندما لا تكون هناك حاجة إلى ذلك فيلج إلـــى شرح البيت مباشرةً.

وبعد استيفائه شرح البيت يذكر المعنى المرادف له في القرآن الكـــريم أو في الحديث النبوي الشريف أو في الشعر العربيّ أو في المواعظ والحكم[4].

وكثيراً ما يعرضُ تتابع المعنى على ألسن الشعراء عبر العصور المتوالية، وربَّما يورد ثمانية أبيات تحمل المضمون نفسه[5]. وقد يُجــزّئ البيــتَ الواحــد ويبحث لكلّ شطر منه على نظير له في المعنى[6]، وقد يكتفي بشرح الأبيات التي يستشهد بها ويفاضل بينها مُعلِّلاً[7].

وقد يذكر أفضل ما قيل عن العرب في هذا المعنى ممَّا أكســب شــــرحه أهميّة كبيرة عند دارسي النقد الأدبيّ ولا سيَّما مَن عني منهم بموضوع الســرقات الشعرية والموازنات.

والرابعة: اتَّبع الشارح في شرحه أُسلوبا عاما وشاملا عُرف عند بعض البـــاحثين بـــ" الإتجاه التكامليّ " [8]، الذي لا يقتصر على شرح البيت الشعريّ حسب بـــل يتعداه إلى بسط مختلف العلوم والمعارف العامة، ممَّا يجعل الشـــرحَ موســـوعةً ثقافيَّة ذات فوائد جَمّة. ومن أبرز سماته العرض التفصـــيليّ المُســـهب لمســـائل

---

[1] ينظر: التبيان في شرح الديوان 4/1، 6، 9، 11، 12، 13

[2] ينظر: نفسه 2/1، 3، 4، 5

[3] ينظر: نفسه 3/1، 4، 10

[4] ينظر: نفسه 55/1،57، 185

[5] ينظر: نفسه 260/2-261.

[6] ينظر: نفسه 2/ 136، 207، 233، 320.

[7] ينظر: نفسه 343/1، 0370، 110/2، 371/3.

[8] هو الدكتور فخر الدين قباوه، ينظر منهج التبريزي في شروحه: 200، والنحو في شروح ديوان المتنبّي: 47.

الخلاف بين المدرستين الكبيرتين، البصرة والكوفة. ولا يخلو الشّرح من مادة صرفيّة مفيدة. وهو عظيم الفائدة لدارسي الأدب العربيّ والنقد الأدبيوالبلاغة ولاسيما في موضوع السرقات الشعرية. وتضمن الشرح حديثاً مسهباً عن القوافي وأنواعها وعيوبها وعن الضرورات الشعرية وما هو مستحسن منها وما هو مستقبح، وتضمن قصصا ووقائع تأريخية وتفصيلا عن المذاهب والملل ومعتقداتهم، وحديثاً عن قبائل العرب وأيامهم وأنسابهم وعاداتهم وتقاليدهم وحياتهم العامة، وقصصاً وحكايات عن الرسول الكريم (ﷺ) وعن شخصياتٍ إسلامية أخرى. 9[1]

وتضمن أيضاً أحكاما فقهية مختلفة ، وحديثاً عن آيات قرآنية مكيِّة ومدنيِّة وعن أسباب نزولها وأقوال أهل التفسير فيها ، وقدَّمَ حديثاً عن علم الحديث والسند ورجالاته[210].

وعن الافلاك والبروج والأنجم السيارة وعن الطيور وأنواعها وأشكالها وألوانها وعن التمور وأنواعهاوعن المواقع الجغرافية من بحار وغيرها[3].

ومثال ذلك ما ذكره من تفصيل مسهب في أنواع القطا في أثناء شرح بيت المتنبِّي: (من البسيط)

فالعُرْبُ مِنهُ مع الكُدريّ طائرةٌ والرُّومُ طائرة مِنهُ مع الحَجَلِ

قال: "الكُدريّ: جنس من القطا، وهو على ثلاثة أضرب: كُدريّ، وجونيّ، وغَطاط. فالكُدري: الغبر الألوان، الرُّقش الظهور والبطون، الصُّفر الحلوق، القصار الأذناب، وهو ألطفَ من الجوني.والجوني: سُود البطون، سود الأجنحة والقوادم، قِصار الأدناب. والغطاط: غُبر الظهور والبطون والأبدان، سود بطون الأجنحة، طوال الأرجل والأعناق، لِطاف لا تجتمع أسرابا، أكثر ما تكون ثلاثا واثنين " 11[4].

---

[1] ينظر: نفسه 356/1.

[2] ينظر: نفسه 201/2.

[3] نفسه 82/3.

والخامسة:اهتمامه بالروايات المختلفة وحرصه الشديد على إيرادها كلِّهـا، قـال واصفاً احدى الروايات: "وليست برواية جيّدة ...، وإنَّما ذكرناها حتى لا نخلَّ برواية صالحة كانت أو فاسدة " [112].

وقال في رواية أخرى: "وليس بشئ، إلا أني وجدتها في بعـض النسـخ فذكرتها، حتى لا أُخلَّ بشيءٍ، على حسب الطاقة " [213].

ومن المُلاحظ أيضاً أنَّه يحاول توجيه الروايات المختلفة قـال فـي بيـت المتنبّي: (من الكامل)

نِقَمٌ على نِقِمِ الزَّمان يَصبُّها   نِعَمٌ على النِّعمِ التي لا تُجحدُ

" نقمُ: خبر ابتداء محذوف، ومن روى نَصبها جاز أن تكونَ خِطابا، ويكون (نعم) على هذا خبر ابتداء محذوف، أيْ هي. وإن جعلتها للتأنيث كانـت (نِعـمٌ) فاعلة لها، ومن روى بالياء المثناة تحتها فالضمير للممدوح، و(نعم) خبر ابتـداء محذوف أيضا)[314].

ونجده يوازن بين الروايات المختلفة ويفاضل بينها. قال في بيت المتنبـي: (من الكامل)

عذْلُ العَواذلِ حولَ قلبِ التَّائهِ   وَهَوى الأحِبَّةِ مِنهُ في سَوْدائهِ

"وروي: "قلبي" بالإضافة، ويكون "التائه" صفةً له، وليس بجيِّد، لأنَّه لا يُقال: تاه القلبُ، والرواية الجيِّدة: "قلبُ التائهِ" بالإضافة إلى "التائه"

والسادسة: التزام الشارح موقفا منصفا من المتنبِّي، فمن المعـروف أنَّ شـراح ديوان المتنبِّي قد اختلفوا فيه بين محبٍّ مادح يصل إلـى حـد المغـالاة، ومبغض قادح يتتبَّع عيوبه ويتحامل عليه.

---

(1) نفسه 374/3.

(2) نفسه 12/4.

(3) التبيان في شرح الديوان 333/1.

شرحه للغة

إن العناية باللغة مرتكز رئيس ظل سائدا في جميع الشروح الشعرية، وقد كان الاهتمام باللغة أحد المفاتيح المهمة التى يجيد الشيخ أبو البقاء استخدامها في فتح ماغلق من أبواب الشرح ومنافذه، ومصباحا يستكشف ماخفي أو أخفى من معانى الشعر وقصائد الشعراء، واستثماره لعنصر اللغة في عمله في شرح الديوان أخذ اشكالا متعددة ومظاهر متنوعة منها.

شرح الألفاظ لاجلاء المعنى على نحو قوله في شرح هذا البيت : (من الكامل)

و بِمُهْجتي يَاعَاذِلِى المَلكُ الَّذي　　　أَسْخَطْتُ كُلَّ النَّاسِ فِي إرْضائِه [1]

يقول في شرح البيت بعد أن يشيرإلى ما فيه من الفاظ غريبة :

" الملك : يريد سيف الدولة، وخرج من النسيب إلى ذكر الممدوح وطابق بين السخط والرضا، وقوله " ياعاذلي "وكان ينبغي أن يقول :" ياعاذلتي"

لأنه ذكر العواذل في الأول،وإنما أراد : يامن يعذلنى لأن "من" تقع لإبهامها على الواحد والاثنين، المذكر والمؤنت والجمع [2]

ونرى العكبري يسهب من الناحية اللغوية والنحوية في الاستعانة بآراء سيبويه المبسوطة في كتابه، مما يدل على شغفه به،وإعجابه بماتضمنه من مسائل في اللغة والنحو، ولعل استيعاب العُكبري لمسائل الكتاب هو الذي جعله يعتمد عليه في مروياته النحوية، يشعرنا بميله نحو المدرسة النحوية التى أرسى أصولها الخليل بن أحمد، ثم أكمل صرحها سيبويه، ومن أمثلة ذلك ماعلق به على شرح بيت أبى الطيب في قوله : (من البسيط)

إنَّ السِّلاحَ جَميعُ النَّاسِ تَحْمَلُه　　　ولَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ [3]

---

[1] التبيان في شرح الديوان، ج1،ص 28

[2] نفسه : ج1، ص 28

[3] التبيان في شرح الديوان ج 2، ص234

يقول :" وقد جاء من العرب مثله، تقول ليس خلق الله مثله، فتضمر الشأن والقصة، ولولا ذلك لما ولي ليس وهي فعل فعلٌ آخروهو "خلق" لأن الأفعال لايلي بعضها بعضاً، وقد ذكر مثل هذا سيبويه في كتابه [1]

ثم يقول وأنشدوا لحميد الارقط : (من البسيط)

فأصْبَحوا والنَّوىَ عَالي مُعَرسِهِمْ وَلَيَسَ كُلَّ النَّوىَ تُلقىِ المسَاكَينُ[2]

فنصب "كل" بتلقي وأضمر اسم ليس فيها.

ثم يتناول اللفظ الغريب في المعنى : المخلب للطيروالسباع،بمنزلة الظفر للإنسان ثم يستكمل شرح البيت بقوله :" ليس كل من يحمل السلاح شجاعا ولأكل ذي مخلب سبعا يفترس به بل يوجد ذوات مخالب والسبع يفضلها، وكذا سيف الدولة يتزنون بشكله ويشاركونه في لبس السلاح ولكنهم يقصرون عن فعله، وعمايبلغ بالسلاح من البطش وشرح البيت في غاية الدقة والجمال بما وصف به سيف الدولة وإثباته بما يشابه معنى البيت من أشعار العرب [3]"

ومنها قوله في بيت أبى الطيب : (من الطويل)

على كلُّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّهُ مِنْ الدَّمِ يُسقى أو مِنَ اللَّحمِ يُطْعَمُ[4]

يقول في شرح هذا البيت نقلا عن الواحدى : ((كأنه يتغدى لحم نفسه، ويشرب دمه فقد زاد هزاله، ذ ليس له مطعم ولامشرب إلامن جسمه))، ثم يتبع معنى البيت بوجه آخرمن المعني،وهوأن يكون مطعمه ومشربه من لحوم أعدائه،فهو مقتحم عليهم،وموغل في طلبهم ليدرك مأكله وشربه ثم يقول وهذا الوجه أبلغ وأمدح...[5]

ثم يقول في تفسيركلمة "اللذ عنا" الواردة في بيت المتنبي : (من الكامل)

وإذا الفَتَى طَرَحَ الكَلامَ مُعرَّضَا فِي مَجْلس أَخَذَ اللَّذعَنَا[6]

---

[1] الكتاب، سيبويه ج 1، ص 117

[2] البيت لحميد بن ثور ورد في الازمنه والامكنه، ج 318/2، الأثباه النظائر،78/6، في ديوانه، وشرح أبيات سيبويه ج 1، 175

[3] التبيان في شرح الديوان ج 2،ص 234

[4] نفسه،ج3،ص359

[5] شرح الديوان : الواحدي،ج2 ص،645

[6] التبيان في شرح الديوان :،ج4،ص 206

نقلا عن ابن جني "اللذعنا" يريد الذي عنا وفي الذى أربع لغات،ويقول : وقال الخطيب : اللذعنا، كلمة واحدة وهى الكلام الذى ليس فيه موارة..." [1]

كما يكثر العُكبرى من مرويات لغوية يستمدها من عدة مصنفات العلماء ومن هذه الامثلة ماذكره في شرح لفظة "الارعواء "الواردة في قول المتنبي:(من الكامل)

وَمِن البَلِيّةِ عَذْلُ مِن لايَرْعوَى   عَنْ غيه وخِطَابُ مَنْ لايَفْهمُ

يَمْشي بأربْعةٍ عَلى أَعْقَابـــــه   تَحْتَ العُلوجِ وَمِن وراءٍ يُلجمُ[2]

يقول : "العلوج :جمع علج، وهوالرجل العجمى، والحمار الوحشى.وهو من المعالجة".كما يلاحظ عنه في شرح البيت التالى : (من الكامل)

لَوْ قُلتُ للرَّنفِ الحَزَينِ فَديتهُ   رحمًا بِه لأغَرتَهُ بِفدائهِ [3]

حيث يقال :"... للرفق:الشديد الحرص،والرفق "بالتحريك" : المرمى الملازم ورجل دنف،وإمراة دنف، يستوى فيه المذكر والمؤنث، والتثينة والجمع فإن كسرت النون، قلت امراة دنف،وثنيت وجمعت، وقد دنف المريض وأدنف، إذا أشتد مرضه، وأدنفه المرض، يتعدى ولا يتعدى فهو مونث ومُريف... [4]

كما يلاحظ عنه أيضا الاستغراق في التفسير اللغوى كقوله في شرح لفظه المخطئين الواردة في هذا البيت من قول المتنبي : (من الوافر)

وَعْينُ المُخَطِئينَ هُمُ و ليْسَوا   بِأَوْلِ مَعْشرٍ خَطِئوا فَتَابوا [5]

يقول :" الخطأ نقيض الصواب، وقد يمد يقال منه، أخطأت وتخطأت بمعنى واحد ولا يقال،أخطت إلاشاذا،والخطء (بالكسر) الذنب قال الله تعالى :﴿ إنَّ قتلهم كَانْ خطِئاً كَبيْراً﴾ [6] ثم يستمر في تتبع معنى الكلمة فينشد تعريف الكلمة وأشتقاقاتها فيقول : والاسم الخطيئة (على فعيله) ولك أن تشدد الياء،لان كل ياء

---

[1] نفسه : ا،ج4،ص 206

[2] نفسه،ج4،ص 127

[3] نفسه ج 1، ص 6

[4] نفسه : ج1،ص 80

[5] سورة الاسراء، من الآية 12

[6] سورة الإسراء من الآية: 21.

ساكنة قبلها كسرة أوواوساكنة قبلها ضمة وهما زائدتان للمد لا للالحاق ولاهما من نفس الكلمة فإنك تقلب الهمزة بعد الواو واواً وبعد الياء،باءً،أو تدغم فتقول في مقرؤ،مقرؤاً وفي خطيئة خطية ولذا وقف حمزة على هذا وشبهه دون الوصل.

ثم يتابع معنى اللفظة ويستشهد بالشعرالجاهلى في قول امري القيس :

يالَهفَ هنَد إذا خَطْئينَ كَاهِلاَ　　　القاتلين المّلِكَ الحُلا حِلا [1]

ومن خلال تتبعنا لعمل العُكبرى في حيز كشف المعانى للشعر وجدناه مجتهدا في حرص شديد على تتبع المعانى التى يحتملها التعبير، ولو بنوع من التكلف والتأويل، وفي سبيل ذلك نراه يوجه مهارته اللغوية لخدمة المعنى، كمافعل في شرح هذا البيت من قول المتنبي : (من الكامل)

لاَتَكْثُرُ الأمْوَاتُ كَثَرَةَ قِلةٍ　　　إلاّ إذَا شُقِيتْ بِكَ الأَحْيَاءُ[2]

يقول الشارح : ((قال الواحدى :كثرة اتحصل عن قلة وهو قلة الأحياء يريد إنما يكثر الأموات إدا قلت الأحياء)). قال ابن جني : يريد أنها شفيت يفقدك. فحذف المضاف، ويكون المعنى على ماقال : لاتصير الأموات أكثرمن الأحياء إلا إذا مات الممدوح،وصارفي عسكر الموتى كثرة الأموات به، لأنه يعير جانبهم. وهذا فاسد لشئيين : أحدهما: أنه إذا مات واحد لايكون ذلك قلة.والآخر: أنه لايخاطب الممدوح بمثل هذا ولكنَّ المعنى أنه أراد بالأموات القتلى. لا الذين ماتوا قبل الممدوح، المعنى شقيت بك،أي بغضبك وقتلك إياهم.

وكما أسلفنا أن الشارح كان في شرحه يستدل بآراء علماء أجلاء مثل الواحدي وابن جني،وابن الشجري.حيث يقول : "قال ابن الشجري، وقال أبوالفتح ويقول أبوالعلاء... فنراه يمحص هذه الاراء ويغربلها ويأخذ بالأحسن منها،أو يطرحها دون أخذها..."[3]

---

[1] ديوان امرئ القيس، دار صادر، ص 150، دت

[2] التبيان في شرح الديوان،ج1،ص27

[3] التبيان في شرح الديوان : ج 1، ص 27

ومن الملاحظ على هذا الشرح ان الشارح قد اشار الى بعض الظواهر اللغوية منها:

1- التغيير في بنية الكلمة في مثل قوله :[1] (من الطويل)

فأرحْم شَعرَ يتّحِلْنّ لَدُنَّهُ وأرحامُ مالٍ لا تني تنقطعُ

قال أبو الفتح : " قوله " لَدُنّه " فيه قبح وشناعة، وهو ليس معروفاً في كلام العرب، وليس يشدد إلا إذا كان فيه نون أخرى، نحو لدُنيٍّ، ولَدُنّا " ، وقد عد شارح التبيان قول ابن جنى متناقضاً، فهو لم يأت بجديد " فكلما يقال لدنّهُ بحمل أحد الضميرين على الآخر "وقال الجرجاني : " فأما تشديد النون فغير معروف في لغة العرب، وقد كان أبو الطيب خوطب في ذلك فجعل مكان لدنَّهُ ببابه "[4] ونقل الجرجاني عذر المتنبي لنفسه، حيث قال : " قد يجوز للشاعر من الكلام مال يجوز لغيره لا للاظطرار إليه،ولكن للاتساع فيه، واتفاق أهله عليه، فيحذفون ويزيدون "

ومثل قوله : (من الهزج)

شَدِيدُ البُعدِ مِنْ شُربِ الشَّمولِ تُرُنج الهندِ أو طلعُ النَّخِيلِ

لم يعجب شارح التبيان استخدام المتنبي لفظة " ترنج" وخروجها على الفصيح، فاللغة الفصيحة عنده هي : " أتْرُج " وواحدها " أتُرجَّهُ " وقد عدها الجرجاني مما أُخذ على المتنبي بخروجه عن مألوف ما عند العرب، وذكر أن المشهور عند العرب " ألا ترج " و " الترنج" مما يغلط به العامة "ونقل لنا دفاع أبي الطيب عن نفسه، فقال أبو الطيب : " يقال أترجّه " وأترج، وترنج، حكاها أبو زيد، وذكرها ابن السكيت في أدب الكاتب "واحتج الصاحب بن عباد على استخدام هذه الكلمة[6]، مثلما احتج الثعالبي، يقول : " والمعروف عن العرب ألا ترج، والترنج مما يغلط بها العامة "[7] وقد أشار سيبويه إلى الكلمة وعدها مما يأتي على وزن أفْعُلة، وهو قليل[8]، وأرى أنه لا يضير المتنبي أن يستخدم كلمة استخدمتها العامة، فاللغة تكتسب دلالتها بالاستعمال، فلغتنا العربية هي لغة المخاطبات اليوميّة.

---

(1) التبيان في شرح الديوان : 240/2.

(4) الوساطة، ص 450.

(6) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي،تحقيق : الشيخ محمد حسن آل يس، مكتبة النهضة، بغداد 1965 إبراهيم الدسوقي الباطي، دار المعارف، مصر 1961م ص 53.

(7) اليتيمة، تحقيق : مفيدة قمحية، ط دار الكتب العلمية، بيروت، 72، 193/1.

(8) الكتاب : 247/4.

من الظواهر النحوية التي وقف عندها في شعر المتنبي :-

1- نداء ما فيه " أل" في قوله :[1] (من الخفيف)

واليمانيّ الذي لو استَطَعْتُ كانت   مُقْلَتيِّ غِمدهُ من الإعزازِ

يقول صاحب التبيان : " بأن اليماني في موضع نصب بالنداء فكأنهُ قال : " يامزيلُ الظلام، ويا اليماني، وهو جائز عند الكوفيين أن ينادي ما فيه التعريـف، فتقول : يا الرجل، يا الغلام، وحجتهم في ذلك ما جاء من أشعار العرب وكلامهم، قال الشاعر : (من السريع)

فيا الغُلامانِ اللّذانِ فرّا   إياكُمَا أنْ تكْسِباني شرّاً

وقول الآخر : (من الوافر)

فديتك يا التي تيمتِ قلبي   وأنتِ بخيلة بالوصلِ عني

ومن كلام العرب قولهم : يا أللهُ، والألف واللام فيه زائدتان "[2] وقد رفض البصريون ما جاء به الكوفيون، وحجتهم في ذلـك أن الـلام والألـف تجيئـان للتعريف، وحرف النداء يفيد التعريف، ولا يجوز أن يجتمع تعريفان فـي كلمـة واحدةٍ[3]، يقول سيبويه : " وأعلم أنه لا يجوز لك أن تنادي أسماً فيه الألف واللام البته إلاَّ أنهم قالوا : يا ألله أغفر لنا، وذلك من قبل أنه اسم يلزمه الألف واللام لا يفارقانه، وكثر في كلامهم فصار كأن الآلف واللام فيه بمنزلة الألف واللام التـي في نفس الحروف "[4]

2- استعمال اسم التفضيل على غير ما هو شائع في قوله :[5] (من البسيط)

أبَعْدَ بَعِدْتَ لا بياض لهُ   لأنَتَ أسودُ فِي عينيّ مِنْ الظُلَمِ

---

[1] التبيان في شرح الديوان : 175/2 واليماني معطوف على البيت السابق

يا مزيل الظلام عني وروضتي   يوم شربي ومعقلي في البزار

البزار : الصحراء الواسعة.

[2] نفسه : 175/2.

[3] نفسه : 175/2، وأنظر الإنصاف مسألة (46 335/1.

[4] الكتاب : 195/2، وأنظر شرح ابن عقيل : 264/2.

[5] التبيان في شرح الديوان : 35/4.

وقد ذكر صاحب التبيان أن الشاعر صاغ أفعل التفضيل من اللون وهذا غير جائز عند البصريين[1] يقول ابن جنى وهو بصري : " لا يقال أسود من كذا، لأن الألوان فى يبنى منها فعل التفضيل " وفعل التعجب "[2] وأجاز الكوفيون قولهم " ما أسود شعره " " وما أبيض شعره "واحتجوا على ذلك بالنقل والقياس "[3] أما النقل فقد استشهد بقول طرفة بن العبد :[4] (من البسيط)

وإِذا الرَّجالُ شَتَوْا واشتد أُكلهُم   فأنت أبيضهُم سربالِ طبّاخِ

فوجه الاحتجاج أنه قال : " و " أفعل به " لأنهما بمنزلة واحدة، فقد اشتق أفعل التفضيل " أبيضهم " من البياض، وهذا جائز عند الكوفيين لكن البصريون يرفضون هذا الاشتقاق وحجتهم في منع صوخ أفعل التفضيل، وصيغتي التعجب من الألوان أن الألوان من المعاني اللازمة التي تشبه أن تكون خلقة كاليد والرّجل، وهي أيضاً أي أفعال الألوان ليست ثلاثية مجردة.[5]

3- ترخيم الأسم الثلاثي في قوله :[6] (من الطويل)

أَجِدَّكَ ما تنفك عانٍ تفكُّهُ   عُمَ بن سليمانٍ ومالا تقسِّمُ[7]

قال الواحدي : "وعم" ترخيم عم، وهو لحن، لأن الاسم الثلاثي لا يجوز ترخيمه لأنه على أقل الأصول عدداً،فترخيمه إجحاف به،وإنما يجيزه الكوفيون"[8]

ونقل العكبري عن أبي الفتح قوله : إن " عم " ترخيم عمر على رأي أهل الكوفة، وهو لحن عند البصريين.

لقد أجاز أهل ترخيم الثلاثي من الأسماء، إذا كان متحرك الوسط "كعمر" و " زفر " ولا يجوز الترخيم في الاسم الثلاثي الساكن الوسط " كزيد " لأنه حذف

---

(1) التبيان في شرح الديوان : 35/4.

(2) نفسه : 35/4.

(3) الإنصاف في مسائل الخلاف (6) 149/1 وما بعدها وأنظر التبيان في شرح الديوان : 35/4.

(4) ديوان طرفة بن العبد، ص 147، وجاء في رواية أخرى بعليق وتقديم سيف الدولة الكاتب وأحمد عصام الكاتب، ص 37:

أما الملوك فأنت اليوم الأمهم   لوماً وأبيضهم سربال طباغ

(5) الإنصاف : المسألة (16) 149/1 وما بعدها.

(6) التبيان في شرح الديوان : 90/4.

(7) العاني : الأسير، ومعناه : ما تبرح تفك أسيراً، وتقسم مالاً.

(8) شرح الواحدي : ج1 /181.

الأخير وجب حذف الساكن فيبقى على حرف واحد، وذلك لا نظير له، بخلاف ما إذا كان متحرك الوسط.[1]

4- ترخيم المضاف إليه في قوله :[2] (من الكامل)

مهلاً ألا لله ما صنع القنا   في عمرو حاب وضبَّة الأغتام

قال الواحدي : " أراد عمرو بن حابس، فرخم المضاف إليه، وذلك غير جائز لأن الترخيم " حذف " يلحق أواخر الأسماء في النداء تخفيفاً والكوفيون يجيزونه في غير النداء "[3] وهذا رأي ابن جنى [4].

5- حذف أن الناصبة :

ومن المسائل التي أشار إليها العكبري في شرحه والتي اختلف حولها اللغويين حذف أن الناصبة، فالكوفيون يرون أن " أن " تعمل ولو حذفت، بينما يرى البصريون أنها لا تعمل إن حذفت [5]، وقد احتج الكوفيون بما جاء في أشعار العرب كقول طرفة :[6] (من الطويل)

ألاأُ بهذا الزّاجري أحضرُ الوغى وأن أشْهدِ اللذاتِ هَلْ أنتَ مُخلدي

ومن الأمثلة كذلك :[7] (من الطويل)

وقبل يُرى مِن جودِهِ ما رأيتهُ   ويسمحُ فيه ما سمعتُ من العدلِ

قال الشارح : " أراد قبل أن يرى " فحذفها وأعملها "[8]

ومثله قوله :[9] (من البسيط)

تَوْقهُ فَمتَى مَا شئتَ تبلوهُ   فكنْ معاديهِ أو كُنْ لَهُ نشبـــا

---

(1) التبيان في شرح الديوان : 90/4 ونقل عن الإنصاف المسألة (49) 356/1 وما بعدها

(2) التبيان في شرح الديوان : 11/4 الأغتام : وصف توصف به الأغبياء، عمرو صاب من بني أسد وبنوضبة من تميم.

(3) شرح الواحدي، ص 592.

(4) نفسه، ص 592.

(5) الإنصاف : مسألة (77) 563/2 أنظر التبيان في شرح الديوان 114/1.

(6) ديوان طرفة، ص 31.

(7) التبيان في شرح الديوان : 50/3.

(8) نفسه : 50/3.

(9) نفسه : 114/1.

قال ابن جنى : " نصب" "تبلوه" بأن مضمرة، والتقدير " أن تبلوه" فحذفها بعد أن قدرها ظاهرة وبقى عملها بحاله "[1]

وقوله :[2] (من البسيط)

وكُلمَا لقي الدِّينارُ صاحِبهُ   في مُلكهِ افْترقاً مِنْ قَبلِ يصْطَحِبا[3]

قال ابن جنى : " حذف النون من فعل الأثنين " يصطحبا " لأنه حــذف "أن" وأعملها على مذهبه "[4]

ومثله قوله :[5] (من الكامل)

بَيْضاءُ يَمْنعُها تَكلم دلِّها   تيهاً وَيمْنعهــا الحيــاءُ تميســا

قال الشارح : " أراد أن تتكلم " فحذف أن واعملها، وكذلك " أن تميسا " [6]

ومثله قوله في الرثاء :[7] (من الطويل)

أيَعظمهُ التّواربُ قبلَ فِطامِــهِ   ويأكلهُ قَبلَ البلوغِ إلىِ الأكــــلِ

وقيل يرى من جوده من رأيته   ويسمع فيه ما سمعت من العذل.

قال الشارح : " أراد قبل أن يرى، فحذفها وأعملها "[8]

ومثله قوله :[9] (من الوافر)

أحبك أو يقولوا جرَّغـــــــلُ   ثبيراً وابن إبراهيــم ريعــا[10]

قال أبو الفتح : " إلى أن يقولوا، فحذف أن وأعملها "[11]

6- تثنية الفعل وجمعه مع وجود الفاعل :

قال المتنبي : (من الكامل)

---

[1] الفسر : 258/1. وأنظر التبيان في شرح الديوان 114/1.

[2] التبيان في شرح الديوان : 116/1.

[3] الفسر : 263/1.

[4] نفسه : 116/1.

[5] نفسه : 195/2.

[6] نفسه : 195/2.

[7] الفسر : 50/3.

[8] نفسه : 50/3.

[9] نفسه : 253/2.

[10] نفسه : 253/2.

[11] نفسه : 253/2.

أفَديكَ مِنْ سَيلِ إذا سُئل النَّدىَ هولُ إذا اختلطا دمُ ومسيــحُ[1]

يقول الشارح نقلاً عن ابن جنى[2] : " والوجه أن يقول اختلط[3]، وقد أجازه ابن جنى على قول من قال " ذُهبوا إخوتك وقاما أخواك "[4]

ثم قول المتنبي :

ورمَى وما رمتا يداهُ فصابني سهمُ يعذبُ، والسِّهامُ تَريــحُ[5]

والوجه أن يقول " وما رميت يداه " لكن جاء به على لغة من قال قاما أخواك.

وقال المتنبي :

لا يستحي أحد يقالُ لهُ نَضَلوكَ آلُ بويه أو نَضَلوا

أني بعلامة الجمع قبل الفاعل على لغة " أكلوني البراغيــث فــي كلمــة " نضلوك"

لقد استخدم المتنبي لغة معروفة اشتهرت بلغة "أكلوني البراغيــث" أو لغــة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل كما سماها الإمام مالك لوجود الحــديث الــذي يؤكــد صحة هذه اللغة، وهو " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر، وصلاة الفجر..."[6]

حيث جمع الفعل يتعاقبون مع وجود الفاعل ملائكة، وهناك غير آية وردت على النحو، مثل قوله تعالى : ﴿ وأسرّوا النَّجوى الّذين ظَلَمَوا﴾[7] وقوله تعــالى : ﴿ثم عَموا وصَمّوا كَثيرُ منهْم ﴾[8]

تطرق العكبري في شرحه إلى حسن التخلص عند المتنبي، لكنه يقف طويلاً عند هذا الأمر ولكنه ذكر عدداً غير قليل من مخالصه، التي وصفها بأنها أحســن

---

[1] التبيان في شرح الديوان : 253/1.

[2] الفسر : 687/2.

[3] التبيان في شرح الديوان : 253/1.

[4] الفسر : 187/2.

[5] التبيان في شرح الديوان : 245/1.

[6] شرح الزرقاني علي موطأ الإمام مالك 489/1 حديث 412 دار الكتب العلمية بيروت 1990ف.

[7] سورة الأنبياء من الآية 2.

[8] سورة المائدة من الآية 70.

المخالص[1]، وقال عن المتنبي : " إن له في المخالص اليد الطولى" [2] مؤيداً ما قاله ابن رشيق من أنه " أكثر الناس استعمالاً لهذا الفن، فإنه ما يكاد يلفت منه ولا يشذ عنه حتى ربما قبح سقوطه فيه "[3]

وقد أشار الواحدي إلى حسن التخلص في شعر المتنبي مرة واحدة عندما وقف عند بيته :[4] (من الطويل)

أحبُّ التي في البدرِ منها مُشَابِهُ وَأَشْكو إلى مّن لايصابُ لَهُ شَكلُ

وهكذا ندرك أن الشارح كان على علم وكفاءة عالية بعلوم اللغة من نحو وصرف ومواقفه اللغوية والنحوية من لغة الشاعر تدل على سعة علمه ومخزونه اللغوي ويلاحظ الباحث أن الشارح كان على مذهب الكوفيين والأمثلة التي عرضناها تؤيد ما ألمحنا إليه سلفاً.

ومن خلال تتبعنا لمنهجه في شرح المتنبي اتضح لنا أنه كان أكثر توسعاً واستطراداً، في طريقته أثناء الشرح، وقد تجلت موهبته في اللغة والنحو، والرواية، والمعاني، والبلاغة، لقد حقق من جميع عناصر الشرح أعمالاً أكدت على أنه كان مبدعاً يجمع كل الثقافات وأنه انفرد بشخصية فذة متفردة تدل على اتساق في العلوم، ومعرفته لكل ألوان المعرفة .

ومن الملاحظات التي يجب أن نشير إليها في هذا الشرح :

1- إنه كان ينظم ما ينقله من الشروح السابقين فقد رأيناه ينقل من الواحدة وابن جنى ، ولكنه كان يتصرف فيما ينقله حيث ينظمه ويرتبه وفق الرؤية التي يراها في معالجة عناصر الشروح لا كما جاءت في شرح الواحدى .

2- إن عمله في شرح الشعر كان قد قسمه إلى ثلاقة أقسام بدأها :

أولاً : (الإعراب) يتناول فيه ما يشكل إعرابه في البيت وما فيه من تقديم وتأخير ثم ينتقل إلى شرح (الغريب) فيتناول الألفاظ الغريبة ثم ينتقل إلى شرح (المعنى) إذ يشرح فيه مضمون البيت ومعناه العام .

---

[1] التبيان في شرح الديوان : 177/2.

[2] نفسه : 177/2.

[3] العمدة : 234/1.

[4] التبيان في شرح الديوان : 183/3.

3- إن العكبري على كثرة نقله من الشروح كان يبدي رأياً فيما ينقل كما إنه كانت له بعض المواقف التي دلت على شخصيته في العلم ، وهي مواقف إن دلت على شيء فإنما تدل على مضور ذهن ، ونظرة ثاقبة ، وغزارة مادة .

المبحث الثالث: شرح اليازجي:

ومن خلال استعراضنا لمنهج اليازجي اتضح انه كان يسلك المنهج التسهيلي الاختصاري والذي كان الغاية منه الوصول الى معنى الشاعر ومقصده ومن ثم يمكن الوصول الى المعنى من ايسر الطرق واسهلها واقتناعه كذلك بان الشرحين السابقين قد جاء عملهما في شرح الشعر مسهبا اسهاب مبالغ فيه ولذلك رأى ان يقوم هذا العمل بغربلة وتصفية ذلك الاطناب والاسهاب والاستطراد , وتقديمه في ثوب مؤشى بالاختصار والتسهيب.

كما انه كان على قناعة تامة بان قراءة الشرح يمثل فئات متفاوتة في القدرة على تحصيل العلم, متباية في الطباع والاهواء ولذلك رأى ان يكون منهجه يراعي اختلاف قدرات المتلقين ومشاربهم واهوائهم, ويقدم لهم عناصر الشرح سهلة ميسرة خالية من التشعب والاغراب يضم اللغة ولكن بقدر محدود.

فقد حاول اليازجي أن يستفيد من اللغة والنحو، في تحقيق هذين العنصرين اللذين يعدان أهم العناصر في عملية الشرح، إذ لا يتضح معنى النص إلا بهما، غير أن إفادته من اللغة والنحو جاءت وفق منهجه، فهو يشرح الألفاظ والتراكيب إن رأى أن ظاهر النص يقتضي ذلك، فإن كان النص لا يشتمل على الغريب الذي يحتاج إلى شرح أتى بالمعنى مباشرة، وربما رأى أن في شرح الألفاظ ما يدل على المعنى، فيشرح الألفاظ فقط دون أن يأتي بالمعنى، على أنه إن كان في غلبة شرحه يحقق ما ذكرنا فإنه أحياناً كان يركز على جانب لغوي يعرضه، ويكتفي به في عملية الشرح، وأحياناً يركز على لفظه نحوية يعرضها ثم لا يذكر بعدها شيئاً في النص .

أما في النحو فإنه كان يتناول النحو من حيث إيضاح المعنى، باستثناء المواضع القليلة التي يتابع فيها شراحاً سابقين، كان يركز على مناقشة المسائل النحوية التي تتصل بالمعاني، والتي تعين على إيضاح المعاني وإبرازها .

- **التبسط في الشرح:**

على الرغم من حرص اليازجي على التفرد والتميز في شـرحه نتيجـة شعوره بأن الشراح السابقين لم يوفقوا في شرح شعر المتنبي الشيء الذي جعلـه يبذل جهداً غير عادي في محاولته الارتقاء بشرحه شكلاً ومضموناً .

واعتقد أن من أسباب ذلك حرصه الزائد على توضيح المعنى وإيصاله لذهن السامع والملاحظ على شرحه الاستطراد أحياناً في الشرح، وأحيانـاً الاختصـار لدرجة أن المتأمل لشرحه يصفه بالقصور، وعدم التمكن في شرحه .

ومن خلال ما سنعرضه من وقفات شعرية يتناول فيها اليازجي معاني الأبيات ندرك ما ألمحنا إليه، من ذلك قول المتنبي: (من الطويل)

فلا يتَّهِمْني الكاشحون فإنني رعبتُ الرَّدى حتى حلَت} لي عَلاَقُمِهْ

يقول: " الكاشح الذي يضمر العداوة، والردى الهلاك وأثبت له الرعي علـى تشبيهه بالنبات الذي يرعى. والعلاقم جمع علقم وهو الحنظل، (فـالمعنى الـذي وصل إليه الشارح بعد ذلك)، يقول: لا يتهمني الأعداء بالجزع من الفراق فإني قد مارست أسباب الهلاك واعتدت ذوقها حتى لا أجد لها مرارة "[1]

فهو في شرحه لهذا البيت يجنح إلى السهولة والتبسط في الشرح دون غموض أو تعقيد، حتى يصل بالمتلقي إلى المعنى المطلوب في أسهل صورة .

وكذلك قول المتنبي بشرحه: (من الطويل)

تَرى حيوانَ البَّرِ مُصْطَلِحاً بهِ

يُحاربُ ضِدٌّ ضِدَّهُ ويُسَالِمُهْ

فيشرح البيت يقول: " يريد صور حيوانات عليها مما لا يسالم بعضه بعضا، وقد صورت متحاربة وهي في الحقيقة مسالمة لأنها جماد لا تقاتل .."[2]

والذي نلحظه في هذا الشرح أنه كان ينقل عن الواحدى وشرح العكبري، فهو يتبسط في الشرح نظر لأنه كان ينقل عن الواحدي النقل الحرفـي إلا أنـه كـان يختصر في هذا الشرح .

---

(1) ينظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2، ص 9.

(2) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج2 ، ص 9.

كما نجده في شرح هذا البيت(من المنسرح)،

أين أزمعت أيُهذا الهُمامُ ؟

نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَي وأنت الغّمَامُ

فيقول: " الإزماع العزم على الأمر أي أين أزمعت أن تسير؟ والربى التلال خصها لأنه نباتها لا يشرب إلا من ماء المطر فهو أحوج إليه من نبات غيرها لأنه يمكن أن يشرب من الماء الجاري .."[(1)]

وانظر إليه في شرح هذا البيت: (من الخفيف)

وكفاحاً تَكِحٌ عنه الأعادي وارتياحاً تَحارُفيه الأنامُ

فيقول: " تكسح، تجبن وتضعف، والارتياح الهشاشة للبذل واصطناع المعروف ..."[(2)]

وأحياناً نراه ينقل آراء العلماء السابقين من ذلك قوله في شرح بيت المتنبي: (من المنسرح)

لَيْث أنَّا إذا ارْتَحَلَتْ لك الخـــ

ـــلُ وأنَّا إذا نَزَلت الخِيامُ

يقول: قال الواحدي: " أي ليتنا معك نتحمل عنك المشقة في مسيرك ونزولك هذا معنى البيت لكنه أساء حيث تمنى أن يكون بهيمة أو جماداً ولا يحسن بالشاعر أن يمدح غيره، بما هو وضع منه"[(3)] (من الخفيف)

ونلحظه في شرح هذا البيت:

كُلَّما قيلَ قد تناهَى أرانَا

كَرَماً ما اهتَدتْ إليه الكِرَام

فيقول: " تناهى بلغ النهاية أي كلما ظن أنه بلغ نهاية الكرم ابتدع من المكارم شيئاً جديداً [(4)].

---

(1) ينظر نفسه، ج2، ص 13.

(2) نفسه، ج2، ص 15.

(3) نفسه، ج2، ص 13.

(4) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج2 ، ص 183.

3- استدعاء الأشباه والنظائر:

ومن مظاهر اهتمام الشيخ ناصيف بالمعنى وإيضاحه دأبه على استدعاء ما شابه الشعر المشروح ونظيره حتى يتمكن المعنى من ذهن المتلقي أيما تمكن وفيما سنورده عند حديثنا عن عنصر النقد غناء عن ذكره هنا:

4- الاستعانة بآراء العلماء السابقين:

وجدنا اليازجي – وهو يلح على توضيح المعاني – متتبعا السابقين باعثا لآرائهم لتأكيد المعاني التي يراها عن طريق دفع النقيض من ذلك ما ستورده لتوضيح ما أسلفنا الحديث عنه في قول المتنبي: (من الكامل)

ألغت مَسامِعُهُ المَلامَ وغادرتْ سِمَةً على أنف اللّئام تلوح

هَذا الذي خَلَتِ القرونُ وذِكْرُهُ وحديثُهُ في كُتْبِها مشروحُ

يقول: " ألفت أي أهملت واسقطت . وغادرت تركت، وروي ابن جنى: ألفت من الألفة أي أن مسامعه اعتادت اللوم على ذلك فلم تلتفت إليه أنه قد صار عندها شيئاً مألوفاً "[1]

ثم يقول أيضاً: خلت أي مضت، والقرون جمع القرن، وهو أهل الزمن الواحد، قال الواحدي: المعنى أن الكتب مشحونة بذكر الكرم ونعت الكرام وأخلاقهم"[2]

ومن ذلك قوله في شرح هذا البيت: (من الطويل)

أَمِطْ عَنْكَ تشبيهي بما وكأنَّه فما أحدٌ فوقي ولا أحدٌ مثلي .

يقول: وقد خاض الشراح في تأويل قوله بما خوضا عجيباً، ونقَّبوا في الكشف عن المقصود منه كل منقب فذكروا في ذلك أقوالا شتى لا يخلو نقلها من تبصرة قال الواحدي: – حكى ابن جنى عن أبي الطيب أنه كان يقول في تفسير بما وكأنه أن ما سبب للتشبيه لأنه القائل إذا قال الآخر: بم تشبه هذا ؟ قال له المجيب كأنه الأسد أو كأنه الأرقم إلى آخر ما ذكر عنه – قال: وسمعت أبا الفضل العروضي يقول: ما وإن لم يكن للتشبيه، ثم يقول وهذا قول القاضي أبي الحسن على بن عبد

---

(1) نفسه، ج1، ص 183.

(2) نفسه، ج1، 183.

العزيز، حكاه عن أبي الطيب، ثم يقول: قال ابن فَوْرَجَّة، ما ههنا اسم بمعنى الذي، ومعناه أن يقال لمن يشبه بالبحر كأنه ما هو نصف الدنيا ..."

يعنون البحر لأنه الدنيا برو بحر . وهذا القول الأخير أعجب هـذه الأقـوال وأعجب منه اختلاف النقل عن أبي الطيب ..."[1]

ونراه في موضع من مستغلق شعره واختلاف مذاهب التأويل فيه:

من ذلك قول المتنبي (من الطويل)

فتى ألفُ جزءٍ رأيهُ في زمانهِ أقلَّ جزيءٍ بعضهُ الرأيُ أجمعُ

يقول: ((وقد ركب في هذا البيت من التقديم والتأخير والحذف والابهام مـا لا يباح مثله في أساليب الكلام، حتى إنَّك إذا حللت تركيبه النحوي وجدته باقياً علـى غموضه، ثم يورد آراء غيره من العلماء على فك رموز هذا البيت، فيقول: قـال الصاحب بن عباد، وهذا من عنوان قصائده التي تحيرِّ الإفهام .

ويقول الواحدي: وأكثروا في معنى هذا البيت ثم لم يأتوا ببيان مفيد موافـق اللفظ ...))[2]

ومن مستغلق شعر المتنبي ما ذكره اليازجي في هذا البيت . (من الكامل)

وقلنَا دفراً والدَّهِيمَ فما تُرى أُمَّ الدهيمِ وأُمَّ دفرٍ تأكلُ

فيقول: " وفي هذا البيت من التعقيد والحشو والابهام في استعمال ألفاظ اللغـة مع ما فيه من غرابة المعنى ما لا يهتدي معه إلى المراد ... وقد وقفت فيه علـى كلام الشراح فوجدتهم قد أخذوا في شعاب التجوز وامعنوا في مهامه التأويل إلـى ما يخرج بالكلام عن جادة المقول ..."[3]

ثم يقول في شرح هذا البيت، ويصفه بالمشكل أيضاً .

---

[1] ينظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج2 ، ص 86، ص 62

[2] ينظر نفسه، ص 40- 41 .

[3] ينظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ج1، ص 42.

وَهَبِ الملامةَ في اللَّذاذةِ كالكرَى   مطرودةً بسهادِهِ وبكائهِ

فيقول: " وهو من مشكل الأبيات التي تتحير في تأويلها أوهام المفسرين وتضل في تركيبها بصائر المُعربين، وقد أوغل شراح الديوان في الغوص على معناه فلم يصدروا عنه بغناء، قال الواحدي: رحمه الله، قال ابن جنى: يقول: اجعل ملامتك إياه في التذاذها كالنوم في لذاذته فأطردها عنه بما عنده من السهاد والبكاء، فهو في هذا البيت نراه يسرد رأي كل من ابن جنى، والواحدي ويقارن بينهما ثم يرجح رأي ابن جنى فيقول: ويكون المعنى على نحو ما قال ابن جنى، أي احسب ملامتك لذيذة عند العاشق كنومه ..."[1]

وفي مطلب آخر يشير الشارح إلى معاني المتنبي المبتكرة .

يقول: " وإذا جاوزت هذه النظائر من شعره إلى ما له من المعاني المبتكرة، والقلائد المعدودة، مما أجمع أهل العلم بالشعر على تبريزه فيه، واعترف انداده وحساده من الشعراء باختراعه، ويقول أمثلة أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر، وذلك نحو قوله: (من الكامل)

سَفَرَتْ وبَرْقَعَها الفراقُ بصُفرةٍ   سترت محاجرهَا ولم تَك بُرقُعَا

فكأنها والدمع يقطر فوقها   ذهب بسِمَطَيْ لؤلؤٍ قد رُصّعَا[2]

ومن الملاحظات التي يجب أن نشير إليها في هذه الشرح:

1- إنه كان ينظم ما ينقله من الشرحين السابقين (الواحدي والعكبري) فقد رأيناه ينقل عن الواحدي وغيره من الشراح السابقين، ولكنه كان يتصرف فيما ينقله، حيث ينظمه ويرتبه وفق الرؤية التي يراها في معالجة عناصر الشروح، لا كما جاءت في الشروح السابقة مغلبا جانب الاختصار والتسهيب كما اسلفنا .

2- إن عمله في شرح الشعر كان قد قسمه إلى ثلاثة أقسام بدأها:

أولاً: (الإعراب) يتناول فيه ما يشكل إعرابه في البيت، وما فيه من تقديم وتأخير ثم ينتقل إلى شرح (الغريب) فيتناول الألفاظ الغريبة، ثم ينتقل إلى شرح (المعنى) إذ يشرح فيه مضمون البيت ومعناه العام .

---

[1] نفسه، ج1، ص 43-44.

[2] نفسه ج1، ص 45.

3- إن اليازجي على كثرة نقله عن الشروح كان يبدي رأياً فيما ينقل، كما إنه كانت له بعض المواقف التي دلت على شخصيته في العلم، وهي مواقف إن دلت على شيء فإنما تدل على حضور ذهن، ونظرة ثاقبة، وغزارة مادة .

هذه هي العناصر التي قام عليها عمل هذا الشارح حاولنا أن نستعرضها من خلال نظراتنا إلى طريقة عمله في شرح شعر المتنبي فقد رأيناه في غلبة عمله ينقل عن الشراح السابقين فهو أحياناً يجاريهم في شروحعم وأحياناً أخرى يردها ، أما في شرحه فهو يتوخى السهولة والاختصار وينجح إلى إيثار الإيجاز عن الأطناب والإطالة ، وذلك لتقريب المعنى للقارئ ما قرب وأسهل طريق وخلاصة القول أن اليازجي في شرحه كان إذا عرض إلى عناصر الشرح الأخرى كان الإيجار إليه سبيله وأن شرحه كان عالة على غيره من الشراح السابقين مثل ابن جنى والواحدي وغيرهم من الشراح .

لقد كانت دراسة هذه الشروح دراسة مستفيضة، ودقيقة مع أعمال الشراح ودراسة ذات نظرة موازنة، متشبعة متعددة متلاحقة، كشفت عن المتشابه والمختلف وعن الإبداع والابتكار، والتقليد والإتباع، وعن الجهد الذي بذله هؤلاء الشراح يدل على إعمال فكر، وجهد مضن وكشفت مع هذا كله عن مدى ما اضطلع به هؤلاء الشراح من ثقافات، وما رموا إليه من أهداف وغايات، والذي يجب أن نشير إليه إن أغلب أصحاب هذه الشروح التي تناولناها بالدراسة كانوا كثيراً ما يجنحون إلى التوسع والإطالة، في الجانب اللغوي، والنحوي، كما أنهم لا يغضون النظر عن الجوانب الأخرى، وهي عناصر لها قيمتها في تحليل النص وتبيان معانيه .

والملاحظ أيضاً أن أصحاب هذه الشروح كانوا يعتمدون في شروحهم على جمع الشروح السابقة، ومن ثم يتخيرون شرحاً منها تكون عناصر الشرح فيه وافية كاملة، معروضة في ثوب من التنسيق والتهذيب، بحيث لا يكون عنصر من العناصر طاعنا على الجوانب الأخرى .

والذي يجب أن نؤكده من هذا الصدد أن أصحاب هذه الشروح قد بذلوا جهداً لا ينكره أحد، فقد حاولوا أن يوفروا لأعمالهم سائر المقومات والصفات التي تقوم

عليها مناهجهم، فهم بحق قد أعطوا وأثروا المكتبة الأدبية بهذه الشروح التي كان لها الأثر الكبير في فهم معاني شعر المتنبي، الذي لا يزال يملأ الـــدنيا ويشـــغل الناس .

ولاحظنا ايضا ان هناك تقاربا وتشابها بين شرح الواحدي وشرح والعكبـــري اثنا تناولهما لنصوص المتنبى من خلال دراستنا المستفيضة في ديوان المتنبى مع تفاوت نسبي في شرح العكبري اثناء تناوله للـــنص وتغليبـــه جانـــب الاســـهاب والاستطراد غير انه كثيرا ما يتناول في شرحه الجانب النحوي والصرفي وهـــذا مايفسر ان العكبري كان يتصف منهجه بالمنهج التكاملي اما شرح اليازجي فكـــان يختلف عليهما اختلافا كليا فقد كان يميل الى السهولة والاختصار وكثير ما كـــان ناقلا عن شرحي الواحدي والعكبري .

الخاتمة

والآن وقد وصلنا إلى نهاية هذه الدراسة، نود أن نجمل ما توصلنا إليه من نتائج من خلال عرض أهم ما اشتملت عليه:

لقد بدأت بدراسات ممهدة ضمناها فصلاً تناولنا فيه مراحل حركة تطور شرح الشعر حتى بدأ عصر المتنبي، صورة لما كان عليه شرح الشعر عصر ما قبل الإسلام وهو العصر الذي لم يكن الناس فيه في حاجة إلى شرح الشعر، لأن الشاعر في ذلك الزمن لم يكن معزولاً عن متلقي شعره بحاجز زمني أو مكاني إلا في حالات نادرة، حين يعتمد الشاعر إلى استخدام تركيب أو تصوير فني يتجاوز فيه الحد المألوف لديهم .

فيتولى توضيحه وتفسيره أو يتولى عنه رواة شعره، ولاحظنا أيضاً أنه لما جاء الإسلام كانت الحاجة إلى شرح الشعر مثل سابقتها في الجاهلية لم تتجاوز في مطلبها تفسير لفظة أو تركيباً غير مألوف أو خبراً متصلاً بالشعر ذاته أو قائله .

غير أنه لما بدأت عناية المسلمين بالقرآن الكريم وحاجتهم إلى فهم لغته ومعانيه، بدأت عناية خاصة بالشعر لحاجتهم إليه في تفسير القرآن والحديث الشريف، ولاحظنا كذلك أن هذه العناية قد صحبتها عناية أخرى من القبائل حين استقرت في الأمصار الإسلامية .

وبدأت مراجعة أشعارها في الجاهلية، ورواية هذه الأشعار بل تجاوزوا الأمر ذلك إلى تفسير بعض ألفاظه ومعانيه .

كذلك لاحظنا الاهتمام قد زاد على أيدي علماء متخصصين في رواية الشعر وتدوينه، وأكدنا أنه وإن كان الشرح غير مقصود لذاته في تلك الفترة التي بدأ فيها الجمع والتدوين فإنه قد خطا على يدي هؤلاء العلماء الرواة الأوائل، خطوات أدت إلى توسع في عناصره إذ تجاوز ما كانت عليه الحال في الجاهلية والإسلام إلى بحث في رواية الشعر وما فيها من اختلاف وذكر مناسباته وأخبار قائليه، بل امتد حتى شمل البحث في عيوبه والحكم على الشعراء والمفاضلة بينهم.

ثم وقفنا عند عمل طبقات العلماء المتوالية في شرح الشعر فلاحظنا أن الطبقة الثانية من العلماء قد اعتمدت على ما أخذته من الطبقة الأولى، ولم تقف عند نقله فحسب بل أضافوا إليه ما اعتبروه تصحيحاً لخطأ أو توجيهاً لرأي، أو سداً لنقص.

وكذلك كانت حال الطبقة الثالثة الأمر الذي أدى إلى إثراء حركة شرح الشعر بالفيض الغزير في عناصر شرح الشعر المختلفة .

كما لاحظنا أيضاً أنه قد بدأ بشيء من التخصص لدى هذه الطبقات الأولى من العلماء، فتخصص بعضهم في الغريب، وبعضهم في النحو وبعضهم في الأخبار، والأيام والأنساب، ثم رأينا توالي طبقات العلماء المهتمين بشرح الشعر، وبداية اتجاه مغاير للسابقين في عملية شرح الشعر، حيث نشأ لدى بعض الشراح ما يمكن أن نسميه بأدب الشروح الذي يعالج المعاني وقصائد الشعراء فيها، ويركز جلَّ همه في هذا المدار، لا يتجاوزه إلى اللغة، وما فيها من اشتقاقات أو النحو وما فيه من مشكلات .

ورأينا أيضاً أنه إذا كان شرح الشعر قد بدأ عند علماء الطبقة الأولى والثانية وتلاميذهم ذا مقصد تثقيفي فإنه قد تحول عند الطبقات التي تلت هؤلاء العلماء، ومع ظهور شروح المتنبي إلى غاية تعليمية، توسعت بسببه دائرة شرح الشعر فأصبحت على شيء غير قليل من التعمق، في دراسة اللغة وقضاياها والنحو ووسائله، والرواية واختلافها، والمعاني وتأويلاتها إلى غير ذلك من العلوم التي يقوم عليها شرح الشعر، كذلك أدركنا أن شروح المتنبي عندما ظهرت إلى حيز الوجود كانت متأثرة بجميع ماطرأ على شرح الشعر عامة ؛ لأن هؤلاء الشراح الذين تصدوا لشرح الشعر لم يكونوا بمعزل عن حركة شرح الشعر عامة .

ومن ثم لاحظنا أنهم قد شغلوا حيزاً غير قليل بآراء العلماء السابقين أمثال الأصمعي، والخليل، وأبي عبيدة،وابن الأعرابي والأخفش،كما لا حظنا فيهم شيئاً من التخصص في عنصر من العناصر التي يقوم عليها الشرح، إذ رأينا من كان يهتم بالغريب من اللغة،ومن كان يهتم بالنحو وما فيه من مسائل مثل،ابن جني، ومن كان يهتم بالأخبار التاريخية ومناسبات الشعر، وما يتصل به من أيام وأنساب كالعكبري ومنهم من كان يهتم بالمعاني .

كذلك لاحظنا تطوراً آخر لحركة الشروح على أيدي علماء الطبقة السادسة حيث بلغ النقد مداه من التقدم، وفي بداية القرن الخامس، وعلى أيدي هؤلاء العلماء سجلنا تطورات فنية ومنهجية، انعكست على جهود العلماء في شرح الشعر، فاتسمت بنصيب وافر من الدقة والتعمق، واتضحت ظاهرة النقد أكثر حتى سادت أغلب الشروح .

كما اتسمت بكثرة الاستطراد في المسائل اللغوية والنحوية، والتبسط في شرح المعاني وسرد الأخبار التاريخية، وما ورد في الشعر من ذكر للحوادث ومناسبات القصائد .

وتوصلنا في نهاية هذه الوقفة إلى أن الشراح الذين تناولتهم هذه الدراسة كانوا قد استفادوا من جل هذه المناهج، التي سلكها العلماء في شروحهم، فكانوا ينقلون أقوالهم ورواياتهم للشعر، ولا يكتفون بالنقل بل ألفيناهم يناقشون هذه الآراء، فيساندون بعضها أو يرفضون بعضها، معتمدين في كل ذلك على اجتهادهم الشخصي وما تزودوا به من معارف وعلوم .

ولما انتهينا من تتبع الأطوار التي مرت بها حركة شرح الشعر حتى عصر المتنبي، وعرفنا أبرز اتجاهات الشراح التي سلكوها أثناء شرحهم للشعر، توصلنا إلى أن كلا من الشراح الذين تناولوا شرح شعر المتنبي قد وظفوا جانباً مهماً من ثقافاتهم المتنوعة والمتعددة، والتي تضم علم التفسير والحديث والقراءات وما تضمنته أفكارهم من دراية ودقة متناهية في معرفة مضامين الشعر .

ورأينا أن هذه الثقافات كان لها الأثر الكبير في طريقهم في شرحهم للشعر لما كان يطغي عليها من أسلوب الجدل والحوار وخلق المواقف والقضايا المنطقية.

كما وجدنا أن شروحهم تعتمد على ثقافة تاريخية تتصل بالأنساب وأيام العرب ووقائعهم والمشهورة .

ولعل أبرز ما توصلنا إليه في هذه الدراسة هو تلون الشروح بثقافة لغوية ونحوية كبيرة حيث رأينا أن شروحهم تحولت إلى متون لغوية،وميدان خصب لمعالجة القضايا النحوية .

بعد ذلك ذهبنا لاستنطاق مناهج هؤلاء الشراح لنضع أيدينا على حدود مناهجهم العلمية ونستخلص الإطار العام الذي رسمه هؤلاء الشراح في شرح الشعر .

موازنة بين الشروح:

أولاً: الواحدي:

وحين انتقلنا إلى دراسة منهجه في شرح الشعر وجدناه يتجه في شرحه اتجاهاً لغوياً نحوياً، فقد بدأ بتفسير الغريب من الألفاظ والمشكل من العبارات، إلى استقصاء الأصول والنظائر النحوية والصرفية، وتوضيح اشتقاقات الكلمات، وتطور معانيها وصلتها باللهجات المحلية للقبائل، واللغات المجاورة، ثم ينتهي بتوضيح معاني الأبيات، والكشف عن بعض مواطن الجمال والقبح في النص، مما جعلنا نرجع ذلك إلى أسباب عدة:

1- الميل إلى النزعة التعليمية التي كانت تجول في نفسه وطريقته في إملاء مؤلفاته على تلاميذه وما تؤدي إليه من إثارة للجدل والنقاش حول كثير من المسائل النحوية واللغوية .

2- تأثر الواحدي بالمناهج العلمية اللغوية التي كانت سائدة آنذاك عند العلماء السابقين مثل ابن جنى، وابن فورجة وأبي العلاء وغيره من العلماء .

3- التطور الثقافي والحضاري الذي شهد العصر العباسي خلال القرن الرابع الهجري، وما أدى إليه من فرض مناهج وأساليب جديدة في شرح الشعر والتفسير والتأليف .

وحين انتهينا من تقصي منهج الواحدي وتحديد المعايير التي قام عليها، والصفات التي كانت تخص منهجه توقفنا عند مكونات منهجه في شرح الشعر فبدأنا بمكونات منهجه في شرح الشعر وقد لاحظنا أن مكونات منهجه قد تنوعت وتعددت، وهي على النحو التالي:

1- شرح الغريب من الألفاظ، واستغراقه في تتبع أصولها واشتقاقها وما تناوله فيها من المسائل النحوية .

2- شرحه لأسماء الشعراء والأعلام الواردة في أشعارهم .

3- عرضه للروايات المختلفة للأشعار وشرحها شرحاً لغوياً والمفاضلة بينها .

4- عرضه للمعاني باسهاب وتوسع، ومناقشة الشراح فيما ذهبوا إليه من تأويلات.

5- إشارته إلى بعض المواضع البلاغية باقتضاب، وربطه بين بعض الأبيات وما ورد فيها من إشارات لبعض الأحداث التاريخية .

6- دعم شرحه بشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي، وأشعار العرب وأمثالهم، من الأشباه والنظائر، وذلك لتوضيح ما يرمي إليه من شرحه للشعر وإيصال المعاني إلى المتلقي سهلة سائغة .

7- إسهابه في تفسير الألفاظ اللغوية،والعبارات المشكلة في سبيل الوصول إلى حقيقة معانيها بما يثرب ثقافة المتلقي .

8- إنه لا يكتفي بإيراد المعنى المعجمي للألفاظ بل يذكر التطور الدلالي لها ويتتبع تاريخ استحداثها .

وعند وقوفنا على منهج الواحدي اتضح لنا أنه كان يشير إلى المذاهب النحوية التي تجمع بين المذهبين أحياناً .

وخلصنا أيضاً إلى أن الواحدي كان يسعى من خلال جهده الكبير إلى توظيف ثقافته اللغوية والنحوية والأدبية في سبيل الوصول إلى حقيقة المعنى .

والملاحظ أيضاً على شرح الواحدي أنه كان يعتمد على موهبته الفذة، وذوقه الفني، الرفيع في بيانه لعلوم البلاغة من تشبيه واستعارة وكناية ونماذج من الجناس والمطابقة .

كما اتضح لنا أنه لا يهمل الأحداث والتجارب المحركة لوجدان الشاعر المصاحبة لمراحل إبداعه .

حرص الواحدي في شرحه على بيان الأحداث التاريخية التي توحي بها الألفاظ أو العبارات، الواردة في بعض النصوص الشعرية المشروحة .

حرص الواحدي على دعم شرحه بما يماثل من الشعر العربي الجاهلي أو الإسلامي أو العباسي .

أما أهم ما يميز شرحه لشعر المتنبي هي:

1- أن الواحدي كان مبدعاً مبتكراً يسلك طريق الشراح السابقين في شرح الشعر.

2- جاء منهجه معبراً خير تعبير عن شخصيته وثقافته التي تلونت بالطابع اللغوي والنحوي .

3- الوقوف عند هفوات العلماء وأخطائهم وتعرضه لها بالنقد في كثير من المواضع .

4- اتباعه الأسلوب الواضح وابتعاده عن الأسلوب الغريب وعدم ميله إلى الغموض والتعقيد .

5- الإحاطة بكل جوانب الموضوع الذي يشرحه واستخدامه للغة الخطاب والحوار، وهذا كان نتيجة طبيعية للنزعة التعليمية التي تجلت على حياته العلمية.

وهذا هو عمل الواحدي في شرح الشعر حاولنا أن نعرضه في صورة لا تغمط الرجل حقه فهو شارح استطاع أن يبتكر منهجاً يختلف عن سابقيه من الشراح فقد وجدهم قد سلكوا مناهج مختلفة في شروحهم كل شرح أعطى جانباً دون آخر من الأهمية فأراد بمنهج جديد أن يجمع بين هذه الشروح في شرح واحد أي أن يجمع شروحاً في شرح، ومن ثم جاء عمله مغايراً لهم، وبذلك كان الواحدي قد بذل جهداً مضنياً ودل على استيعاب شامل، وعلى وعي وإدراك وحضور ذهن في استدعاء معلوماته التي أخذها عن مشايخه أثناء عملية الشرح وأن يوظف ذلك في مواضعه .

ثانياً: العكبري:

وإذا جئنا إلى العكبري من خلال تتبعنا لمنهجه في شرح المتنبي اتضح لنا أنه كان أكثر توسعاً واستطراداً، في طريقته أثناء الشرح، وقد تجلت موهبته في اللغة والنحو، والرواية، والمعاني، والبلاغة، لقد حقق من جميع عناصر الشرح أعمالاً أكدت على أنه كان مبدعاً يجمع كل الثقافات وأنه انفرد بشخصية فذة متفردة تدل على اتساق في العلوم، ومعرفته لكل ألوان المعرفة .

ولقد درسنا عناصر الشرح عنصراً عنصراً وكان أهم ما تراءى لنا أنه كان غالباً ما يتجاوز المادة التي يناقشها إلى مواد أخرى تتصل بها ففي جانب اللغة:

كان متأثراً عمن سبقه في هذا العنصر فقد وظف ثقافته الموروثة عن العلماء في أجيال مختلفة توظيفاً جيداً، وكان يستعين بهم في توضيح كل غامض ضمه النص المشروح أو أثاره الشرح، كما ألفيناه في شرحه يستعين بمن سبقوه من العلماء، أمثال الخليل، والأصمعي، وابن الأعرابي،وابن دريد، وغيرهم وجوداً متفاوتاً في عمل اللغة لدى العكبري .

كما أنه واسع الاطلاع في علم اللغة بمختلف موادها قادراً على استدعاء معلوماته المستقاة من العلماء بصورة تغذي المادة التي يتكلم فيها بالوضوح والإبانة .

كما ألفيناه في هذا الشأن يتناول اللغة المختلفة الاشتقاق والصرف، والأضداد، والمعرب، واستعمال اللفظ حقيقة ومجازاً، كما أنه كان يتعرض للغات القبائل، وهي نواح تكاد تغطي نشاطات علم اللغة، غير أن العكبري في شرحه لهذا الجانب كان يهدف إلى إيضاح المعنى أكثر من أن يهدف إلى الاستقصاء والإطالة، والأمثلة التي أوردناها سلفاً لتدل دلالة واضحة على ثقافة العكبري وسعة معرفته بجل العلوم المعرفية .

وإذا كان العكبري قد اهتم باللغة لغاية تتمثل في شرح ألفاظ النص المشروح وإيضاحها، فإن اهتماماته بالنحو كان الغاية من شرح التراكيب ليَظَلَّ بالاثنين معاً اللغة والنحو إلى إيضاح معاني النصوص وإظهار مضامينها .

ومن خلال تتبعنا لمنهجه ندرك ما يلي:

1- قلة اسهامه في تناول المادة اللغوية فإننا قد لمسنا لديه بعض الإسهاب فيما كان يثيره من شرح نحوي .

2- أن النحو في شرح العكبري يتمثل في جانبين أحدهما إيراد القواعد النحوية التي قننها علماء النحو والآخر تطبيق هذه القواعد من خلال الإعراب .

ففي الجانب الأول نراه يتعرض لجملة من قواعد النحو التي يرد الحديث عنها من خلال التراكيب الواردة في الشرح .

وفي تناوله للمسائل النحوية اللغوية رأيناه يعتمد على ما يختـــاره مـــن آراء العلماء يمحصها ويغربلها ثم يختار أفضلها .

وفي عنصر الراوية:

ألفينا العكبري قد أعطى هذا الجانب اهتماماً واضحاً، فهو من العناصر التـــي تشكل دعامة أساسية في منهجه الأدبي فقد رأيناه في مواضع مختلفة يبدأ به شرحه والبدء بالشيء دليل على الاهتمام به .

فهو أثناء الشرح يفاضل بين الروايات وأحياناً يوردها ففي جانب المفاضـــلة نراه يعتمد على معايير الفصاحة، والبلاغة والشهرة والجودة وأحياناً نراه يصـــدر حكماً دون تعليل .

ثم وجدناه بجانب المفاضلة التي يقصدها في الرواية وبنينها على المعايير التي ذكرناها فإذا تساوت الروايات لا يكتفي بإيرادها فحسب بل يشرحها ويجلو ما فيها من غموض في اللغة .

وفي إدراكنا أن ظهور شخصية العكبري في شرح الروايات المتساوية لديـــه يصبح أكثر اطراداً وبروزاً في الجانب الثاني من عمله في الرواية وتعنـــي بـــه جانب نقد الرواية وردها ففي هذا الجانب تتجلىّ لدينا أمور عدة:

1- حسه اللغوي ومعرفته بأساليب العرب ونظرته الثاقبة التـــي جعلتـــه يصـــل بشرحه إلى هذه المكانة والسمو .
2- النظر إلى الرواية ومدى مطابقته للاستعمال الفصيح ومنها صـــلة الروايـــة بالمعنى الذي يقرره .
3- توافق الرواية مع المألوف من كلام العرب .
4- دعم الروايات بالتحليل وبالشواهد التي يأخذها من القرآن الكريم والحـــديث الشريف وأشعار العرب العظماء .

المعاني:

وقد ألفينا العكبري يهتم بالمعنى اهتماماً ملحوظاً، ويتضح هذا الاهتام فـــي نواح شتىّ وقد تتبعنا عمله وهو يقوم بعملية تحليل المعاني يستعين باللغة والنحـــو

في تفسير الألفاظ والتراكيب وصولاً إلى المعنى المناسب، ومن خلال ملاحظتنا لهذا الجانب ندرك:

1- نظرته إلى وحدة النص ومحاولته الربط بين أبيات القطعة الواحدة .
2- كان العكبري في تحليله للمعاني ينظر إلى مقاصد الشاعر ومراميه فيحللها قبل الشروع في إيراد المعاني .
3- إنه كان يستقصي المعنى ويورده في أكثر من وجه واحد ويقيم الجدل والحوار بينه وبين نفسه .
4- الاستعانة بالشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي، والشعر العربي التي تلتقي في معانيها بمعاني النص خدمة لتحقيق معاني تثري الشرح .
5- تعقبة أقوال السابقين من الشراح في المعاني لإبراز جوانب القصور فيها .
6- اختياره في شرح معنى العبارات والجمل الإيحائية التي تؤدي المعنى .

وفي عنصر البلاغة:

اهتم العكبري اهتماماً كبيراً وحظي منه بعناية كبيرة في علومها الثلاثة البيان والمعاني والبديع، فالذي يقرأ شرحه يجد له وقفات مضيئة تدل على نظرة ثاقبة ومعرفة بأساليب البيان والمعاني، فهو في اهتمامه بهذا العنصر، يدل على عناية تهدف إلى تبيان أثر هذه العلوم في جودة الشعر وجماله، ففي علم المعاني، نراه يشير إلى التشبيه والاستعارة، والمجاز، والكناية، ويقف كذلك عند علم البيان فيشير إلى نوع الأساليب، وقد نجد في شرحه وقفات عند ألوان البديع، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى معرفة واسعة وثقافة العكبري المتشبعة في جميع أنواع العلوم المعرفية، التي تعين على فهم النص الأدبي وإظهاره بالمظهر الرائع، وفي سبيل وصول المعاني إلى المتلقي سهلة سلسة، هذه هي العناصر التي قام عليها عمل هذا الشارح، حاولنا أن نعرض لها من خلال دراستنا لمنهجه في شرح المتنبي ولقد رأيناه في جل عمله يحقق ما ذهب إليه من أنه قد اتبع منهجاً جديداً منظماً في شرح البيت الشعري يقوم على الشمولية، ويعرف عند الباحثين بالمنهج التكاملي الذي لا يقتصر على شرح البيت الشعري حسب بل يتعداه إلى بسط مختلف العلوم والمعارف العامة مما يجعل الشرح موسوعة ثقافية ذات فوائد

حية وقد ساعده على ذلك سعة ثقافته وغزارة علمه وتنوع اتجاهاته المعرفية فقدم لنا شرحاً غزير المادة متنوع الفائدة تضمن جهداً لغوياً كبيراً وجهداً نحوياً أكبر منه ومن أبرز سماته العرض التفصيلي المسهب لمسائل الخلاف بين المدرستين الكبيرتين البصرة والكوفة، ولا يخلو الشرح من مادة صرفية مفيدة وهو عظيم الفائدة لدارسي الأدب العربي والنقد الأدبي .

ومن الملاحظات التي يجب أن نشير إليها في هذه الشرح:

1- إنه كان ينظم ما ينقله من الشرحين السابقين فقد رأيناه ينقل من الواحدي وابن جنى، ولكنه كان يتصرف فيما ينقله، حيث ينظمه ويرتبه وفق الرؤية التي يراها في معالجة عناصر الشروح، لا كما جاءت في شرح الواحدى .

2- إن عمله في شرح الشعر كان قد قسمه إلى ثلاثة أقسام بدأها:

أولاً: (الإعراب) يتناول فيه ما يشكل إعرابه في البيت، وما فيه من تقديم وتأخير ثم ينتقل إلى شرح (الغريب) فيتناول الألفاظ الغريبة، ثم ينتقل إلى شرح (المعنى) إذ يشرح فيه مضمون البيت ومعناه العام .

3- إن العكبري على كثرة نقله من الشروح كان يبدي رأياً فيما ينقل، كما إنه كانت له بعض المواقف التي دلت على شخصيته في العلم، وهي مواقف إن دلت على شئ فإنما تدل على حضور ذهن، ونظرة ثاقبة، وغزارة مادة .

ثالثاً: اليازجي:

أما اليازجي فقد حاول أن يستفيد من اللغة والنحو، في تحقيق هذين العنصرين اللذين يعدان أهم العناصر في عملية الشرح، إذ لا يتضح معنى النص إلا بهما، غير أن إفادته من اللغة والنحو جاءت وفق منهجه، فهو يشرح الألفاظ والتراكيب إن رأى أن ظاهر النص يقتضي ذلك، فإن كان النص لا يشتمل على الغريب الذي يحتاج إلى شرح أتى بالمعنى مباشرة، وربما رأى أن في شرح الألفاظ ما يدل على المعنى، فيشرح الألفاظ فقط دون أن يأتي بالمعنى، على أنه إن كان في غلبة شرحه يحقق ما ذكرنا فإنه أحياناً كان يركز على جانب لغوي يعرضه، ويكتفي به في عملية الشرح، وأحياناً يركز على لفظه نحوية يعرضها ثم لا يذكر بعدها شيئاً في النص .

أما في النحو فإنه كان يتناول النحو من حيث إيضاح المعنى، باستثناء المواضع القليلة التي يتابع فيها شراحاً سابقين، كان يركز على مناقشة المسائل النحوية التي تتصل بالمعاني، والتي تعين على إيضاح المعاني وإبرازها .

وإذا كنا قد رأيناه في غلبة عمله اللغوي لا يخرج عن منهجه، فإنه كذلك في عمل النحوي، فهو ينظر إلى النحو وسيلة، يوضح بها المعنى، ولا ينظر إليه مجالاً يستعرض فيه ثقافته النحوية، أو إظهار مقدرته على الإلمام بالقضايا النحوية، وما فيها من اختلاف مذهبي، على نحو ما نجد عند بعض الشراح وبخاصة الواحدي، والعكبري، وجملة القول إن اليازجي كان في هذين العنصرين قد عنى بشرح الألفاظ والتراكيب، من خلال معالجته للقضايا اللغوية والنحوية على وفق المنهج الذي رسمه في شرحه، إلاَّ أنه في بعض الأحيان القليلة كان يتأثر فيها بالواحدي فينقل عنه ما يخرجه عن حدود منهجه الذي سلكه .

أما في عنصر الرواية فلقد رأيناه يهتم به اهتماماً ملحوظاً، فمع أنه كان عالة على عمل الشراح السابقين مثل ابن جنى والواحدي وغيرهما، فإنه كان يورد أقوال الشراح ويناقشهم في الرواية، واختيارهم لها فيفاضل بينهم، وأحياناً يجنح إلى الرواية الصحيحة فيعتمدها، كما أنه كان يحرص على إيراد الروايات كلها ثم يوازن بينها ويتخير أفضلها .

أما في عنصر البلاغة فإنه لم يهتم بهذا الجانب ولاحظي منه بكثير اهتمام، فقد أهمل جل علومها – البيان والمعاني، والبديع، فالذي يقرأ شرحه لا يجد سوى وقفات ضئيلة تخص الاستعارة والمجاز، وعمله فيهما لا يدل على عناية تهدف إلى تبيان أثر هذين اللونين في جودة الشعر وحسنه، وإنما يأتي الحديث عنهما عرضاً في أثناء الشرح ولذلك لم أخصص لهما جانباً عند دراسة منهجه .

أما في عنصر المعاني:

فألفيناه يعالج معاني الشعر وفق مسار متصل باللغة والنحو، فهو يعالج الألفاظ لغوياً، ثم يورد المعنى، وقد يطرح مسألة إعرابية يستعين بها على إيضاح المعنى، وهو حين يعرض المعاني يعرضها بعبارات سهلة غايتها أداء الغرض من غير تنميته للأسلوب، أو تخير للألفاظ، فهو في طريقته يختلف عن منهجي الواحدي

والعكبري وغيرهما من الشراح الذين رأيناهم يتخيرون الألفاظ ويجّودون سبيلها في قالب أدبي رفيع، فأسلوبه في عرض المعاني ليس بالمشوق الذي يمتع القارئ ويبعد عنه الملل ولكنه يميل الاختصار والسهولة والإيجاز .

أما في جانب الرواية:

فقد وجدت من الشارح شيئاً من الاهتمام في هذا الشرح، غير أن صاحبه كان يعالجه في شيء من الاختصار، فهو في أغلب الأحيان يشير إلى اختلاف الرواية، دون شرح أو مفاضلة، وفي بعض الأحيان كان يتولى شرح الرواية عن طريق البناء للمجهول، فيقول روى، ورووا، ويروى، وهذه كانت أغلب طريقته في عنصر الرواية .

هذه هي العناصر التي قام عليها عمل هذا الشارح، حاولنا أن نستعرضها من خلال نظراتنا إلى طريقة عمله في شرح شعر المتنبي، فقد رأيناه في غالبية عمله ينقل عن الشراح السابقين، فهو أحياناً يجاريهم في شروحهم، وأحياناً أخرى يردها، أما في شرحه فهو يتوخى السهولة والاختصار، ويجنح إلى إيثار الإيجاز عن الإطناب والإطالة، وذلك لتقريب المعنى للقارئ ما قرب، وأسهل طريق وخلاصة القول إن اليازجي في شرحه كان إذا عرض إلى عناصر الشرح الأخرى كان الإيجاز إليه سبيله، وأن شرحه كان عالة على غيره من الشراح السابقين، مثل ابن جنى، والواحدي، وغيرهم من الشراح .

لقد كانت دراسة هذه الشروح دراسة مستفيضة، ودقيقة مع أعمال الشراح ودراسة ذات نظرة موازنة، متشبعة متعددة متلاحقة، كشفت عن المتشابه والمختلف وعن الإبداع والابتكار، والتقليد والإتباع، وعن الجهد الذي بذله هؤلاء الشراح يدل على إعمال فكر، وجهد مضن وكشفت مع هذا كله عن مدى ما اضطلع به هؤلاء الشراح من ثقافات، وما رموا إليه من أهداف وغايات، والذي يجب أن نشير إليه إن أغلب أصحاب هذه الشروح التي تناولناها بالدراسة كانوا كثيراً ما يجنحون إلى التوسع والإطالة، في الجانب اللغوي، والنحوي، كما أنهم لا يغضون النظر عن الجوانب الأخرى، وهي عناصر لها قيمتها في تحليل النص وتبيان معانيه .

والملاحظ أيضاً أن أصحاب هذه الشروح كانوا يعتمدون في شروحهم على جمع الشروح السابقة، ومن ثم يتخيرون شرحاً منها تكون عناصر الشرح فيه وافية كاملة، معروضة في ثوب من التنسيق والتهذيب، بحيث لا يكون عنصر من العناصر طاعنا على الجوانب الأخرى .

والذي يجب أن نؤكده من هذا الصدد أن أصحاب هذه الشروح قد بذلوا جهداً لا ينكره أحد، فقد حاولوا أن يوفروا لأعمالهم سائر المقومات والصفات التي تقوم عليها مناهجهم، فهم بحق قد أعطوا وأثروا المكتبة الأدبية بهذه الشروح التي كان لها الأثر الكبير في فهم معاني شعر المتنبي، الذي لا يزال يملأ الدنيا ويشغل الناس .

الباحث . . .

ثبت المصادروالمراجع

- القرآن الكريم، (المصحف الشريف- برواية قالون عن نافع المدني) .

1) أبو الطيب المتنبي، دراسة في التاريخ الأدبي، ريجيس بلا شير . ترجمة إبراهيم الكيلاني، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي .دمشق،1975 .

2) أخبار أبي تمام – أبوبكر الصولي – تحقيق خليل عساكر وآخرين، المكتب التجاري للطباعة والنشر- بيروت، (د.ت) .

3) اختصار تفسير أبيات المعاني .لأبي مرشد سليمان ابن علي، تحقيق مجاهد محمد الصواف، د. محسن فياض، دار المأمون للثرات دمشق ط1، 1979 .

4) الأدب المقارن – محمد غنيمي هلال – دار مطبعة مصر، (د.ت) .

5) أساس البلاغة للزمخشري – تحقيق عبدالرحيم محمود – دار الكتب المصرية، ت 1953 .

6) أسس النقد الأدبي عند العرب – د.أحمد أحمد بدوي – مكتبة نهضة مصر، ط1، 1958 .

7) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني – تحقيق مصطفي السقا – مطبعة دار الكتب المصرية، 1952 .

8) الاقتراح في علم أصول النحو ــ تحقيق د. أحمد محمد قاسم، (د.ت) .

9) الآمالي لأبي علي القالي، المكتب التجاري، بيروت، ج2 (د.ت).

10) أمثال العرب للمفضل الضبي، تحقيق ــ إحسان عباس . دار الرائد العربي . بيروت، ط2. 1983 .

11) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري ــ النحوي ت 577،513 هـ ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت (د.ت) .

12) أوضح المسالك إلى اللفية ابن مالك ــ تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، ط 17 (د.ت).

13) البداية والنهاية في التاريخ، مطبعة السعادة، القاهرة، (د.ت) .

14) البيان والتبيين ــ للجاحظ أبو عثمان عَمرْو بن بحر، ت(255هــ). تحقيق حسن الندوبي، المكتبة التجارية الكبرى، ط1، القاهرة
15) تاريخ الأدب العربي ــ كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجــار، دار المعارف بمصر، ط3، 1977 .
16) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ــ إحسان عباس، نشر دار الأمانة، موسســة الرسالة، ط1، 1971 بيروت – لبنان .
17) التبيان في شرح الديوان ــ لأبي البقاء العكبري، ضبطه ووضــع فهارســه مصطفى السقا ــ إبراهيم الابياري، وعبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت لبنان (د. ت) .
18) التنبيهات على أغلاط الرواة ــ دار المعارف بمصر، (د.ت) .
19) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد الســلام هــارون، دار الكتــاب العربي للطباعة والنشر، مصر، 1968 .
20) دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة رمضــان عبــد التواب، مكتبة الخانجي، 1980 مصر .
21) دراسة الأدب العربي، مصطفى ناصف، الدار القومية للطباعــة والنشــر، القاهرة، دت .
22) ديوان أبي تمام، تحقيق محمد عبده عزام، طبعة دار المعارف بمصر
23) ديوان أبي محجن، صنعة السكري ــ تحقيــق فخــر الــدين قبــاوة، دار الأصمعي بحلب، ط ،دت .
24) ديوان أبي نواس، حققه عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيــروت، لبنان، د.ت
25) ديوان الأعشى ــ تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت،ط .د.ت .
26) ديوان البحتري، تحقيق، بدر الدين الحاوي، دار مكتبة الهــلال، بيــروت، لبنان، دت .
27) ديوان الشنفرى، دار صادر، بيروت، لبنان، دت .
28) ديوان الفرزدق ــ دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت .

29) ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المشرقيين ــ بلاشير، تحقيق ــ احمد احمد بدوي، نهضة مصر ط 1 .

30) ديوان المفضليات ــ شرح أبي محمد الانباري، تحقيق كــارلوس يعقــوب، مطبعة اليسوعيين، بيروت، لبنان، ط .

31) ديوان النابغة، علي أبو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان،د.ت .

32) ديوان امري ألقيس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.

33) ديوان جرير، تحقيق محمــد بــن طــه، دار المعــارف بمصــر، ذخــائر العرب . د . ت .

34) ديوان زهير، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار العلم، بيروت لبنان .

35) ديوان طرفه ــ تحقيق سيف الدين الكاتب ــ احمد همام الكاتب ــ دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان .

36) ديوان عَمْرو بن كلثوم، دار صادر، بيروت، لبنان، دت .

37) ديوان عنترة، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.

38) ديوان كثيرــ جمع وتحقيــق إحســان عبــاس، دار الثقافــة ــ بيــروت، لبنان، د .ت .

39) ديوان مسلم ابن الوليد، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت .

40) ساعات بين الكتب، العقاد، دار المعارف مصر، 1953 .

41) السيرة النبوية لأبن هشام – تعليق وضبط طه عبدالرؤوف، مكتبة الأزهري.

42) شرح أشعار الهذليين، صنعة السكري، فخر الدين قباوة .

43) شرح القصائد التسع المشهورات ــ لأبي جعفر النحــاس، تحقيــق محمــد خطاب، دار المعارف بمصر د.ت .

44) شرح حماسة أبي تمام ــ محمد عثمان علي، دار الاوزاعي، بيروت، لبنان.

45) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ــ نشر عبد السلام هارون احمد أمين، لجنة التأليف والترجمة،ج1 ، 1967 مصر .

46) شرح ديوان المتنبي للوا حدي ــ تحقيق عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان د.ت .

47) شروح الشعر الجاهلي ــ د. جمال احمد العمري، دار المعــارف مصــر، 1981 .

48) شعر تأبط شراً، دراسة وتحقيق د. سلمان داود القره غولي وجبار شعيا قاسم ط النجف الأشرف 1973 العراق .

49) الشعر والشعراء – ابن قتيبة – دار الثقافة بيروت .

50) طبقات الشعراء لابن سلام ــ تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المتنبــي، القاهرة، د.ت .

51) عبدالقاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية – أحمد أحمد بدوي، مكتبة مصر ط2، (د.ت) .

52) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ناصيف اليازجي، دار صــادر، بيروت، لبنان، دت .

53) العمدة في صناعة الشعر ونقده ــ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل بيروت، 1481 .

54) عيار الشعر ــ لابن طباطبا العلوي، تحقيق طه الحاجري، زغلول ســلام، شركة الطباعة، القاهرة، 1956 .

55) الفتح علي أبي الفتح لابن فورجة ــ تحقيق عبد الكريم الدجيلي ، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، 1974 .

56) الفسر لابن جني ــ تحقيق صفاء خلوصي، المؤسســة العامــة للطباعــة، ببغداد، 1970 .

57) فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب، دار المسلم للطباعــة والنشــر، 1974 مصر .

58) في الأدب الجاهلي – د.طه حسين، دار المعارف ط12، 1977 .

59) في النقد العربي القديم – محمد محمد باكر البرازي، مؤسسة الرســالة ط1، 1978 .

60) القاضي الجرجاني وكتاب الوساطه – صلاح الدين عبدالثواب، دار الطباعة بالأزهر، 1975 .

61) قدامه ابن جعفر والنقد الأدبي – بدوي طبانه، مكتبـة الأنجلـو المصـرية، 1954 .
62) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث – محمـد زكـي العشـماوي، ط3، 1978 .
63) الكتاب ـــ لسيبويه، أبو بشير عمر ابن عثمان ابن قنبر، دار العلـم، 1966 بيروت – لبنان .
64) كشف الخفاء ومزيل الإلباس ـــ عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس، عبد الحميد هندي، المكتبة العصرية، بيروت د. ت .
65) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـــ حاجي خليفة، مكتبـة المثنـى، بغداد، دت .
66) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، صصحه فؤاد عبد البـاقي، دار الحديث القاهرة، 1410 ..
67) لسان العرب ـــ تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربـي للطباعـة والنشر، 1968
68) المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، محمد عبد الرحمن شعيب، ط1، دار المعارف بمصر، 1964 .
69) المتنبي شاعر القرن الرابع والخامس الهجريين . ريجيس بلا شير، ترجمـة أحمد أحمد بدوي، دار المعارف، مصر (د.ت).
70) المتنبي ماله وما عليه، للثعالبي، أبو منصور محمد بن عبـد المالـك، ط1، الحالية بمصر، 1915 .
71) مختارات من النقد الأدبي – ترجمة رشاد رشدي، مكتبة الأنجلو، (د.ت)
72) المصباح المنير للرافعي – المطبعة الأميرية، ط3، 1939 .
73) معجز أحمد (اللامع العزيزي) أبو العلاء المعري، دار الكتب المصرية
74) معجم المصطلحات العربية – مجدي وهبة، مكتبة لبنان ط2، 1984 .
75) المعجم الوسيط – مطبعة مصر، 1961 .

76) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجي، تحقيق محمد الحبيب بالخوجة، تونس .
77) منهج أبي جعفر النحاس في شرح الشعر، تحقيق عبد الستار فراج، مكتبة دار العروبة، ط، د.ت .
78) منهج البحث في الأدب واللغة – ترجمة محمد مندور، دار نهضة مصر، 1972 .
79) منهج التبريزي في شروحه ــ د. فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية، بحلب، ط1، 1974 .
80) الموازنة للأمدي – تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، 1972 .
81) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء،تحقيق المرزباني علي البجاوي، ط1، دار نهضة مصر، 1951 (د. ت) .
82) نظرية المعني في النقد العربي – د.مصطفي ناصف، مطبعة دار العلم، 1965 .
83) النقد الأدبي – أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية ط4، 1972 .
84) النقد الأدبي والعصر الجاهلي وصدر الإسلام – محمد إبراهيم نصر، دار الفكر العربي ط1، 1998 .
85) النقد الأدبي ومدارسه الحديثة – ترجمة حسين عباس ومحمد يوسف نجم، دار الثقافة بيروت، ط1، 1981 .
86) الواضح في مشكلات شعر المتنبي، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، الدار القومية للنشر، 1968 تونس .
87) الوساطة بين المتنبي وخصومه، محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع عيسى الحلبي، المجلس الأعلى وشركاء دار العلم، بيروت .
88) وفيات الأعيان لابن خلكان ــ تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان .
89) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق،د. مفيدة قمحية، ط1، دار الكتب العلمية،1972

الرسائل العلمية:

1. التفكير النقدي في شروح ديوان المتنبي، أطروحة دكتوراه، عمـــر عبـــد الواحد، دار الكتب الوثائقية والقومية .
2. الحركة النقدية حول المتنبي في القرنيين الرابع والخامس الهجريين ـــ ليلى سعيد الشايب، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة عين شمس ، 1979ـــ 1980 .
3. منهج أبي العلاء المعري في شرح الشعر، د. الزر قاني عجاج، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة محمد الخامس . الرباط 1996 .

المجلات:

1) مجلة الموارد العراقية، المجلد السادس، العدد الثالث 1977 .

فهرس مواد البحث